

# مؤلفات ثروت أباظة

٥



0149571



Bibliotheca Alexandrina

• طارق في العشق  
• أحلام في الظهور  
• النهار لا يحرقني  
• طارق من السماء



# مؤلفات شروت أباطة ٥

طائر في العنق  
أحلام في الظهيرة  
النهر لا يحترق  
طارق من السماء

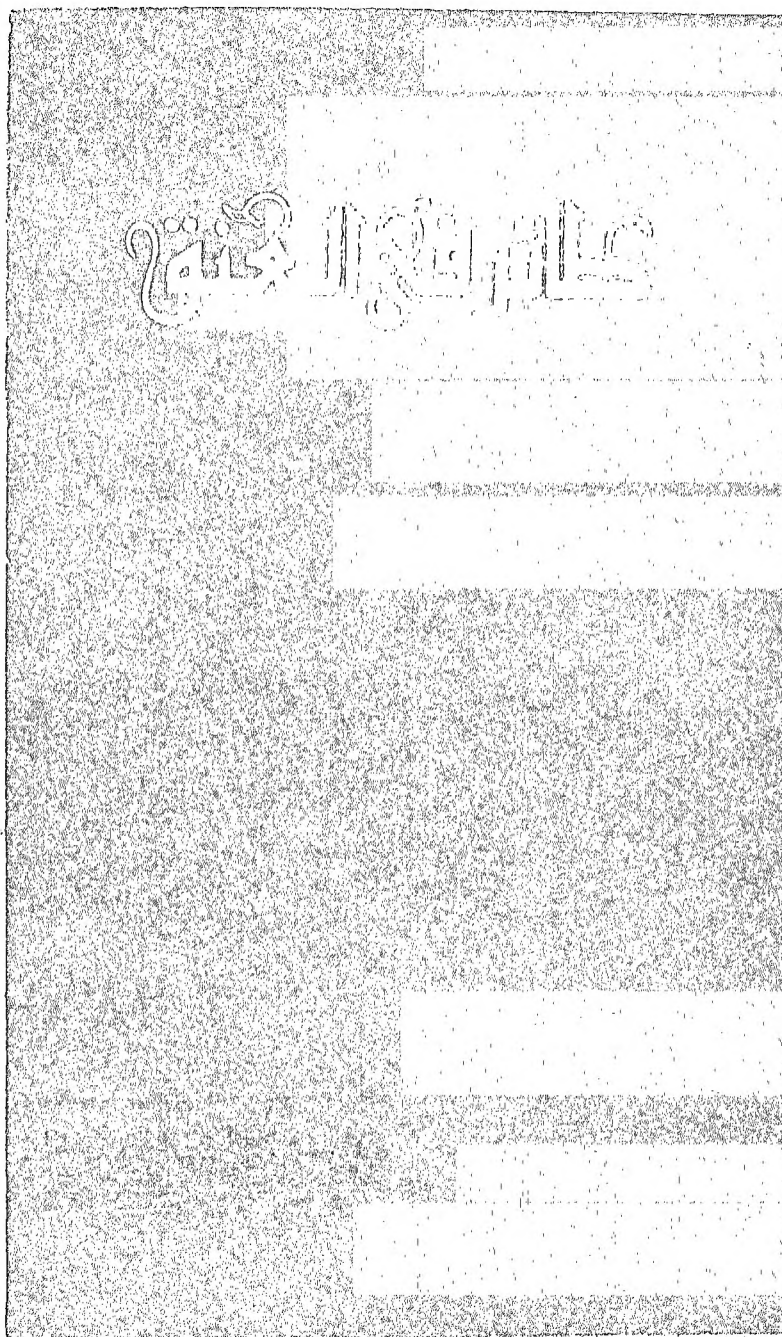


المكتبة الوطنية المملكة العربية السعودية

١٩٨٧











هذه هي المرة الأولى التي أمسك فيها بالقلم وأنا لا أدري إلى أين سأرمي به ولا إلى أين سيرمي هو بي ... أهى رواية طويلة ... أهى قصة قصيرة ... أهى شئ بين هذه وتلك أم هي شئ جديد بالنسبة لى أنا - ولك أن تسألنى وما لك لا تفعل - ولماذا لا تصبر على قلبك وتنتظر حتى تعرف إلى أى الوديان أنت متخذ سبيلك ، ومستقبل وجهتك ... ولى على سؤالك اجابة \*

لقد خرجنا من فترة سياسية قلبت الموازين الاجتماعية كلها ، وانقلب معها ما استقر عليه مألوف الناس ، وما تعارفوا عليه فى مضطرب حياتهم \*

وقد وقف بنا هذا الاضطراب على أبواب حياة جديدة أصبحنا نرى فيها ما نعتبره بعض الأجيال عجا وما نعتبره أجيال آخرون أمرا طبيعيا لا يدعو إلى دهشة أو تعجب \*

وقد شاء لى تزامم الحياة حولى أن أرى الكثير \* وشاء لى قدرى أن أكون من أهل الرواية والقصة \* فليس عجيبا إذن أمرى اذا أنا أمسكت بالقلم وبحث أفكر به فيما رأيته حولى من زحمة

الحياة ، وليس عجيباً من أمرى ولا من أمرك أن أقدم اليك ما انتهى اليه حديثى الى قلمى أو حديث قلمى الى . قد يكون بعض الناس قد شاهد ما شاهدت وسيجد هؤلاء أن ما خبره من الحياة لم ينفرد وحده بخبره . وقد يكون بعض آخرون قد سمع ولم يختبر ونقل اليه الأمر ولم يره ، أو قد يكون بعض ثالث بمعزل عن مضطرب الحياة وزحمتها فلا هو رأى ما رأيت ولا هو حتى سمع عنه .

وأيا ما يكون الأمر فقراءة الشئ غير مشاهدته وغير الاستماع اليه لأن القارئ حين يقرؤه يجده نابضا بنبض الكاتب ورؤيته . فليست حكاية أروى لك الخبر دون أن أنفذ الى العميق العميق من أغواره ثم أنا ألف حوله وأدور فأرى ما يحيط به من كل جانب فأنت لن تقرأ حديثاً هامداً لا حياة فيه ولا حركة . فليست القصة أو الرواية مجرد مجموعة من الأحداث أو من ملامح الشخصيات أو تطور التآلف بين الحدث والشخص ، وإنما القصة أو الرواية هى رؤية فنان وهى حياة كاملة ولعلها الحياة الوحيدة فى الحياة التى نعرف سرها . فسر الحياة لا يعلمه الا الله .

وما أنا بسبيلى الى تقديمه اليك الآن لا أدرى — كما قلت لك — كيف أنا سائر به أو كيف سيسير هو بى فهذا الذى أكتبه لم أضع خطوطه العريضة وإنما أنا مسلم أمرى الى ذكرياتى وتفكيرى وقلمى وهذه الذكريات فيها كثير تهادى الى من أفواه ناس عن ناس وأنا أعرف الحاكي والمحكى عنه . وهذه الذكريات فيها ما عرفته عن مشاهدة أو ما عرفته من مشاركة ويتمازج هذا جميعه فى نفسى وعلى سن قلمى فاذا أنا لا أدرى كيف يمكن أن تؤدى البداية فيه الى النهاية .





عدلى صديقى الذى أعرفه متمسك بالأخلاق الرفيعة تمسكا  
لا يقبل معه التنازل عن شىء من صفات الأمور • ولكنه أمام مشكلة  
عمه واقف كالحجر لا يستطيع أن يحقق ما تقاضيه به المثل ولا يستطيع  
أن يسكت ، أو أن نفسه تأبى عليه الهدوء أو قبول السكوت منه •  
وأقصى ما استطاع أن يبلغه من نفسه ومن جهده أن يدعى الجهل بكل  
ما يقال حول عمه •

وهو يدرك أنه بذلك الذى صنعه انما يخادع نفسه فى حين  
تأبى نفسه أن تنخدع فهو واياها فى صراع أى صراع ولكن مالنا  
نبدأ بالحديث عنه ولا نبدأ بالحديث عن عمه هذا •

هو من مواليد السنوات الأولى من هذا القرن • وهو الأخ  
الأصغر لوالد صديقى الحائر • وأخوه يكبره بسنوات ليست قليلة  
وقد مات عنهما أبوهما فواز الوسيمى والأخ الأكبر حلمى فى  
مدرسة الحقوق فلم تكن فى ذلك الحين تحمل اسم الكلية فما كانت  
الجامعة قد نشأت بعد •

وكان الأخ الأصغر حفى متجمدا فى الابتدائية لا يريد عنها  
حولا ولا منصرفا •

وكان التعليم فى ذلك الحين قد بدأ يأخذ مكانه الرفيع من الحياة  
المصرية ، وكان حرص حفى على البقاء فى الشهادة الابتدائية ينغص  
على أخيه حياته فهو ينظر فى هلع كلما استشرى المستقبل له ورآه  
فيه ضائعا كهباءة لا معنى لها ولا وجود ولا ثقل •

وكان الأخ الأكبر شأن جيله جميعا من المشتغلين بالقضية  
الوطنية الا أنه أبى أن يقف موقف المعلق أو السائر حيث تسير  
الجموع فقد كان صاحب قلم وصاحب مواهب خطائية فأمره بين جيله  
منفرد تفرد صاحب الموهبة بين عامة الناس •

وقد كانت القضية المصرية تمثل عند حلمى الحياة جميعا فهو  
ملهوب العاطفة كاره للانجليز ولكل شىء ينتمى اليهم • وقد كانت  
المدارس الثانوية فى ذلك الحين والتي كانت تسمى التجهيزية فيها  
قسم يدرس علومه جميعا باللغة الانجليزية وآخر يدرس علومه باللغة  
الفرنسية • فاختار هو الدراسة باللغة الفرنسية امعانا منه فى كره  
الانجليز على الرغم من الحاح اخوانه الذين كانوا يريدونه أن  
يدرس الانجليزية ليعرف لغة أعدائه فقد يحتاج الى مجادلتهم • وكان  
جواب حلمى القاطع : عليهم هم أن يكلمونى بلغتى فان لم فليتكلموا  
بالفرنسية أما أنا فلن أجعلهم يرغموننى على تعلم لغتهم • وحين نال  
حلمى شهادة التجهيزية كان يتقن اللسان الفرنسى اتقاناً نادرا فقد كان  
ذا موهبة فى اللغة وأحب الفرنسية فكان الى جانب العلوم التي  
يتعلمها بالفرنسية كالجغرافيا والتاريخ والطبيعة والكيمياء والحساب  
يقرأ فى الأدب الفرنسى بنهم شديد •

وهكذا كان الأمر ميسورا بالنسبة اليه فى الرجوع الى المراجع

الفرنسية كما كان ميسورا له تلقى المحاضرات عن الأساتذة الفرنسيين ، ولم يكن عددهم قليلا في هذه الأيام • وعلى أية حال فقد أحس حلمى نفسه سعيدا كل سعادة انه أستطاع فى تعليمه أن يقاطع الانجليز والانجليزية مقاطعة تامة وحين تخرج حلمى لم يصبح له عمل الا حرب الانجليز حيثما هيات له الفرصة حريا وان لم تهيئها اصطنعها هو اصطناعا •

كان حلمى مشغولا فى الحياة العامة بحرب الانجليز ومشغولا فى حياته الخاصة بحرب الجهل الفاضح الذى يزرع فيه أخوه الذى يرفض كل الرفض أن يمسك كتابا أو يفكر فى امتحان أو مستقبل يعتمد على علم •

بدأ حلمى عمله فى وزارة الداخلية وأصر حفى أن يتمسك بوظيفته التى يحبها ولا يفكر فى تركها • طالب بالشهادة الابتدائية • وبلغ حفى مشارف الشباب وأصبح فى البواكير الأولى من الحياة • وكان طويل القامة جميل القسمة بصورة لا يستطيع الانسان أن يتجاهلها • وهب الله له حب الناس ويسر الصداقات فكل الذين زاملوه وكل أصدقائهم الذين عرفوهم به أحبوه حبا شديدا • وقد كان يستطيع أن يجعل كل شخص منهم يعتقد أنه صديقه الأوحيد أو الأول على الأقل • وكان كل أصدقائه يثقون بهذه الفكرة ثقة لا تقبل المناقشة أو التفكير • وهكذا أصبح لحفى أصدقاء فى المدارس التجهيزية طعبا ومع السنين أصبح أغلب اصدقائه فى المدارس العليا ومن باب أولى كان له أصدقاء كثيرون فى المدرسة الحربية ومدرسة البوليس • ولعل هؤلاء كانوا أشد أصدقائه قربا اليه فما كان يذهب الى هاتين المدرستين الا الذين يريدون أن يتعجلوا الخروج الى الحياة فهم فى هذا مع حفى على وفاق أى وفاق •

فما كانت هاتان المدرستان تختمان أن يكون الملتحق بهما من حملة البكالوريا •



ويا طامنا ألع حلمى على حفى أن ينال الابتدائية لعله يستطيع أن يلتحق بواحدة من هاتين المدرستين •• ولكن من أين • انه يستطيع أن يصادق أى انسان أو أى شىء الا أن يصادق الكتاب حتى وان كانت صداقة مفرضة منافقة تنقطع أو اصرها اذا نال منها بغيته • عداوة موهوبة ومكتسبة ، وهكذا أصبح من الطبيعى أن يكون له أصدقاء فى المدرسة الحربية أو فى مدرسة البوليس ولكنه لم يستطع قط أن يخطو الى داخل واحدة منها تلميذا منتظما •

لم يستطع عمل حلمى فى وزارة الداخلية أن يجعله معقولا بعض الشىء فى كرهه للانجليز • فكان يكتب مقالات بتوقيع مستعار « مصرى صميم » فى الصحف اليومية ، وكانت السلطات البريطانية تحاول التعرف على صاحب هذا التوقيع فتصاب بالفشل الشديد فقد كان رؤساء التحرير يدعون دائما أن المقالات تأتى اليهم فى البريد وأنهم ينشرونها دون أن يعرفوا اسم صاحبها • وكانوا يعلمون طبعاً أن العقاب نازل بهم لنشرهم هذه المقالات ولكنهم كانوا يشعرون بالسعادة وهم يستقبلون هذا العقاب •

واستطاع حلمى عن طريق وظيفته ومقالاته أن يتعرف على رؤساء تحرير هذه الصحف • وكان حفى قد كف عن محاولته فى الحصول على الابتدائية فلم يجد حلمى بدا آخر الأمر من أن يرجو صديقه فايز وهبى رئيس تحرير مجلة الفن أن يعين حفى عنده ناقدافنيا • فالنقد لا يحتاج الى مؤهل وحفى يستطيع أن يتعرف على العاملين فى المسرح وغير المسرح من ملاهى الليل •

ولم يكن حلمى يعلم أن حفى وظيفته الصلة فعلا بالممثلين والمخرجين ، فقد كانت الحياة التى تجمع حلمى وحفى فى بيت واحد تباعد بينهما بعد ذلك فى كل شىء ، فحلمى لا يعرف عن حفى الا أنه موظف بوزارة الداخلية وحفى لا يعرف عن حلمى الا أنه خائب •

وحين تجمع بينهما المائدة فحديث مقتضب ، فكل منهما يحيا حياة غير التي يحياها الآخر فان لم يكن هناك خبر ذو شأن في السياسة أو جديد يقال عن الأرض التي يملكها والتي يشرف عليها حلمى لا يكون بينهما حديث على مائدة الغداء وهى المائدة الوحيدة التي يمكن أن تجمع بينهما في وجبات اليوم •

على أن مائدة الغداء هذه نفسها قليلا ما كانت تجمع بينهما فكثيرا ما كان يتغذى كلاهما خارج البيت أو يتغذى أحدهما على الأقل في الخارج مع صديق له •

وعلى مائدة الغداء قال حلمى :

— حفنى تستطيع أن تذهب غدا الى الأستاذ فايز وهبى •

— صاحب مجلة الفن ؟

— أتعرفه •

— أعرف المجلة •

— من أين تعرفها ؟ !

— أكان لابد أن أحصل على الابتدائية حتى أعرف مجلة

الفن •

— كنت أحسب أن ليس لك صلة بأى قراءة •

— ولا حتى مجلة الفن •

— حسنا ... هل تستطيع أن تكتب شيئا عن المسارح والغناء

والتمثيل وما الى ذلك •

— طبعا ... أنا لى أصدقاء كثيرون بينهم •

— كيف ؟

- طول المعاشرة للمدرسة جعل لى أصدقاء فى كل مكان •
- حتى بين أهل الفن •
- خصوصا بين أهل الفن •
- لك حق فكلهم ...
- لا تكمل ... أعرف ما ستقول •
- أنت تعرف أنى أقدر الفنون •
- ولكن هذا لن يمنعك أن تقول أن كلهم خائب مثلى •
- أنا لم أقل •
- قلت ولكنك لم تنطق •
- يا خسارة يا حبنى •
- نعم لك حق •
- وفهمت هذه أيضا •
- ان لم أفهم أخى الذى فى مكان أبى فمن أفهم ؟
- لو كنت أكملت تعليمك لاخترقت كل الصفوف لتصبح  
النايعة الأول فى أى ميدان تختاره •
- وهل يدري أحد ياسى حلمى أين يكمن نجاحه ؟
- لك حق ... فعلا لك حق ... ان شاء الله توفق فى عملك  
الجديد •
- بفضلك ... ان شاء الله •
- ولعلك قرأت كلمة ياسى حلمى وأنت بين مصدق ومكذب  
فما هكذا ينادى الأخ أخاه الأكبر فان حرفى سى اللذين يمشلان

أختصارا لكلمة سيدى لم يعودا يتخذان نفس القيمة فى زمانى  
وزمانك الا فى بعض البلاد العربية غير مصر • ولكن هذين الحرفين  
فى ذلك الزمان كانا عنوان احترام شديد وتوقير • • وكان الأخ  
الأصغر ينادى بهما الأخ الأكبر اذا كان فارق السن بعيدا كما كان  
أى شاب فى أسرة ينادى من هم أكبر منه بأسمائهم مسبقة بهذين  
الحرفين • ومادمت قد أخذت نغسمى أن أقص عليك ما كان من شأن  
هذين الأخوين فحتم على أن أقص أيضا ما يعرض له الحديث من  
عادات العصر الذى نشأ فيه • فإن لم أفعل وجدت نفسك متعجبا  
حيننا ورافضا أيضا وأنا حريص أن أمنع عنك التعجب وأشد حرصا  
ألا ترفض •



وبدأ حفى مستقبلا جديدا كأنما الوسط الفنى لم يخلق  
الا ليعيش فيه حفى ، أو كأن حفى لم يخلق الا ليعيش فى هذا  
الوسط •

أنداح فيه كأنه مولود على خشبة مسرح • وحاول بعض  
المخرجين أن يستغل جمال وجهه ولكن انعدام الموهبة تماما عنده  
وربما أيضا خشيته من أخيه كانت حائلا بينه وبين أن يكون مثلاً •  
فقد يقبل حلمى أن ينقد أخوه الفن ولكنه لا يسمح أبدا أن يصبح  
أخوه فنا •

لم يكن المسرح فى ذلك الحين هو ذلك الفن الرفيع الذى نعرفه  
اليوم • • ولم يكن مستقلا كل الاستقلال عن مواخير الليل وكباريات  
الرقص وبائعات الجنس •

وهكذا راح حفى يتنقل بين أولئك النسوة فى زهو الشباب • • •  
وعلى موائد المواخير عرف حفى مصر كلها • كبراءها وشبابها • • •  
عظماءها والمتسلقين حول عظمائها • • وعرف الناس من كل النحل

والمهن ... عرف الأطباء والمحامين والكتاب والمهندسين وكبار  
الموظفين وصغارهم وضباط البوليس وضباط الجيش وما أكثر ضباط  
الجيش الذين عرفهم هناك •

وعرف أيضا ... عرف القمار •

وعلى هذه المسائدة يجتمع عالم آخر غير عالم الناس ... وتعيش  
بجانب الحياة حياة أخرى •

وعرف الزجاجة ولم يحبها ولكنه كان يشرب ليجارى  
الجلسة •

وفي جلسة من هذه الجلسات سأله صديق جديد لم يكن رآه  
قبل ذلك اليوم :

— اسمك حفى الوسىمى ؟

— نعم

— ترى هل لك صلة بالأستاذ حلمى الوسىمى

— أخى

— غير معقول

— لماذا

— لا .. لاشئ

— الا أنه جاد

— ماذا تقصد بجاد ؟

— يعنى ... ليس مثلى

— على كل حال ليست دهشتى لهذا

— فلماذا ؟

— لأنه صديق قريب لى جدا وكثيرا ما نذهب الى المسارح  
وكثيرا ما نجلس معا فى بار اللواء وفى صولت •

— فلماذا لم تأت به الى هنا ؟

— الى هنا ... مستحيل الظاهر أنك لا تعرف أخاك

— هو فى مكان أبى ولكن المؤكد أن الذى أعرفه عنه أكثر  
مما يعرفه الآخرون حتى ولو كانوا أصدقاءه •

— الحقيقة أننى لم أعرف أن له أخا الا الآن ... هل أنت  
متأكد أنك أخوه ؟

— أنا متأكد ان والدتى مثل أعلى فى الشرف •

وضحك الجميع وخجل محاوره بعض الشئ وغمغم •

— أنا آسف ... العفو ... طبعاً أنا لا ... المهم ...  
المهم أن هناك حقيقة عن أخيك المؤكد أنك لا تعرفها •

— الحقيقة أن سعادتك أكثر من الشرب وجعلتنا نشغل  
الاخوان بما لا يعينهم •

— الحقيقة أننى أريد أن أعلن عن بطولة أخيك التى لا تعرفها

— هل أنت مصمم ؟

— هل تقرأ وهل تقرأون المقالات الموقعة باسم مصرى صميم ؟  
واختلطت أصوات التأييد وأصوات الاعجاب •

— أتعرفون من يكتبها ؟

وتضافرت « لا » على الشفاه ... ونظر الصديق السكران  
الى حفى •

— أتعرف أنت ؟

— ومن أين أعرف ؟

— ألم أقل لك أنك لا تعرف شيئا عن أخيك ... حلمى الوسىمى  
هو مصرى صميم ..

\*\*\*

قبض على حلمى وألقى به فى السجن وفتش بيته فى القاهرة  
وفى قريته الرمايحة •

ولكن الغريب أن الاحتلال لم يكن يلقى الناس فى السجن  
دون أن يوجه لهم تهمة معينة أو يعنى على الأقل بتلفيق تهمة بذاتها  
يستر بها وجهه أمام العالم •

وهكذا لم يكن غريبا ألا يطول المقام بحلمى فى السجن • ولكنه  
حين خرج وجد نفسه مترددا فى مواصلة العمل بوزارة الداخلية  
ولكن السلطات المحتلة كانت على قدر من الذكاء فلم تشأ أن تنصاه  
ليصبح بطلا قوميا ولم تشأ أيضا أن تنقله من الداخلية حتى يظل  
تحت عينها • وكان يعلم أن بقاءه تحت عيونهم سيقف حائلا بينه وبين  
نشاطه الآخر الذى كان أكثر خطورة من المقالات •

وامم يشأ حلمى أن يستقيل ليظل قريبا من الادارة المصرية ...  
ترك بضعة أيام تسر ثم ذهب الى مقهى الكلوب المصرى حيث تصعب  
المراقبة وتعزى ألا يجلس مع شخص واحد بمفرده بل عند الى جماعة  
كان بينهم صفوت الأشمونى الذى يريد أن يكلمه • ولم يطلب الى  
صفوت أن ينتحى به جانبا وانما جلس الى جواره بين العجاسين راح  
ينظر الى النرد الذى يتحلق حوله الآخرون • وقال صفوت :

— أرسلنا اليك لتبتعد عنا فترة



- لم يأت لى أحد
- يحسن أن تتعد
- سأسافر الى الرمايحة فترة
- خيرا تفعل
- سأحضر أول اجتماع
- موعدا كما هو لم يتغير
- وهو كذلك



لم تمنع عنه الأجازة حين طلبها • وذهب الى الرمايحة وراح يكتب المنشورات من هناك • ولم يكن غريبا أن يرى المرشدون والمخبرون فلاحا يرتدى طاقية معممة يذهب الى الكلوب المصرى • ولم يكن غريبا أيضا أن يجلس بجانب الأفندية وتنتقل المناشير في ذكاء شديد من عيسى أحد خفراء بلدة الرمايحة الى وحيد زكى الذى أخذ مكان صفوت فى الكلوب •

وما هى الا ليلة حتى تكون هذه المنشورات قد طبعت ووزعت فى القطر المصرى كله من أقصاه الى أقصاه موقعا عليها بتوقيع مصر • • وهل كان يكتبها الا مصر •

ولكن حفى كان لا شأن له مطلقا بهذا الذى يصنعه أخوه وإنما هو يغسر حياته فى متع كثيرة فلا يترك لحظة من حياته لأسلوها المرح والبهجة •



انتهت أجازة حلى وعاد الى القاهرة يشم فى أرجائها عير ثورة يكاد يراها ويوشك يهتف بها ولا يطول به الانتظار •

يخترق يوم ١٣ نوفمبر حجب الغيب ، وأستار التوقع ، وسدل  
الحدس والتخمين ويتم ذلك اللقاء الذى بدأت به مصر حياتها  
السياسية فى العصر الحديث •

ومثل ريح عاصفة ، طيبة ، عاتية ولكن حنون ، مزمجرة  
ولكنها موسيقى التاريخ •• يصبح سعد وفهمى وشعراوى أنشودة  
أمل وبداية حياة لمصر وللعالم العربى ثم لكل الدول التى لا تغيب عنها  
شمس الامبراطورية الكريهة •

وتتوأكب الأحداث ويقبض على عمالقة الثورة فيسيرون الى  
المنفى وكأنهم الى الاحتفال باستقلال مصر يسيرون • وتصبح  
مصر نارا مثل نار الحقيقة التى ألقى اليها ابراهيم عليه الصلاة  
والسلام ••• ولكن النار الحديثة كانت تقتل المحتل مع ذلك حين  
هى على الوطنيين برد وسلام • كما أمرها الله أن تكون على أبى  
الأنبياء •• ثم هى تنقلهم من فانية الى باقية ومن أسماء لا قيمة لها  
على صفحات الحياة الى خلود يظل أبدا الدهر والى ما بعد الأبد مضيئا  
على جباه الحرية •

وفى مدرسة الحقوق يضرب الطلبة عن تلقى العلوم ويخرج اليهم  
عميد الكلية الانجليزى •

— عليكم أن تنتظموا فى دراستكم وتتركوا السياسة فان  
آباءكم قد أرسلوكم الى هنا لتتعلموا •

ومن بين الصفوف يخرج طالب شامخ الطول مثل مصر • فى  
صوته ثورة الأحرار ، وحكمة الفلاح •

— ان آباءنا هم هؤلاء الذين قبضتم عليهم ونحن تؤمن بالقضية  
التي يبدلون حريتهم فى سبيلها وحياتهم اذا احتاجت القضية الى  
حياتهم • وهيهات لنا أن ندرس هنا الحقوق ، وحقوق آبائنا ووطننا  
مضاعة •• تحيا الثورة •

وتندلع الى بروج السماء هذه الأيام المجيدة المطهرة بدماء الشهداء والنابضة بروح جديدة وهبها الله للشعب ..

وكان اسم هذه الروح الجديدة المنورة بضياء السماء هو مصر • وتنعقد الاجتماعات السرية وتتخذ القرارات • ويقسم الشباب نفسه بين خطباء ظاهرين وبين جنود في الخفاء يقتلون فيصبح الاحتلال في مصر على فراش من رصاص ومتفجرات •

وفي بعض الأحيان كان المجتمعون يقرون قتل من يرون أن في وجوده خطرا على القضية المصرية حتى وإن كان مصريا • فليست المصرية مولدا وانما هي عقيدة تنبت مع الولادة وتسمق شجرتها في النفس حتى تصبح هي النفس كلها • فاذا كانت البذرة خبيثة وماتت في ركाम المنفعة واختنقت في حمأة الخيانة فصاحبها اذن ليس مصريا •

كان هؤلاء قلة نادرة بل كانوا أقل من القلة النادرة وكان الحكم عليهم في جمعيات الثورة السرية لا بد أن يكون اجتماعيا ، لذلك فلم تقتل هذه الجمعيات من المصريين الا فردا أو اثنين •

حاول الانجليز أن يصوبوا سهامهم الى العقائد الدينية ، وصاحوا بالعالم انهم يريدون أن يحافظوا على الأقليات باحتلالهم لمصر •

وأدرك أقباط مصر الدور المهيمن الذي يريد الانجليز أن يستعلموهم فيه • فاذا هم ينتفضون مصريين • وحين تنهار حجة القوى يصبح السلاح هو حجته فاذا الدماء المراقبة تلحق الثورة بالعنفوان فتزداد على الأيام روعة وشموخا •

وبعد فما أظنك تنتظر مني أن أروى لك أحداث الثورة الكبرى في مصر فأنت لاشك تعرفها • • وتعرف كيف أصبح الشعب فيها كلا واحدا • واختلط المثقف بالجاهل والقادر بالمعسر والفلاح بصاحب الأرض والعامل بصاحب المصنع وسقطت كل الفوارق • فتعاقب الضليب

والهلال وأصبح كل فرد في الشعب المصرى لا يعرف أن له مصلحة خاصة وانما مصلحة الوطن العامة هى هى ذاتها المصلحة الخاصة عند الجميع •

حلمى في ثبج الأحداث وفي بؤرة العاصفة • فهو في الجمعيات السرية وهو يقوم بدوره الذى يختارونه له فيوما تراه خطيبا في صحن الأزهر الخالد الشامخ ويوما لا تراه لأنه يلبس الخفاء ويشعق جنازة من الانجليز يقضى عليهم بالسلاح الذى تنفق الجمعية على استعماله • فالراى جميع والجميع راى وعمل •

قلة قليلة وقفت من الأحداث على حوافها تعلق ولا تشترك فالثورة عندها موضوع حديث لا حياة أمة • والأمة عندها شخص غريب يوحى بالحوادث والأخبار المسلية • فيستوى الأمر عندها أن يكوم هذا الشخص مصر ماضيهم وحاضرهم ومستقبلهم أو أى دولة أخرى لا صلة لهم بها ولا سبب كان •

كان حفنى من هؤلاء • فقد كانت أهمية الثورة عنده أن الأحاديث حول مائدة القمار أصبحت أكثر جمالا وروقا وانفعالا أصبح فيه سحر الحدث لاموات التعليق • الخبر يلتقى ليشمل أمة بأسرها وكانت الأخبار قبل ذلك تلقى فلا تكاد تجد ساءما ومن أى سلة كانت تخرج الأخبار قبل الثورة غير سلة التفاهة • فهذا زوجته تزور أمها وهذا يريد لابنته عريسا فيومىء ولا يصرخ ويشير ولا ييوج • وذلك يريد لابنه عروسا فيقول ويرفع صوته • أليس غضنفرأ ربألا أنجب ولدا بحاه ويريد له عروسا • كانت أخبارا تولد موءودة تسوت قبل أن تتم خبرا أو تجد تعليقا •

أما اليوم فالخبر أسطورة • والكاسة تاريخ • واللحظة خلود وهم يلعبون القمار ويلتذون في نفس الوقت بجسامة الأحداث وبهذه

الخلجات العالية الضجيج التى يصنعها الخبر العظيم حتى فى نفس هؤلاء الذين يعيشون من الحياة على هامش الحياة •

وتمضى الأيام ويعود سعد ورفاقه من المنفى وتبدأ المفاوضات وحلى ورفاقه سائرون الطريق بقوة الثائر وذكاء السياسى • وقد استقر رأى عندهم أن يكون عملهم هو تأييد المفاوضين بالطريقة التى يراها المفاوضون ، وكان عبد الرحمن فهمى فى مصر ذلك الزعيم العملاق الذى رفض أن يتقاضى ثمن الزعامة هتافا و إعجابا وإنما تقاضاه راحة ضمير و عملا خطيرا خفيا وراء الأستار فى سبيل مصر كان ذلك السياسى الزاهد فى المجد الشخصى والمتعبد فى محراب مجد الوطن هو الصلة بين المفاوضات وبين الجماعة التى يعمل فيها حلى •

فالعامل اذن كان متندا متزنا لا نرق ولا رعونة • وكان أعضاء الجمعية يتزاوون فلم يكن معقولا أن يصطنعوا لأنفسهم مكانا ثابتا يلتقون فيه •

وقد يزور الصديق منهم صديقه على غير موعد • وقد يزور الغنى فقيرا فلم يكن المال بذى شأن فى علائقهم • فمنهم من كان قادرا على أن يستأجر أكثر من خادم ، ومنهم من لا يستطيع أن يستأجر الا خادما واحدا أو خادمة • فقد كان وجود الخادم فى المنزل ضرورة لا غنى عنها • والا فمن يشتري من الأسواق •

وقد تطهو سيدة المنزل أو ابنتها ولكن لابد أن يصل إليها الطعام الفج ليكون على يديها مطهوا •

وحين زار حلى بيت صديقه وزميله فى الدراسة أحمد عبد المتعال لم يكن بالبيت ذرج الخادم وكانت الأم مشغولة فى شئون المنزل فلم تجد وصفية بدا من أن تجيب الطارق فلم تكن الأجراس معروفة فى

ذلك الحين • ولم تقل من ؟ وإنما ظنت أن فرج عاد من السوق ففتحت  
بسرعة وما أن رأيت غريبا حتى توارت في لحظة وراء ضلقة الباب •

— أفندم

— أحمد بك هنا

— لا يا أفندم

— شكرا

— تقول اه من

— حلمي

— حاضر

— شكرا

كانت اللسحة كافية لأن يرى حلمي وصفية •



ولم لا • وتزوج حلمى من وصفية وانتقل الى بيت جديد وترك  
أخاه حفى فى البيت • وبدأ صديقى عدلى يتشكل فى عالم الغيب •

وكانت السيدات فى ذلك الحين يسيرن المأخذ قريبات الرضى  
فبحسب الزوجة أن تجد رجلا يحميها من ضراوة الحياة ويمد قلبها  
وروحها بدفء الطمأنينة حتى تسلم اليه حياتها كلها وقد كانت حياة  
السيدات كلها موهوبة لبيوتهن • فالنجيبات منهن النجيبات من أصابت  
بعض تعليم فى المنزل الأول سواء كان هذا المنزل بيت أبيها أو بيت  
أخيها كشأن وصفية التى مات عنها أبوها وهى فى باكر الصبا تولي  
أخوها أحمد أمرها • ولما كان واسع الأفق واسع الآمال حين يفكر  
فى بلاده فقد كان مؤمنا بتعليم المرأة وهكذا ذهبت وصفية الى مدرسة  
السنية وبقيت بها حتى أتقنت القراءة والكتابة واللغات أيضا ثم أصرت  
أمها منيرة هانم أن تكتفى من التعليم بما أصابت خشية أن ينصرف  
عنها الرجال ، أو ذلك ما صرحت به لابنها على الأقل فقبله فى غير  
اقتناع ، ولو كانت قد ساقته له السبب الحقيقى لرفضه بغير جدال  
ولو أن الرجال فى هذه الأيام لم يكونوا ليجرؤوا أن يرفضوا



لأمهاتهم مطلباً • هما يكن حظ الأبناء من التعليم والمكانة ومهما يكن حظ الأمهات من الجهل فقد استطاعت الحياة أن تعلم نفسها لأولئك الجاهلات فهن في شئون حياتهن وخاصة أمورهن أعلم من العلماء ان فات الرأي السديد هؤلاء العلماء في هذه الشئون •

كانت منيرة هانم ترى وصفية متفوقة في الدراسة وقد خشيت ان أمعنت في هذا التفوق أن تنصرف عن الزواج الى الدراسة فرأت أن تحسم الأمر في مهده وتقضى عليه قبل أن يستفحل ، واصطنعت هذا السبب الذي اصطنعته لتبقى ابنتها في البيت ولم يستطع أحد أن يجادل مكتفياً بأن وصفية أصبحت تستطيع أن تثقف نفسها اذا شاءت ما دامت أصبحت تعرف الكتابة واللغات قراءة وكتابة •



مر على الزواج شهور والزوج سعيد بزوجه سعادة يتوقعها فقد كانت أغلب الزيجات تتم دون أن يرى العريس عروسه أما هو فقد رآها وهو يعرف البيت الذي نشأت فيه فأبوها رجل من علماء الأزهر الأجلاء وان يكن قد رحل وهي طفلة الا أنه ترك نور إيسانه في البيت وفي زوجه وفي ابنة أحمد صديق حلي وزميل دراسته منذ هما في الخديوية الثانوية حتى نالا شهادة الحقوق وعمل حلي بالداخلية وأحمد بالنيابة العامة • وحين تم هذا الزواج كان أحمد قاضياً •

ولم يكتمل العام على الزواج فقد سرعان ما قبضت عليه السلطات المحتلة وألقت به الى السجن وذهب أحمد الى أخته •

— تعودين معي الى البيت

— أنرضى لى هذا ؟

— ولا أرضى لك أن تعيشى وحيدة

— كنت تعرف حين زوجتى أن زوجى قد يقبض عليه فى أى لحظة •

— وكنت تعرفين

— وقبلى أنا الزواج وقبلته أنت أفأترك البيت حين يحدث ما توقعه كل منا •

— لو كان مسافرا لجئت معك ، أما وهو فى السجن السياسى فلا ... أأجعل سجاناه يحس ولو للحظة أنه هدم بيته وأن زوجته تخلت عنه •

— ان واجبى قبلك وقبل حلمى يحتم على ألا أتركك وحدك

— هذا حق

— اذن

— تأتى أنت وتقبح معى

— وأمى

— سلها

\*\*\*

— وأقيم أنا أيضا معكما عند حلمى •

والناس اليوم لا تدرى أية تضحية كبرى قدمتها الأم العظيمة منيرة هانم وهى تترك بيتها فترك البيت فى ذا الحين كان أمرا تقف دونه أهوال جسام ولكن الأم أدركت أن هذا هو وقت التضحية التى تملكها فى سبيل مصر أولا ثم من بعد • من أجل ابنتها وزوجها البطل •

٤

خلا حفنى بالأرض فامسبح يشرف على أرضه وأرض حلى  
جميعا وكان القمار قد تغلغل فى دمه فراح ينفق الريع كله فى شهر  
أو شهرين ، ثم يقف عاجزا لا يدرى ماذا يصنع • أما أموال أخيه فقد  
كان يخشى عليها من نفسه ، وكذلك أعطى أمره للناظر ألا يعطيه مليما  
من أموال حلمى وانما عليه أن يذهب بها جميعا الى أحمد بات شهر  
أخيه لينفق منها على البيت ويبقى بقية المال لأخيه •

وهكذا تعرف الناظر الحاج على سعدون على أحمد • وفى أول  
لقاء لهما •

— هذا هو الريع

— هل معك إيصال أوقع عليه

— والله أعددت الإيصال نعم • ولو كان مالى ما أعددت

— وأنا لا أقبل مليما لا أعطى عليه إيصالا فأنا أمين على هذا  
المبلغ ولا بد أن أؤدى الأمانة الى أهلها ومعها الشواهد •

— ان صهرك يعرف طهارة يدك •

— وأنا أيضا أعرفها ولكن ماذا أقول اذا نسيت أنت أو نسيت  
أنا قيد مبلغ •

— الايصال أضمن

— وهذا هو التوقيع

— ولكن هذا أمر لا خطر له

— هناك أمر له خطر ؟

— كل الخطر

— خيرا

— لا خير مطلقا

— ماذا

— حفنى بك

— ماله

— طلب الى أن أبحث عن مشتر لعزبة الزميلة

— أكلها من نصيبه

— له النصف وهو ما يريد بيعه

— وأرض حلمى

— ملاصقة طبعا لنصيبه

— كم فداناً هي

— مائتا فدان

— وبكم الفدان

— لن يزيد عن مائة جنيه ، سينفقها على القمار في شهرين  
أو ثلاثة ، وإذا استمر الحال على هذا المنوال فالله أعلم الى أى مصير  
سينتهى اليه والله أيضا يعلم الى متى سيظل البك مجبوسا عند أولاد  
الكلب هؤلاء •

— اسمع كم عندك لحلمى بك  
— هذه عشرة آلاف وعندى محاصيل بحوالى خمسة آلاف  
— ألا تستطيع تدير الخمسة الباقية  
— لا يهم أن أدبرها  
— كيف

— لاعب القمار يرضى بأى مبلغ  
— ماذا تعنى  
— أخسف الشن واشترى على آجال وحين يخرج حلى بات من  
السجن نكون قد اشترينا الأرض كلها بربع ثمنها •

— افعل ذلك  
— وحلمى بك  
— لو استطعت أن ألقاه — وهذا مستحيل — ان يقبل • نحن  
نحافظ على أرض أبيت فى غيابه ولا حيلة لنا الا هذه لأن الأرض  
إذا انتقلت الى يد غريبة فلن تعود •

— نعم الرأى • ولكن مصاريف البيت  
— أمرها سهل ••• لا شأن لك  
— وهو كذلك

\*\*\*



القمار مضمار عجيب من ميادين الحياة • الداخل فيه يدخل الى حياة أخرى بعيدة كل البعد عن حياته وعن مألوف أمر الناس • وما ظنك بقوم يجتمعون حول مائدة واحدة وكل شخص منهم يحرض أن يخرب بيت الآخر في صراحة ووضوح ، فعلى هذه المائدة لا وجود لأى أسرة من قريبي وان كانت قرابى ابن من أبيه ولا وجود لأى معنى من معانى الصداقة أو المودة ؛ سعار خالص برىء من أى شائبة انسانية ولا يبقى الا المال صاحب الصرخة الوحيدة والسيطرة المطلقة • وان كان المال قوى البرائن صلب المخالب في الحياة الا أنه فيها يتخفى وراء كلمة طيبة أو يستخذى أمام صلة رحم أو سبب من أسباب المودة أو عشرة قديمة الا أنه في مائدة القمار يخلع كل الأقنعة ويعلن نفسه حاكماً فرداً باطشاً آخذاً لا شريك له ولا هو يقبل أية مراجعة •

وعلى هذه المائدة تلتقى أصناف من الناس شتى لكل منهم عالمه الخاص البعيد كل البعد عن عالم الآخرين الجالسين على نفس المائدة العاكفين على المعبود الواحد • • • القمار • تجد السياسى رجل

الدولة الذى يوشك أن يكون عالما وتجد الطبيب العالمى فعلا وتجد المهندس الذى يهز اسمه أوساط الفن الهندسى فى كل أنحاء المعمورة وتجد الضابط • وكثيرا ما تجد الضباط وتجد القواد وتجد المقامر المحترف النصاب • وتجد الجميع يعرف عن الجميع كل شئ ولكن لا شأن لأى منهم بالآخر • متفقون على أن الصلة بينهم هى هذه المائدة • وان كان لأحدهم عند آخر منهم مسألة أو موضوع فلا بأس أن يقضيه له كما يقضى خدمة لشخص يعرفه • • ولكن العلاقة تظل واضحة • • • علاقة قمار • وأغلب الأمر أن من يقضى هذه المسألة انما يقضيهما لأنه يعلم أنه ملاق الشفيح فيها كل يوم ولن يفلت من الحاجة • على أن هذه الخدمات لا تتجاوز فعل الخير الى المنفعة الخاصة فالمصارحة بينهم تتم حين يوزع بينهم ورق الدور الأول فى اجتماعهم • فلا يستطيع رفيق المنضدة أن يستغل نفوذ السياسى لأن السياسى سيواجهه فى الحال بما لم يتعود أن يواجه به الآخرين ، وسيقول أن هذا الموضوع ستكسب منه كذا ولست مستمدا أن أخون الأمانة من أجلك أو من أجل أى أحد •

فلاعب القمار ليس من الحتم أن يكون لصا وانما قد يكون شريفا غاية الشرف • صحيح أن القمار قد يجرف الشريف الى مهاوى الدنية ولكن هذا المنحرف ضعيف كان مستعدا أن يكون لصا تحت أى ضغط أو أمام أى اغراء • وهأتندا رأيت حفنى يأبى أن ييس مال أخيه •

فالقمار هو هذه المائدة العجيبة التى تجمع الأصدقاء الألداء والأحباب الذين لا يمانع أحد فيهم أن يقتل حبيبهم فقرا طبعا بل هو يسعى الى ذلك جاهدا ما وسعه الذكاء والمران والمناورة والمداورة •

كانت مائدة حفنى للقمار تعمر بكل هؤلاء الذين ضربت بهم المثل فكان فيها حامد باشا محمد السياسى الداهية الذى تولى مناصب



الوزارة بل انه تولى عددا وفيرا من الوزارات ، وهو رجل شريف السمعة لم يقل عنه أحد ما يشين وهو ذو عقلية سياسية نادرة وكان يلعب القمار بشيء من التعبد وبكثير من الاخلاص في اللعب فقد كانت المائدة هي المكان الوحيد الذي ينسى عليه خصوماته السياسية والمؤامرات التي تدبر عليه والتي يدبرها هو وقد كانت أغلب الخصومات حتى ذلك الحين مع الانجليز . وكان معه دائما سياسى آخر يعمل بالمصارفة في البورصة فهو حينما تنتعش النفس أو هو حينما آخر منتكس خاطر والقلب ، ترى في وجهه تقلبات البورصة شأن المبتدئ الذي لا يستطيع أن يخفى مشاعره ، ولهذا لم يكن عجباً أن يخسر عبد الفتاح صدقي بك دائما على المائدة فقد كان وجهه صفحة مفتوحة لأعين الخبراء وكان معهم أيضا وجدى المسمى الملازم بالجيش فائدة القمار لا تعترف بالفوارق فأنت تجد السياسى العجوز يجلس الى الضابط الصغير دون أى شعور بفارق المرتبة وكان وجدى في اللعب مغامرا يبحث عن البطولة في ورق اللعب بعد أن تعب في البحث عنها في أرجاء الحياة ودروب الوظيفة . وكان هناك أيضا يسرى الجندى اللاعب المحترف . وكان هناك أيضا رشدى المهدي اللاعب المحترف والقواد المحترف أيضا وهو الذى يعد المائدة ويدعو اليها ويدبر اللقاءات بين اللاعبين . وكان هناك طبعا حفنى .

إذا اتفقت المشارب بين اثنين من اللاعبين فلا بأس عليهما أن تقوم بينهما صداقة . وقد كان حفنى بموهبته الخارقة في صنع الصداقات على صلة وطيدة بالجميع حتى ليحسب كل لاعب على المنضدة أنه الصديق الأول عند حفنى .

ولكن القمار لا صديق له فحفنى يخسر عشر ليال ويكسب ليلة ، وإذا كان جميع اللاعبين الذين ذكرتهم والذين لم أذكر يتبادلون أمكنتهم على المائدة فهناك دائما اثنان لا يكاد يغيب أحد منهما عن

اللعب ، رشدى المهدي وحفنى الوسيمى • أما رشدى المهدي فتلك  
هى وظيفته فى الحياة • لا وظيفة له غيرها ، وأما حفنى فلأنه لم يكن  
يجد شيئا يعمل به الا اللعب وربما لو وجد متعة أخرى لترك المائدة  
سعيدا • فهو لا يعرف التحمس لشيء حتى ولا للقمار الذى أجمع  
التاريخ على أن من يصاب به فلا فكاك له منه • ولكن حفنى شيء آخر  
غير الناس ، لا يخلص لشيء ولا يتشبث بأى عادة مما يتعود الناس  
عليه • دخن بعض الوقت ثم ترك التدخين وشرب الخمر ويشربها ولكنه  
لا يشربها الا ليشارك الشاربين ، فهو لا يذكر أنه جلس منفردا وطلب  
كأس خمر واذا مر به الشهر أو الشهران لم يجلس الى شاربين لم  
يشرب هو قطرة واحدة • وهكذا شأنه مع القمار يذهب كل ليلة  
لي لعب فاذا وجد متعة أخرى انقطع تماما عن اللعب • هو لا يتمسك  
بشيء أبدا ولا يسمح لشيء أن يتمسك به ••• ماذا تراه يفعل اذا  
تزوج ؟ تلك تجربة ستكون فريدة وعجيبة أيضا ••• أيسكن أن يفكر  
مثله فى الزواج ••• من يدري ؟

وهكذا باع حفنى أرضه كلها وكان مثال المقامر فى بيعه فكل  
ما كان يفعله أن يوقع حيث يطالب منه الحاج على أن يوقع لا يرى  
الى اسم البائع ولا يعنيه أن يرى اليه بحسبه أن يرى المبلغ معدا فى يد  
الحاج على حتى يوقع عجلا متسرعا ويطوى الحاج على العقد فى  
تؤدة وذكاء وخبرة نادرة ويضعه فى جيبه ويقول :

- عد معى يا سعادة البيك
- يا حاج على ألم تعد أنت ؟
- نعم وانما لابد أن تعد أنت أيضا
- يا حاج على أت تعلم كم أثق فيك
- ولكن أنا يا سعادة البيك لا أثق فى نفسى عد مائة مائتين ••

ويتكرر هذا المشهد في كل مرة لا ينقص كلمة ولا يزيد  
ولا يختلف في مرة عن الأخرى إلا في رقم المبالغ الذي راح يتضاءل  
يوما بعد يوم شهرا بعد شهر .



دعا رشدي المهدي الى عشاء بسنزله وكان حفني بين المدعويين  
وهناك وجد حفني دنيا جديدة تطالعه من الحياة لأول مرة وهو الذي  
خبر من هذه الحياة ما لم يخبره الا القلة النادرون .

الباشاوات هناك وقد خلعوا رتبة الباشوية بل خلعوا رتبة  
الانسانية وارتدوا حيوانات حمر الوجوه من الرغبة والاثارة . والعظماء  
بلا عظمة والنساء بلا ملابس والمقامرة بالعرض لا بالمال . وبالشرف  
لا بالنفوذ . ورشدي منتعش النفس يضحك دائما ويعقد الصفقات  
بين المرأة والرجل وهو سعيد غاية السعادة هنئ في قمة الهناء .

ويمجب حفني أن رشدي لم يفقد شيئا من احترام المجتمع بل  
ان كل هؤلاء يقدم له الاحترام والتبجيل والاعزاز ولا يعني حفني  
بما في داخل النفوس وانما بحسبه ما يراه في ظاهر الوجوه وفي الأيدي  
المتندة بالمال من ناحية وبالاجلال والتعظيم من ناحية أخرى للشخص  
نفسه الذي يتاجر في الشرف ، ولم يعرف حفني أن هذا الذي يتاجر  
بالشرف لابد أن يتاجر معه بشيء آخر هو الذي يهيئ له كل هذا  
الاجلال . انه كما يتاجر في ترفه وشرف النساء يتاجر في سمعة  
الرجال والعظماء من الرجال . وكلما ازداد الرجل عظمة ازداد  
حرصا على سمعته ولكن أي حرص لا يستطيع أن يقف أمام رشدي .  
يا لها من تجارة . يا لها من تجارة .

ما هذا الحب الذي يحظى رشدي به من أصدقاء له بل ما هذا  
الاحترام وما هذا الاجلال . انها مهنة تصور حفني أن يكون رصيدها

أى شىء الا الاحترام . قد يجنى العامل فيها مالا أو صداقات أو قدرة على الشفاعة أما أن ينال الاحترام أيضا فهذا ما لم يتصور حفى أن المهنة ترتد على صاحبها به . لقد كان لفظها يختلط في نفسه بالمهانة والاحتقار وكل ما هو ذليل في الحياة . فقد عرف محترفيها من أسفل الطبقات ولم يعرف من محترفيها في الطبقات العليا الا رشدى . القواعد في هذه الطبقات مختلفة والوسائل ليست هى الوسائل والصفات تعقد دون نصريح والأجور يتم تسلمها دون ابانة ولكن الهدف واحد والغاية لم تتغير . هنا في هذه الطبقة الأسماء تطلق على مسميات أخرى ، فالفتاة أو المرأة موضوع الصفة سديقة لا عاهرة والأجر هدية وليس أجرا . ولكن الفتاة أو المرأة تذهب الى المخدع على أية حال والهدية تصل واسطة التعارف ولا يسمى قوادا ولا تسمى الهدية أجرا فكل شىء هنا محصن بسياج الشرف وأى عيب أن يحى صديق صديقا وأى بأس في هذا المجتمع الساقط أن تحب المرأة رجلا فتقضى ليلة في مخدعه ، وأى لوم في أن يقبل شخص في مثل مكانة رشدى ابن الأكرمين هدية من شخص آخر هو أيضا ابن أكرمين . منذ هذه السهرة أصبح عبد الفتاح صدقى أكثر الناس تقربا الى حفى ولم يكن هذا غريبا فقد كانت سنه ومكاته تمنعانه أن يصل الى المرأة عن طريق آخر غير طريق حفى . وقد رأى عبد الفتاح اقبال النساء على حفى وجههن له . وخير له أن يتعرف بالمرأة عن طريق حفى أخى حلمى وغير القواد من أن يتعرف بها عن طريق رشدى فيصبح الأمر رسيا وان كانت الرسمية مستترة بأسماء بريئة . والظاهر عند عبد الفتاح وأمثاله أهم من الواقع . وحفى يمثل له الشخص الأمثل ليقدمه الى من يحب فجمال حفى يقتنص من النساء أشدهن مراسا وأعظمهن فتكا . ومكانة حفى الاجتماعية وما هو معروف عن غناه وما ليس معروفا عن فقره كل هذا يجعل صداقة العظماء به أمرا طبيعيا لا غرابة فيه ، ولو لم يكن لأسرته

من المكانة الا اسم أخيه بطل ثورة ١٩ وسجين الانجليز لكان حسب  
وحسب أسرته مكانة ورفعة .

وهكذا تولدت العلائق بين عبد الفتاح رجل البورصة الذي  
يحيط دائسا بكل ظروف الصفقة قبل أن يقدم عليها وبين حفنى  
الذى وجد فيه شخصا غاية فى الذكاء وسرعة الخاطر مع مقدرة فائقة  
على التمتع بالحياة جدها وهزلها . وأصبح بيت عبد الفتاح مثابة  
لحفنى ولم يجد عبد الفتاح فى ذلك بأسا فحفنى يصغره بسنوات عديدة  
ولا خوف على زوجته منه وزوجته سيدة فاضلة شريفة أنجبت بنتيها  
واتتهى ما بينها وبين الأنوثة منذ مجيء آمال البنت الصغرى منذ  
ما يقرب من خمسة عشر عاما . وكانت البنت الكبرى سناء فى السابعة  
عشرة حين تعرف على الأسرة حفنى ولم يكن حفنى يتعامل مع هذه  
الأعمار فى مألوف حياته . فلا خرج على عبد الفتاح اذن . أن يستقبل  
بيته حفنى فى أى وقت ، وقد استطاع حفنى بالموهبة التى منحها له  
السماء أن يكون محبوبا من السيدة كريمة المدبولى ومن ابنتيها جميعا  
سناء وآمال . وقد سعد حفنى بهذه الأسرة فقد كان عمله فى الصباح  
قليل فاما عليه الا أن يكتب كلمتين ويلقى بهما الى المجلة ثم يصبح  
فارغا لا هم له الا أن ينام فى القيلولة بضع ساعات يقوم بعدها ليجد  
الفراغ ينتظره حتى يبدأ السهر المتكاسل الذى يأبى أن يبدأ قبل  
العاشرة ان يكن قمارا قمار أو يكن حفلة حفلة .

فماذا هو صانع فى الصباح .

وماذا هو صانع بعد نومة القيلولة الى مشارف العاشرة .

أما بيت أخيه فلم يكن يرحب به كل الترحيب وان كان لا يصد  
عنه فهو يذهب ليقضى واجب الأخوة ثم سريعا ما ينصرف الى هواء  
آخر يحب أن يستنشقه وهو بالتأكيد ليس الهواء الذى فى بيت  
حلمى .

ولم يكن هواء البيت عند عبد الفتاح مشوبا بما يجب أن يستنشقه حفى فى مألوف حياهه • ولكنه أيضا كان خاليا من التزمى الذى كان يواجهه فى بيت حلمى وزوجه وأخيها وأمها التى لا تترك سجادة الصلاة اذا تصادف ووجدهما عند زيارته •

وحفى لم يحصل على الأسرة منذ وعى الحياة والأسرة جزء من دمائنا نحن الشرقيين • وقد كان حلمى هو أسرة حفى جسيما • أما أقاربه الكثيرون فكانوا أصدقاء ولم يعاشرهم وما عاشروه فهو اذن واجد فى بيت عبد الفتاح كل ما تتوق له نفسه من شعور الأسرة ومن ترحيب فى اللقاء ومن ساحة فى المعاملة من بين ضحكات منطلقة لا يجسها شيء فى رنينها ، فهى صفاء القلب الخالى والاطمئنان والاقبال على الحياة •

٦

صدر تصريح ٢٨ فبراير وأصبحت البلاد تنهياً لدستور جديد  
واتخابات برلمانية وأصبح من المضحك أن يبقى الانجليز على  
معتقلين من المصريين وهم يعترفون لهم في نفس الوقت بحقهم في الحياة  
البرلمانية الديمقراطية .

وخرج حلى دون أن تتم محاكمته فالقضية سقطت بصور  
التصريح .

بـ ماذا فعلت بأرضك يا حفى ؟

ويجيبه صمت واطراق

بـ أجب

بـ لقد عرفت

بـ ولكن أجب أن أسمع الإجابة . فلست وحيدى الذى  
سيسألك هذا السؤال . سنسعه من أقاربنا جميعا وسنسمعه من  
أصدقائك الذين يحترمونك اليوم ظانين أنك صاحب الضياع والأرض

والمال .. سنسمعه دائما . فماذا أنت قائل . أجب ... ماذا أنت قائل ؟

- أنا لم أفس من مالك مليما
- ومتى كان لي مال ولك مال
- احتجت للنقود
- فالبيع أقرب شيء إليك
- لم تكن بجانبى ماذا كنت أفعل
- بسيطة تباع الأرض . أقدرت أننى ساموت فى السجن .
- الم تنتظر أن تقف منى هذا الموقف ؟
- كنت فى حالة يائسة
- توقف عن القمار
- كنت خسرت كثيرا وأريد أن أعوض
- وتدور العجلة فتخسر كل شيء
- لم أقدر هذا .
- لأنك لا تقدر شيئا على الإطلاق . أنت ابن احظتك وليكن بعد ذلك ما يكون
- أرجوك ياسى حلمى كفى
- ألم تقل لنفسك كفى وأنت تباع كل هذه الأرض ...
- أظننتها أرضك ؟
- أليست أرضى ؟
- إنها أمانة فى أعناقنا ولها أصحاب



— أمانة ... أصحاب ... من أصحابها

— أصحابها أولادنا

— قد يبيعونها هم من يدري

— نؤدى نحن أمانتنا والباقي تتركه على الله ، فالأرض كلها ملكه وما نحن الا خلائف له عليها

— ماذا ؟

— أنا آسف ... كان يجب ان أقدر أن هذا الحديث لا يلقي اليك

— اكافر أنا

.. لا .. مقامر فقط

.. سأتوقف

.. أرجو ... كم بقي معك من ثمن الأرض ؟

— ماذا

— لاشك أنك سمعتنى

— وماذا تريد من الباقي

— أريده

— أنت

— نعم أنا

— أنا لا أعصى الك أمرا

— أعرف ذلك

.. خمسة آلاف جنيه

ـ هاتها

ـ أمرك

وخرج حفنى ذاهلا وابتمس السياسى المحترف حلى وهو يرى  
الدهشة على كل نامة جسمه حتى على قفاه الذى كان آخر ما اختفى  
من الباب

بقى حلى لحظات وحده ... لم يفقد كل الخير الذى فيه ...  
قلت هات قال حاصر ... وهو حتى لا يعلم لماذا الا انتى أريد  
فقط .

ويدخل أحمد الحجرة ويصيح به حلى :

ـ أهلا أحمد باشا

ـ. باشا مرة واحدة

ـ الباشوية مضمونة لك با سعادة القاضى ... كل القضاة  
يصبحون مستشارين فباشاوات ..

ـ وأين أنا من مستشار هذه

ـ أنت عنت فى النيابة منذ تخرجك ورقيت الى القضاء وأنت  
صغير فان لم تصبح أنت مستشارا فسن يكون . المهم أنا لا أعرف  
كيف أشكرك على ما صنعت مع وصفية ومع حفى .. أما فضل السيدة  
العظيمة والدتك فهو أكبر من أن يذكر ..

ـ أما عجيبة يا أخى . أولا من وصفية هذه أليست أختى  
وهل أشكر لأنى أودى واجبى نحو أختى وثانيا حفى أنا صنعت  
ما صنعت مع لأنى تصورت أنك لو كنت خارج السجن لما فكر  
هو فيما أقدم عليه . وأن لك علينا واجبا أكبر من واجب الصهر على  
أصهاره .

- أى واجب يا سعادة الباشا .
- واجب الوطنى على مواطنيه . أئسجن من أجل مصر ولا تقدم كل ما نملك لك . ألسنا بشرا مصريين .
- خطبة وطنية رائعة
- تنفمك فى الانتخابات
- لا ياعم . . . لا شأن لك أنت بالانتخابات فانت رجل قضاء
- من سيرشح أمامك
- اثنان حتى الآن أعتقد أن أحدهما سيتنازل
- والآخر
- مرشح الوفد
- ولماذا لا تنضم الى الوفد . أنت من مؤسسى لجان الشباب فيه . وكنت من أعظم أبطال منظماته السرية . .
- العمل فى السياسة عندى ليس تجارة أذفع مقدما لأريج مؤخرا . أنا عسات مع الوفد لأنه كان مصر كلها وكنت واحدا من الذين يستطيعون أن يقدموا شيئا لوطنهم .
- وقد قدمت بقلمك ولسانك ومالك وحريرتك
- ولكنى لم أعد معجبا بسياسة الوفد التى ينتهجها فقد أصبحت سياسة شخصية بعد أن كانت قومية
- ولكنه قوة خطيرة فى الانتخابات
- هذا صحيح ولكنى حتى اذا لم أنجح فان هذا لن يجملى أغير رأى فى سياسة الوفد الآن . المهم هناك موضوع أحب أن أكلمك فيه

— انتظر حتى أفتح باب المرافعة

— وهل حيزت القضية للحكم

— وماذا أعمل لك وأنت تستأذنى فى الكلام .. نحن أخوة

يا حلمى

— وأكثر والحمد لله . حين راجعت الحسابات وجدت أنك

أعطيت كل الريع لحفنى ثمنا لأرضه ، معنى هذا أن مصاريف البيت  
كنت تقوم بها أنت ..

— وماله ... بيتى

— وبيتى أيضا

— كنت فى السجن

— ولكن أرضى لم تكن فى السجن معى

— أرضك ريعها ذهب لحاجة أهم

— ليس أهم من المعيشة

— قمت أنا بها ماذا فى هذا

— لاشئ ولكن قدر ظروفى

— حين تقدر أنت ظروفى

— ظروفك ؟

— أيرضيك أن أحس أنا وأمى أننا انتقلنا الى بيتك لنعيش

على حسابك

— وأنت هل يرضيك أن أتزوج أختك ونعيش على حسابكم

— كان ظرفا استثنائيا

- لو لم يصنع حفى ما صنع ماذا كنت ستفعل
- كنت سأعطى أختى ما تحتاجه يدها من مالك وأنفق أنا على البيت الذى أصبحت رجله حتى يخرج رجله من السجن الشريف
- هذا ظلم
- هذه كلمة يقولها الناس فى مألوف حياتهم ولا تعنى شيئا ولكنها اذا قيلت لقاض فهى كبيرة
- والقاضى يكون فى بعض الأحيان ظالما لنفسه ولا بد أن يجد من يواجهه بهذا مادام بعيدا عن منصة القضاء • أنت فى هذا ظالم
- ظلما أحبه
- وهذا أظلم
- لمن
- لى أنا
- وما شأنك أنت
- لا يقع الظلم الا على مظلوم • وأنت لا يرضيك أن تظلمنى
- لقد طال الحوار فى أمر لا يحتاجه
- وهذا ظلم آخر • فان المظلوم وحده هو الذى يعرف أين ينتهى الدفاع
- أسمع أنت خريج حقوق معى فقل ما تراه
- أَدفع ما كنت أدفعه فى البيت وأنا فيه
- اسمع • لقد فوضت المحكمة الأمر اليك فكن عادلا واخضم ثلثه مقابل غيبتك فقد كنت تعيش على حساب الحكومة فى السجن

— موافق

— وأنا موافق وأمرى الى الله واو أن الأمر لا يستأهل كل هذا ..

— ان راحة النفس لا يماثلها شيء في العالم

— أعرف ذلك

-- وأعرف أنك تعرفه ..



حين خرج حفى من حجرة أخيه أحس دوارا لا قبل له به •  
 كأنما كان يواجه تنينا وأنقذ منه ، أى شىء فيه أخافه • هو أنيس  
 لا ينطق كلمة جارحة ولا يأتى بعمل عنيف •• ولكنه مع ذلك قوى  
 صلب أى شىء فيه أخافه • ربما لأنه دائما على حق وأنتى دائما أفعل  
 ما يحلو لى بغير اهتمام بالحق أو بالباطل • هو يضحي بعسره من أجل  
 وطنه وأنا أمتنع بحياتى أقصى ما تكون المتعة • أنهل رحيق كل  
 ساعة فيها وتسرى احفظاتها فى دمائى نشوة وسرورا وجذلا وفرحا ،  
 ايحس هو فى جهاده بما أحس أنا به فى متعتى • الحياة عندى ضحكة  
 والحياة عنده جهاد • أينا عرف سرها وبلغ مكان من الحقيقة فيها • هو  
 يعطى دمائه لبلده جسيما وأنا أعطى دمائى لنفسى • ربما شعر هو  
 بمتعة العطاء قدر ما أشعر أنا بمتعة الأخذ •

هو يعتصر الحياة ليقدم للبشرية مثالا رفيعا مختلطا بتضحيته بكل  
 ما يمتعه وأنا أعتصر الحياة لتعطينى أكثر مما تطيق أن تعطيه فأنهله  
 أنا •• أنا •• أنهله متعة وحبا للنساء كل النساء ولرشفة خمر  
 أشربها فى غير رضاء عنها وانما لأنها تمثل رحيق عدم المبالاة بالحياة

متجسما في شراب ولعب القمار لأن الحياة فمار وأنا أريد أن أمارسها وأعيشها وأذلها بألا أعنى بكل ما تخبئه لى فان يكن خيرا فاهلا وان يكن شرا فأنا عنه لاه وعن نتائج مشيخ غير آبه ولا مهتم ومنه أنا غير خائف ولا متوجس ولا متحسب اخفايا الغد فيها • هو يفكر في الغد وما بعد الغد وأنا ابن لحظتى وأبوها وربها وقاتلها قبل أن تقتلنى • فأينا عرف حقيقة الحياة وأينا بها أكثر خيرا ولخبثها أكثر درءا ومنعا • وأينا أذل الحياة واغتصب منها ما يريد أن يغتصب •

حين سألتى كم بقى قلت خمسة آلاف فصدقنى • هل صدقنى أم أراد أن يصدقنى انه ذكى يقبل الكذب الذى يلقي اليه مادام يعرف أنه لن يستطيع أن يصل الى الحقيقة • فيم يريد هذا المبلغ • لعل الانتخابات ونفقاتها جعلته يحتاج الى هذا المال • ان كان الأمر كذا فيسعدنى أن أقدم له العون • فرغم أن كلا منا يقف على طرفين متناقضين من الحياة الا أننى أقدره كل التقدير • أترانى أقدره أم أقدر فيه الرجل الذى تمنيت أن أكونه ولم أستطع • ترى هل مرت به لحظة ولو لحظة عابرة تسنى أن يكوننى ولم يستطع • من يدرى ... ربما ..

مشى به الطريق والضجيج فى داخله وليس يشعر من خارج نفسه ضجيجا ولا حسا واذا هو يجد نفسه فجأة بين رأسى حصانين ويعلمو الضجيج فى هذه المرة من خارجه لا من داخله •

— يا أفندى اصح • مسطول فى عز الظهر

— أحفظ أدبك

— أدق لك الجرس من الصبح وأنت ولا أنت هنا

— قلت لك أحفظ أدبك يا قليل الأدب

وحينئذ يقفز من داخل العربة ضابط ملازم ثان ويشور به



— أما أنك بارد حقاً وقح • تسير في منتصف الشارع ولا يهيك  
من العربات الرائحة والجائية وإذا أنقذ الأسطى حياتك تطول لسانك  
عليه •

— أظن أنك تخيفنى ببذلتك العيرة هذه

— عيرة يا قليل الأدب

— بذلة المحمل

— محمل ... قدامى على القسم

— أخفنتى ... قدامك على القسم

وكان أسرع منه فى ركوب العربة فقد تنبه أنه يبغي أن يحسم  
الموقف قبل أن تتشابك الأيدي ويتجمع الناس • وصادف هذا  
التفكير مثيله عند الملازم شوقى سالم • وحاول السائق أن ينهى  
الموضوع •

— يا أفندية لا لزوم لهذا ... حضراتكم ناس محترمون والقسم  
ليس لأمثالكم •

وصاح الملازم فى كبر وغيظ

— أهش أنت الى القسم ولا شأن لك • لا بد أن يدفع ثمن  
ملول لسانه

— اياك أن تزيد كلمة واحدة • فى القسم قدم شكواك ولكن  
حتى نصل الى القسم تسكت تماماً  
— وهو كذلك • أما نشوف

ولم يجد السائق بدا من الصمت فقد أدرك بذكائه الفطرى أن  
أى حديث قد يشعل حريقاً لا داعى له •

وقفت العربية عند القسم ونزل الخصان وطبعا قصد الملازم  
الى حجرة المأمور مباشرة ودخل حفى وراءه واذا الجالس فى مكان  
المأمور ملازم ثان من الشرطة لم يعرف ضابط الجيش ولكنه ما ان  
رأى حفى حتى هب من كرسيه •

— من حفى الويسى

وصاح حفى :

— أهلا ... كيف أنت يا زين

وصاح شوقى :

— أتعرفه

والتفت زين أخيرا الى شوقى :

— أهلا حضرة الضابط نفضل ... كيف أنت يا حفى

وحين هدأت التحايا قال شوقى فى غيظ موجه كلامه لحفى :

— ولأنك تعرف ضباط البوليس تريد أن تأخذ الدنيا فى شك

وقال حفى فى ثقة وعدم مبالاة :

— أنت الآن فى القسم ... اكتب شكواك واترك الأمر

للبوليس يأخذ اجراءاته

— وهل بقى فيها اجراءات ... طلعت صاحب البوليس

وقال زين وهو يكتم غيظه :

— يا حضرة الضابط لا لزوم لهذا ومعرفتى بحفى بك لن

تسعينى من اعطائك حقا ان كنت صاحب حق

— وهل عاد فيها حق

— سترى

- وهو كذلك
- وروى القصة وما أن انتهى منها حتى ضحك زين •
- ألا تعرف حفنى بك
- عرفته بين رأسى الفرسين
- حفنى بك الوسيمى
- ونظر شوقى الى حفنى نظرة متفرسة •
- أأنت الذى تكتب فى مجلة الفن
- وقهقه زين أخيرا وقد أحس أن الحرج الذى وقع فيه قد انجاب عنه الى غير رجعة •
- هو الذى يكتب فى مجلة الفن وأخوه حلمى الوسيمى الوطنى المشهور •
- ولماذا لم تقل هذا من الصبح يا أخى
- وهل تركت لى فرصة لأقول
- أوجعتنى بذلة المحمل
- حقا على
- ولا حق ولا يحزنون ... الى أين أنت ذاهب
- كنت فى طريقى لاستئجار عربة
- لمجرد استئجار عربة أم لتذهب بها الى مكان معين
- والله كنت سأفكر أين أذهب بعد أن أركب
- ولا تفكر ولا حاجة ... تعال نشرب حاجة أولا ثم فكر على كيفك ...

- تعال معنا يا زين \*
- والمحضر ؟
- أكتبه حين ترجع \*\*
- وضحك ثلاثتهم
- على رأيك
- ونادى زين البلوكامين :
- أنا خارج في مهمة \*\*\* ولن أغيب
- أمرك يا أفندم

وفوجيء سائق العربة بالخصمين بخرجان وقد لف كل منهما ذراعه في ذراع خصمه ومعهما أيضا ضابط البوليس وركب الثلاثة عربته \* وصدر اليه الأمر أن يذهب الى قهوة ريش \*\*\* وزيد عدد الأصدقاء عند حفنى صديقا جديدا سرعان ما تبين له أن صداقته ستكون وليدة بذلك الاحساس الخفى الذى لا يعرف مأتاه الا خالق النفوس وباريها \*



توقع حفنى كل شىء الا هذا الذى فاجأه به أخوه حين ذهب  
اليه بعد الظهر يحبل مبلغ الخمسة آلاف جنيه التى ادعى أنها كل  
ما بقى له •

— أتعرف من اشترى الأرض

— لا والله

— ألم تقرأ عقدا واحدا من عقود البيع

— وفيهم أقرأ؟؟ الحاج على هو الذى يقوم بالبيع وكلانا يعرف،  
أماته كل المعرفة ••

— هيه ••• النهاية ••• أنا الذى اشترت الأرض

ووجم حفنى فى ذهول •

— تقول من ا

— ألم تسمع

— ولكنك ••• ولكنك

- نعم وأنا في السجن اشتريتها
- كيف ...
- لا يهم ... المهم
- أرجوك ... انتظر ... أرجوك ياسى حلمى انتظر لم يعد  
في رأسى عقل ليسمع
- ضياع عقلك أمر يحدث كثيرا
- فى عرضك انتظر قليلا ...
- وصفق وجاء بخيت أمين المنزل وطلب منه كوب ماء وانتظر  
الصمت كوب الماء حتى حضر • وخرج بخيت بالكوب الفارغ ••
- أهذا ذهول الفرح أم العجب أم السخط
- كل هذا معا
- والسخط أيضا
- على نفسى
- أهذا فقط ما يسخطك على نفسك
- لماذا لم تقل لى هذا من قبل
- وماذا كنت تفعل اذا قلت لك
- أهدأ وأستريح ••
- وهل كنت مضطربا حتى تهدأ
- ومن أدراك أننى لم أكن مضطربا
- لأن الله وهب لك أعصابا من حديد
- كيف تعرف

- بعث أرضك كلها ومع ذلك لم يهتك شيء
- وماذا يمكن أن يهمني
- ألا تخاف المستقبل
- وأنت موجود ... لا ... لا أخاف شيئا
- نعم تعودت أن تجدني دائما
- وسأجذك دائما
- فهل يا ترى سأجذك أنا
- أنت لا تحتاج الى ولن تحتاج الى
- من يدرى
- أنا أدرى
- تستطيع أن تكون قمة في الذكاء ولكنك أبدا لن تستطيع  
أن تعرف الغيب ..
- أرجو ألا تحتاج الى أبدا ولكن على كل حال أنت أبى  
وأخى وأستاذى ومثلّى الأعلى فان خنت واحدا من هؤلاء فلن أخون  
الآخر ..
- وعاد الصمت مرة أخرى وبدأ حلمى الحديث :
- على كل حال • الأرض ستظل ملكا لك وسأسدد لنفسي  
ما دفعته لك ثمنا لها من الريع حتى اذا استوفيته عادت الى ادارتك  
مرة أخرى وفي هذه المرة لن تستطيع أن تبيعها ثانية •
- أطال الله عمرك وأبقاك
- وفي فترة السداد سأعطيك خمسين جنيها شهريا لتظل محافظا  
على مظهر البذخ الذى عرفك الناس به •

- هذا كثير .. كثير جدا .
- الجنيه في يدك مليم ... أرجو أن تقدر أن المبلغ كثير حقيقة ولا تبالغ في الانفاق ..
- مرة أخرى وثالثة وعاشرة وألفا أطل الله عمرك ... أريد أن أقبلك ولكن لن أقبل وجهك كما يفعل الأخ مع أخيه وانما ... واختطف يده وقبلها وأكمل الحديث :
- كما يفعل الابن مع أبيه
- واضطرب حلمي هنيهة ولكنه تمكن بقوة السياسى أن يكتب عواطفه ويغير مجرى الحديث
- أنا مسافر غدا لابدأ الحملة الانتخابية ولكن حفضى عاجله :
- لا تغير الموضوع هناك أمر لم يتم
- ما الذى لم يتم فيه
- هذا المبلغ
- ما هذا
- ألفا جنيه
- اذن فقد كانت سبعة ..
- لم أكن أعرف فيم تريد المبلغ قلت ان كان يريد أن يعاقبنى
- فالخسة كافية أما اذا كان يريد المبلغ للانتخابات فالسبعة كلها ..
- مهما تكن أعمالك سيئة فى حق نفسك الا أنك كأخ تعتبر من أبر الأخوة



- الآن غير الموضوع اذا شئت
- أنا مسافر غدا للانتخابات
- أسافر معك
- لماذا ؟
- لأكون معك
- كما تشاء • ولو أننى أفضل أن تبقى
- أبقى لماذا
- أخشى أن تحتاج وصيفة اليك
- هل اقترّب موعد الوضع
- أظن ذلك
- البلد ليست بعيدة وأنا قادر ان شاء الله على أن أكون على علم بأخبارها دائما •
- كما تريد وعلى كل أخوها أحمد ووالدتها سيقيمان معها هنا
- اذن فانا معك
- على بركة الله

\*\*\*

في مولد فجر من عام ١٩٢٤ ولد صديقى عدلى حلمى الوسيمى الذى بدأت به ومع هذه الرواية التى أرويها لك وأصبح والده الأستاذ حلمى الوسيمى عضوا بمجلس النواب وبدأت بالأب وأبنة حياة جديدة... وربما أيضا بدأت مصر نفسها حياة جديدة •

أما أخى فقد أصبح عضوا بالبرلمان منذ سنوات وسنوات  
وأصبح له ابنه عدلى فماذا أنا فى هذه الحياة ؟ مقامر صاحب نساء  
ثم ماذا .... وماذا تريد بعد ثم .... هو يجاهد فى سبيل الوطن ويشق  
الحياة بمخالبه ليحقق الاستقلال لبلاده لأن استقلاله هو ممثل فى  
استقلال مصر أما أنا فمتمتع باستقلالى دون البحث عن استقلال  
مصر .... هو سينال مكافأته وسعادته اذا جلا الاحتلال وأنا أنال  
مكافأتى من كل لحظة حياة والدفع فورى ، المتعة مع اللحظة بلا أجل  
ولا تسويف ولا تعطيل ولا تأخير • أنا واثق أننى تقاضيت ثمن  
جهدى • • أسهر على المائدة وأتمتع وأنال متعتى مع سهرتى •  
أو أسهر مع صاحبتى وأنال متعتى فى الصلابة نفسها أما هو فمن يعلم  
أينال ما يرجوه أم هو جهاد بلا نتيجة وشقاء بلا ثمن وتعب بلا فائدة •

أهو هكذا حقا أم تراه يجد لذته فى أنه يؤدي واجبه الذى  
اقتنعت به نفسه واطمأن اليه ضميره • • أشهد أنه لا يهتم بالشهرة  
ولا يسعى إليها ولا يفكر فيها وانما هى تسعى اليه كنتيجة طبيعية  
لجهاده ولكنها أبعد ما يكون عن آماله •

أينا خير من صاحبه • وفيهم التفكير ؟ وهبنى أردت أن أكون  
 مثله أيدي هذا • انما أحسن مالا يحسن ويحسن هو مالا أحسن •  
 هل أستطيع أن أتكلم بالبرلمان وأحارب الانجليز وأؤيد الحكم  
 أو أعارضه • وهل يستطيع هو أن يلعب البوكر أو الكونكان كما  
 ألب هل يستطيع أن يجعل أجمل سيدات مصر يتقن الى ابتسامة منى  
 أو موعد • هيهات له هيهات •

بالمناسبة ما قصة هذه الأميرة المقبلة على وماذا تريد منى وماذا  
 أستطيع أن أقدم لها • جمالى وشبابى • ألم تجد شابا جميلا غيرى • •  
 أعجبته • • • وأى عجيبة فى ذلك • • • ومهما تكن أميرة فانها مازالت  
 امرأة • • • ولكن الملك معجب بها • • • وماذا فى ذلك • • • هل جنت  
 انه الملك • • • وأنا ما شأنى به • • • لتكن أنت لا شأن لك به أليس  
 أخوك مرشحا أن يكون وزيرا • • • وما شأن الوزارة وأميرة أرادها  
 الملك وأرادت هى غيره • • • أنسيت كيف تحكم مصر • • • لا ولكن  
 أستطيع أن أناسى • • • أنها أميرة • • • وأنها امرأة • • • كيف  
 ستبدو • • • كما تبدو النساء • • • أكل النساء متساويات هيهات • • •  
 لو كان الأمر كذلك ما بحثت عن بديلات دائما • • • كل امرأة لها  
 مذاقها الخاص وطعمتها الخاصة ولونها المميز • • • صوت كل امرأة  
 له تهدج مختلف • • • ولكل صوت وقعه فى الأذن نغمات تتقاصر بجانبها  
 موسيقى عبد الوهاب وأم كلثوم • • • والله ولا مائة ملك سيمنعنى عن  
 الأميرة فضيلة • • • فضيلة • • • مصيبة لو كان لها من اسمها نصيب •

\*\*\*

كان الحفل فى قصر الأميرة فضيلة غاية فى البهاء والروعة ولكن  
 حفىنى أصبح متسرسا على هذه الحفلات • الا أنه فوجئ بشوقى  
 سلام ضابط الجيش بين المدعوين •

— أهلا شوقى

- أهلا حفتى
- ماذا أتى بك
- مأمورية
- ماذا ؟
- ألم تسمع أم أنت مندهش
- كنت أظن هذا من عمل البوليس •
- أصبحت وجوههم معروفة وأصبحنا نحن نكلف من حين لآخر  
بهذه المهمات •
- فى أى سلاح أنت ؟
- ألم تدرك
- أريد أن أتأكد
- فى الحرس الملكى
- أهلا ... تشرفنا
- حفظت ؟
- وأنت ماذا أتى بك
- مأمورية
- أنت الآخر
- هذا عملى الرسمى
- حسبتك صحفيا
- هذا عملى غير الرسمى ••

- وقعتك هباب ... مأموريتك ألن من مأموريتي ..
- ربنا يستر ...
- أنا على أن أراقب أما أنت ...
- ما دمت أنت الرقيب فمهمتي سهلة باذن الله ..
- ولم لا ... لولاك ما جئت أنا هنا الليلة ..
- كيف ..
- وصلت أخبارية أن هناك حبيبا جديدا ومهمتي أن أعرفه ..
- لا تتعب نفسك
- وفيهم التعب المأمورية تمت والحمد لله
- اياك أن تؤدي المأمورية بأمانة
- المسألة كلها لا أمانة فيها وما دمت أنت المقصود فانت أولى بالمحابة
- والله صاحب
- هل رأيت شيئا بعد
- الناس لبعضها البعض
- هيص أنت وأنس أمرى تماما ..
- تعيش ..

\*\*\*

الأميرة فضيلة ذات نوع من الجمال المهر الذى لا يستطيع  
انسان مهما يكن زاهدا أن يعبره دون أن يقف أمامه حائرا ذاهلا  
وفى أحيان كثيرة يتولى الذى يراها للسرة الأولى نوع من الخشوع

والرهبة • قوام فارغ مباد اذا مشيت خيل اليك أن العالم كله يعزف  
موسيقى الهية من نوع خاص لا تعرفها الأرض ولم تسمع بها •  
شعرها ثورة كل شعرة منه تقوم بوظيفة لا يستطيع أن يؤديها غيرها  
عينها الخضراوان الضاربان الى الزرقة بحر وشلال ونير وجدول  
ومطر وبرق ورعد ونأى وعود وكمان وقانون تعزف جميعها ألحان  
باخ وبتهوفن وشوبان وليست • أنفها أمر وفمها اشراقة ابتسامة  
وكبرياء سيد • جيدها قصيدة تشابكت البحور فيها فاذا هى بحر  
جديد يجمع فن الغرب والشرق جميعا وجهها أنواع شتى من وجوه  
الجمال فى أنحاء العالم كله •• اذا طالع انسان لم يستطع أن يطيل اليه  
النظر خاشيا أن تصيبه منه صاعقة ترديه وفى الوقت نفسه لا يستطيع  
أن يصرف عنه عينيه فهو عائد اليه فالصاعقة أهون بكثير من أن يحرم  
النظر الى هذا العالم المتفرد من الفن والجمال والطبيعة والقسوة  
والاسماح والجبروت والقبول والرفض •

كل ما كان يحسه حفى أنها ذات جمال رائع •• ولكن هيهات له  
أن يصل من جلالها الى أعماقه ومن أين له •• وكل ما يعنيه منها ما يفكر  
فيه رجل من محترفى النساء عند امرأة تحب دائما أن ترى أثر جلالها  
القادح على المحترفين قبل الهواة •

فى لحظة أو هنيهة من لحظة استطاعت أن تهس فى اذنه آمرة  
فى دلال وحزم حاسم :

— تأتى غدا الساعة الواحدة ظهرا

— أمر سموك

١٠

مجلة الفن التي يعمل بها حفى تجمع فيها كل أصناف الناس وكذلك شأن الصحافة منذ ولدت الصحافة فى العالم هى تجتذب بسحر لها عجيب ألوانا من الناس شتى تضاربت مشاربهم واختلفت أهواؤهم وتعددت ثقافاتهم وجهالاتهم ، وكثيرا ما يكون الجهل فى الصحافة رأس مال • ولا تحسب أنى أغالى أو أحاول إثارة التعجب فى نفسك • وانما أقصد تماما ما أقول فاذا كان محرر الشؤون الفنية للسثلىن فى ذلك الزمان عالما - - لا قدر الله - يسقط بابه سقوطا فاحشا • فالمفروض فى محرر هذا الباب أن يكون قمة فى السطحية لأنه ينبغى عليه أن ينقل الى القراء أين تصنع المثلة ملابسها وأين تسهر ومع من • كما يتحتم عليه أن يذكر أحداثها الغرامية ومغامراتها فاذا لم يكن لها أحداث فعليه أن يختلقها اختلاقا • والخبطة الصحفية تتحقق عنده اذا ذكر أن ممثلا وقع فى حب مشلة • وليس يعنيه أن يكون الممثل متزوجا ولا يعنيه أن تكون المشلة كذلك ، انما المهم أن يتمتع القراء • ولو كان - لا قدر الله مرة أخرى - على شىء من الثقافة لأصابه بعض الحياء فان أصابه هذا الداء الويل المسى بالحياء لما استطاع أن يقدم الباب الناجح الذى يريده صاحب المجلة أن يقدمه ••

وهكذا تجدني لم أبتعد عن الحق بل التزمته حين قلت لك أن  
الجهل يكون في كثير من الأحيان رأس مال خطيرا في عالم الصحافة • •

وكما تجتذب الصحافة هؤلاء تجتذب أيضا من يريد أن يظهر  
اسمه منقوشا بحروف المطبعة ولا يهم على أى مادة يظهر هذا الاسم  
انما المهم أن يظهر حتى ليضطر بعض الذين على شيء من العلم أن يخفوا  
علمهم هذا وكأنه سبة حتى يقبل صاحب الأمر في الصحافة أن  
ينشر له •

ومن الصحفيين من يريد أن يتصل بصاحب سلطة أو صاحب  
جاه أو صاحب شهرة •

ومنهم من يريد أن يكون كاتباً فيبدأ حياته ناقل خبر حتى يصل  
الزمن به يوما أن يكون صاحب قلم •

ومنهم غير ذلك • • • في بعضهم الاخلاص لمهنته وفي بعضهم  
الرجبة أن يركب مهنته وسيلة الى غاية أخرى •

ومنهم من يتخذ مهنته — كما ينبغي لها أن تكون — مهنة الأمانة  
والشرف والصدق والنقد الراغب في الإصلاح والتأييد المنبعث في  
الحق • •

ومنهم من يتخذ مهنته — كما ينبغي لها أن تكون — سلاحا لقطع  
الطريق وفرض أتاواته على كل من لا يطيع رغباته الشخصية فاذا  
هاجم هاجم لينال وان مدح مدح لينافس • • • و • • •

واذا أنت لم تشرب مرارا على القذى

ظمئت وأى الناس تصفو مشاربته

في كل مهنة في الحياة أختيارها وأشرارها ، وهل المهن جسيما  
ألا نبات الحياة • صناعها هم أبناء الدنيا • والدنيا خير وشر • وشرفاء  
ولصوص • وأنقياء وفجرة • وأنقياء وقذرة •

\*\*\*



شاع في الصحافة جميعا تلك الصلة التي استحكت حلقاتها بين  
الأميرة فضيلة وحفنى • ورأى حفنى عجباً • راح الصحفيون من جميع  
الجرائد يتقاطرون على حفنى • ولكن تنبهم جميعا اليه اثنان من  
العاملين معه في المجلة • لم يكن واحد منهما يلقي اليه اهتماما أو يحاول  
أن يتعرف به • ولكنهما فجأة حين عرفا بتلك الصلة الجديدة أقبلا عليه  
اقباله غير قادرة ولا متمرسه • فقد كان كلاهما في أول حياته الصحفية  
وان شئت قلت في أول الحياة كلها ولكن هذان الصحفيان حقيقان  
أن نعرف عنهما كل شيء وانى بأمرهما على علم اليقين •

فأما أولهما فهو حامد العراقي • وليست كلمة العراقي تلك  
جنسيته وانما هي اسم والسبب فيه غاية في الغرابة ••

قدمت قبل مولد أبيه جارية من العراق أدركها قانون منع الرق  
فصارت راقصة في الأفراح والموائد واستعملت معها مغنية مصرية كان  
لابد لها منها حتى يتاح لها أن تسمع سيدات هذا العصر الغناء فقد  
كان لا يغنى عند الحريم الا المغنيات وكان من الطبيعي أن تطلق على  
هذه المغنية اسما فنيا فاطلقته فاذا هو سعاد العراقية • وحين تزوجت  
سعاد نسب ابنها الى الجانب الأكثر شهرة فاذا اسم ابنها وجيه العراقي  
لا وجيه القماش •• كما كان ينبغي أن يكون • مع أن القماش كان  
أيضا من أهل الفن فقد كان طبال الفرقة التي تغنى فيها العراقية ولكن  
أين الطبال من مغنية الفرقة •

أنجب وجيه العراقي الذى عمل قاهيا بوش البركة فوزى  
العراقى الذى سمى أبوه أن يبعده عن الوسط تماما فعلمه حتى  
نال الشهادة الابتدائية وسعى له عند زبائن بالمقهى حتى غين موظفا  
بوزارة الأوقاف وأصبح يحمل اسم فوزى أفندى العراقي وأنجب فارس  
حديثنا هذا حامد العراقي • وقد لقي حامد من شظف العيش ما جعله  
يكره الدنيا جميعا فجوانحه كلها حقد وسخيمة ••• ونفسه تأكل نفسه

حتى شب ولم يشب فهو مشروع انسان لم يكتمل خلقه ولم تكتمل نفسه • فهو قصير غاية القصر ضامر كل الضمور وان تهيأ لك أن تطلع على داخله لوجدته أعظم قماءة من جسمه •

أصر أبوه أن يعلمه ويتم تعليمه وكانت دون ذلك أهوال • • واستنجد فوزى أفندى بكل ذى أكرومة حتى استطاع أن يحصل على اعانة من الأوقاف كانت هى أحد المصدرين اللذين كان لهما الفضل فى تعليم حامد أما المصدر الثانى فقد كان مبلغا من المال يوجد به كل شهر وجيه العراقى على حفيده حامد • وهكذا شب حامد وتعلم على موردين من المال عجيب أن يقترب أحدهما من الآخر وعجيب أن ينسجما فى مجرى واحد وكل منهما قادم من مصدر بعيد كل البعد عن المصدر الآخر • فقد اجتمع على تنشئته وتربيته وتعليمه مال الصدقة قادما من الأوقاف ومال السحت قادما من وش البركة •

وأكمل حامد العراقى تعليمه وتخرج فى كلية الحقوق وكان ترتيبه متقدما فكان طبيعيا أن يسعى جهده ليعين فى النيابة العامة أمل خريجى الحقوق جميعا ولكن وقت دون ذلك عقبات لا يستطيع أن يتخطاها به أحد حتى ولا زبائن جده بوش البركة • وكيف لمن كان جده قاهيا وجدته راقصة أن يصبح عضوا بالنيابة • هيهات • راح حامد يبحث عن وظيفة أخرى ولكن الوظائف لم تكن ميسورة فى ذلك الحين فالأبواب أمامه مغلقة • كان الحق قد تمكن من نفس حامد وعظم سخطه على المجتمع • فأى ذنب جناه هو حتى تحيطه الحياة بكل هذا القدر الذى يحيط به والذى يحول بينه وبين أن يبلغ من المكانة ما يصل اليه من هم أقل علما •

راح حامد فى هوة الفراغ التى تطالعه من الحياة يقرأ وكان بروح الحق الذى طمت على نفسه يعرف ما يريد أن يقرأ • وبدأ يكتب واتجه بكتابته الى مجلة الفن فقد كان فيها أبواب لا تخلو من الجرأة وهو

يريد حقه أن يفشو في كتاباته ومقالاته بعد أن فاضت به مشاعره •  
ومهاجمة المجتمع والمستقر من شئونه أمر حبيب الى نفس أصحاب  
الصحف • فكل هجوم حبيب الى القراء • فالفاشلون في المجتمع أكثر  
من الناجحين وقديما قال الشاعر :

بغاث الطير أكثرها فراخا  
وأم الصقر مقالات نزور

والفاشلون يحبون دائما أن يعلقوا أسباب فشلهم على أقرب  
مشجب • وليكن المشجب فساد المجتمع أو الوساطة التي تأخذ بيد  
الناجحين أو هم يبالغون فيدعون أن الذين أفلحوا انما أفلحوا بالنفاق  
والسفالة وبيع الضمير • ليكن المشجب أى شئ الا أن يكون الناجح  
أهلا للنجاح وهم أهلا للفشل بغائبهم أو جهلهم •

وهكذا نشر صاحب المجلة مقالات حامد • وما هى الا بضع  
مقالات حتى عين حامد محررا لباب المجتمع في مجلة الفن ومن هذا  
الباب كتب في السياسة • وحين تقرب الى حفنى طلب اليه أن يعرفه  
بأخيه حلسى • ولم يجد حفنى مانعا وتعرف حامد بحلسى •

ألا يطيب لك الآن أن تترك حامد قليلا لنذهب الى زميله الذى  
سعى الى حفنى حين بلغه اتصاله بالأميرة • انه حسن هنداوى •  
أما أبوه فسمسار غلال تمكن من تعليمه حتى نال الابتدائية ثم  
تقطعت أنفاسه وأعلنه أبوه هنداوى :

— الابتدائية على أيامنا كانت تجعل الحاصل عليها أفندى قد  
الدنيا

— ولكنها على أيامنا لا تزيد عن الآخرة فى شئ

— يا ابنى ألا تعرف ماذا أعسل

— تاجر غلال

ث يا ليت .. يا ابني أنا سمسار • أوصل البائع الى المشتري  
أو المشتري الى البائع وآخذ العمولة والسمسرة

— ولماذا لا تكون تاجرا

— أولا أنا لا أملك رأس المال وهذا وحده سبب كاف ثم أن  
التاجر عرضة للخسارة أما السمسار فلا يخسر أبدا •

— ولكنك لا تملك شيئا حتى تخطى الخسارة

— حتى وان كنت أملك المال فأنا لا أملك الجرأة

— الجرأة هي الحياة

— وهي الموت أيضا

— المهم أنا لا أستطيع اكمال تعليمك

— حاول أن تعينى فى وظيفة اذن فعملك جعلك تعرف الكثيرين •

وكان عضو النواب بالدائرة ممن يبيعون قسحهم عن طريق أبيه •  
فركاه عند صاحب الجريدة فعين بها • وراح يحاول الالتصاق  
بالأستاذ فايز وهبى صاحب الجريدة •

وكان الأستاذ فايز يحب الليالى الحمراء وأدرك حسن هذا  
فيه فاذا هو يتقرب اليه عن طريق النساء • وأصبح هو الصلة بين  
الأستاذ فايز وبنات المواخير اللاتى وجد حياته تقوم على الاتصال  
بهن • وأصبح من أقرب المحررين الى صاحب المجلة • ولكن حسن  
كان ذا طموح كبير ضخيم وليس فايز بالنسبة اليه الا اهل الدرج  
وربما كان حفى وحلمى هما السلطة الثانية فى هذا الدرج • وهم  
درج من نوع عجيب يراه حسن يؤدى الى السوء السابعة من الشهرة  
والمجد والجبروت ، ويراه المجتمع الشريف يؤدى الى أسفل حمة من  
السفالة ويبيع القلم والضمير والشرف وكل ما يتعل بالخلق الكريم •

ولكن حسن حين جال بعينه فيمن حوله أدرك أنه لا سبيل له أن ينال مكانة مرموقة في الصحافة التي رمته المقادير إليها إلا بأن ينال شهادة وأن يتقن لغة أخرى • وإن كانت صلتة بفايز تمكنه اليوم من نشر مقالاته وتقربه مما يظن أنه شهرة ومجد فقد كان من الذكاء بحيث يدرك أن الكتابة هي عرض عقل الانسان على بشر كثير ، وإذا لم يكن ما يعرض عميقا ذا قيمة فلا بد على الأقل أن يكون جذابا فإذا هو ظل محصورا في دائرة الثقافة الابتدائية وما يكتبه الآخرون في شتى الصحف فلا مستقبل له • التحق حسن بمدرسة من مدارس اللغات وراح يتعلم اللغة الانجليزية وفي نفس الوقت راح يذاكر لينال شهادة التوجيهية أو البكالوريا من المنزل • فقد كان حسن يعلم أنه إذا لم يتسلح بالشهادة وباللغة فلا سلاح له في الحياة ، وحين تعرف بحفنى كان قد نال شهادة البكالوريا وكانت أنفاسه قد تقطعت فاكتفى بها وانصرف عن اكمال الجامعة واعتمد على أن اتقانه للغة الانجليزية قد يعوضه عن الشهادة العالية واعتمد أيضا على أن الناس مع الزمن ينسون ما حصل عليه الانسان من شهادات وخاصة إذا كان هذا الانسان يعمل في الصحافة وليس في وظيفة رسمية في حكومة •

كان كل من حامد وحسن أصغر كثيرا من حفنى • • وهكذا استطاعا أن يلازماه ملازمة الظل وتعرف كلاهما بحلمى الذى أصبح وزيرا فكان مصدر معلومات سياسية لكليهما وكانا يقسمان المعلومات بينهما ويعرض كل منهما معلوماته ويعلق عليها كل بطريقته • أما حامد فخبث الحاقدين وأما حسن فبديما جوجية التجار الباحثين عن الإبهار عن طريق تضخيم الهائف وتعظيم التافه واكساب هين الأمور ما لا تستحقه من أهمية وخطورة •



طغى الملك واستكبر وتجسعت حوله ثلة من أصاغر الناس  
 وحقراهم الباحثين عن المال لأنفسهم ولللك عن أى طريق وبأى  
 وسيلة ، أما هم فوضعاء ويعلمون أن بقاء أى فرد الى جانب السلطان  
 أمر لا يطول أمده ، وأنهم ان كانوا نجوما اليوم فهم فى غد قريب  
 مبعدون فهم يهتبلون فرصة قربهم هذا ليشفطوا ما يتاح لهم  
 وما لا يتاح من أموال ، أما الملك فقد كان يشعر فى بيته بالمهانة وحقارة  
 الشأن وكان يريد أن يثبت لنفسه أنه ذكى وخطير وأنه يستطيع أن  
 يسخر ممن يشاء وما درى المسكين أنه يسخر أول ما يسخر من نفسه ؛  
 فان أحدا مهما يكن ذكاؤه لا يستطيع أن يسخر من شعب أى شعب  
 فما الخطب ان كان هذا الشعب هو الشعب المصرى الذى خاض من  
 أهوال الحياة ما لم يخضه شعب آخر • والذى اقتعد قصة التاريخ فى  
 صدر التاريخ ودوخ الطغاة ودوخوه على مر الآلاف من السنين •  
 فليس فى العالم أجمع شعب خبر الحياة وخبرته الحياة مثل الشعب  
 المصرى فهيهات أن يسخر منه ساخر •

قد يخدعه مخادع ولكن هيهات أن يستطيع المخادع أن يخدع

المثقفين منه والمتعلمين ، أما الذين لم يتلقوا من التعليم حظا فهم يتقنون من الحياة صنعتهم في الحياة ، فالفلاح المصرى يزرع بأدوات قدماء المصريين وينتج انتاج القرن العشرين .. رأيت فلاحا يمسك بقطعة الطين من الأرض ويضعها على لسانه ثم يقول وكأنه أستاذ في أعلى الجامعات :

— هذه الأرض لا تصلح لزراعة انقطن •

ورأينا الصانع المصرى يجتاز فترة الحرب العالمية وسيارات مصر جميعها تسير بغير قطع غيار من الخارج والمباني تقوم دون أن يستقدموا لها الحديد أو أدوات السباكة من الغرب الذى كان مشغولا بحربه ولا عبور بالبحر الأبيض المتوسط الذى كان لا يخدم الا سفاكي الدماء من الجانبين المتحارين

فاذا ظن سياسى أنه يخادع هؤلاء فلأنهم كانوا مشغولين عنه باتقان صنعتهم وليس يعنيه أمره فى قليل أو كثير وكأنهم كانوا يريدون أن يقولوا له فى تلك الابتسامة الطيبة العذبة :

— أتريد أن تضحك علينا وماله ؟ اضحك ولكن أتركنا نحن لنقوم بواجبنا نحو صنعتنا •

وهكذا أصبح الملك لصا وهو فى غير حاجة الى مال وحالا له أن يذاع عنه أنه فى ميدان النساء صنديد لا يشق له غبار ليخفى بذلك حقيقة أمره • وما كان فى حاجة الى اخفائها فما يعنى الناس عنه فى هذا الميدان شيء ولكنه غباء تمكن منه وخرج به عن طبيعة الأمور وربما كان له العذر فى ذلك بما كان يلقاه فى أسرته من أهوال •

حاول الملك أن يعدو على أموال الدولة فى الوزارة التى كان يحصل عبثا حلسى باشا • وكان الملك يظن أن انعامه عليه بالباشوية سيجعله يقبل محاولة الملك أن ينال أموال الدولة ولكن فاله خاب •

ورفض حلمى أن تتنازل وزارته عن حقها فى المال العام فيصبح  
مالا خاصا للملك •

وأصر الملك وأصر حلمى • وأخرج رئيس الوزارة ولكن حلمى  
الذى لم يأبه بغضب الملك كان أكثر اهمالا لخرج رئيس الوزراء •  
وأوشك رئيس الوزراء أن يستقبل ولكن الأحداث تلاحقت •  
واضطر الملك أن يتراجع ليتظاهر أنه يواكب الأحداث •

فقد حدث فى ذلك الحين أن بدأ اليهود فى انتهاك دولة فلسطين  
مؤيدين بالامبراطورية التى كانت ما تزال حتى ذلك الحين تعطى  
بشمسها المظلمة العالم أجمع • وأصبحت مصر فى موقف غاية فى الحرج •  
فهى من ناحية زعيمة العالم العربى والاسلامى ، وها هى ذى  
دولة عربية بأكملها يحاول عدو وقح أن يستولى عليها ويقيم عليها  
دولة يهودية ، ومن ناحية أخرى كانت مصر هذه الزعيمة دولة محتلة  
بالامبراطورية البريطانية التى تحمى العدوان اليهودى الذى لم يسبق  
له مثيل فى التاريخ •

وحاول الملك أن ينتهز الفرصة ليلهى الناس عن فضائحه ويحيى  
الحلم القديم الذى راود أجداده أن يصبح خليفة على العرب جميعا  
متناسيا طبيعة التاريخ والدول ورفض كل دولة أن تكون تابعة فى  
حكمها الى أى دولة أخرى مهما تكن هذه الدولة حبيبة وصديقة بل  
وزعيمة أيضا •

أراد الملك أن يجبر الوزارة على دخول الحرب بغير أى استعداد  
وعرض الأمر على مجلس الوزراء وانقسم رأى وكان رأى حلمى  
أن نسأل وزير الدفاع وكان وزير الدفاع من أتباع الملك فاذا هو  
يقول وهو يعلم أنه كاذب :

— ان هذه الحرب تعتبر نزهة حربية للجيش المصرى وأنه



يستطيع أن يقضى على القوات الاسرائيلية فيما لايزيد عن أسبوعين •  
وحينئذ قال حلمى :

— مادام الأمر كذلك فإن الجيش المصرى لن يجد فرصة مثل هذه ليحس عن نفسه ذلك الاسم المقيت من أنه جيش المحمل الذى لا عمل له الا الخروج فى الاستعراضات ليكون أشبه شىء بعارضات الأزياء • ومصر عليها أن تواجه قدرها الذى ألقاه التاريخ على كاهلها فهى زعيمة العالم العربى والاسلامى ، ومصر يجب أن تجعل المحتل يحس أنه غير آمن فى احتلاله ولعله يعجل بالرحيل بعد أن أتمتت المفاوضات الأخيرة بالفشل شأنها شأن كل المفاوضات السابقة عليها •

ورفعت الجلسة دون أخذ رأى فاذا حلمى يقدم استقالته الى رئيس الوزراء ويطلب اليه رئيس الوزراء أن يؤجلها الى فترة قصيرة ويقول حلمى :

— أنا أعلم أن الوزير عليه أن يخضع لرأى الأغلبية فى مجلس الوزراء •• ولكنى أعلم أيضا أن موضوع الخلاف اذا كان من الخطورة بهذا المكان فان ضميرى يحتم على أن أقدم استقالتى لأننى مصمم على رأى وأرى أن بقائى فى الوزارة يعد خيانة منى للوطن ولنفسى •

ويقول رئيس الوزراء :

— انك محق فيما تقول ولكن لا تنس أن مجلس الوزراء لم يقل رأيه بعد فأبق عليك استقالتك حتى يصدر المجلس قراره فان كان مخالفا لرأىك أصبح من حقتك أن تقدم استقالتك وأصبح من واجبى أن أقبلها •

واتنظر حلمى وقطع الشعب المصرى الطريق على أى رأى فقد تطوعت الألوف من الشباب بل تطوع أيضا الكثيرون من رجال

الجيش ووجدت الحكومة نفسها مرغمة أن تعلن الحرب حتى تستطيع أن تقدم لهم السلاح علانية وقامت الحرب واكتسح الجيش المصرى أعداءه • ولكن الامبراطورية البريطانية أدركت أنها لو أتاحت هذا النصر لمصر فمصيورها في مصر أصبح مقضيا عليه وهي في الوقت نفسه كانت تريد لدولة اسرائيل أن تقوم لتكون قاعدة لها في المنطقة اذا اضطرتها الظروف أن تجلو عن البلاد التي تحتلها وكانت تدرك في نفس الوقت أن شمسها تنحسر عن العالم وأن شمس الامبراطورية الأمريكية الجديدة تطفئ أضواءها فكان من الطبيعي أن تحاول لندن وهي تلملم ثيابها من الشرق أن تفرس فيه هذه الشوكة لتستعملها عند الحاجة اليها •

وتتابع الأحداث ••

١٢

أين صديقي الذي حدثتك عنه عندما بدأت هذه الرواية ألا ترى  
معي أنه تأخر كثيرا عن الظهور • لا على ولا عليك ولا عليه • فما كان  
صديقي حتى الآن ذا مكان في الحياة حتى يمثل مكانا في هذه  
الرواية • وأنت على كل حال قد تعرفت عليه ولكنك لم تلتفت الى أمره  
ولا عنت به فهكذا أنت أيها القارئ تريد من الروائي أن يضع لك  
كل شخصية في إطار ويلج عليك أن تتعرف بها والروائي عادة  
لا يفعل ذلك الا اذا كان يحتاج الى هذه الشخصية وهو أيضا  
لا يفعل ذلك الا حين يرى أن الموقف قد حان لشخصيته أن تظهر • وقد  
ألمحت لك عن عدلي قبل الآن ... متى كان ذلك ؟ عليك أنت أن  
تتذكر • ان عدلي هو الابن الوحيد الذي أنجبه حلمي الذي أصبح  
حلمي باشا وقد كان عدلي يحب في حنايا السنين ليتعلم وحين تعرف  
حامد وحسن الصحفيان الى أبيه الباشا كانت سنة تقارب سنهما • فلم  
يكن غريبا أن يسعى كل منهما الى التعرف اليه وتوثيق هذه المعرفة  
وكان عدلي من ذلك النوع من الناس الذين يحبون أن يعرفوا الناس  
وينزلوا كل انسان في منزلته • • وأدرك حامد أن عدلي لا يمكن أن  
يكون متفقا معه في الرأي فهو من الفئة التي لا تحقد وانما يحقد عليها

الحاقدون فعمل جهده أن يجعل الجانب الذى يبدو لعدلى منه مناقضا تماما لوجهه الحقيقى واستطاع فى نفس الوقت أن يجتذب عدلى اليه بما قرأ من كتب فى الفلسفة والسياسة والتاريخ • أما حسن فقد علم أن عدلى لا يحتاج الى فتيات المواقير وهو فى نفس الوقت لا يحب أن تكون هذه الصفة معروفة عنه فى بيت حلمى ولكنه استطاع أن يجتذب عدلى بحديثه المنمق وبفائه ويسكب المديح من غير تحفظ على والده حلمى باشا •

وقد أثمرت هذه الصداقة منفعة لحامد وحسن على السواء •  
أما حامد فقد كان يريد أن يسافر الى الخارج بأى وسيلة من الوسائل ، وقد أدرك أن حفى لا يستطيع أن يكون شميعة له عند فايز ليأمر له برحلة الى العالم الخارجى ليرى ما لا يستطيع أن يراه بماله الخاص •

وقد استطاع هو أن يقنع فايز أنه لو جعل له مراسلا فى لندن وآخر فى باريس لسبق المجلات المصرية فى عرض أنباء العالم • وقد اقتنع فايز بهذه الفكرة وخاصة بعد أن أصبحت مجلته عامة لا تقتصر اهتمامها على الفن وحده • وطبع حامد أن يكون هو واحدا من هذين المرسلين • ولكنه وجد فى فايز فتورا عن الاستجابة لمطلبه وفى دربة الكلاب على الشم أدرك أن حلمى باشا لو أوصى به عند فايز فإن فايز لن يستطيع أن يتغاضى عن رجاء الوزير • وتكلم حامد مع صديقه عدلى وأصبح حامد مندوب المجلة فى باريس •

أما حسن فقد أراد أن يكون مندوب المجلة فى حرب فلسطين ولكن فايز لا يستطيع أن يستغنى عن خدمات حسن فى القاهرة فهو الذى يؤجر له الشقق وما ينتفع به فى هذه الشقق وهو الذى يعد له كل ما يحتاجه الأمر فى أمسياته ، ولكن حسن كان مصرا على أن يقفز حواجز الزمن وكان يدرك أنه اذا لم يصنع فى الصحافة ما يخشى

الآخرون أن يصنعوه فلا فلاح له • ومادام قد صنع ما يخجل الآخرون  
أن يقوموا به فمن الطبيعي ألا يقف شيء أمامه بعد ذلك •  
وتوجه الى عدلى برجائه وتقرر أن يكون حسن مندوب المجلة  
في الحرب •

\*\*\*

لم يكن حفى ليبنى بهذه الحرب فى شىء الا أنه فوجىء بشوقى  
سلام يأتى اليه على غير موعد بيته ••

— أنا وقعت من السما •

— وأنا ألقاك

— أنا مسافر الى فلسطين بعد يومين

— يانهار اسود

— ولا اسود ولا حاجة كل اخوانى مسافرون

— من اخوانك هؤلاء

— ليس هذا هو المهم

— فما هو المهم اذن

— صاحبتى

— أحلام

— طبعا وهل أعرف غيرها

— الآن لا

— اذن هى

— وما شأن أحلام بفلسطين

- هي عندي منذ ثلاثة أيام
- عندك ... أأست متزوجا
- ماذا جرى لك ... يا أخى انت تفهمها وهى طائفة
- ولكن هذه ليست طائفة ... هذه غير واضحة الرؤية مطلقا
- فى شقتى الخاصة طبعاً
- عظيم
- بل هباب
- لماذا
- كانت قالت لزوجها أنها ستذهب الى أمها فى الاسكندرية  
بسلامته أخذ أجازة أمس وذهب الى الاسكندرية ولم يجدها ... أحد  
أصدقائى ... ماذا أقول ... أحد اخوانى وشى بى \*
- أحد اخوانك \*
- ضابط زميلى كل نفسه حقد يحقد على أى سعادة مهسا  
يكن مصدر هذه السعادة \* المهم ليس هذا وقته أرسل ورقة مجهولة  
الى الزوج يخبره عن عنوان الشقة ..
- وكيف عرفت أن صديقك هذا هو الذى أرسل الورقة \*
- من حظى الأسود له صديق فى نفس العمارة التى بها الشقة  
ومن حظى الأسود أنه جاء يزور صديقه هذا فرأى مع أحلام \* فهو  
الوحيد الذى كشف أمرى ... يا أخى ليس هذا هو المهم ..
- وما هو المهم ؟
- أن نختفى
- أين

- فى أى داهية
- ألم يأت الزوج الى الشقة
- تنيل ... أتى
- وأين كنتما
- كنا فى أول الشارع قادمين الى العمارة حين رأينا سيارته أمام الباب فادركت كل شيء
- والآن
- أبحث لى عن مخبأ
- هيا بنا
- الى أين
- الى العزبة
- هيا ...
- أين أحلام
- تحت فى السيارة
- سأذهب أنا فى سيارتى وتلحق بى أنت فى سيارتك
- لماذا ... ؟
- حتى تكون عندنا حرية الحركة
- لك حق فان صديق الحق الذى كلمتك عنه يعرف صلاته بك ولا تستبعد أن يرسل ورقة ليرشد الزوج عن العزبة •
- هيا ..
- وقبيل الغروب شهد منزل الويسى ببلدتهم الرمايحة سيارتين

ينزل عنهما ثلاثة نفر وجرى عبد المعين خادم المنزل ففتح الباب  
وقال حفى :

— كيف حالك يا عبد المعين

— بخير يا سعادة البك ربنا ببارك فيك

وصاح شوقى :

— اسمه عبد المعين

وقال عبد المعين :

— خادمك يا سعادة البك

قال شوقى :

— ربنا يستر ... أخشى أن يكون هو عبد المعين صاحب المثل  
المشهور •

وضحك حفى قائلا :

— لا تخف فهو عند الشدة يعجبك ... اعمل لنا عشاء  
يا عبد المعين •

— أمرك يا بك

— وجهز حجرتى لشوقى بك والست زوجته وأنا جهز لى  
حجرة من حجر الضيوف

— أمرك يا بك ... سعادتك ستتشفى هنا أم فى الدور الأعلى  
— هنا

— وصاح شوقى :

— فى الدور الأعلى ... فى الدور الأعلى أنا فى عرضك •



ونظر اليه حفى وسكت لحظة ثم أدرك ما يعنيه وقال :  
— وهو كذلك فى الدور الأعلى ... واسمع يا عبد المعين  
قل لسعدون يفتح الجراج  
— أمرك يا بك  
وحين انصرف عبد المعين قال حفى :  
— ادخل سيارتك فى الجراج وقل لهم أن يتركوه مفتوحا  
— معقول ... الجراج بعيد عن مدخل البيت  
— طبعا



كان الليل حالك انظلمة وكانت آلة الانارة قد توقفت تماما فى  
عزبة الوسمى وأصبح البيت قطعة من ظلام لم تجرؤ الأشعة المتخافتة  
من ضوء مصباح الغاز المتروكة فى البهو أن تعدو على حلكته أو أن  
تبدد شيئا من قنামته •  
ولكن ضوء سياره اخترق الظلام واعتدى على هذه الحلقة  
بنور جرىء جرأة صاحب الحق ، وهب الثلاثة فى بيت الوسمى وهم  
يعرفون من صاحب السيارة والنور •  
واقترح حفى الحجرة على شوقى وأحلام وألقى أوامره فى  
سرعة وحسم :

— أحلام خذى بدلتى هذه والبسيها وأنت البس هدومك  
وانزلا فورا من باب الخدم الى الجراج وسأشغل أنا عبد الصادق حتى  
تخرجنا بالسيارة الى مصر واذهب أنت يا شوقى الى بيتك أما أنت  
يا أحلام فعودى الى بيتك واتفقى مع صديقة لك فى أى بلد أن تقول

أنها دعتك فذهبت اليها • أسرها ••• اسمعي أليس لك صاحبة  
ليست في القاهرة •

– المنصورة

– حلوة ••• هيا

وبسرعة نادى عبد المعين وأمره أن يرتب فراش شوقي وأن  
يترك فراشه مهوشا كما هو ونزل الى الطابق الأول

– أهلا عبد الصادق بك

– أهلا بك يا حفنى بك ••• أهكذا

– أهكذا ماذا

– أتقبل أن تكون هذه صنعتك

– يا ترى أنت متأكد أنك قصدت الى الشخص المطلوب

– لاشك في هذا

– ومن هو الشخص المطلوب

– حفنى الوسيلى

– فى عزبتى والساعة تقترب من الثانية صباحا

– أظن أننى أفعل مثل هذا الا لسبب خطير

– متصل بى أنا

– طبعاً ••• أين زوجتى يا حفنى ••• أين أحلام

– أحلام ••• معى أنا

– مع صاحبك شوقى

– وأنا ما شأنى

- أنت تخفيهم عندك
- وإذا كان هذا صحيحا فكيف عرفت
- اقرأ
- ولم يكن حفى فى حاجة الى أن يقرأ فقد أدرك أن توقع شوقى  
قد صح فأخذ الورقة ثم رفع بصره الى عبد الصادق :
- ورقة من مجهول تجعلك تأتى فى الثانية صباحا الى بيت  
وزير من وزراء الدولة لتتهم أخاه أنه يتستر على جريمة زنا ..
- كان على أخى الوزير أن يبقى بيته وبيت أخيه شريفا
- وهل سمعت عن حلمى غير ذلك
- عن حلمى لا ... أما عن أخى حلمى فانه يستطيع أن يصنع  
أى شىء ..
- تهمة مثل هذه عندنا نحن الفلاحين لا يحوها الا الدم  
يا عبد الصادق بك
- اذا لم تكن صحيحة
- أنت تحتاج الى أثبات
- اسمح لى أن أمر بغرف البيت
- الطابق الأسفل نعم .. أما الطابق الأعلى فهيها أن تخطو  
اليه رجل غريبة
- ما غريب الا الشيطان يا سعادة البك يا أخا سعادة الباشا
- اخرس
- تخفيهما فى الطابق الأعلى وتقول لا تطؤوه رجل لا وحياة  
والدك لكن لم أصعد الى الطابق الأعلى لأبلغن البوليس فورا \*

— أظن أن البوليس يجرؤ على التهجم على بيت وزير وعضو  
نواب دون أمر بالتفتيش ورفع الحصانة من مجلس النواب أيضا •  
— أبلغ وزير الداخلية ووزير الحقانية ... شرفي يا هو ••  
شرفي يا عالم

— أظن أنك تصون شرفك بهذه الضجة

— هذا شأني أنا

— اسمع يا عبد الصادق ... أنا لا أخشى التهديد ولكن لأنني  
إنسان وأدرك الحالة التي أنت فيها سأصعد معك الى الطابق الأعلى  
ولكن قل لي ... اذا لم نجد أحدا كيف ستعتذر ••

— الذي جعلك تقدر حالتى من الثورة سيجعلك تقدر حالتى  
من الخجل ••

— وهو كذلك ... تفضل

وطبعا لم يجدا أحدا ••



ربما خيل اليك بما قدمته لك عن حفى أنك عرفتة من كل جوانبه ولكن هيهات • فان حفى هذا دنيا بأكملها وهيهات لأحد أن يحيط بدنيا • بحر هو متلاطم الأمواج لا يقر له قرار • وأعجب ما فيه أنه لا يتحمس لشيء في الوجود ولا يأخذ شيئاً مأخذ الجد الا متع الحياة وليس يعنيه مصدر المتعة وانما يعنيه أن يحصل عليها في أى مظنة لها •

وقد رأينا يبيع أرضه ليلعب القمار ولم يكن ذلك منه تحمسا للقمار وانما احتقارا للتملك مع حب شديد للمال لا ليكنزه وانما لينفقه ويستمتع به ، ولبس يهمل أن ينفق كل ما يملك في سبيل لحظة واحدة من المتعة الحقيقية • وهو لا يعرف في الدنيا مشاعر فهو لم يستطع أن يكره أحدا • وشعوره نحو أخيه شعور من نوع عجيب فهو يعلم أن انتسابه الى أخيه هذا يمكنه أن يحصل على أنواع من المتعة هيهات أن يستطيع الوصول اليها اذا لم يكن أخا لحمى باشا • ولكن حلمى يظل مع هذا بالنسبة لحفى جزءا من كيانه ، ولو كان قلبه يعرف الحب ما أحب الا أخاه حلمى ولكنه لا يشعر

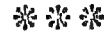
بهذا الحب ولا هو يعرف معناه ولكنه يعرف أنه مستعد أن يبذل كل جهده من أجل أخيه من غير حب • ومادام ما يبذله لا يفسد عليه متعة من متعته • وأحسب أن حفيى لو أحس أن قطعة من جسمه ستقف حائلا بينه وبين متعته لاستغنى عنها وكأنه يلقى سيجارة شربها الى عرض الطريق • وهكذا عاصر حفيى كل هذه الأحداث التى مرت بها بمصر لم يشترك يوما فى مناقشة يحس أنها ستعكر مزاجه أو تفسده آخر الأمر يفكر بجدية فى شىء ما ، ولهذا لم يكن عبيبا أن يشر حوله الأصدقاء ، ولماذا لا وأبن سيددون شخصا يوافق كل الآراء المتعارضة دون أى مناقشة لها ، بل ربما وجد الكلمة المؤيدة للرأىين المتناقضين فان يكن أخوه من حزب معارض للوفد فهو لا يعرف الجزئية وأصدقاءه من كل الأحزاب وكلهم واحد عنده تأييدا لرأيه فى الحياة •

وهكذا مرة أخرى لم يكن عجبيا أن تتوثق الصلة وتزداد قربا بين حفيى وعبد الفتاح صدقى وتستمر هذه الصداقة رغم فارق السن بينهما ، ولكن صلات حفيى لا تعترف بفوارق الأعمار ولا بشوارق الطبقات فهو كما يعرف حامد وحسن وهما من سن ابن أخيه عادلى الذى هدهد طفولته وهو وليد يعرف عبد الفتاح صدقى الذى يكبره بما يقرب من عشرين عاما ••

وبعد فهل تراك عرفت حفيى ••• هيهات لك أن تعرفه وكيف لك أن تصل الى أغواره اذا كنت أنا وأنا مصدرى الوحيد عنه لا أستطيع أن أدعى أنى بلغت من حقيقته كل حقيقة •

وحسبى وحسبك أن أروى لك ما خاض من أحداث لعلك تقف على شىء يسير من حقيقته • وربما سألت : نفسك وماذا يهمنى من أمر حفيى ؟ فإذا فعلت فاتنى أحزن حزنا شديدا فانما حفيى لون من ألوان الانسانية وما نحن اذا لم نعرف أنفسنا وكل انسان هو جانب منا ونحن جانب منه ، هو يمثل لونا من الفصيلة التى نكونها نحن البشر

فاذا كنت لا تعرف نفسك مصورة في الآخرين فماذا يمكن أن تعرف •  
لا عليك ولا على فاني أقص وشأنك وما أقول ولك أن ترى فيه  
ما تشاء من رأى •



لم يكن حلمي قد اشترك في الوزارة بعد ، حين التفت عبد الفتاح  
سديقي الى حفني وهو يقدم له فنجان قهوته :

- قل لي يا حفني ... الى متى تظل تلعب القمار
- كلنا يقامر يا عبد الفتاح بك
- لم نختلف ولكن قمار عن قمار يختلف
- كله قمار
- تظل تلعب الليل كله وتجهد نفسك وتتعب أعصابك
- اسمع يا عبد الفتاح بك لعلك أول انسان أخبره أنا لا أعب  
لأكسب
- فلماذا تلعب
- لأنني أجد متعة في اللعب فاذا فقدت المتعة تركت اللعب
- ولا تريد أن تكسب
- ليس للفلوس عندي أى معنى الا أن تكون وسيلة لأنبسط  
وأعيش كما أحب أن أعيش
- أنت أحسن انسان يمكن أن يعمل في البورصة
- أظن هذا
- أنا محترف وأعرف ما أقول

- ولماذا أعمل في البورصة
- لتكسب
- وماذا أفعل بالكسب
- ستتزوج يوما
- أتظن ذلك
- اسمع أنت تعرف خالتك كريسة عز المعرفة
- طبعاً
- أعتبرها امرأة
- كانت
- أنا أتكلم عن الحاضر
- أنا لم أنظر إليها من هذه الناحية
- وهل يستطيع أحد أن ينظر إليها من هذه الناحية
- ماذا تقصد
- وأنت تعرف طبعاً مغامراتي
- كلها على يدي
- أتعرف لو ارتفعت حرارة خالتك كريسة نصف درجة أساب بالجنون
- هو الحب اذن
- وأكثر ... هو الحياة ... حياتي وحياة بناتي وكل ما لي في الوجود
- وتريدني أن أتزوج



— طبعاً

— أتريدنى أن أجن

— لا ... وانما أريدك أن تعيش

— الزواج مسئولية وأنا يا عبد الفتاح بك أرفض المسئولية

— أنت اليوم شاب فكر فى يوم تصبح فيه فى مثل سننى أنا  
بدون كريمة وسناء لا أساوى شيئاً

— أما أنا فقاربت الأربعين أما أنت فتساوى كثيراً من غير

أحد

— أوهام ... أنا أعمل لأسرتى ... أنت لا تعرف المتعة التى  
أجدها حين أشغل نفسى بأمورهم ولا تعرف المتعة التى أحس بها  
وأنا أتكلم مع كريمة عما سنصنعه لسناء حين تتزوج ولآمال •

— ولكن لا أنسى الشقاء الذى ساد البيت يوم مات لطيف

خطيب سناء •

— أنت رجل مقامر ولكى تكسب لابد أن تخسر

— أنا أريد أن أكسب فقط

— المتعة الحقيقية هى المكسب بعد الخسارة أما المكسب  
المستمر فيورث الملالة ... المتعة العميقة هى الخسارة والمكسب  
معا ... هكذا الحياة •

— أظن أن هذه المتعة لا أحب أن أعرفها

— اسمع أنت ستتزوج يوماً

— لا أظن

— سترى

- انتظر حتى نرى .. المهم لماذا لا تعمل معى فى البورصة
- أعمل
- حقا
- ولم لا

وعمل حبنى فى البورصة وعن هذا الطريق استطاع أن يجد وظيفة لعدلى فى البورصة بعد أن تخرج فى كلية التجارة . وكان اليوم الواحد من العمل فى البورصة يقدم لعدلى من الخبرة فى المجال الاقتصادى ما تقدمه عشرات السنوات فى أى عمل آخر بهذا الميدان .

وعين حلمى وزيرا وحاول حبنى أن يستخدم وظيفة أخيه ليصل الى معلومات يستفيد بها فى البورصة فكان الفشل نصيبه دائما فمهما يكن ذكاء حبنى فهو لا يستطيع أن يصارع داهية فى السياسة مثل حلمى .

والتفت حبنى الى عدلى فوجده مازال عبيطاً عبط الشباب فى سنه المؤمنين بالشرف والخلق وأسرار الدولة وواجبات العمل فانصرف عنهما كليهما واتجه الى صداقاته وطالما أسعفته صداقاته .. وازدادت ثروة حبنى وكان ينشغل تماما عن مائدة القمار وانحصرت متعته فى الحفلات الصاخبة التى يخرج منها دائما بامرأة لا يعنيه من أمرها أن تكون متزوجة أو غير متزوجة .

\*\*\*

كان الحفل رائعا فى بيت رشدى المهدي فقد ترك الشقة التى كان يسكن بها وابتنى لنفسه فيلا أنيقة جعلت أعماله تتسع والمال ينهمر عليه انهارا وكانت الحفلات التى يقيمها فى فيلته تدر عليه أرباحا خيالية فقد كان يوههم كثرة من الوجهاء أن الحفلة مقامة له

خصيصا ليعرفه بالفتاة التي يريد أن يتعرف بها ، وهكذا كان يأخذ مصاريف الحفلة مضاعفة خمسة أضعاف أو ستة أو أحيانا سبعة قبل أن تقام الحفلة . وكان من الطبيعي أن يكون حفنى الوسيى وعبد الفتاح صدقى عضوين دائسين فى كل حفل يقيم رشدى المهدي ، أما حفنى فلسمعتة النسائية ولحب الأصدقاء له وأما عبد الفتاح فلأنه هو أيضا كان يقيم الحفلات فى بيت رشدى المهدي لجبابه الخاص أو أن رشدى يوهه بهذا على الأقل .

كان حفنى منذ تعرف بالأميرة فضيلة قد علا نجمه بين النساء بصورة خيالية . وأصبحت كل فتاة من اللواتى لا يعنين كثيرا بالشرف تمنى أن تكون سديقة لذلك الفتى الذى صاحب الأديرة فضيلة فترة من الزمان .

وكان فى هذه الحفلة فى تلك الليلة فتاة أو قل سيدة أو اذا كنت تريد الدقة فى الوصف فقل امرأة اسمها وسيلة الدهرى . . . وكانت لها قصة . . . أما قصتها فلا شأن لها بما أرويه لك ولكنى مع ذلك أجد نفسى مسوقا لقصها عليك . . . اذا كنا اتفقنا أننا نسعى لمعرفة البشر الذى تنتسب اليه . . . أم ترانا لم تنفق المهمل كانت وسيلة . . . أتعجب أن أروى لك أنا قصتها أم أتركها هى ترويها لك فأنا حريص على ألا أقص عليك قصة واحدة مرتين . وفى هذه الحادثة التى سأقدمها اليك والتى وقعت بين حفنى ووسيلة ستسمع القصة منها هى فلماذا لا أكتفى بنقل أنباء هذه الواقعة اليك وأترك وسيلة تقص هى عليك قصتها . والحقيقة أنها فيما قالته كانت صادقة . لا لأن الصدق من طبيعتها ولكن لأنها لم تكن محتاجة لكذب على من تروى له القصة .

كان رشدى المهدي يقدم خدماته للجنسين معا . فكما يستجيب لرغبات الرجال كان يستجيب أيضا لرغبات النساء ، وقد طلبت اليه

وسيلة أن يعرفها بحفنى وكانت هذه الحفلة هى الموعد الذى حدده لها لينفذ رغبتها •

وسيلة سيدة غاية فى الجمال تركت الثلاثين من عمرها منذ سنوات قلائل وهى زوجة الدكتور فتوح عبد القادر وهو طبيب واسع الشهرة فى أمراض النساء والولادة • • وسيلة هى زوجته الثانية • وهى تتمتع بشهرة قريية من شهرة زوجها فى ميدان المغامرات وان كانت الألسنة تتناقل شهرة زوجها فى علانية وصوت جهر فهى تتناقل سمعة زوجته بنفس السعة ولكن خفية وفى صوت هامس •

— قال رشدى المهدي :

— حفنى بك لا بد أنك تعرف وسيلة هانم

— بشهرة الجمال وان لم يسبق لى الشرف

وقالت وسيلة :

— أما أنا فأعرفك بشهرات أخرى عديدة

وقال رشدى المهدي :

— اذن فلا مكان لى بينكما

خير هو واسع الخبرة • لقد أتم مأموريته وانصرف ليقوم بالأعمال الأخرى الكثيرة المتراكمة على كتفيه أم يجدر بنا أن نقول المتراكمة على رأسه

قالت وسيلة :

— غريبة أننا لم نلتق قبل الآن

— بل لا غرابة فأنا أعرف أن الدكتور مشغول وأنت لا تكثرين من الذهاب الى الحفلات

- أنت تعرف عنى الكثير
- اذا لم أعرف عن هذا الجمال كل أخباره فالموت أولى بى
- أعوذ بالله ... لا ... اطمئن .. انك جدير بالحياة فأنت تعرف كل شىء تقريبا
- اذن فهناك أشياء لا أعرفها
- طبعاً ... وهل يستطيع أحد أن يعرف كل شىء عن الآخرين
- اذن فانا منتظر أن تخبرينى أنت عما لا أعرف
- عنى
- طبعاً
- وهل تظن أن أحدا يعرف كل شىء عن نفسه
- الآن عرفت شيئاً لم أكن أعرفه
- أهكذا
- أنت فيلسوفة أيضاً
- وهل شفت حاجة
- أريد أن أشوف
- وماله
- متى
- متى أحبيت
- أنا أحب من الآن
- من الآن ؟

- من الآن
- والحفلة
- في ستين داهية الحفلة ومائة حفلة
- هيا
- هيا

\*\*\*

- كانا في سرير حفى عاريين تماما
- ها أنت شفت
- وما أجبل ما شفت
- ولكن أتظن أنك عرفت عنى كل شىء
- عرفت أهم شىء
- يتهيا لك
- وعلا صوت جرس الباب يدق فى اصرار متصل نشجب وجهه
- حفى وابتست وسيلة وقال حفى :
- أنا لا أنتظر أحدا
- وقالت وسيلة فى عدم مبالاة وفى هدوء :
- أما أنا فانتظر
- غير معقول
- فعلا غير معقول
- ضعى شيئا على نفسك وادخلى الحجرة المجاورة

— لا تخف

— أنا خائف فعلا ... افعل ما قلته لك

وقالت وسيلة في غير عناية

— أمرك ... ولكن لا تخف

وكان قد وضع على نفسه أحد معاطفه المنزلية وخرج وهو يربط  
حزامه والجرس مصر على ألا يصمت وفتح حفى الباب ليرى أمامه  
الدكتور فتوح ولم يخطئه فهو رجل شهير وقد رآه أكثر من مرة في  
أكثر من مناسبة • وقال الدكتور وهو على الباب :

— أين وسيلة

وكان حفى مشدوها حائرا فهو مع ممارسته الطويلة للمغامرة  
لم يلتق بمواقف مثل هذا الذى يعاينه فى لحظته تلك :

— ألا تدخل يا دكتور

— لا أريد أن أدخل

— أظن لا يعقل أن دكتور فى مثل شهرتك وسنك

— لا شأن لك بسنى

— فى مثل مكاتك يناقش أمرا مثل هذا على باب شقة

ويدخل الدكتور ويغلق حفى الباب وهو يقول :

— تفضل اقعد

والتفت إليه فاذا بيد الدكتور مسدس وروع حفى

— ما هذا يا دكتور ... أهو فيلم سينما

— أريد زوجتى

وقال حفنى وهو يتصنع الشجاعة وان كان فى دخيلة نفسه قد  
زلزل الهلع كيانه كله وفى لحظات تصور ما قد ينشر فى غده عنه وعن  
أخيه وعن الدكتور الشهير وعن وسيلة

— أدخل هذه اللعبة فى جييك

— أنا أقتلك وأقتلها وأقتل نفسى

— وماذا تكسب

— أقتلك ...

ودخلت وسيلة وهى تضع على نفسها معطفا منزليا من معارف  
حفنى وقالت فى حسم :

— قم يا فتوح واذهب الى البيت

— اذن فأنت هنا

— قم يا فتوح

وتوقع حفنى أن ينطلق النار من المسدس ليقتل وسيلة وهى فى  
وقفها هذه المتحدية وفى ملبسها هذا الذى يدعو ألف رصاصه أن  
تنطلق ولكن الذى حدث شئ مختلف تماما • ارتخى المسدس فى  
يد الدكتور • وانخرط العملاق الأشم فى بكاء منهار مستخز واعتمد  
رأسه بذراعه وتقطعت جملته

— نعم هى تعرف أنتى لن أفعل شيئا ... هى متأكدة ... لأنى  
أحبها ... أحبها .. ضعفى الوحيد فى جباتى

وقالت وسيلة التى أصبحت مثل صخرة ناطقة

— بل أنت تعرف أنه ليس ضعفك الوحيد ... قم ولا تجعل من  
نفسك أضحوكة فانت رجل محترم



وقال الزوج وهو ينشج :

— وهل يمكن لمن يتزوجك أن يكون محترما

وقالت الصخرة :

— اذا احترم هو نفسه

— سأطلقك ... سأطلقك

— اذهب الآن الى البيت ... هيا

وقام فتوح اشبه ما يكون بكلب يطيع أمر صاحبه وتدلّى  
المسدس في ذراعه المرتخية وخرج وقبل أن يغلق حفنى الباب وراءه  
ساحت وسيلة :

ضع هذا البتاع في جيبيك

ورآه حفنى وهو يصدع بالأمر مثل آلة ضغط صاحبها على  
الزر المناسب للحركة التى يريدّها منها • وأغلق حفنى الباب وارتمى  
على كرسي مرتعدا ما يزال يكاد لا يصدق ما رآه منذ لحظات •  
وأحضرت له وسيلة بعض الماء وراحت ترش على رأسه كولونيا  
وهى تضحك ضحكا شديدا وهى تقول :

— لم أكن أتصور أنك خواف الى هذه الدرجة

— خواف ... يا ست أنت مش واخده بالك من اللى حصل  
ولا دا كان حلم

— بل حقيقة

— أmaal ربنا عمل الخوف ليه اذا لم يكن للموقف الذى كنا فيه

— عمله لغيرك الذين لا يغامرون مع زوجات الآخرين

- طول عمرى أغامر مع زوجات الآخرين ولم يحصل لى  
شئ من هذا مطلقا
- ألسنت أنت الذى اردت أن تعرف عنى كل شئ
- معرفة مهيبة
- ألم تنبسط
- وهل هناك انبساط فى العالم يساوى هذا الذى كنا فيه
- اهدأ ... اهدأ
- انما قولى لى أنت ... ما كل هذا الهدوء
- ألم تعرف
- أكاد أعرف
- ماذا
- ليست هذه المرة الاولى
- ولا أظنها ستكون الأخيرة
- ما حكايتك
- هذا الرجل تزوجنى من اثنتى عشرة سنة . كنت أنا لم  
أكمل العشرين وكان هو فى الستين وقد جاوزها ... الزواج الحقيقى  
لم يدم بيننا أكثر من سنتين
- ولماذا قبلت الزواج منه
- أبى كان غنيا وأضاع أمواله كلها وطمع أن يعينه هذا  
الرجل على الحياة والبنت منا لا نملك من أمر نفسها شيئا ..
- اذن ..

— وهل فيها اذن ... كان من حقى أن أستجيب للطبيعة وكنت  
في أول الأمر أحاذر أن يعرف ولكنه عرف وفي كل مرة أتعرف بشخص  
جديد تتكرر هذه التمثيلية ..

— ماذا سيفعل معك حين تعودين الى المنزل  
— أنا عادة لا أعود في نفس الليلة التى يقدم فيها هذا العرض  
الذى شهدته

— اذن

— هل عندك مانع أن أقيم معك بضعة أيام  
— أهلا وسهلا ... ولكن ماذا بعد بضعة الأيام هذه

— أعود الى المنزل

— وزوجك

— يستقبلنى وكأنى عائدة من مشوار لم يستغرق أكثر من  
ساعة وكأن الذى جرى ما كان ونستأنف حياتنا ، هو يعرف أنى  
أخونه وأنا أعرف أنه يعرف ولا يذكر أحد منا للآخر شيئا

— ولماذا لم تقولى لى هذا قبل أن تدهمنى المفاجأة التى  
كدت فيها أن أفقد حياتى

— من مسدسه

— من الخوف

— أحببت أنا أيضا أن أعرف شيئا عن مقدار شجاعتك

— يا ست وهل قلت لك أنى جنرال

— أنت فى حجرة النوم أعظم من جنرال

— فى حجرة النوم انما أمام المسدس أنا أقل من قطة

– عرفنا

– الحمد لله انكم عرفتم

\*\*\*

وفي اليوم التالي ووسيلة لاتزال في بيته قصد الى بيت  
عبد الفتاح صدقي

– لابد أن أتزوج فوراً

– ماذا

– ألم تسمع

– المصيبة أنني سمعت

– وما المصيبة في هذا

– كلمتك مائة مرة أن تتزوج وكنت ترفض

– والآن قبلت

– أنا عندي العروسة ولكن لن أخبرك عنها الا اذا قلت  
لي ما الذي غير رأيك بهذه المرة

– أنا الآن في الأربعين وأستطيع أن أكون زوجاً صالحاً  
لسنوات عديدة ولا أريد أن ينزل على قضاء الله بالزواج وأنا أكبر  
من هذه السن

– كلام معقول

– خشيت أن أصاب وأنا في الشيخوخة بحسب الزواج وأصبح  
أضحوكة أمام نفسي وأمام زوجتي

– لابد أن شيئاً قد حصل لك بالأمس

- حصل أو لم يحصل لا يهم ... أنا أريد أن أتزوج
- وأنا عندي عروستك
- من
- ابنتي سناء
- أنا في عرض النبي ... أنا أعرف سناء وهي طفلة
- أنت دخلت بيتي منذ كم سنة
- أظن منذ حوالي عشر سنوات
- هو كذلك فعلا ... سناء كان عندها في ذلك الحين سبعة عشر عاما
- حقا
- طبعاً ... أنت لم تكن تنظر لها لأنك كنت في الثلاثين من عمرك وقطعت السمكة وذيلها .
- وهي تأخرت في الزواج لأنها كانت مخطوبة لابن عمها
- وأنت تعرف أنه استشهد في فلسطين وأنا أريد أن أخرجها من حزنها عليه
- لا يزال الفرق بيني وبينها حوالي ثلاثة عشر عاما
- كل زواجنا تتمتع بهذا الفرق
- والله معقول ... ولكن كيف تقبلني زوجا وأنت تعرف عنى ما تعرف
- أنت شبعت من النسوان وأنا أطمئن على ابنتي بين يدي رجل في مثل تجربتك

- على بركة الله
- نقرأ الفاتحة
- بل لابد أن يقرأها عنى حلمى أخى
- هكذا يكون كلام العائلات وهو كذلك
- وتزوج حفنى من سناء

١٤

حين عاد حسن من الجبهة كانت تحيط به أجواء غريبة كل الغرابة على الذين يعرفونه • فقد أصبح يحاول أن يضيف على نفسه نوعاً من الأهمية • وأصبح فايز يهتم بأمره بمحض الاهتمام ، الأمر الذي لم يكن أحد يتصور أن يحدث أبداً • بل والأعجب من ذلك أنه أصبح يشارك فايز سهراته بعد أن كان يعدها له فقط دون أن يجرأ على التفكير في مشاركته فيها •

وقد أصبح شديد العناية بملبسه في الحدود التي تتيحها له دخوله المختلفة • والتي مازالت قليلة مع ذلك •

وقد توثقت صلة حسن بالأميرالاي وهبي عبد المولى وصار يتردد على بيته في انتظام • وكان للأميرالاي وهبي ابنة في الثلاثين من عمرها وكانت تكبر حسن ببعض سنوات ولكنه وجد أن فرصة زواجه منها لن تتكرر ومن أين له أن يجد ابنة أميرالاي إلا أن تكون زوجة سابقة مات عنها زوجها وترك لها طفلاً •

— يا ترى يا سعادة البك أطمع في هذا الشرف •

— والله يا حسن يا ابني تعرف أن بنتي كانت متزوجة وقد أصبح لها وحدها الحق أن تقبل الزواج مرة أخرى أو ترفضه .  
— البركة فيك يا سعادة البك .

ووافقت الست بديعة وهبي على الزواج وطبعا لم يفكر حسن أن يدعو أباه الى العرس ولكنه دعا اليه — طبعا — حلسي باشا وأخاه حفي وعبد الفتاح صدقي وعدلي . ودعا أيضا شخصا ربما تكون قد نسيته وهو حامد العرافى الذى عاد من فرنسا ومعه زوجة فرنسية فقد انتهز فرصة وجوده فى باريس ووثق أنهم هناك لن يعرفوا شيئا عن جده أو جدته أو الطريقة التى تعلم بها وأين يسكن أن تتوه هذه الأعراق العميقة الجذور فى تربة وش البركة اذ لم يدركها التيه فى باريس .

وهكذا تزوج هو أيضا وشهدت زوجته مادلين زواج زميله حسن . وقدم فايز الى حسن مائة جنيه هدية زواج له استطاع أن يشتري منها حلة العرس . وبدأت مطالع حياة جديدة تسفر عن وجهها لحسن بعد وجه شائه لم تكن الحياة تطالعه الا به . وحين انتهى العرس جلست أسرة الأميرالاي وهبي بك تذكر ما كان من أمر المدعوين ومن أمر الراقصة ومن أمر النقول . وان لم يكن الحفل كبيرا ولكن الحديث عنه كان موفورا . وغزت الست حكمت اليازجى زوجة وهبي لزوجها بعينها وتلقى الاشارة وأحسن فهمها .

— ألا قل لى يا حسن يا بنى

— نعم يا سعادة البك

وقالت الست حكمت :

— يا أخى قل يا عمى

وقال حسن فى نفاق يجرى فى عروقه مجرى الدم :



... لا يمكن يا ست هانم أين أنا من كلمة عبي هذه  
وضحك الأمير الای رهي فقد كان لقب بك حبيبا الى نفسه  
دائما وأكمل حديثه

... متى تحب أن تتم الدخلة

... متى تأمر بديعه هانم

وقال وهي :

... بيدك أن تكون الليلة ويبدك أن تكون بعد أشهر

... اجعلها الليلة أنا في عرشك يا سعادة البك

وضحك الجميع ووضعت بديعة على وجهها خمارا من حياء  
وقال وهي :

... هل تصر على أن تسكن في شقة وحدك أنت وعروسك

... والله الأمر اليها واليك

... أنت تعرف أن ابنها نبيه محتاج لمن يرعاه وهنا سته تستطيع  
أن تكون الى جانبه دائما والبيت هنا كبير وتستطيع أن تعيش معنا  
هكذا لا تحرم خالتك حكمت من بنتها الوحيدة ومن حفيدها .

... وهل يمكن أن أتسنى أحسن من هذا .. كل ما في الأمر أنني  
مواعيدي صعبة كصحنى وسعادتك تعرف وأخشى أن أزعجكم .

... لا ازعاج في الأمر سنجعل حجرتك على السلم مباشرة  
لتخرج وتدخل وقتما تشاء ..

... وهو كذلك أمركم

... اذهب اذن وأحضر ملابسك

... في لمح البصر يا سعادة البك . في لمح البصر

الم أقل لك أن الحياة أصبحت تطالعه بوجه لم يكن يتصور أنه  
سيراه من هذه الحياة .

١٥

حين اندلع حريق القاهرة لم يأت على القاهرة وحدها وإنما أتى على أموال حفنى وعبد الفتاح مصطفى فى لفحة واحدة . فالبورصة لم تكن تتوقع هذا الحريق فإذا هى تجابه به وكأنه حيوان شرس جائع وجد طعامه . والمال أكثر شئ جينا فما الخطب اذا واجه الرعب نفسه والحريق والدمار الآخذ لا يبقى على شئ .

ونزل الحدث على عبد الفتاح مصطفى بالهول الوبيل . فهو انسان طبيعى ضاعت ثروته كلها التى شقى فى جمعها طول عمره . فأى عجيبة أن يصاب بالهول بل أى عجيبة أن يصاب بالفالج . أما حفنى فالأمر معه مختلف كل الاختلاف لقد استقبل الأبناء وكأنه يسع أمرا ليس يعنيه فى شئ فقد المال الذى كسبه فى البورصة وفقد الأرض التى تركها له أبوه وأنقذها له أخوه وكأنما كان ينقذها لتعسفها البورصة . وأصبح مصيره ومصير زوجته وابنه فواز الجوع والمسغبة وهوان الفقر وذلة الأخذ وهو الذى تعود الشعب وعزة الغنى وكبرياء العطاء . ولكن لو أنه كان اهتز أقل هزة لأصبح انسانا آخر غير حفنى الذى نعرفه .

ولما استحق منا أن نتيج له هذه المساحة العريضة مما تقدمه لك هذه الرواية .

وقف حنفي للعاصفة مثل الجبل وانتظر حتى انحسر عذيف الرياح عنها مخلفا وراءه الخراب وعبد الفتاح صدقي وقد أصبح جزءا من شيء لا حياة فيه ولا رجاء منه .

وكان حنفي على علم بالأمر وكان يعرف من أخيه في كل لحظة على أبناء الخراب الذي يعط به . واعتصرت الرجل الوطني أيد عذيفة من الأسى فهو حزين أشد الحزن على عاصمة وطنه التي يمثل خرابها خراب مصر جميعا وحزين من أجل أخيه الذي أتت الكارثة على أمواله جميعا .

كان حنفي قد ترك الوزارة وهكذا أعفته الظروف أن يكون فريسة لموقف المسئول أمام مسؤوليته .

كان من الطبيعي أن يطالب حنفي ليوافيه بمنزله :

— أنا أتقذت أرضك مرة بأظننى قادرا على اتقاها مرة أخرى .  
— يا أخى ربنا يطيل عمرك . أظنك فى هذه المرة لا تستطيع .  
— كيف ..

— الدين الذى تحمله الأرض أكثر من أمنهسا عشرات المرات  
— وماذا تنوى أن تفعل

— هل رأيتنى عمرك أشك قلة المال

— كان لا يمكن أن تشكو قلة المال وأنت على ما كنت عليه من غنى . أما الآن فالأمر يختلف  
— توكل على الله

— كم عندك الآن

— ما يكفينى

— لا يمكن • فلوسك كلها كانت فى البنك ••

— معى ما يكفينى ياسى حلمى

— طيب •• خذ هذه خمسمائة جنيه ودبر بها حالك •• أو أبقتها

معت اذا كان معك ما يكفيك حقا ١

— لن أرفضها • فهذه يد أحب دائما أن آخذ منها أطال الله

عمرى • •

حين عاد حبنى الى بيته أصبح يعرف طريقه تمام المعرفة •  
فهو حين تزوج كان قد انتقل الى شقة فاخرة ضخمة عريضة  
الاستقبال تستطيع أن تتسع لمائتين فى ليلة واحدة • وقد أثاثها به  
حموه بأحسن الأثاث • وهكذا بدأ حبنى يعطى أوامره • وقد اتخذ  
موقف المسئولية عن بيته وبيت حميه وما كان الأمر يحتاج الى هذا  
فقد كان عبد الفتاح مصطفى شأن كل المقامرين قد كتب عمارة لكل  
فتاة كما كتب عمارة لزوجته فهم يستطيعون أن يعيشوا فى ستر وان  
لم يكن فى رخاء • ولكن حبنى لم يكن يملك شيئا وهو حريص أن  
ينال المتعة التى رصد حياته لها فكيف أذن سيبرر تصرفاته المقبلة  
اذا لم يتظاهر انه يصنع فى سبيل فواز وأمه بل ويزداد جرأة على الحق  
فيدعى أنه ينظر أيضا الى مصلحة حماته ومصلحة آمال •

وحاولت سناء أن تذكره أن دخل والدته وأختها من العسارتين  
سيكفيهما بل ان دخلها هى من العمارة سيكون قادرا على مواجهة  
الحياة • ولكنه قال فى حسم :

— لقد تعودتم جميعا على العيش فى سعة وهيات أن تستطيعوا  
العيش فى قلة •

- وماذا تريد أن تفعل
- نذهب لنعيش مع أبيك في بيته
- هل البيت باق له
- انه قد كتبه باسمك واسم آمال في العام الماضي
- وبعد ذلك
- لاشئ ... أولا تكون عيشتنا واحدة • وتجد والدتك واختك رجلا معهما تعتمدان عليه
- هل وافقتا
- ان أمك هي التي طلبت هذا
- قالها الرجل في بساطة وهدوء ولو كنت شاهدا الحوار بينه وبين كريمة ... وما لى لا أتيح لك أن تسمعه
- قالت كريمة :
- أهكذا ينتهى عبد الفتاح صدقى يا حبنى
- عبد الفتاح صدقى لا ينتهى أبدا يا كريمة هانم
- ألا ترى اليه
- شدة وتزول • انما أنا أرى أن تنتقلى به الى بيتنا ، الأمر قد يحتاج لوجودى معه • ربما احتاج الى طبيب في الليل أكون الى جانبكم •
- ربنا يابنى يطيل لنا عمرك • وهل أصبح لنا غيرك ...
- لا والنبي • لم يصبح لنا غيرك
- فما رأيك

— وكيف يمكن نقله يا بني وأنا كيف أذهب معه

— بيتي كبير وانت تعرفين

— لكن اسمع ... أليس بيتنا أكبر ... لماذا لا تأتي أنت  
وسناء وفواز وتعيشون معنا • أولا أجد أنا رجلا أطمن به ونوحد  
المعيشة •

— أترين هذا

— أليس هذا هو المعقول

— أمرك

وانتهى الحوار

ولكن حفنى الجبار يقول لسناء أن كريمة هانم هي التي طلبت •  
وهذا في ظاهره حق • ولكنها طلبت لأنها جعلها هي تطلب • • هكذا  
حفنى • • أتذكر حين قلت لك أنك لن تستطيع أن تلم بجوانبه •  
وقالت سناء :

— ولكن ماذا سنفعل ببيتنا هذا

— ياستى لا تفكرى فيه الآن

طبعاً يجب ألا تفكر فيه الآن أو بعد الآن فما كانت النقلة  
إلا لما يفكر هو فيه بشأن هذا البيت •

\*\*\*

بدأت الحفلات في بيت حفنى الوسيى تضارب حفلات  
رشدى المهدى ، وبدأ حننى نفسه يقضى على رشدى المهدى في صنعته  
التي عاش عمره كله بها ولها •

وعاد المال ينهمر على حفنى وان كان انهياره من أنهار أخرى

ولكن الرجل لم يكن بعنى أقل عناية بمصادر المال الذى يصل اليه .

وكان شوقى سلام يأتى الى حفلات حفنى بانتظام لا يخطئ وكان يأتى معه فى كل مرة بأربعة نفر تعرف بهم حفنى وأدرك بذكائه الخارق أنهم يدبرون شيئا ، ولكنه أيضا أدرك بذكائه الخارق أنهم لا يريدونه أن يعلم عنه شيئا فصمت وقد فطن أنه لو أظهرهم على ما يحسه فربما امتنعوا عن المجيء .

وفى صباح يوم دق جرس التليفون فى بيت عبد الفتاح صدقى الذى أصبح بيت حفنى الوسىسى .

— أنا شوقى

— أهلا شوقى ...

— أين ستذهب فى الصباح

— لا مكان

— اذن فاذهب الى جروبى

— ولماذا لا تأتى أنت الى هنا

— اسمع ما أقوله ولا تناقش ... الساعة الحادية عشرة فى جروبى عدلى .

سلام عليكم

— وعليكم السلام

\*\*\*

— تذهب الى أخيك فورا وتطلب منه أن يبيع ما يستطيع من أرض

- ماذا تقول
- ما تسمع
- وما الذى يجعله يصدقنى
- أخوك سياسى وهو يرى الحالة بعين الغيب وسيعرف أن الكلام ليس تخريفا
- كل أرضه
- أن استطاع
- وأن لم يستطع
- لا يبقى منها غير خمسمائة فدان ... خمسمائة على الأكثر

\*\*\*

- وقال حلمى باشا :
- خمسمائة فدان
- على الأكثر
- أترى هذا معقولا
- اسمح ووكلتنى واترك الأمر لى
- اننى أملك أكثر من ألف وخمسمائة فدان
- هذا شأنى
- تعال غدا خذ التوكيل

\*\*\*

ذهب حبنى الى العزبة وصحب معه عدلى • وراحا يبيعان الأرضين  
متظاهرين أن حلمى باشا يريد أن ينقذ أخاه • واستطاعا فعلا أن يبيعا



كل ما يزيد عن الخمسمائة فدان وأحضرا الأموال وسلمهاها الى  
حلمى باشا الذى وضعها فى خزانة بيته وانتظر الأحداث •  
ولم يطل به الانتظار •

وحين صدر قانون الاصلاح الزراعى الاول كانت الأرض  
التي يملكها حلمى لا تزيد عما فرضه القانون الا مائتا فدان استطاع  
أن يبيعها بسهولة مطبقا نفس القانون الذى كان يسمح لمن تزيد أرضه  
عن النصاب أن يبيعها •

١٦

حين قامت الثورة كان حفنى صديقا للأغلبية الكاثرة منها •  
وقد جاءه شوقى الذى يتصدر منها مكانا مرموقا فى ليلة من ليالى  
بيته التى ازدادت ازدهارا مع الأحداث الجديدة وقال شوقى •

— قل لى يا حفنى هل أساء أخوك حلسى الى الصحفى حسن  
هنداوى ؟

— أساء .. انه هو الذى جعله يذهب مندوبا عن المجلة فى حرب  
فلسطين وهو الذى ... النهاية لا أحب أن أذكر ما صنعه معه  
ولا ما كان يعطيه له من ... المهم ..

— هل أنت جاد

— الأمر معروف • اسأل أى صحفى يخبرك ... لماذا ؟

— طيب وحامد العراقى هل أساء له أخوك

— كل الاساءة

— كيف

— هو الذى رجا فايز حتى يكون مندوب المجلة فى باريس

— عجيبه

— ماذا حصل

— أنت لا تتصور كيف كان كل منهما يصر اليوم على أن يلتقى  
أخوك فى السجن مع المعتقلين السياسيين •

— هل هذا معقول ... ماذا قالوا ؟

— قالوا أن الوجوه القديمة لابد أن تتغير وأن الناس لابد أن  
تعرف أن حياة جديدة فى الطريق • ولابد لهؤلاء السياسيين أن يهتفوا  
من الحياة ، وقلت لهم حتى الشرفاء ، فقال حسن وخاصة الشرفاء  
لأن هؤلاء هم الذين يخشى منهم على الوضع الجديد ، وأيد حامد  
كلامه فى صياغة أيديولوجية وألفاظ رنانة •

— يا نهار أسود وبعد •

— ولا بعد ولا قبل ... أصررت أنا وأصدقاؤك الذين تعرفهم  
فاستثنى أخوك من الاعتقال •

\*\*\*

وهكذا اجتاز حلمى باشا كل ما وقع على زملائه من ضير •  
وأحس السياسى المخنك أن الحياة فى مصر تغيرت ورأى أن خير  
ما يفعله أن يتعد •

ينظر الى الجهلاء والمنتفعين فيجدهم أصحاب رأى يقال وينشر  
وينفذ ، وهو الذى كانت مصر عنده عقيدة كأنها دين يحرم من أن  
يقول رأيه • • هذا الحق البسيط الذى ينبغى أن يتمتع به كل فرد  
من أفراد الشعب الحر ... ولكن أين الحرية فى بلد أصبح أخوه  
حفى هو الذى يحميه فيها ، ولم يكن يعرف عن حفى الا أنه انسان

فشل في كل ما عهد اليه من الحياة • ولم يرق اليه النجاح الساحق  
الذي يحققه حفنى في كل ليلة في البيت الذي شهد زواجه وشهد  
مولد ابنه فواز الذي أسماه على اسم جده وكأنه انسان يعرف كيف  
ينتمى الى أسرة عريقة •

ولكن أصدقاء حلمى كثيرون • وما لم يرق اليه في شهر بلغه  
نؤه بعد أشهر وكأنما هذا الذى بلغه ستار الختام لحياته • فقد  
طلب أخاه في التليفون وأمره أن يحضر اليه فوراً • وكان أمر حلمى  
عند حفنى معناه النفاذ • فما أسرع ما قصد اليه وجلس منه تلك  
الجلسة التى تعودها معه ولم يستطع أن يغيرها وكأنه مازال ذلك  
التلميذ الذى لم يستطع أن ينال الشهادة الابتدائية •

كان حلمى قد استطاع أن يقف صلباً شامخاً أمام كل ما مر به  
وبمصر • ولكنه في هذه المرة لم يستطع أن يبقى على هدوءه •  
كانت عيناه تلتزمان بدموع يمنعها الكبر أن تسيل فانفجرت نبضا على  
شفتيه ورعشة في يديه لم يتح له أن يتحكم فيها وتخلج لسانه في فمه •

— احقا يا حفنى ••• احقا •••

— ماذا ياسى حلمى

— احقا ••• احقا •••

وآثرت روحه أن تخرج الى بارئها قبل أن تخرج الكلمة التى  
تجدت على لسانه الى حفنى •

ومات حلمى ••• ومات عهد •

١٧

انفرد عدلى بين كل لداته من أبناء الأثرياء بأن المال كان موفورا لديه فلم يشك الفقر ولا القلة وكان له في عمه حماية أى حماية ولكنه كان غير مرتاح قط كان يقول لى :

— الله وحده يعلم كيف استطاع عمى حفى أن يحصل على هذه الأسرار التى حفظ بها ثروتنا •

وكنت أحس أنه كان يريد أن يتعرف منى على مدى انتشار الحقيقة التى يتناقلها الناس عن عمه • كنت واثقا أنه يعرف ولا يريد أن يعرف وكنت أشفق عليه أن أظهره على ما يقوله الناس وكنت أختار لنفسى طريقا ملتويا •

— يا أخى وأى عجيبة أن يحى أخ أموال أخيه •

— لست من هذا أعجب وانما أريد أن أعرف كيف وصل الى هذه الأسرار •

— من أصدقائه

— ما نوع هذه الصداقة وماذا وراءه وما مداها •

— وفيهم يعنيك هذا ... لقد أنقذه أبوك مرة من الخراب  
وأنقذ هو أباك مرة في مقابلها •

— أما أبى فأنقذه بماله أما هو فماذا قدم لينقذ أبى •  
ولم يكن شئ يجعل عدلى يسكت عن هذا التساؤل كلما خلا به  
وبى مكان •



لم يكن عدلى يستطيع أن يعيش دون أن يعمل فقد التحق  
بالوظيفة منذ تخرجه ولم يكن يجد في التحاقه بالوظيفة أمرا يستحق  
منه انعام نظر أو امعان فكر فهو حاصل على شهادة التجارة العليا  
وعين في الدرجة التى يعين بها كل زملائه وكان تعيينه في البورصة  
لأن عمه كان يعمل بها وصدقاته فيها مشهورة معلنة لا تحتاج الى  
البحث عما وراءها ان كان شئ وراءها •

ومرت على وفاة أبيه سنة وبعض السنة وهو مقيم في بيته مع  
والدته التى بدأت تلج عليه أن يتزوج شأن كل أم لها ابن وحيد  
وتريد أن تطمئن أن حياة أبيه التى اعتسفت ممتدة في حفيد يوحى  
اليها ببعض طمأنينه أن حلمى الوسيلى لم يمت •

وكان عدلى يرى أن زواجه أمر طبيعى فهو ليس من رواد الليل  
ولا هو عرييد ولا صاحب لهو فسنة الحياة سنته والطريق الذى رسمه  
المجتمع هو طريقه لا يريد أن يخرج عنه ولا أن يغير الكون أو يحطم  
ما جرى عليه عرف الحياة •

وقد وجد في ابنة خاله أحمد نشيدته فهى فتاة متعلسة حصلت  
على شهادة الآداب وذات جمال ناضر نقى وقلب يافع طازج مقبلة على  
الحياة اقبالة طهورا رصينة ، وهو منها ومن أسرتها في أمان أى أمان •  
أما كانت منه بمنزلة الأم وأبوها أبوه • وهما أسرتان لا تجمعهما

صلة الرحم وحدها وانما يجمعهما أيضا قانون مجتمع واحد وخلق متشابه ، فهما وان كانا يعيشان في بيتين الا أنهما في تكوين أخلاقهم وتفكيرهم بيت واحد • حتى لقد كان كل بيت منهما يطلق على البيت الآخر كلمة البيت الثاني فلا يقال بيت الباشا ولا يقال بيت أحمد بك في أى من المنزلين وانما يقال البيت الثاني • فهما اذن بيت واحد • فزواج عدلى من حورية أمر يكاد يكون مقررا بالأمر الواقع حتى أنه لو لم يحدث لكان شذوذا عن الطبيعة الكونية لا معنى له ولا داعى اليه • وكان من الطبيعى أيضا أن تقيم حورية مع عمتها في نفس البيت •



حين أغلقت البورصة أبوابها كان عدلى قد أنجب ولده الأول منذ سنوات وكان من الطبيعى أن يسميه حلمى • ولم يطق عدلى أن يعمل في الوظيفة التى تقل اليها فقد كان لا يصنع شيئا الا أن يقبض المرتب في آخر كل شهر وهذا أمر يأباه ضميره كما أن طبيعة عدلى ترفض أن يكون بلا عمل حقيقى وليس يرضى أن يتوارى أمام الناس وراء وظيفة بلا عمل •

كان قد تعرف وهو في البورصة على أكبر المحاسبين شأنا وقد اختار منهم مكتب الدكتور فكرى الدهشان فقد كان يأنس اليه وكان يحس منه أمانة منقطعة النظير كما أنه كان يعجب بعلمه النظرى والعملى جميعا •

وقد كان الدكتور فكرى من الذين يعجبون بوالده كل الاعجاب ولم يكن يخفى اعجابه هذا كلما دعا الحديث أن يبيديه • قصد اليه •

— يا دكتور أريد أن أعمل معك

— وتترك الحكومة ؟

— أنت بالذات تعرف معنى أن يتناول الانسان مرتبا دون  
أن يعمل في مقابله شيئا وأنت بالذات تدرك معنى أن يكون الانسان  
في ريعان شبابه وفي استقبال القادم من الأيام دون أن يعد نفسه  
لذلك بالعمل والجهد •

— ولكن يا عدلى يا بنى عمل المحاسبين في مصر أصبح محدودا  
كما تعرف •

— وهل طلبت منك مرتبا

— اذا كنت أنت لا تقبل أن تنال أجرا بلا عمل فانتى أنا أيضا  
لا أقبل أن يعمل محاسب في مكتبى بلا أجر •

— أنت تعلم أننى والحمد لله موفور

— لا يعيننى هذا فى شئ... أنت ستعمل معى فلا بد أن  
تنال مرتبا •

— اذن فانت ترفض أن أعمل معك

— وهل تتصور هذا

— هذا ما فهمته من كلامك

— ان ما قلته واقع لا شأن له بعملك معى فان مجرد ابداء  
رغبتك فى العمل معى يعتبر كأنك عملت فعلا فأنت تعرف رأى فيك  
وفى المرحوم والدك •

— اذن

— اسمع أنا لن أجد خيرا منك ليتولى أعمال مكتبى فى مصر

— ماذا ؟

— هذا هو الجديد... لقد فتحت مكتبا فى الكويت وأعتقد



أنه سيشغلنى بعض الوقت عن المكتب هنا • والعمل الحسابى فى مصر كما قلت لك أصبح نادرا أو أقل من النادر وخاصة فى المكاتب الكبيرة مثل مكتبى وكنت فكرت أن أقفل المكتب هنا ولكنى سرعان ما طردت الفكرة فقد أحسست أنها أشبه ما تكون بالانتحار فالدنيا يا عدلى ليست فلوسا فقط وها أنت تبحث عن عمل مع أنك تستطيع أن تعيش على دخلك وهذا المكتب يمثل عندى كفاح عمرى كله فأنا اذن سأتركه فى رعايتك وأسافر أنا لإنشاء مكتب الكويت وسنكون على اتصال دائم اما بأن تأتى أنت الى الكويت أو بأن أجيء أنا الى القاهرة ... ما رأيك •

— سأقدم استقالتى غدا ان شاء الله من الحكومة وان كنت مندهشا مما سمعت •

— ومم الدهشة •

— أنت بلا ولد وقد كونت اسما عظيما ولاشك أنك كونت ثروة فقيم اذن سفرك الى الكويت وهذا الجهد •

— عجيب شأن الناس • لماذا يظن الناس أن ما يصدق عليهم لا يصدق على غيرهم • يا رجل ألم تأت الى هربا من الفراغ •

— أنا آسف لك حق •

١٨

كانت الحياة الجديدة هي أصلح حياة لحسن هنداوى • وكأننا  
تم كل هذا الذى تم لبصبح حسن هنداوى فى الذؤابة العليا من  
القصة ، والحقيقة أنه كان يعرف طريقه كل المعرفة فاذا هو حوت  
شرس • يحرص كل الحرص أن يسرق بأسنانه الحادة المتراكبة كل  
من كان ذا فضل عليه فى ماضيه • استطاع أن يزج بفايز الى السجن  
وأوحى الى مستمعيه أن عدلى لا حديث له الا الهجوم والتنقص  
واعقل عدلى ولكنه لم يبت ليلته فى المعتقل فقد أدركه عنه مرة  
أخرى وخرج بعد عشر ساعات من اعتقاله فصداقات حفى لم تكن  
مقصورة على فئة بعينها انما هى تنداح وتتسع فتشمل كل ذى  
سلطان فى أى وقت • وكأننا كانت شقة حفى مظهرا لا يكتسل سلطان  
ذى السلطان الا به ، فلم يكن عجيبا أن يكون محاطا بسياج من الأمان  
يستطيع أن يصد عنه وعن كل من يهتم به أى عادية •

ولكن العجيب أو ربما لم يكن عجيبا أن حسن لم يحاول يوما  
أن يسد أباه بشيء يعينه على الحياة مع أن المال كان يجرى بين يديه  
سيلا لم يطف يوما بأحلامه • وبعد أن كان يعيش مع الأميرالاي

في بيته أبتنى هو لنفسه فيلا خاصة وطبعا أقامت فيها زوجته وحدها  
دون أهلها ودون ابنها وانما أقامت معهما ابنته التي أسماها جميلة •

أما حامد فقد فشا هو الآخر واعتلى مكانا سامقا ربما لا يطاول  
مكانة حسن الا أنه ليس بعيدا عنه كل البعد • وقد كان حامد بحاسته  
وبقدرته الفائقة على النفاق حريصا أن يجعل حسن راضيا عنه دائما  
كل الرضا •



كان عدلى جالسا في سيرايميس في انتظار صديقه الصحفي  
فخرى عبد النبي الذي كان يعمل تحت رئاسة حسن • وجاء فخرى  
وهو ملتاع خائف لا يطيق أن يخفى من لوعته أو خوفه شيئا ولم  
ينتظر عدلى أن يسأله بل عاجله •

— مصيبة سوداء

— ماذا ... قل

— قرأت اليوم نعيًا لعم حسن هنداوى

— نعم قرأته

— أنت أيضا

— وما العجيب في هذا

— يبدو أن أحدا لم يقرأه الا أنا وأنت

— كيف

— كان من الطبيعي أن أذهب الى العزاء كلمت زملائي فاذا  
هم جميعا يرفضون الذهاب ، منهم من يدعى المرض ومنهم من يدعى  
الشجاعة والعزوف عن النفاق • فقلت أذهب وحدى والأمر لله •

البلدة ليست بعيدة عن القاهرة استأجرت سيارة أجرة وذهبت ...  
ويا ليتنى ما ذهبت •

وقال عدلى وطيف ابتسامة يتماوج على فمه

— فعلا ياليتك ما ذهبت

— أنت أيضا تعرف

— لو كنت سألتنى لأخبرتك

— أأطلب منك أن تعزيه وأنا أعرف أنه حاول أن يعتقلك

— كنت سأرفض الذهاب ولكن ليس من أجل هذا السبب

— فلماذا

— أكمل حكايتك

— ذهبت فوجدت العزاء بلا سرادق ولا حتى كراسى وانسا  
جلسنا على الأرض وتحتنا شريط من الحصير • وكان أبو حسن  
يستقبل العزاء وعليه معطف حائل اللون يسلأ الرقق جوانبه جميعا •

— هذا هو السبب الذى رفض زملاؤك الذهاب من أجله

— أكلهم يعرفون ... أليس هناك خائب غيرى

— وفيهم خوفك

— أن يعرف أننى عزيتة

وضحك عدلى وقهقه ثم انخرط فى البكاء فى حزن شديد وأخذ  
فخرى وكأنما خشى أن يكون صاحبه قد أصابه مس من الجنون

— الله ... عدلى ... عدلى ماذا بك

وتماسك عدلى وصمت وناولته صديقه كوب ماء وشرب ثم  
تكلم وكأنما ينعى نفسه ...

— أهذه هي مصر • • يخاف فيه الشخص أن يعرف رئيسه  
أنه عزاه وعرف أنه سافل مع أبيه وضع ساقط المروءة • كان من  
الطبعي أن يخاف الشخص إذا لم يقيم بواجب العزاء أما أن تخاف —  
وأنت محق — لأنك قمت بالواجب فواضحة مصر • ولا يخاف  
الشخص الذي لم يقيم بواجبه أو ببعض واجبه نحو أبيه أصل وجوده  
وصاحب اسمه • وتكون أنت يا من قمت بواجبك مرؤوسا ويكون  
الآخر رئيسا • • • فلاى شىء صنع البكاء إذا لم يكن صنع لهذا الذى  
ترويه • وهو أهون ما نراه •

كيف أعيش فى مصر • لقد جربت أن أنافق وفشلت • • •  
لا شجاعة منى ولكن طبيعة تكوينى ترفض أن تتيح لى هذه الميزة  
التي تتمتع بها الكثرة • من أعرفهم •

مازلت أذكر ذلك اليوم الذى قمت به فيه بمراجعة دفاتر رجل  
الأعمال الشهير مرجان علوان الذى نجا من التأميم لسبب لا يعرفه  
أحد • ربما كان له هو الآخر عم كعمى • المهم راجعت دفاتره فوجدت  
أنه لص من أكبر اللصوص الذين نسمع عنهم • ووقفت أمام دفاتره  
حائرا • مكتب الدكتور فكرى ليس فيه مثل هذا وإن كان فيه  
ما عملت معه أو لما قبل هو أن أعمل معه • ولكننى أيضا لا أستطيع  
أن أرفض الزبون برأى المفرد فهذا قرار يجب أن يتخذه صاحب المكتب  
نفسه الموجود الآن بالكويت •

كان على أن ألقى مرجان • وجاء الرجل فى الموعد المحدد

— أنت يا عدلى بك رجل سمعتك مثل الجنيه الذهب

— ألف شكر

— وليس هذا غريبا على من له أصلك واسم أبيك نار على علم

— ألف شكر يا مرجان بك

— وأنا والحسد لله رجل لا أقبل مليما حراما ••• وأنت أطلعت على دفاترى ومثلك لا تخفى عليه خافيه ولو كان فيها لا قدر الله شيء لا ترضى عنه •••

ومضى الرجل يتحدث عن الشرف الذى يتمتع به وغفة اليد وكيف أنه لا يأكل على الحكومة مليما واحدا ••• وثبت أنه يملك مع ذمة اللص جرأته على الحق • وعزمت فى نفسى أن أؤيد كل كلمة يقولها عن نفسه وبدأت أرتب الحديث • استغفر الله يا مرجان بك أنت رجل فوق كل الشبهات ولا يجرؤ أحد أن يشك فى ذمتك ••• الى آخر هذا الحديث الذى تواضع المنافقون على قوله لكل اللصوص فأنا أعرفه ولست أغباه • كان المهم فقط أن أقوله • فأنا لم أقله قط لمن لا يستحقه • ظلمت أتمرن على الكلام طوال الفترة التى يتكلم فيها مرجان عن ضميره البقيد ويده الترفيفة وذمته النقية • ولم يكن حديثه قصيرا فالفترة التى أتيت لى المتسرين لم تكن قصيرة حتى إذا سكت مرجان وجدتني أقول فى عنوية وانطلاق دون أى ريث من تفكير •

— الحقيقة يا مرجان بك أنك أكبر لص التفتت به فى حياتى وسكت الرجل لحظة ثم انفجر ضاحكا بأعلى صوت له ووجدتني أقول :

— ولكننى لا أمزح يا مرجان بك  
وازداد ضحك الرجل • حتى إذا هدأ به الضحك قال :  
— العجيبة أن هذه هى الحقيقة ولكننى أسمعهما لأول مرة وقد كنت أفكر ماذا أنا صانع إذا جابهنى بها أحد •  
ولم أجد شيئا أقوله وكان الرجل غاية فى الذكاء فقد سرعان ما استرد وجهه ملامح الجد •  
— ان الحكومة التى تسرق الأفراد لابد أن يسرقها الأفراد •

— الحكومة شخصية معنوية تمثل الشعب أجمع وأموالها  
أموال عامة لا يجوز لأحد أن يسرقها والذين تتكلم عنهم يمثلون  
أنفسهم ولا يمثلون مصر • وعلينا نحن أن نؤدي واجبنا نحو بلدنا حتى  
لو كان هناك من لا يؤدي هذا الواجب •

— اذن فانت ترفض الدفاتر

— أنا شخصيا لن أكون مسئولاً عنها أما رفضها أو قبولها فمن  
حق صاحب المكتب الدكتور فكري وحده •

— أنا أعرف مكاتبتك عنده ومادمت أنت رفضتها فهو أيضا  
سيرفضها • فدعني آخذها ويا دار ما دخلك شر •

— هذا اليك

— أتصدقني ان قلت لك شيئا

— هذا يتوقف على ما ستقوله

— أنا معجب بك غاية الاعجاب

— ألف شكر

— ولكنني لا أتمنى أن تعمل معي ولا أن تعمل لى

— الآن صدقتك

ولم أعجب من الدكتور فكري حين رد على رسالتي التي  
قصصت له فيها ما كان من أمر مرجان ووجدته سعيدا بموقفي كل  
السمادة ولكن الدكتور فكري في الكويت • فكيف أعيش أنا في  
مصر • ومع من أستطيع أن أعمل • بل مع من أتكلم ••• كلام الناس  
في مصر همس بل لقد انقطع الهمس خشية أن تشي النفس بالنفس •  
مع من أعيش • مع زوجتي • وأبني وأمي • ولكن الحياة لا تستقيم

الا مع الحياة • اذا لم أر الى الناس وأجلس اليهم وأعيش حياتي  
كما ينبغي لانسان في مجتمع أن يعيش فما الحياة هذه مصرى أنا  
وهى مصر كل انسان فيها • فكيف تنحسر ملكيتها وتصبح مقصورة  
على عمى حبنى ومن يذهب الى شقته في خوافى الظلام الذى لا يخفى  
شيئاً •

كيف أعيش في مصر •• واذا أنا استطعت فما مصير حلمى أنه  
الآن في العاشرة من عمره وستلقفه في غد هذه الحياة فأى الطريقين  
سيسير فيه وأى النجدين سيهتدى اليه • أهو سائر في طريقى وطريق  
جده أم هو آخذ سمته الى طريق عمى • ان الدماء التى في عروق حبنى  
هى الدماء التى في عروقى • وهى نفسها التى في عروق ابنى حلمى •  
ففى نفسه فجورها وتقواها ••

ان البيت الذى نشأ أبى ونشأنى هو البيت الذى نشأ حبنى وهو  
نفسه الذى سينشأ في اجوائه وتعاليمه حلمى الحفيد فما مصيره •

واذا كان عمى حبنى قد اختار طريقه والحياة في مصر فيها  
الجانبان فما مصير حلمى وهو لن يجد الا جانبا واحدا هو جانب عمى  
حبنى ورواد ليااليه •



جاءنى عدلى وعرض علي حيرته تالك ووجد عندى الصمت  
المطبق • فقله كله حق • والله وحده يعلم مصائر الناس • ولا أستطيع  
أنا ولا أعتقد أن غيرى يستطيع أن يطمئنه • ولم أجد شيئاً أجيب  
به حيرته الا أن أسأله :

— ماذا تتوقع

— في أى شأن

— في شأن مصر



وصمت قليلا وقال :

— لم يبق الا الكارثة

وذھلت وأكمل :

— لكل أمر مستقر ولكل فورة نهاية • ومادامت الأمور قد بلغت هذا المدى فلا بد أن تنكشف عن قمة الهاوية اذا جاز هذا التعبير •

— أهذا ما تتوقعه •

— لابد للسائر أن يقف ولا بد للصاعد أن يبلغ القمة أو يهوى ونحن صاعدون قدما على جبل من أوهام وفساد وليس للفساد قمة الا الهاوية •

وما لبثت أن جاءت ٦٧ تحمل في طواياها كل ما تنبأ به عدلى • وكان ابنه حلمى قد تخطى الحلقة الأولى من حياته • ولكن عدلى لقينى والدموع فى عينيه وهو يقول :

— انها ليست على مصر الحاضر وحدها وانما على مصر الغد أيضا •

— أعوذ بالله •

... لو رأيت حلمى ابنى وكيف أصيب فى سنه هذه الباكه بانھيار عصبى •

— كل الشباب كذلك •

— الشباب نعم لأنهم شهدوا غير ما كانوا يسمعون ورأوا عكس كل ما كانوا يتوقعون • أما حلمى فهو لم يصبح شابا بعد • فما مصير جيله اذا أشرقت حياتهم على الحروب وافتتحوا مستقبلهم بالخراب •

\*\*\*

لمست أدري أى الأسباب كان هو الأقوى عند عدلى حين قرر  
أن يسافر الى الكويت •

فقد حدث أن أصيب الدكتور فكرى بأزمة قلبية في الكويت  
وحين شفى منها قرر أن يعود الى مصر وعرض على عدلى أن يقوم  
هو بأعمال مكتب الكويت •

— يا بنى يا عدلى أنا ليس لى أولاد ومكتب الكويت يدر  
مكاسب طائلة وحرام أن أقفله دون أن تستفيد منه فلماذا لا تذهب  
تقوم بشأنه ويكون لك نصف الأرباح والنصف لى طول حياتى  
حتى اذا أختارنى الله الى جواره تكون أنت قد تعرفت على الناس  
هناك وبارك الله لك فى المكتب جسيعه • وفى مكتب مصر أيضا •

وقبل عدلى ••• هل قبل من أجل المال ••• لقد كان عنده  
ما يكفيه ••• أكان يريد أن يهرب من مصر •• أم يريد أن يهرب من  
نفسه فى مصر • ولكنه سيلقى مصر ونفسه فى الكويت أو فى أى  
مكان • ولو كان استشارنى ما نصحت له بالذهاب • ولكن الانسان  
لا يستشير الا اذا كان مترددا فهو اذن لم يتردد وغادر مصر الى  
الكويت وتركنى أنا أقول لعله كان يريد أن يعمل أى شىء غيب  
السكون والصمت والجمود • فليس هناك سبب واحد يجعله يترك  
مصر وزوجته وابنه وأمه الا أنه كان يريد أن يصنع أى شىء •••  
أى شىء حتى ولو كان هذا الشىء ترك نفسه الى ما لا يدري •••  
لعله كان يريد أن يبحث عن نفس أخرى لا تضيق عليه الخناق  
ولا تلهيه بعذاب القلق •

ربما هرب من التراجع بين الأمل واليأس الى احدى راحتين •  
مسكين عدلى فما كان يعرف الى الهدوء سبيلا • ولو كان على غير  
ما هو عليه لكان الهدوء ملك يمينه ورهن اشارته •

١٩

سمعنا عن قصة ذلك المهندس الذى استدعاه صاحب أحد المصانع ليرى رأيه فى آلة توقفت عن العمل وكانت الآلة تساوى ملايين الجنيهات وكان المصنع قد أخذ قراره بالاستغناء عنها وشراء غيرها الا أن القائمين بأمر المصنع أرادوا أن يكونوا على ثقة من قرارهم فاستقدموا هذا المهندس ليعطى رأيه وليصدر قرار المصنع النهائي • ورأى المهندس الآلة وقال فى بساطة :

— أستطيع اصلاحها ويمكن أن تعمل بعد ذلك عدة سنوات أخرى •

ووافق صاحب المصنع ولكن المهندس طلب أجر اصلاحه للآلة خمسين ألف جنيه ولم يجد صاحب المصنع بدا من الموافقة •

ولبس المهندس حلة العمل وأمسك بعض المفاتيح وواجه الآلة وربط مسمارا هنا وآخر هناك واستغرق عمله ساعة أو بعض الساعة وضغط على زر الآلة فعملت وعادت وكأنها قادمة لتوها من مصنعها • وخلع حبلته وذهب الى صاحب الآلة وطلب أجره • ولكن صاحب المصنع

بعد أن دارت الآلة ذات الجنيئات الملايين استكثر أن يدفع خمسين ألف جنيه من أجل ساعه عمل واحدة وقال للمهندس :

— أتريد خمسين ألف جنيه من أجل عمل ساعة واحدة

ولكن المهندس قال له في ثقة :

— لا يا سيدى اننى اتقاضى خمسين ألف جنيه من أجل عمل خمسين سنة فالخبرة التى قدمتها لك فى ساعة واحدة اكتسبتها أنا فى خمسين سنة •

وأمام هذا المنطق الحاسم لم يجد صاحب المصنع مناصا ان يدفع الأجر الذى اتفق عليه •

ولكن بعض الدول العربية مازالت تفكر بتفكير صاحب المصنع ، وقليلة هى الدول التى تفكر بتفكير المهندس • فالخبرة التى تقدمها مصر الى الدول العربية هى خبرة آلاف السنين تلقوها من أجدادهم الذين بنوا الأهرام مارين بكل ما مرت به مصر من تجارب فالصانع المصرى لا مثيل له فى العالم والعلماء المصريون يقفون مع علماء العالم على قمة واحدة والمثقف المصرى هو منارة العالم العربى أجمع •

فسألى أرى الناس فى الكويت تعاملنا نحن المصريين المقيمين فيها هذه المعاملة وقد شهدتهم يستقبلون الأدباء المصريين والعلماء والفنانين أعظم استقبال ويحتفون بهم كل الاحتفاء ويجلونهم غاية الاجلال •

ولكن المقيم عندهم لا يلقي من هذا شيئا • وأعرف أن الشعب الكويتى مثله مثل الشعوب العربية جميعا يحب مصر والمصريين غاية الحب ولم لا وقد تعلموا على مدرسيهم وحفظوا شعرهم وغنوا غناءهم • فما بالهم اذن اذا أقام معهم المصريون تكبروا وشخخوا عليهم

بأنوف عربية من شأنها أن تعرف الكبرياء ولا يجوز لها أن تعرف  
التكبر • يذكروننا بيت الشعر القديم :

وكان بنو عمى يقولون مرحبا فلما رأوني معدما مات مرحبا

وعلم الله ما أصبحت مصر معدمة الا بطروف القاهرة فرضت عليها  
فرضا ولم نخترها وعلى أية حال فقد انفتت مصر على الحروب العربية  
ما أبهظ مقدراتها بقدر ما أبهظها المتلفون الذين اضاعوا أموالها واذكر  
البيت القديم أيضا :

يعبرنى بالدين قومى وانما ديونى فى أشياء تكسبهم حمدا

أكان ذنبنا أن حاربنا نحن وخلصنا بالمال دماءنا دفاعا عن العرب  
أم كان ذنبنا أن تولى أمرنا من جلب علينا هزيمة ٦٧ • ولماذا اعتبرت  
هزيمة ٦٧ هزيمة لمصر وحدها ولم تعتبر هزيمة للعرب أجمعين •

يعيروننا فى الكويت وفى العراق وفى دول الخليج بالهزيمة  
ونصلى نحن المصريين مرارة الخجل والهوان وأصبح فى نفسى :

لم أكن من جناتها علم الله وانى بحرهما اليوم صال

أمن أجل هذا اللقاء تركت وحيدى حلمى وزوجتى الحبيبة  
حورية وأمى التى تتلهف على فى غيبتى وتخشى أن يوافيها الأجل وأنا  
عنها بعيد •

ولكننى قبلت ما عرضه على الدكتور فكرى وان كنت أستطيع  
أن أضيع حق نفسى فما أنا بمستطيع أن أضيع حق رجل وهب لى  
ثقتى واعتمد على • فما هكذا نشأت وما بهذا يرضى أبى •

فلاصلاها اذن أياما قاتمة والأقضى للدكتور فكرى حقه على •  
بل ان هنا فى الكويت أيضا قوما وضعوا ثقتهم فى ما أحسب أنه يجوز  
لى أن أتخلى عن ثقتهم قبل أن أربى هنا ممن يساعدونى من يطبق أن

يحصل هذه الثقة ويؤدي الأمانة التي أوديتها • وليظن منهم من يظن  
أننى الى المال أسعى فأنا أعرف ما فى نفسى وحسبى هذا ارضاء لها •  
وليس السعى فى سبيل المال أمرا تأباه الكرامة •

أنا هنا أعرف كيف أعامل من يسيء الى فان من كان عزيزا  
فى قومه يعرف كيف يكون عزيزا فى أى قوم •

وأنا أضع كرامتى فى مكان لا يستطيع أن يرقى اليه انسان ذنا  
تطاول أحد على فانما الى نفسه يسيء وليس الى • وتعجبني كلمة  
قالها معاوية لابنه يزيد حين رآه يضرب غلاما له « أتعلمه الأدب بأن  
تضيع أنت أدبك » ولم يضرب يزيد غلاما له بعد ذلك قط • وأنا هنا  
لست على استعداد أن أعلم أحدا الأدب وأفقد فى سبيل ذلك أدبى  
فلا تذرع بالحلم وليقضى الله أمرا كان مفعولا •

\*\*\*

تتابعت الأحداث فى مصر وكان عدلى يعود الى أهله أسبوعا فى  
كل شهر وكان يعد مكتبه فى الكويت ليقلب الأمر ويزور بعد ذلك  
مكتب الكويت أسبوعا فى كل شهر فقد كان حلى يشب عن الطوق  
وكان عدلى مصرا أن يكون الى جانب ابنه فى هذه الفترة التى  
يتكون فيها أساسه فقد كان عدلى يرى أن يقوم هو بواجبه نحو ابنه  
ويترك المستقبل لمن عنده أم الكتاب •

حدثت ثورة مايو واسترد شعب مصر قدرا كبيرا من حريته  
وبدأ الناس يتنفسون جها بعد ان كانوا يتنفسون خفية واصبح  
كل فرد فى مصر يحاول ان يذكر الآخرين بنفسه بعد ان كان كل فرد  
فى مصر يتمنى لو ينساه الآخرون •

كان عدلى فى مكتبه بالكويت حين طلبته السيدة ألفت حشمت  
بنت.أخى الدكتور فكرى لتخبره أن الدكتور فكرى قد عاودته الأزمة

القلبية • وانها تكلمه دون علم عمها ولكنها تدرك العلاقة بينهما  
وأحست أنه ينبغي عليها أن تخبره •

ووصل عدلى الى القاهرة فى أول طائرة ولم يقصد الى بيته وانما  
سارع من فوره ومعه حقائبه الى بيت أستاذه • وكان الاطباء قد منعوا  
الدخول الى حجرته ولكن السيدة ألفت استثنت عدلى من هذا  
المنع وطفرت الى وجه الرجل فرحة حب لا تطفز الا على وجه أب  
يرى ابنه •

— كيف انت يا عدلى

— طمأننا الله عليك يا دكتور

— اطمئن

— أرجو ألا تتكلم

— اذا مت ذهبت الى مكان سعيت عمرى أن أذهب اليه وان  
عشت فأنا مطمئن بوجودك الى جانبى •

— أطال الله عمرك •

— لا يهم ••• مصر الآن بخير ••• وما بنيته أنا سيصبح فى  
يد أمينة • لم أعش عبثا يا عدلى يابنى وهل هناك أجمل من أن يحس  
الانسان أنه لم يعيش عبثا •

— سأتركك لأنك تتكلم كثيرا •

— وما له دعنى أتكلم فانى سأصمت طويلا

— اتركك بخير ••• هل تأمر بشيء

— خذ بالك من نفسك ومن ابنك حلمى ••• اجعله يصبح مثل  
أبيك أو مثلك على الأقل

— وهل بيدى

— حاول

— أنا سعيد أنى رأيتك

— وسترانى دائما

— ربما وانما أعتقد أنك انت لن ترانى

وخرج عدلى وكأنما كان الرجل يطلع على وجه الغيب فقد كان  
هذا آخر لقاء بينهما \*

واستمرت أعمال المكتبين فى مصر والكويت على حالها لم تتغير  
فقد كان زبائن المكتب قد عرفوا عدلى وأطمأنوا الى عمله فلم يترك  
أحد منهم أيا من المكتبين \*

وكانت ألفت ميسورة الحال وكان زوجها ميسور الحال أيضا  
ولكن عدلى أصر أن يكون لها مرتب ثابت من المكتب فاذا هى  
تلقاه :

— ما هذا المبلغ الذى أرسلته الى

— أهو قليل

— هو غير مفهوم

— انه مرتب شهرى أعتقد أنك تستحقينه من مكتب عمك

— لم يصبح المكتب مكتب عمى

— هو الذى أنشأه

— ولكنك الآن تقوم بشأنه وأنت تعلم أننى والحسد لله غير  
محتاجه

— أعلم ذلك كل العلم ولكن أنا أقوم بما أراه عدلا

— هل من العدل أن تعمل أنت وأتناول أنا مرتبا



- لولا عمك ما عملت
- لقد ورثت كل أمواله فقد باعها لى منذ سنوات دون أن يتلقى ثمنها لها أما المكتب فقد كانت ارادته أن يؤول اليك •
- أعلم ذلك
- فما هذا المرتب الذى تريد أن تجريه على
- أريح به ضميرى
- فهل فكرت فى ضميرى
- اسمعى يا ألفت هانم هذا نقاش أشعر معه بنوع من السعادة انقطعت عن الشعور بها منذ سنوات •
- والعجيبة أننى أنا أيضا أشعر بجو أصبح غريبا على زماننا
- فما رأيك أن يكون هذا المبلغ الذى قدرته لك نواة شيء طيب بيننا •
- كم هو
- ألم تعديه
- لا والله وجدت نقودا فى ظرف ومعها بطاقة منك فجئت اليك من فورى
- أنت ست عظيمة
- وانت رجل عظيم
- المبلغ مائة جنيه
- هذا كثير
- اسمعى ما رأيك لو أنك ادخرت المبلغ ثم نلتقى كل عام فى مثل هذا الشهر وتقرر جهة البر التى تقدمه اليها •

- موافقه
- عظيم
- ولكن انتظر ... باسم من يكون التبرع
- باسمك طبعاً
- أكون قد ادعيت لنفسى فضلاً ليس لى
- وجدتها
- فقلها
- باسم المرحوم الدكتور فكرى الدهشان
- هو ما قلت •



ان الذى يبنى مجده على أكتاف الآخرين يزول مجده بزوالهم •  
فمجدك أن لم تمنعه يدك على أساس من الكفاءة والعمل الجاد  
انما هو سراب قد يفرح به الرائي ولكن اذا بلغته الحقيقة وجدته  
وهما من الوهم وهباء من الهباء •

ولكن الذين يخدعون أنفسهم مساكين فهم أول من يصدق  
أنفسهم حين تخدعهم •• وهم فى خداعهم هذا يعمون عن الحق  
ويطيشون عنه ويظنون أن مجدهم هم صانعوه وهيهات لهم أن يتبينوا  
الحقيقة من أنهم نباتات متسلقة على أشخاص آخرين • فاذا شاء حظهم  
التعس وزال هؤلاء الآخرون طالعتهم الحقيقة صريحة صارخة لا قبل  
لهم بمواجهتها ولا قبل لهم بتجاهلها وويل لهم من أنفسهم حينذاك •  
فالنفس الممزقة والحقيقة التى تكشف الوهم وتجعل الدجل ينماع  
الى زوال ويتهافت الى تلاش وينهار الى هباء تجعل الواهمين الدجالين  
فى سعار من الجنون يتخبطهم الشيطان فيعرف الناس عنهم أعماق  
الأعماق التى كان يغشوها الوهم ويدود عنها الدجل الرؤية الصادقة •  
وقد يغيب الحق عن الظهور بعض الوقت ولكنه فى موعده قادم

لاشك • وهو في قدومه موكب له طبل وزمر وزفاف كفيل أن يجعل  
الخداع مهتك الاستار والدجل مفضوحا ليس له عن غطاء ولا وقاء •

لهذا لم اعجب وأنا في الكويت حين كنت أقرأ مقالات حسن  
فالعهد الجديد يرفض أن يعطيه ما كان يعطيه العهد الماضي • فإذا  
هو يبالغ في مديح الماضي وهو في مذبحة لا يملك أدلة من واقع •  
فالهزيمة ماحقة والجراح من النفوس والجسوم مازالت تنزف وليس  
هناك نظرية واضحة المعالم يستطيع أن يتخفى وراءها كما كان يتخفى  
حامد وراء نظرية • وهكذا أصبح موقف حسن مضحكا • وكلما  
كتب ازداد الناس ضحكا منه ولكنه ضحك موجه مؤلم كله سخرية  
من ذلك الذي خدعهم حينما تم تكشف أمره عن بلياتشو كانت الأصابع  
تغطي وجهه ثم ازالها مياه الحرية فإذا هم يتبينون أن الوجه لم يكن  
وجهه وإنما كان وجه الآخرين •

ان الشيوعيين حين يدافعون عن رأيهم يجدون نظرية مهسا تكن  
فسادة سفاقة قاتلة للانسان في الانسان الا أنها على كل حال نظرية  
اعتنقها سفاكون وفرضوها على دول • وهكذا كان حامد يستطيع  
أن يقول ويجد ما يقول • أما حسن فعن أى شيء يدافع • • • ليس  
في يده الا وقائع كلها عسف وبطش وجبروت واعتداء على كل ما هو  
انسانى جسسا كان أو روحا أو كرامة •

ووجد حسن مدخله الى الحديث من باب ضيق حشر نفسه فيه  
فلم يخرج فقد راح يدافع عن الهزيمة ويبين أنها أمر لايسكن تلافيه  
وأن التفكير في حرب أخرى انما هو الخراب الآخذ الشامل الذي  
لا خراب مثله • ويقرأ الجيش هذا الكلام فيزداد سخطا على حسن  
ويقرأ العرب هذا الحدث فيزدادون اشتزازا من الكاتب ورفضاً له •

فقد كانت الحرب هي الأمل الوحيد الذي يتحدثون به وقد  
كنت أنبا بعد الهزيمة واثقا أنه لا حرب هناك • وكيف تكون

الحرب مع جيش هزم الجيش المصرى فى ساعات والجيش السنورى  
فى دقائى •

ولكننى مع ذلك كنت لا أميت الأمل فى نفس محدثى • وأذكر  
بيت الشعر :

إذا تمنيت نمت الليل مغتبطا ان المنى رأس أموال المغاليس  
وقد كنت أعتقد اعتقادا راسخا أننا أصبحنا أكثر هوانا من كل  
مغاليس العالم •

أما أنا فلست كاتباً وأنا لا أنشر رأيى على الناس فمن حتى  
أن أظن ما أشاء وأعتقد ما أريد أن أعتقد ما دام هذا الظن وذلك  
الاعتقاد جيبسين فى نفسى لا يخرجان منها الى كلام منشور فى صحف •

أما الكاتب فإنه وإن كان واجبه أن يكون انذارا للناس ونورا  
لهم ومصباحا على غدهم ، وكشفاً لأمسهم الا أنه لا يجوز أن يكون لهم  
حسرة وبأسا • فاذا توجس وجب عليه أن يذكر مكان الأمن وإذا  
حذر تحتم عليه أن يبين طريق الرشاد • أما أن يكون ارتكاسة  
مع الحكام ومعولا مع الخراب وهزيمة مع الهزيمة فهذا ما لا يرضاه  
أحد من كاتب ولا يرضاه أحد له •

وقد كان حسن ارتكاسة وحطاما ومعولا وخرابا وهزيمة فى  
وقت معا •

فى أول رمضان جئت الى القاهرة لأقضى الشهر مع حورية وحلمى  
ومع أمى • وبدأ الشهر • • بدأ طبيعيا ولكن ما كادت تمضى منه  
أيام ستة حتى انفجر فى العالم العربى ذلك الخبر الذى قلب موازين  
العالم أجمع •

مصر تعبر القناة •

كان حلمى فى تلك السن التى تبهرها الأنباء ولا تطل الى

ما وراءها فاذا الفتى يكاد يجن من الفرح فهو رائج غاد في البيت وفي يده الراديو أو وهو ممسك به عيناه على التلفزيون التصقتا به •

أما زوجتي فهي خائفة على الشباب الذي يحارب وهي في نفس الوقت فرحة سعادة • فهي تعتقد أنه لم يكن لنا سبيل إلى استعادة الحياة إلا بحرب أخرى ولتكن نتيجتها ما تكون • أما أمي فلا تترك كرسي الصلاة على السجادة فقد كانت لا تستطيع أن تصلي إلا وهي جالسة وهي تدعو الله في مجرد كامل لوجهه سبحانه أن يحيى أبناء مصر المحاربين •

أما أنا فقد كان أمرى عجيباً • • • لقد توقعت هزيمة محققة • والآن وأنا أفكر بعد كل هذه السنوات أجدني كنت محققاً في تفكيري • • • والا فكيف لجيش هزم منذ ست سنوات فقط في ست ساعات أن يعود إلى حرب أشد شراسة بنفس الرجال ونفس السلاح ويريد أن ينتصر •

اتقد كان في الحرب الأولى مع العدو على أرض واحدة لا تفصله عنه حدود من طبيعة أو من صنع الإنسان • والآن يريد أن يعبر القنال • يحطم خط برايف • ما فيه من السنة لهب • شلمها لنا كنار جهنم • ثم ينتصر •

أينهمز ولا حدود بينه وبين عدوه وينتصر وبينه وبين عدوه • • • هيهات !!

ولكن • الآن • لابد أن أقول إذا لم يكن الجيش قد انتصر وأمامه كل هذه العقبات لما حقق المعجزة وقد شاء ربك من فوق مساوات سبع أن يقول لعباده آمنوا بي فإن أكن قد قطعت عنكم رسالات النساء فاني أرحم بكم من أن أقطع عنكم معجزاتها •

وتست المعجزة •

ويمارى فيها أقوام فى نفوسهم احن وأحقاد مثل حسن وحامد  
ولكنها معجزة • وما لهذين ولأمثالهما ألا يماروا • والا فماذا كنا نريد  
منهم أن يقولوا ••• أعيدوا إلينا شلالات الأموال التى كانت تنسكب  
علينا وآيات المجد التى كانت تحيط بنا وطقوس الاجلال التى كانت  
تفرش تحت أقدامنا •

وما لهم ألا يماروا وقد خسروا بانتصار مصر طريقهم الى خراب  
مصر •

أستعاد حلمى ابنى نفسه وأحس أنه انسان مكتمل وفى يوم  
وقف اطلاق النار فوجئنا به على المائدة يقف والدمع فى عينيه ويصيح  
بأعلى صوته ••• أنا مصرى ••• بابا أنا مصرى ••• نينا أنا  
مصرى ••• ماما أنا مصرى •

كانت بداية مشرقة لعامه المدرسى فقد كان فى الثانوية العامة  
وقد اختار هو دون أى تدخل من أحد أن يكون فى القسم العلمى •  
وكانت درجاته العلمية تتيح لى أن أستبشر خيرا باختياره هذا •

وكان حلمى فى الأجازة قد وثق صلته بقريتنا الرمايحه وقد أغراه  
فريد بن الحاج سعدون الذى أصبح يشرف على أرضنا بعد أبيه أن  
يربى بعض عجول بدلا من أن يترك العزبة خالية من البهائم تماما •  
وقد أحببت أن يرتبط عدلى بالرمايحه وشجعت تحمسه المراهق وفرح  
وبدا مشروع • وقد كان الفتى يعرف حقوقه وواجباته وكنت واثقا  
أن اشتغاله بالعجول لن يشغله عن الدروس وكنت أمزح معه قائلا :

— يا عدلى يابنى العجول لا تغنى عن العقول •

ويبتسم فى ثقة ويقول :

— لا تخف •

\*\*\*

انتهى شهر رمضان وعدت الى الكويت لأقضى بها أسبوعين • •  
 لقد عادت مصر الى مكانها بل انها عادت الى أرفع مكان تبوأته في  
 تاريخها ، وما لها ألا تعود وقد حققت النصر الوحيد في العصر الحديث  
 ولكن عجيبة • • • أم تراها ليست عجيبة • لقد كانت الهزيمة هزيمة  
 مصر وحدها ولكن وبقدرة قادر أم ترانى يجب أن أقول بقدرة ظالم  
 أصبح النصر نصر العرب أجمعين • • • لا بأس فليكن كذلك ، وهل  
 مصر والعرب الا كما قال الشاعر :

وهل أنا الا من غذية ان غوت

غويت وان ترشد غزية أرشد

وانتهى الأسبوعان • وركبت الطائرة عائدا الى القاهرة •  
 شعور عجيب يتولاني كلما عدت من الخارج الى مصر • مهما يكن  
 المكان الذى كنت فيه والذى أعود منه الى مصر • أنا دائما مشوق  
 اليها بكل حال هى عليه • انا مشوق اليها والظلم يتغشاها ويتغشاني  
 معها ومشوق اليها وحقي وحقوق المصريين مكفولة • مشوق اليها  
 حتى بعد أن خامرها ما خامرها من طريق غير سوى • ماء متفجر • كبرياء  
 مقطوعة وتليفون لا ينطق • بل ربما أنا أشد شوقا اليها • هى في  
 تلك الحال من شوقى اليها وهى لا تعانى • وهل نعرف قيمة الأم الا اذا  
 مرضت الأم • وهل نجبها فى مألوف أيامنا قدر ما نجبها • هى تنابى •  
 وأما الخالدة تعانى فنحن أبناءها أعظم لها حبا وأكثر اليها لفتة وأشد  
 عليها حرصا •

لقينى حلمى فى البيت وما هدا بى المقام حتى وجدته ينتهز  
 فرصة صمت ويسارع قائلا فى لفتة وقد وضع لى أنه كان ينتهز  
 ما يقوله منذ أيام وينتظرنى متعجلا عودتى ليعرض على ما يدرسى •

يا بابا من المفروض أن يأتى الى المعجول ملبى بيطرى ليرى  
 ان كانت قد بلغت الحجم الذى تستحق معه الجسة المخصصة لها من



العلف أم لا • وقد جاء الطبيب ورأى العجول وقرر أنها لا تستحق بعد تلك الحصة وقبلت رأييه كأمر مقرر ولم أناقشه وخرج الطبيب من المنزل هو والتسورجى الذى يعمل معه ولكن ما هى الا دقائق حتى عاد التسورجى ليهمس فى أذنى اذا كنت تريد أن يقرر الدكتور حصة العلف فادفع خمسة جنيهات عن كل رأس وسألته لمن قال للدكتور قلت أهى تمعة أو ضريبة حكومية مثلاً قال لا وانما هى أكرامية للدكتور ، قلت ولك قال اللى تشوفه قلت ولكن الاكرامية من الاكرام والاكرام لا يكون بالعاية قال والله أمرك قلت أتركنى أفكر فى الأمر • والحقيقة أن المبلغ بسيط لا يستحق التفكير ولكنى يا بابا لا أتصور أن أبدأ حياتى بالرشوة وفى نفس الوقت أرفض أن يقع على ظلم لأننى رفضت أن أقدم رشوة ... ماذا أفعل •

ولا أدري ان كان قد ظهر على وجهى ما شققت به من ذلك الحديث أم لم يظهر ، فجعت فجعة كبرى • ليس الأمر غريباً على • ولكننى شأن الناس أرى الشيء وهو بعيد ولا أتوقع أن يلاقينى أنا فى طريقى • ماذا أنا قائل لابنى الآن أقول أقبل أن تكون راشيا • هذه هى المثل العليا التى يريد أب مثلى أن يرسىها فى نفس ابنه • وماذا سيكون أمرى أمام ابنى وهو يرفض لنفسه أن يكون راشيا وأنا أقبل له هذا • أم أقول له أرفض وهو يريد أن يخوض الحياة وقد بدأ خوضها فعلاً بتلك العجول التى يربىها • وكيف يستطيع خوضها وهو بكل هذه الطهارة ويل لمصر مما مر بمصر •

قد يصلح الطريق فيها للسيارة ولكن ما أظن أنه سيصلح للمشال العليا • وقد لا تنقطع فيها الكهرباء ولكن نور الشرف سيتأخر عن الانارة • وقد يتحدث التليفون ولكن شقة عمى مازالت تعمل ومازال التليفون يستعمل فى اقامة لياليها •

قلت لحلمى فى حسم :

— حلمى مادمت قد دخلت الى الحياة فينبغى أن تقرر طريقك  
فيها وحدك... أنظر أنت ماذا تريد أنت أن تفعل وأفعله •

قال الفتى فى حسم :

— بابا... أنا لن أدفع مليما واحدا وليكن بعد ذلك ما يكون •

قلت فى نفسى : لهفى عليك يا بنى... لقد اخترت طريقك لاشك  
فى ذلك فاللهم يارب العالمين يا حق يا عدل يا سبحانه ثبته على هذا  
الطريق وأن لقى فيه ما لقى الحسين بن على •

وقررت أن أقيم فى مصر • هنا بجانب ابنى فانه فى هذا الطريق  
سيحتاجنى لأكون له نسمة هواء فى هجيريه ونفحة دفاء فى جليدة •  
أنا هنا •

٢١

قال لى عدلى :

— ماذا أصنع الآن •• ان عمى حفى يرسل الى كثيرا من الزبائن وكلهم أصدقاؤه وكلهم من ذوى الصداقات ذات النفوذ • وأنا لا أحب صداقاته هذه ولا أعرف ما تخفى ولا أدرى أقبل أم أرفض •

وأسقط فى يدى فان كان هو يدرى ما وراء هذه الصداقات أو كان لا يريد أن يدريها فانا أدريها كل الدراية فان قلت له أقبل خنت نفسى وخنته وأن قلت له أرفض أقتلت من دونه بابا واسعا من أبواب الرزق • وليس الرزق له وحده فربما كان فى وفرة تغنيه عن المال وتغنيى عن الحيرة ولكن الرزق أيضا للشباب الكثيرين الذين يعملون معه والذين يريدون أن يتعرفوا على هؤلاء الناس ويشقوا طريقهم فى الحياة كما شقه أستأذهم عدلى • ولم أجد شيئا أقوله الا أن سألته :

— ألم تخبرنى عن موقفك من مرجان حين أراد لمكتب الدكتور فكرى أن يكون مسئولاً عن حساباته •

- أما زلت تذكر
- وأنت أيضا يجب أن تذكر
- فهست ما تعنى
- فلا حيرة اذن
- فيما يختص بالزبائن لم تعد هناك حيرة
- اذن
- حيرتى لن تنتهى ... لن تنتهى •

وعرفت ما كان يقصده تماما ولكننى أيضا كنت سعيدا  
بتخلصى من الاجابة على سؤاله ولم أشأ أن أوقع نفسى فى حيرة  
جديدة معه •



شمل السلام مصر واتهمها من اتهمها انها باعت القضية بقبضة  
من الرمال وعلم الله أن مصر لم تبع القضية وانما أقامتها على أسس من  
المنطق والعقل بعد أن ظلت أعواما لاشيء الا هتافات وشعارات  
وصراخا لا معنى له ولا قوام ولا عبق • وعلم الله أن هذه الرمال  
انما هى أرض مصرية عزيزة على مصر • ولست أدرى لماذا تكون  
أرض مصر وحدها هى الرخيصة وكل أرض غير أرضها عرض وشرف  
وكرامة ومستقبل وماض وحاضر وتاريخ • لم اذهب الى الكويت  
وان كان مكتبى ظل يعمل به تحت اسمى • وأصبح من بين تلاميذى  
الذين مرتتهم هناك من يستطيع أن يقوم بالعمل خير قيام ومن أعتقد  
أنه نال الثمة فى نفسه ومن الزبائن • وتركت أمر المكتب لم أعد أفكر  
فيه واستغرقنى عمل المكتب فى القاهرة فقد نشطت الحركة الاقتصادية  
فى مصر بصورة لم أر لها مثيلا فى حياتى وأتسع مكتبى اتساعا لم

أكن أنتظره ولكن الذى يحيرنى هو النظام الذى يقوم عليه الاقتصاد فى مصر • فهو نظام فريد فى العالم لا شبيه له •

فهو باليقين والقطع ليس نظاما شيوعيا وهو أيضا ليس نظاما اشتراكيا • وهو أيضا ليس نظاما رأسماليا • انما هو خليط من هذا جميعه • يأخذ من كل نظام بطرف والنظريات ليست على استعداد أن تقبل معها نظاما جديدا خلقت الظروف الشاذة فى حياة مصر ولم تخلقه التيارات الطبيعية التى تولدت عنها النظريات الأخرى ما نجح وما ثبت فشله • والذى لاشك فيه أن هذا النظام المضطرب الذى كان الاقتصاد المصرى يعاينه هو ابن شرعى للنظام السياسى المترجح الذى كان يحكم مصر • فلا كان النظام فى مصر ديكتاتوريا كاملا يترأسه حاكم باطش مخيف ليس يبقى لأعدائه من باقية وليس يعرئ فيهم حق اله أو كرامة انسان أو شرف آدمية • ولا كان النظام أيضا ديموقراطيا مطلقا ومن أين له بالديموقراطية وقد قتلت أصولها منذ ربع قرن ولم تعد لها أدوات ولا أحزاب ولا أشخاص •

ويبد الحرية الوليد وآثار الديكتاتورية قتل رئيس النظام وتغيرت الأوضاع فى مصر بعض الشئ فبقيت وجوه على المسرح وأخرى تبدلت بقوم آخرين انما الذى عنائى بالذات أن شقة عمى قد أقفلت أبوابها وبدأ عمى يبحث عن يؤجرها منه ايجارا مقروشا • ولكن أن يكون وجوه القوم الذين كانوا يعمرن شقة عمى قد غابوا عن الواجهة فان أذناهم يملأون أرجاء مصر منتشرين فى كل مرفق من مرافقها ما لهم عنها من منصرف •

قلت له :

— أتقص على كل هذا وكأنتى لا أعرفه  
— بل أعرف أنك تعرفه ... بل وتعرفه كل المعرفة

- ففيم اذن أتعبت نفسك
- لا بد من شكرى لذى مروءة
- أشكر لك حسن ظنك .. ولكن ماذا بعد الشكوى
- اما جواب منك أو أظل أنا على حيرتى
- وفيم الجواب وأنا لا أعرف بعد ما السؤال
- ابنى
- مانه
- لقد انتهى من دراسة الطب
- وهذه أيضا أعرفها
- والأطباء فئة فيهم الملائكة وفيهم الوحوش القاتلة السفاحة  
السفافة •

ب هو ما قلت

- وحلمى ابنى يحمل دم جدى • وهذا الدم أخرج أبى وأخرج  
عمى • فالى أى فصيلة من الفصيلتين سينتسب حلمى • وهل طريقه  
مسبغة الذئاب الباطشة أم مسباح الملائكة ... لكم أخاف عليه ...  
ان الذى أشاهده فى مصر لا يفرش الطريق الى مسباح الملائكة وهو  
مهيأ كل التهيؤ أن يجعله الى الوحوش يميل •

- أو لم يكن الأمر معك أشد عسفا وجورا؛ وظلما
- لو كنت واثقا أنه سيصبح مثلى ما احترت
- ومن الذى يستطيع أن يعرف الغد
- وأخاف عليه أن تطالغه سمعة عمى حيثما اتجه

— وأى شيء تخشاه من هذه السمعة ... أتخشى أن تكون.  
عائقا له أم تخشى أن تكون طريقا له مفروشا بالورد والرياحين والزئبق.  
الذى كان يملأ شقة عمك •

— أخاف عليه من الأمرين كليهما ... فكل من الفرضين أشد.  
هوانا من صاحبه •

— هل طالعك أنت سمعة عمك

— لست أذكر

— فلماذا تخشاها عليه وهى لم تهددك أنت وأنت الى عمك.  
أقرب من ولدك اليه

— الحيرة تقتلنى

— ألم تشعر أنك أديت واجبك

— كل انسان يطمئن نفسه بهذه الجملة

— أتخس أن هناك شيئا كان يجب أن تصنعه ولم تصنعه

— لا أظن

— أفلا تترك الأمر لله الذى ألزم كل انسان طائرته فى عنقه •  
اترك ابنك يلزم طيره والزم أنت طيرك وتوكل على الله •

وصمت عدلى ... ولكن أكان صمت الطمأنينة وزوال الحيرة.  
لا أظن ... بل انى واثق أنه على حيرته ما تزال مسلط عليه ما كتب  
على الانسان الا يعرف ماذا يكسب غدا • ذلك القانون الذى يتمثل.  
فيه عذاب الحياة وتتمثل فيه متعتها أيضا •

( تمت )





# أخبار العالم



أَحْلَامُ فِي الظَّهِيرَةِ





حين كان الزمان مثل الموسيقى الحاملة الهادئة وكان الناس فيه  
أنعاما ساجية حاملة \* ذلك الزمان الذى لم نره نحن وانما هو بالنسبة  
الىنا روايات عن الآباء تلقفوها عن الأجداد فأصبحنا ولا نعرف عنه  
الا مباهجه ومتعته ، الجلسة الهادئة المليئة بالسعادة والضحك والهناء ،  
فالأجيال جميعا تحب أن تنظر الى أمس الغارب وتكره الحاضر  
وما تشهده فيه من صراع وتخشى المستقبل الذى تطل عليها بواكيره  
مكشرة الأنياب رهية السمات \*

ذلك الزمان البعيد عنا هو أحب الأزمان علينا لأننا لم نشهده  
ولا نستطيع أن نعرف منه الا ما حلا للأجداد أن يرووه لأبنائهم الذين  
هم آباؤنا ونقله الىنا الآباء سعداء بما ينقلون مقارنين دائما بين  
الخير الذى كان يشيع فى جوانبه والشر الذى يفشو فى الزمان الذى  
يعيشون فيه \* وهكذا أصبح شأننا نحن أيضا لا يختلف جيلنا الحاضر  
عن أجيالنا السابقة فأصبحنا ساخطين نحن نفوسنا الى هذه الملاوة من  
الزمن التى كنا فيها بلا مسئولية وبلا صراع وكان آباؤنا يحملون عنا  
العيب جميعا ونحن نتصور - كما يتصور أبنائنا اليوم - أن عليهم

أن يحملوا العبء وعالينا نحن أن نسعد وعليهم هم أن يحبونا وعالينا نحن أن نحترمهم فقط ثم لا نصنع شيئا من بعد •

في ذلك الزمان البعيد بدأت أسرة وهدان تتكون • وكان رأس الأسرة طفلا يريثا في الملعب يلهو مع أترابه من الأطفال لا فارق ثمة بين طفل وطفلة ولا بين قادر بسط الله الرزق لأبيه وبين معسر قدر الله سبحانه - لحكمة لا يعلمها الا هو - الرزق على ذويه • في ذلك الزمان كان وهدان يحب نبوية ذلك الحب الطفل الطيب الذي لا يعنى عند أى منهما الا خفقة في القلب وفرحة عند اللقاء وشوقا عند التباعد •

وحين شب كلاهما عن الطفولة الى الصبا القريب من الفتوة احتجبت نبوية ولم تصبح الحياة كلها لعبا عند وهدان • بل كان يحلو له أن يتشبه بالرجال ويقف في الجرن ويرقب النورج أو يركبه • أو يقف في الغيط يجمع القطن أو يرقب من يجمعونه • وما كان أبوه غنيا ولم يكن أيضا معسرا وانما هي أربعة أفدنة تنأى بأبيه عن الأجراء لتضعه في مصاف الملاك •

ولكن الحقيقة مع ذلك تبقى كما هي أربعة فدادين •

كانت الشمس ساخطة على الأرض ، تكويها بشواظ لاهب من النار ، وكان النورج يدور وقد أوشك هو الآخر أن ينبجس العرق من خشبه أو من عجالاته الصلبة الحادة وهي تسر في دائرة مفرغة على عيدان القمح في ملالة وضيق يجرها الثور الكبير وقد أوشك أن يتهاوى من شدة الحر • وكان وهدان يعتلى سهوة الدكة الخشبية التي يجلس إليها من يسوق الثور وييده سوطا مفتولا من لحاء أشجار التيل الذي يزرعونه حول حقول القطن ليرد عنها عادية الأتربة وعدوان الحيوان •

وكان يدرى أن الجرن الذي يتلبس فيه ملابس الرجال ذوى الأعسال هو الطريق الطبيعي لمسير نبوية • وكانت هي أيضا تعلم ذلك

فكانت تظل في هذا الالهي من الحر رائحة جائية تنظاهر بأنها تؤدي مطالب المنزل وعلم الله وأحسب أن وهدان أيضا كان يعلم أنها لا تكثر من المرور الا لتلتقي نظراتها بنظراته وتطفو الى شفاه كل منهما تلك الابتسامة الوداعة الحنون التي يخفق لها القلب ذلك الخفق الدؤوب الجديد المرتفع الوجيب المتخافت الصوت حذر أن يطلع عليه من شهود اللقاء أحد •

كانت حياة وهدان منذ البواكير الأولى من سنوات عمره حياة جادة حازمة كلها عمل • وربما كانت سنوات الكتاب التي تتسم بعنف المعلم وصعوبة العلم بالنسبة لوهدان هي أندى هذه السنوات وأخفها وطأة عليه لو كان من هؤلاء الذين يرون في العمل جهدا وشقاء • ولكنه كان من الذين يحبون أن يعملوا • ولا يقومون العمل ان كان ممتعا أو غير ممتع • وانما هو عمل ولا بد أن يؤدي فهو يؤديه كما يتنفس الهواء ويطعم الطعام •

ولم يكن جلوسه على النورج في هذه السن الباكرة لعبا شأن رفاقه من الصبية • فما هي الا أيام قليلة ركب فيها النورج لهوا ومراحا ثم سحب أبوه المكلف بادارة النورج ، ووجهه الى أعمال أخرى وترك النورج بكل ما يتصل به من أعمال عهدة في ذمة وهدان • فهو الذي يجمع أكوام التبن والقمح ويمد النورج بزاده الجديد من أعواد القمح ذات السنابل حتى اذا مالت الشمس الى منزلها من العصر توجه الى كوم القمح رجلان أو ثلاثة أشداء ليذروا الأكوام فينفصل القمح عن التبن بنفس الوسيلة التي يتبعها أجدادهم وأجداد أجدادهم منذ عرف الانسان القمح كوسيلة لصنع العيش •

ومرت الأيام • وأوشك موسم الحصاد أن ينتهي وبدأت المخاوف تساور الصبيين اللذين التقيا بشبابهما مع أنسام القمح أن يصبح اللقاء بينهما غير ميسور •

وكانت الشمس في السماء حريقا وكان النورج يدور دورات كان  
وهدان في غير حاجة اليها ولكنه يديره ليجد عند نفسه أو عند المارة  
عذرا ينتظر به مرور نبوية حتى اذا مرت قفز من النورج قفزة سريعة  
ملهوفا يريد أن يظفر منها بوعده على اللقاء ولكن مسمارا في النورج  
يسك بجلبابه فاذا وهدان تحت النورج واذا الأسلحة تبتتر ذراعه  
الأيسر أو تكاد وترى نبوية ما حل بجبها وتصرخ بأعلى صوت لها  
فيدوى صراخها فيملا أنباء القرية وتجري الى وهدان الذي فقد وعيه  
فتبعده عن النورج وتعمد الى خمارها وتسد به نوافير الدماء المندفعة  
من الذراع وتحضن الفتى في لوعة وتصرخ لا يعنيتها أن يراها الناس :  
ويقبل الملاء من كل حذب وينقلون وهدان الى حلاق الصحة وتلازمه  
نبوية لا تتركه ويضطر أبواها للذان جاءا مع الجموع أن يلازماها  
مدركين ما ينفطر به قلب الابنة •

وحين تطسن الجموع على حياة وهدان ينصرف كل الى شأنه  
الا نبوية • ويقول الأب لزوجته وابنته :  
— أذهبا أتتما فاني سأبقى •

ولا يدرى أحد أو لعل كل محب يدرى من أين استطاعت نبوية  
أن تأتي بكل هذه الشجاعة التي تجعلها تقول لأبيها في حسم قاعلم  
لا يقبل المناقشة :  
— أنا سأبقى يا أباه •

ويخشى الأب أن يجاوز النقاش ما بلغه من حسم فينفضح من  
حب الفتاة الطاهر ما ينبغي أن يظل في طي الكتمان ويقول في  
استسلام :

— ونبقى نحن أيضا •

ومع أنسام الفجر تنقطع آهات وهدان التي ظلت تدوى طوال  
الليل وتوقظ نبوية التي لم تنم أباه وأمه من نومها الجالس ويتجه  
ثلاثتهم الى بيتهم •





أى تحد تلبس وهدان منذ ذلك اليوم • كان يعرف نفسه طفلا  
 لاهيا اذا دعاه الرفاق الى اللهو • وكان يعرف نفسه أيضا يقبل على  
 العمل مع أبيه كلما دعاه أبوه الى ذلك العمل • ولم يكن يعرف في  
 نفسه أن اقباله على العمل ما كان الا ليستجلب الى كيانه وجوانحه  
 ذلك الشعور بأنه بلغ مبالغ الرجال • وأنه يستطيع أن يقوم بعملهم  
 ويسير طريقتهم ويخطط في الحياة خطتهم • وانه بذلك يستطيع أن  
 يحدث نبوية وكأنه رجل • وانه خف القطن مع أبيه وانه جمع مع  
 الجامعين وأنه في موسم الذرة يفرط ثارها عن كوالحها وأنه في موسم  
 القمح يدرسه كما رأيته • كان يجب أن يصنع هذا الصنيع ولم  
 يكن يدرى انه يجب ذلك جميعه لينشئ منه حديثا مع نبوية في أمسيات  
 الصيف وبشهاد من الحقول ومن أشجار الكافور والبلبل ومع روائح  
 الزروع ومع أنسام العبق الالهى تسرى في خفايا الليل بكرا دائسا  
 كأنها لأول مرة تنطلق الى أرجاء الحياة •

وحين أصابه هذا الذى أصابه وأصبح بذراع واحدة ظل طوال  
 فترة علاجه يفكر •• أصبح عاجزا •• أثير الشفقة كلما وقعت عليه

عين .. أياكون في الحياة انسانا ناقصا لا أمل من بعد في نبوية ..  
ولكن ماذا بعد .. ان تلك وحدها كارثة الكوارث أجسعين ولكنها  
حصلت .. وقعت .. بترت ذراعه .. أصبح على الحياة عالة ..  
أيفقد نبوية ويفقد كرامته في وقت معا .. لترين مني الأيام ما لم تتوقعه  
منى حين كنت صحيحا بل وما لا تتوقعه من صحيح آخر ..ها تكن  
قوته وجبروته .

لأكونن أشد عنفا عليها مسا عنفت به على .. فتى كان في اول  
عهده ينام في سريريه ليعالج في ذلك الزمان البعيد كل البعد عن زماننا  
اليوم .. والأيام تتطاول به والمرض جائح باثر والدواء بدائي يجبو  
ما يزال في ظلمات دوامس من الجهل والتأخر ... ماذا يصنع الفتى  
اذا لم يتوعد الحياة ويهددها ... وما البأس عليه وهو نائم والحياة  
كلها يقظة ودأب وعمل وكدح .

والكن نبوية تعود كل يوم .. فما له اذن يقطع ان الأمل في  
الزواج بها قد انتطع ؟ وما له يجعل فقدانها أمرا لا مفر منه ولا شك  
فيه ولا سبيل اليه . والعجيب العجيب أنه كان يكره زيارتها وان كان  
قلبه يرى في عيني أمه وأبيه علامات تعجب فقد كان الفتيان والفتيات  
يزوجون في مثل هذه السن في هذه الأيام فما لهذه الفتاة لا تقنى  
حياءها وما لها تصر على زيارة فنى بترت ذراعه ويصلح لها عريسا .  
أتظن انه ما دامت ذراعه قد بترت فهو لن يتزوج على أية حال ..  
انها مجرد ذراع أيتها الفتاة .. وما تسع الذراع المبتورة الفتى أن  
يتزوج . فما مجيئك هذا كل يوم في جرأة لا تكون الا لزوجة كتب  
كتابها ودخلت أيضا . فما كان يجوز لمن يكتب كتابها ولم يدخل بها  
زوجها أن تذهب الى بيته وحدها .. بله الخطيئة .. بله التي ليست  
بهذه ولا بتلك .

عجيب شأن نبوية في رأى الأب والأم معا .

أما وهدان فقد استقر به الرأي على واحدة من اثنتين .  
 اما انها تشفق عليه في هذه المحنة الطاحنة . واما انها تريد أن تحيي  
 موات أملة حتى ينتهي العلاج ويخرج الى الحياة مرة أخرى .  
 وكلا السببين لم يستطع أن يجعل قلبه يكف عن الوجيف وجيفا  
 كان يجعله يحزن كلما جاءت لزيارته ، وقد كانت زيارتها يومية  
 عاليا دراكا يكاد يعلن عن نفسه للمأذ الحاضرين بل والغيب أيضا .

وشفى وهدان . . وخرج للحياة ورضى عن نفسه وهو يجعل  
 من أحلام المرض وهذانه حقا واقعا وقوع حياة جادا جدية من لا يهذى  
 ولا يعرف الى الهذاء سبيلا .

هو في الغيط منذ الصباح الباكر وهو لا يعود الى البيت الا بعد  
 أن تغيب الشمس وتوغل في المغيب وتأتي ابيه نبوية في الغيط وعلى  
 ملا من الدين يعملون فيه وتجالسه . في اول يوم ذهب فيه الى العمل .  
 وحرص أن يجعل الحديث بعيدا عن مواطن القلب وحرص على  
 ألا يتخاضع لها في الكلام وانما شكرها لأنها جاءت تهنته بسلامة  
 الخروج وشغل نفسه بالدين يعزقون الارض لا ينصرف عنهم ولا يميل  
 اليها بكلمة . وان كانت نفسه جميعا باقية بجانبها لا تستطيع عنها  
 منصرفا ولا تطبيق منها فكاكا .

وابتست نبوية بتلك الشفافية التي عرفها الريف في قلوب فتياه  
 وبنياته . فمع أنها كانت ترى وجه وهدان وهو منصرف عنها الى  
 فنوس العاملين الا أنها كانت واثقة أن نفسه جميعا بقلبها وجوانحها  
 بجانبها . انتظرت مليا ثم قالت في شبه همس وفي صوت أغن :

— فتك بعافية يا وهدان .

وقال دون أن ينظر اليها :

— مع السلامة .

وصحبت نفسه وجوانحه وانصرفت ، وقال هامسا لما بقي

منه .. ما تزال تحاول تشجيعى على مصيبتى .

وفي اليوم التالي جاءت نبوية ولم يطق وهدان صبرا ... أمسك  
يدها وانتفض جسمه انتفاضة لم يعرفها في حياته قط وابتعد بها عن  
الجميع :

— مجيئك بالأمس يرى فيه العاملون فتاة تهنى ابن قرينها  
بالعودة الى العسل أما مجيئك اليوم فغير مقبول ... عودى الى  
البيت .

— وكيف أراك .

— سأجىء أنا اليك .

— أين ومتى ؟

— أوافق أبوك على مجيئك ؟

— لم أسأله .

— أظنين أنه يوافق ؟

— اذا اتصل الأمر بى وبك فأنا لا أفكر .

أحس بالكاسية كأنها رساسة أصابت منه كل المقاتل ونظر الى  
ذراعه المبتورة وأبقى عينيه عليها لتخفيا دمعات تبادرت فهمس وقال  
بصوت لا يكاد يسمع ولكن فى برته أمر : جسم .

— عودى الى بيتك .

وفى غير تردد قالت وهى توائى عنه :

— أمرك هو الأمر الوحيد الذى لا أناقشه .. فتك بعافية .

وتزداد الدموع وبلا من عينيه ... أما عافية الجسم فقد أناها  
أما عافية الروح فهيهات .

وظل وهدان يذهب الى الغيط كل يوم ومرت شهور وكان أبوه

يظن أول الأمر نزوة جريح فقد ذراعاه ولا يريد أن يصاحب الفتية  
فيما يضطربون فيه حتى اذا تنابت الشهور وأوشكت أن تكتمل عاما  
أصبح الأب في غناء عن الذهاب الى الحقل وراح يقضى نهاره في  
جلسته الحبيبة عند عبد الحسيد أبو ديدة الخياط الذي لا تمنعه صنعته  
عن الحديث ولا عن سماع من يقرأ الجريدة له •

وكانت نبوية في كل يوم تذهب الى حيث ترى وهدان وتطمئن  
عليه وتنصرف لا تقترب منه ولكن لا تمضي أو تكون واثقة أنه رآها •  
اذن فالأمر ليس اشفاقا ... ولا هو بتشجيع •

جاءت من بعيد ورآها فراح يجرى اليها بكل قوته وهي قوة  
عائية ... وما كان في حاجة الى الجري فقد كان منها أن يقبل اليها  
ولو اقبالة وانية هينة وانها لمنتظرة وان استغرق خطوه اليها عاما  
وأعواما •

— ماذا تريد يا نبوية ؟

ودون ان تفكر لحظة •

— أريد أن أتزوجك •

ومادت به الأرض بما حوت وصاح •

— أنا بذراع واحدة يا نبوية •

وصاحت هي أيضا به •

— وهل هذه جديدة على •

وفي تعجب حزين •

— ألم ينقطع حبك لي حين انقطع ذراعي •

واجابته في قوة حاسمة •

— ومن قال لك انى كنت احب ذراعك •

ويطأطىء رأسه •

— لم أصبح انسانا كاملا •

ويعلو صوتها وهي تقول :

ومن قال لك ان الانسان ذراع أو ساق .. ان الانسان قلب ..  
بحنان ورجولة واصرار ... أحبتك بعد أن فقدت ذراعك أضعاف  
أضعاف ما كنت احبك من قبل ، وأحبتك حين أمرتني الا اجيء اليك  
في الغيط أضعاف أضعاف ما أحبتك بعد أن فقدت ذراعك ..  
وهذان .. اذا لم تتزوجني فلن اتزوج طول عسرى •

وتزوجا •

\*\*\*



عجيب شأن الأيام والسنين .. فالأيام تمر بطيئة متناقلة كأنما يدفعها القدر الى المضي رغم أنفها بينما تمضي السنوات بسرعة تلهب الزمان بسياطها وتندفع كالسيل الجارف فاذا الطفل فتى واذا الفتى شاب واذا الشاب كهل واذا الكهل شيخ واذا نظروا الى أسمهم وجدوه قريبا منهم يكادون لو مدوا أيديهم أن يمسكوا به أو هكذا يخيل اليهم على الأقل . فهم يعلمون أن أسمهم الذى ولى بعيد عنهم بمدهم عن بدء الخليقة . ولكنه فى أذهانهم وفى وجدانهم كأنه ما مضى . وقد يتجسم الخيال فى نفوسهم ويوشكون أن يصدقوه فما هى الا نظرة فى مرآة أو قومة متناقلة يعوقها الكبر حتى يدركوا ما على أكتافهم من سنوات وتبين لهم الحقيقة أوضح ما يكون الوضوح . ان السنين قد مرت ولم يكن مرورها بوهدان وزوجته عبثا فقد أنجبا سباعى وخليل وفاملمة وعابدة .

وكان وهدان طوال هذه السنوات خير فلاح فى القرية وربما كان خير فلاح فى المنطقة فاستطاع أن يشتري أربعين فدانا كاملة . فقد كان حريصا أن يشتري فى كل عام أرضا بما يفيض من ماله

فلا ينكسر عنده مال الى عام قادم مرتباً أن مستقبله • مستقبل أولاده  
جسيعاً هو هذه الأرض • ولكن عشرة أفدنة من هذه الأربعين لها قصة  
انت بالغها •

ومع كل هذه الأرض التي اشتراها لم يعرف أحد عنه بخلاً ولا هم  
قصر في الاتفاق على بنيه ولا هو كان شحيحاً مع زوجته فسا دأبت منه  
مطلباً الا كانت اجابة هذا المطلب هي أول شيء يسارع اليه • لم  
ينس انها قبلته بذراع واحدة على غير غنى فسا كان أبوه يملك غير أربعة  
أفدنة استطاع أن يصل بها الى خمسة قبل موته وبالجهد الذي بذله  
وهذان فسا كان أبوه ذا هبة وما كان يعنيه أن تزيد أرضه بقدر  
ما كان يعنيه أن يجلس الى عبد الحميد أبو ديدة الخياط •

ولم يحاول وهذان وهم يجع هذه الأرض أن يكون جسعاً  
يهتبل الفرص • يشتري ممن تلم بهم الضوائق أو تعرض حياتهم  
الكوارث ولم ينس أهل ( الصالحة ) قريتهم أن سليمان النواوي الذي  
يملك ستة أفدنة من أجود أراضي القرية جمعها من تجارة القطن التي  
كان بارعاً فيها كل البراعة ضارب يده في البورصة فإذا هو مدين دينا  
كبيراً وان كان لا يستغرق الأرض • وقصد عبد الحميد أبو ديدة الى  
• هذان وأوعز اليه أن يشتري أرض سليمان في هذه الفرصة ويغف  
بها وإذا بوهدان ينتفض عن انسان يغف أن يكون أخوه فرسته :

— أترضى لي هذا يا عم عبد الحميد ؟ ••

— وماذا فيها يا وهذان يا بني ••• هو معذور ••• ولا بد أن  
يسدد الدين وجيب أسدقائه في التجارة مضروبون معه ولا لمريق له  
الا بيع الأرض فلماذا لا تشتريها أنت ؟ ••

— قسماً بأهل بيتي جسيعاً لو كان سليمان هذا يهودياً لا أعرفه  
ولا يعرفني ولا نحن أبناء بلدة واحدة ما فعلتها فكيف وهو ابن قريتنا



نشأنا نراه ويرانا وتتراور زوجته وزوجتي ويلعب أطفالى مع أطفاله ..  
صل على النبى يا عم عبد الحميد .

— عليه الصلاة والسلام يا وهدان يا ابنى ولكن أليس هذا  
الذى تذكره سببا أن تنقذه من أزمته .

— أياكون ما تشير به انقاذا أم اجهازا عليه ؟

— على الأقل ستكون أنت رجيسا معه فى الشراء وتدفع له ثمن  
الأرض دون أن تخسف بها سبع أرض كما يعرض عليه حمدان  
أبو اسماعيل .

— ولا هذا ..

— اذن فقد أضعت الرجل وأنت تحاول أن تنقذه .

— ما كنت لأفعل هذا أيضا .

— فإذا أنت فاعل ؟ ..

— قم معى به سترى ..

وحين استقر بهم المجلس عند سليمان قال سليمان دون ريث من  
التفكير :

— الحمد لله انك جئت يا وهدان ..

— تجت أورك يا سليمان ..

— والله لا يشتري الأرض الا أنت .. لقد خسف حمدان ثمنها  
الى العشر وأنا مضطر للبيع ولكننى رفضت أن أبيعها له من شدة  
غيطى منه أما أنت فأبيعك اياها بالثمن الذى عرضه ، أكون سعيدا .  
.. صل على النبى يا أبو داود ..

— عليه الصلاة والسلام .. أتريد أن تنزل بها عن ذلك  
أيضا ؟ ..

— صل على النبي « آمال » .. خذ هذه الفلوس ..

— ما هذه .. ألا تتفق الأول ؟ ..

— ولا تتفق ولا يحزنون خذ .. صل على النبي ..

— بكم تريد الفدان ؟ ..

— لا أريده مطلقا .. لا أريده حتى ولو بعته لى بلا ثمن ..

— فبا هذه الفلوس ؟ ..

— دينك .. اذهب فسدده ..

— ماذا تقصد يا وهدان ؟ ..

— ماذا جرى يا سليمان ، أكلاب مسورة اجن حتى تشتم  
الضوابط تحيط بنا سنا فنجعل منها فرسا لنا .. لا يا سليمان ..  
لا عشنا ان كنا نفعل ذلك .. سدد دينك والتجارة يوم في العالم  
ويوم في الواطى وان خالك السوق مرة فصييره أن يكرمك في المرة  
القادمة ..

— أما سبحان الله .. واكننا اسنا اصدقاء ..

— معارف .. وأولاد بلد واحدة ووشنا في وش بعضنا البعض  
العمر كله .. وأنا كنت سأشترى بضعة أفدنة هذا العام بهذا  
المال الفائض عندي فماذا يجرى اذا أجلنا الشراء الى العام القادم ..  
وصاح سليمان من الفرحة : كأنه يرى سحرا لا يصنعه أحد من  
أبناء الأرض ..

— أهذا معقول ؟ ..

— غير هذا هو الذى لا يعقل .. توكل على الله .. سلام  
عليكم ..

— انتظر أكتب لك ورقة ..

— ولا ورقة ولا يحزنون ..

— لا .. هذا ليس من حقك ..

— انه مالى وأنا حر فيه ..

— أطل الله عرك واكنه ايس مالك انه مال أولادك وأنت أمين  
عليه ..

— لا مسئولية على أمام أولادى .. لقد ورثت عن جدتهم خمسة  
أفدنة ولو كنت بعثها لكان هذا من حقى ولكنى لم أبعها وزدت  
عليها ..

— اسمع من غير كثرة كلام . تأخذ الورقة أو تأخذ الفلوس ؟  
— هات الورقة ..

وهكذا لم يكن وهدان فى شرائه الأرض مسعورا ولا كان نهازه  
فرص . ومادنا قد رويانا قصته مع سليمان فمن حق القصة أن  
نكملها . فقد ساد سليمان دينه وعمل فى التجارة وكسب فى العام  
التالى كسبا يمكنه من سداد دين وهدان ولكنه لم يفعل وإنما قصد  
الى وهدان ..

— لقد عملت فى معروف ما زالت الجهة تتحاكى به .

— يتهاى لك ..

— اسمع .. أنا كسبت هذا العام ولكننى مع ذلك لا أستطيع  
أن أرد اليك دينك ومن عمل معروف فعليه أن يتمه فهل أنت على  
استعداد أن تتم معروفك ؟ ..

— أتمه ان شاء الله ..

— تترك فلوسك للعام القادم ..

— أمرك ..

وانصرف وهدان ودار العام في غبطة عين وان كانت أيامه كانت  
تسر ثقيلة أثقل من الأيام العادية فقد كان سباعي كلما خلا بأييه  
يقول له :

— لو كنت يا أبا اشتريت أرض سليمان لكان محصولها يكفي  
لشراء نصفها على الأقل هذا العام .

ويسيح الأب في حزم آباء هذا الزمن :

— اخرس يا ولد ..

ويضطر الولد أن يخرس ثم ما يلبث أن يكرر جملته تلك كل...  
امتد حديث الى محصول أو أرض أو شراء أو بيع ..

وكان الأب يحس حسرة ان ابنه يلومه ولم تكن الحسرة له ايده  
اللوم وانما كان باعثها أن ابنه سباعي على غير خلقه وانه لا يعرف  
معنى ألا ينتهز انسان نائقة انسان أخيه ، لا يعف عند مقدرة ، لا يتعالي  
عن خلق الذئاب .

وكانت نبوية تهون عليه ما يتداواه من ألم لما جبل عليه ابنه  
البكر . فكان يقول لنبوية :

— أخاف عليكم منه بعدى يا نبوية ..

— لا عشنا بعدك يا وهدان .. لا عشنا بعدك ..

— انه بلا قلب ..

— ابنك لا يمكن أن يكون بلا قلب ..

— أتصدقين أن الأبناء يرثون أخلاق آبائهم فيما يرثون هبهات  
ليست الأسلاب ولا الأرحام أمينة دائماً .. والذي لا يقدر ما صنعه  
مع سليمان شخص يخشى منه يا نبوية ..

— اسمع يا وهدان علينا أن نحمل همهم ونحن أحياء أما من  
بعدنا فعلى كل منهم أن يحمل هم نفسه ..

مر العام اذن وكان أثقل الأيام مروراً ثم جاء سليمان الى وهدان  
وكان ولداه جالسين معه ..

— السلام عليكم ..

— وعليكم السلام ..

— كل عام وأنت بخير ..

— وكل عام وأنت بخير يا سليمان ..

— قم يا عم هات الورقة التي عندك ..

— أمرك ..

وعاد وهدان بالورقة وأعطاهما لسليمان ..

— خذ يا عم .. ربنا يزيدك ..

— وانت خذ هذه ..

— ماذا ؟ ..

— لقد تعلمنا القراءة معا في الكتاب اقرأ ..

وقرأ وهدان فوجد بالورقة عقد شراء باسمه لعشرة أفدنة  
ملاصقة لأرضه : وانتفض في جلسته ..

— وهل أنا مراب يا سليمان ؟ ..

— اهدأ واسمع ..

— هدأت ..

— فلوسك ذات جاهزة معى من السنة الماضية ولكننى احببت  
ان ارد جميلك قلت اتاجر لك بها فان كسبت فالكسب لك وان خسرت  
اردها اليك دون ان تعلم : وقد كسبت وجاءنى جارك نجيب الجلدة  
يريد ان يبيع أرضه لأن ابنه الذى أصبح مهندسا يريد أن يبنى بها  
عمارة فى مصر .. وانظر الى الشئ تجده عادلا لا ظلم فيه .. استخرت  
الله واشترت الأرض باسمك .

وانتصب سباعى واقفا وأهوى على يد سليمان يريد أن يقبلها  
وألمت بوهدان غصة أوشكت أن تضيع عليه فرحته بما صنع صديقه ..  
ما سباعى هذا .. لا عفة عند مقدرة ولا كرامة عند فرحة .. حسبى  
الله ونعم الوكيل ..

حسبى الله ونعم الوكيل ..

\*\*\*



في هذه السنوات البلاء من حياة مصر كان يثبت في بعض المناطق مجرم يثير الذعر حوله ينتمى هذا المجرم الى وجيه من وجهاء المنطقة بعقد شيطاني غير مكتوب أن يحصى الوجيه المجرم من الحكومة ويحصى المجرم أدلاك الوجيه من المجرمين الآخرين •• وشأن كل العقود الشيطانية يتجاوز مفعول العقد حدوده ويتستر الوجيه على المجرم تسترا لو حاسبه عليه قانون العقوبات لأصدر عليه أحكاما قاسية •• وفي مقابل ذلك يصبح المجرم أداة بطش وعدوان للوجيه يخيف به كل المقيمين حوله مجرمين كانوا أو غير مجرمين • وما هو الا سير زمن حتى تصبح أعمال الوجيه بواسطة مجرمه كلها اعتداء على حقوق الآخرين لأن سمعته وحدها كافية أن تذود عنه أى مجرم يفكر أن يسس حقوقه • ويصبح الريف غابة ، السيادة فيها لمن لا ضمير له وهذا نوع من الغابات فريد • فغابة الحيوان غابة تجمع مخلوقات بغير عقول ومن لا عقل له لا ضمير له فمن الطبيعي أن يكون الحكم فيها للأقوى ومن الطبيعي أيضا أن تكون الوحشية هى الدستور فبغيرها لن تطعم الحيوانات ولن تجد مأكلا وهذا فى ذاته سبب كاف أن تستعمل قوتها لتعيش •





آخر فهي لا تجد بأسا أن تنتخب حامى المجرمين هذا مرتئية أن فينا  
تفعله كياسة لا تضيرها •

وفى يوم كان وهدان جالسا الى أسرته جميعا أما الأم فقد كانت  
تصلى وكان وهدان يقرأ القرآن وكانت فاطمة تقرأ فى كتاب اشتراه  
لها أخوها خليل وعابدة تنظر الى الجميع وترى فى وجوههم القلق  
الشديد الذى يحاول كل منهم أن يخفيه بشتى وسائل حتى لا يثير  
بقلقه قلق الآخرين • ولم يكن عجيبا أن يتولاهم هذا القلق • فخليل  
هو أملهم أن يصبح لهم شأن فى حياة العلم بعد أن ترك سباعى المدرسة  
وهو طفل فى العاشرة فلم يتعلم منها الا قراءة وكتابة توشك أن  
تكون عاجزة • أما خليل فقد مضى فى التعليم مضيا موفقا وكان متقدما  
فى دراسته دائما • وهم اليوم ينتظرون نتيجة التوجيهية التى حملت  
اسمها هذا لأنها تعطى لحائزها الحق أن يتوجه فى التعليم الجامعى  
الى الكلية التى يختارها فهي نهاية التعليم العام أو هى بلغة وزارة  
المعارف نهاية التعليم الثانوى •

كان الأب والأم والابنتان جميعا فى هذا القلق الذى تشعر به  
عابدة وتراه على وجوههم • وكان سباعى كشأنه بعيدا عن قلق  
الأسرة وعن اجتماعها هذا بل هو حتى لم يكن يدري أن نتيجة  
شهادة التوجيهية ستظهر فى هذا اليوم فهو دائما فى شأن يظن أنه يغنيه  
وهو دائما بعيد عن أسرته ومشاعرها بما يشغل به نفسه من شواغل  
منها الأرض والمحصول ومنها غير ذلك •

كان فى يومه هذا يلبي دعوة على الغداء دعاه اليها شعبان  
الخولى بن عز الدين الخولى الذى تعرف به منذ قريب فى مقهى  
بالمركز • وأراد شعبان أن يظهر ابن وهدان على القصر الذى ابتناه  
أبوه بقريتهم العدو وأراد أيضا أن تصل بينه وبين ابن الرجل الذى  
يعتبر أغنى من فى الصالحة آصرة صداقة فقد كان شعبان أيضا ممن

نكصوا عن التعليم شأن سباعي • وكما يلتقي النلاح بالفلاح فينتاجيان ويتعارفان ويجدان شيئا دائما يفولانه يلتقي الغريبان فينتاجيان ويتعارفان ويجدان شيئا يفولانه فيصبحان صديقين • وإن لابد لنا أن نكون منصفين فإن يكن شعبان وسباعي قد فشلا في المضي قدما على درج التعليم فقد كان كل منهما فلاحا من الطبقة الأولى يعرف ما تحتاجه الأرض ويقدمه لها في كرم ومهارد وحذق واثقين أن الأرض خير شيء يرد ما يأخذ أضعافا مضاعفة • وقد كان همدان يجد في قدرة سباعي الفائقة على رعاية شئون الأرض ما يعزيه عما جبل عليه من خاق لا يرضيه • ولكنه شأن الناس أجبعين كان يتلصص لطف الله فيما يصاب به وقد وجد لطفه سبحانه في براعة سباعي الزراعية وراح يقول لنفسه ربما أراد سبحانه أن يجعل منه حارسا على الأرض يرعاها من بعدى لأخوته عني • وإن كانت عصاة تلوى عزاءه ببعض الشيء • • أترأه سيحرسها أم سينهشها • الله وحده يتولى عبادته بما يرضاه •

كان سباعي اذن يلبي دعوة شعبان وقبل ان يأتي الغداء جلس الضيفان في غرفة الاستقبال الواسعة الأرجاء وقال سباعي :

— ما سنعنا عن سعادة البك والدك ولا عن سعادتك الا كل

كرم •

— أرايت بخلا ؟

— نعم رأيت

— ولكن الأكل لم يظهر بعد

— قطعة جبن تنبيء عن الكرم في كثير من الأحيان •

— فساذا تقصد ؟

— أنتعدي وحدنا ؟ !

— آه •• أنا أردت ألا يشاركنا أحد الحديث •

— وهل يحلو الحديث الا باللمة •

— ومن تريد •

— أين أبو سريع •

— والله هو هنا اليوم •

— فلماذا لم تدعه معنا •

— أدعه ان يئته قريب •

— لابد أن يكون يئته قريبا •

وضحك شعبان وقال سباعي :

— ادعه يا شعبان بك وادع رجاله واللقمة الهنية تكفى مية •

وجاء أبو سريع وعرف، أن الذى دعاه هو سباعي وحمد هذا له فما كان يتناول طعامه على مائدة عز الدين بك الا عندما يكون هناك أمر جليل يريد أن يكلفه به أما شعبان فما كان يهتم بدعوته مكتفيا بأن يعطيه من حين لآخر بعض المال •

\*\*\*

حين عاد سباعي الى البيت وجد الكثيرين أمام بابه ووجد الدوار مبتسما فرحا • وعجب •• انه هو فرحان نعم أن تغدى مع شعبان وأبو سريع ورجال أبو سريع ولكن ما هذا الفرح في بيتهم • وعرف أن أخاه حصل على التوجيهية والعجيب أو ربما ليس عجيبا أن يشعر بالفرح • فخليل بهذا قد أصبح من أهل الكتب وليس لهؤلاء صبر على الفلاحة • لقد تأكد في لحظة علمه ان أخاه ذاهب الى الجامعة والى كلية الطب •• ان أرض أبيه أصبحت له وحده من بعده •

وعجب الأب من فرحة سباعى وربما خامر ذهنه ما اختلط بنفس  
سباعى فقد علمته الحياة أن يصل من النفوس الى أبعد أعماقها •  
ولكنه بمشاعر الأب الذى يمتزج حب الأبناء مع الدماء فيها تقى ان  
يبلغ الجشع بأبنة البكر هذا المدى •• وأبى الا أن يسعد فى يومه  
هذا سعادة لا يقف بها عارض من أى مكان سواء كان هذا العارض  
من داخل النفوس أو من خارجها •

\*\*\*



حين عرف وهدان من سباعي أنه دعا شعبان وأبو سريع ومجرمي  
الى الغداء بالبيت غضب كل الغضب •

— هذا بيت عاش طاهرا وأحب أن يظل طاهرا •

وكان سباعي في دهشة من أمر أبيه فقد كان يظن انه سيفرح غاية  
الفرح ان ابن عز الدين بك قبل الغداء عنده •

— يا أبا أنه ابن عز الدين بك •

وازداد ذهول سباعي وأبوه يقول له :

— طظ ... وما عز الدين بك بتاعك هذا ••

— يا أبا عز الدين بك كبير الناحية •

— بالاجرام والقتل والاعتداء على حرمة الله والناس •

— رجل عتره •

— عند من لا يخافون الله أمثالك • انما في الحقيقة هو ليس  
رجلا أصلا ••

— ليس رجلا ••

— الرجل هو الذى يشق الحياة الى الآخرة بطاعة الله لا بعصيانه  
وبإحياء البشر لا بقتلهم ومن قتل انسانا واحدا فهو عند الله كمن قتل  
الناس جميعا •

— انظريا أبى الى الثروة التى كونها •

— بسيطة

— مائتا فدان من لا شئ بسيطة

— وألف وألفان بسيطة ما دامت وسيلته القاء الذعر فى قلوب  
الناس والاستيلاء على حقوقهم بالباطل •

— على كل حال يا أبا أنا لم ادعه •

— دعوت ابنه ودعوت المجرمين الذين يعملون لحسابه

— أريد أن يكون لنا قيمة فى البلدة وفى الناحية

— فشرت أنت وضيوفك جميعا •• ان قيمتنا فى قلوب الناس  
أعظم منهم ألف مرة

— يا أبا أنه نائب الدائرة

— بالرعب والقهر وليس بالاختيار ، ولو ملك الناس أمر  
أنفسهم دون خوف لأختاروا أى شخص يمثلهم فيكون تمثيله لهم شرفا  
وقيمة •• يختارون متعلما أو يختارون شريفا لا لصا ولا قاتلا •••

— فما احترام الناس هذا

— الا تعرفه وتعرف من أين يصدر من نفوسهم

— انهم يهابونه

— انهم يخافونه • وانهم لا يحترمونه • انما الاحترام هو ذلك  
الذى تنطوى عليه نفوسهم بحريتها المطلقة وليس بما يخشونه منه اذا  
هم حجبوا عنه احترامهم • ان اخاك خليل محترم بعلمه فى بلدتنا أكثر  
من عز الدين هذا الذى تتشرف بمعرفة ابنه وبدعوته الى الغداء  
عندك •

— خليل أخى • لا يا أبأ شرع الله عند غيرك •

— بل هذا هو شرع الله والناس أما شرعك انت فشرع الشيطان  
المسعود من بنى آدم •

— والآن ماذا ترى ؟

— وهل تركت لى رأيا • • لقد دعوت فعلا ولا أحب أن اجعل  
منك طفلا أمام الناس •

— مصيبة سوداء لو عرف عز الدين بك رأيك فيه •

— أو يشرفك هذا • • نعم فعلا مصيبة سوداء • • ومعرفته  
مصيبة سوداء أيضا ولهذا كنت أرجو أن أقضى الأيام الباقية لى  
لا أعرفه ولا يعرفنى •

— الحق على يا أبأ •

— حين أموت أخاف أن يكون عز الدين وأمثاله هم مثلك  
الأعلى •

وأوشك سباعى أن يهتف : ياليت ، ولكنه كتمها وسأل أباه :

— اتحضر معنا الغداء يا أبأ

— وأنا ما شأنى

— انه بيتك

— بل بيتك مادمت دعوت فيه فأنت تعرف أنه بيتك وان لك  
هذا الحق لا انازعك فيه وانما أغضبنى اختيارك لدعويك • ولكن  
الأمر لله •••



حين استقر المقام بشعبان ورجال أبيه في الدوار أصبح الدوار  
فجأة خلية نحل وراح كل من يعمل في البيت يعد العدة للغداء • وتسامع  
أهل القرية جميعا بهذه الدعوة فتولاهم نحو سباعى ذاك الشهر  
العجيب الذى يجمع بين الخوف والرغبة والاحترام المرتعد • ولم  
يحاولوا أن يضعوا الحدود الفاصلة بين هذا النوع من الاحترام وبين  
ما يكونه لوهدان من احترام فيه حب وفيه تقارب ومودة • • لقد  
تعودوا أن يكتموا ما يعمل في نفوسهم نحو عز الدين ومجرميته •  
وأصبحت هذه العادة منهم طبيعة لا تناقش ولا يحلل مداها انسان  
ولا يحاول أحد أن يتتبع جذورها • هم فقط أحسوا أن سباعى أصبح  
شخصا مهما لانه دعا ابن عز الدين وأبو سريع ورجال أبو سريع  
وقبلوا الدعوة •

تناولوا الغداء وضمنتهم حجرة الاستقبال في الدوار مرة أخرى  
وقد كان الدوار شأن أمثاله في بيوت الأعيان بعيدا عن الدار موصولا  
بها في وقت معا • فهو جلسة الرجال وليس له بحرمة البيت وحريمه  
صلة الا أن يأتيهم منه المطعم والمشرب ثم لا اتصال •

قال شعبان وقد انتفض على الكتبة مزهوا بمكانة أبيه :

— مبسوط يا سباعى •

— رضا والحمد لله •

— الحمد لله على كل حال ولكن لماذا الرضا •

— يا سلام أأكون مشرفا عندى أنت وهؤلاء الرجال السباع  
ولا يكون الحال رضا ••



وضحك الجميع •

وقال أبو سريع معلقا على السباع :

— يا سباعي •

وعلا الضحك مرة أخرى • أما رجال أبو سريع فلأنهم لا بد لهم أن يضحكوا مادام أبو سريع يضحك • وأما شعبان وسباعي فليفهما أبو سريع أنهما فطنا الى قفشته وتلاعبه بالسباع وسباعي وسرعة خاطره أيضا • ولكن شعبان يقول مواصلا حديثه :

— يا جيبى أنا أسألك هل أنت مبسوط فى حياتك ؟

— وهى أيضا رضا والحمد لله •

— لماذا •

— وماذا أريد أحسن من هذا آكل شارب نايم أشوف أرض أبى واتنج منها أحسن محصول ماذا أريد أحسن من هذا ؟

— وهل هذه عيشة ؟

— وما العيشة ؟

— تعال معى الى مصر وأنا أعرفك العيشة على حقيقتها •

— يا سلام !

— رحت مصر ؟

— طبعاً •

— أين ذهبت ؟

— زرت المشايخ وزرت أقاربنا هناك وأصدقاءنا ودخلت السينما ورحت الى المسارح وشفيت كل حاجة فى مصر •

- دخلت كباريه ؟
- كبا ... وماذا ؟ •
- كباريه
- آه •• لا •• سمعت عنه فقط •
- سمعت عن ماذا ؟
- يقولون عن الأوبرج وشيء آخر اسمه الأريزونا •
- يقولون
- سمعت
- ولم تر ؟ !
- الكذب خيبة •• لا انا أو
- فانت لم تر مصر
- أهذه هي مصر
- عندى أنا •• أنا يا بنى حين اذهب الي مصر لا شأن لى
- لا بأقارب ولا بغيره • كم صاحب أشرفهم أصل الى بيتنا هناك وأدور
- عليهم بالتليفون وعينك ما تشوف الا النور •
- وأين هذا النور
- فى الأوبرج
- أتذهب الى الأوبرج
- ولا أحب غيره •• جربت كل كباريهات مصر • لم يملأ
- عينى الا الأوبرج • الملك يذهب الى هناك •
- شففته ؟

- مرة
- واحدة ؟
- كفاية
- ما شكله
- سمين وضخم .. انما الحق له هبة
- ملك .. ملك يا عم ملك .. الأمور عندنا يهز المديرية
- شف ملك ماذا يفعل
- ... ليس هذا هو المهم
- الملك ليس مهما !!
- هناك ليس مهما بالمرّة ، المهم أشياء أخرى
- مثل ماذا
- اسمع يا عم أنا رجل أحب العمل ولا أحب الكلام
- ... ولكننا الآن لا نملك الا الكلام
- فشر ونملك العمل أيضا
- كيف
- أنا مسافر الخديس انقاد .. تجيء معي ؟
- أجيء
- صحيح ؟ !
- ... وهل الاقوى فرصة أحسن من هذه
- اتفقنا
- اتفقنا

\*\*\*

حوت غرفة الاستقبال في المساء قوما آخرين فقد تصدرها  
وهذان كشأنه كل ليلة والتأم حوله أصدقاء جلسته يكادون لا يتغيرون  
في ليلة عن الأخرى فأغلبهم تعود هذه الجلسة والحديث بينهم متصل  
منذ سنوات وفي أيام أم كلثوم يعدون العدة لسماعها في راديو وهذان  
وقد كان الاستماع الى الراديو لمدة طويلة يحتاج أن يذهب أحدهم  
بحماره الى المركز في اليوم السابق ليملا البطارية الضخمة فهي  
بطارية سيارة ويعود بها في اليوم التالي ، ولم تكن أم كلثوم تغنى في  
هذه الليلة وانما هو الحديث .. حديث في كل شيء . وأحيانا كان  
يلهم بالجلسة أصدقاء غير منتظمين اما أن يكونوا أصحاب مصلحة  
يريدون قضاءها مع وهذان أو مع أحد جلسائه أو يكون قدومهم  
لمجرد السمر والحديث . وفي هذه الليلة جاء الى الجلسة عبد الحميد  
أبو ديدة الذي توقف عن العمل كخياط للقرية تاركا الصنعة لابنه بعد  
أن أوهنه الكبر . وأصبح لا يخرج من البيت الا في القليل النادر وكانت  
تنعقد في بيته هو أيضا جلسة مثل جلسة وهذان هذه . فلم يكن  
غريبا أن يكون المامه بدوار وهذان نادرا وقد أوسعه وهذان  
ترجيا . وقد حرص سباعي أن يحضر الجلسة ليرى نفسه موضع  
الأكبار والتقدير بعد دعوة الغداء التي عرفت القرية جميعا بشأنها .  
وما هذا بعجيب فان أى دعوة في القرية هي حديث القرية جميعا .  
ولكن مجيء شعبان ورجاله أمر يعرف سباعي أنه هز القرية كلها من  
الأعماق . وتهيأ سباعي لسماع كلمات التقدير على دعوته تلك . وقد  
رأى فعلا نظرات الاحترام مائلة في أعين معظم أهل الندوة وحين بدأ  
الحديث بدأ بطبيعة الحال عن مجيء شعبان وأبو سريع فاذا وهذان  
يقول في هدوء وفي حسم :

ـ اذا تكلمتم في شأن هذه الدعوة فاسمحوا لي أن أنصرف .

وانقمع الحديث عنها تماما وأحس سباعي لذعة أسف أنه لم  
يتمتع بما كان يهفو الى التمتع به . والتوى الكلام الى غير هذا

مما تعودوا أن يأخذوا فيه • وما هي إلا بعض الساعة حتى استأذن  
عبد الحميد أبو ديدة وقال وهدان :

— لماذا يا عم عبد الحميد • لم نشبع منك يا رجل

— عمك كبير يا وهدان ••• أنا حتى في داري اترك ضيوف  
كل ليلة يكملون حديثهم وأقوم أنا ويعذرونني يا ابني •• كبرنا  
يا وهدان •

— أنت الخير والبركة • أوصل عمك عبد الحميد الى بيته  
يا سباعي •

ويقول عبد الحميد في صوت من يرغب في هذا التكريم الذي  
تعود عليه والذي جاء في هذه المرة آملاً أن يحدث •

— وما لزوم التعب

— تعبك راحة يا عم عبد الحميد

— ويصبح سباعي راجياً أن يسمع من عبد الحميد ما فوته أبوه  
عليه من تكريم •

— تحت أمرك يا عم عبد الحميد •

وما يكاد الطريق يخلو بالاثنتين حتى يقول عبد الحميد :

— لقد جئت اليوم خصيصاً من أجل خلوتنا هذه •

— خيراً يا عم عبد الحميد

— أنت دعوت اليوم شعبان

— حصل

— أخطب أخته

— ماذا ؟ !

- ما سمعت
- وهل هذا معقول يا عم عبد الحميد • بنت البك تقبلنى أنا !
- وأنت ما عيبك ؟ !
- على الأقل يقولون لم يتعلم
- وهل تعلم أبوها أو أخوها أو تعلمت هى انما هما كلمتان
- عرفت بهما كيف تفك الخط
- أنا والحمد لله مستور فى القرية ولكن بالنسبة لعز الدين
- بك أنا فقير
- ولا فقير ولا حاجة
- كيف •• وأين ما أملك مما يملكون • وايجاراته من الأوقاف
- وحدها تدر عليه دخلا قدر دخلنا مائة مرة أو قل مائتين
- اسمع ما أقول لك •• أخطب أخته
- ان رفضونى ستكون سبه
- لن يرفضوك
- وأنت كيف عرفت
- هذا شأنى
- فقط قل من أين عرفت
- من سننى الكبيرة •• من الزمن •• من الناس الذين عرفتهم ••
- اسمع كلامى يا ولد •• أنا فى مكان جدك ومن سنه أيضا •
- اذا تمت هذه الزيجة يا عم عبد الحسيد لا أدرى كيف
- أكافئك •

— أنت يا ولد تكافتنى •• أنت يا ولد ابن وهدان وأبو وهدان  
عاش عمره كله على باب دكانى ، أتظن أننى جئت إليك لكى تكافتنى  
وماذا أصنع بمكافأتك هل سأخذها معى الى الآخرة • ان أردت أن  
تكافتنى حقا فانى أوصيك بابنى حسن فهو قليل الحيلة وأنا لم أترك  
الا ثلاثة أفدنة دفعت فيها عينى وانكفائى على ماكينة الخياطة عشرات  
السنين •

— ربنا يطيل عمرك يا عم عبد الحميد وحسن فى عينى الاثنين •  
— يكفينى هذا • ارجع أنت • سلام عليكم •

\*\*\*



لا يكون الحلم الا من تجارب الانسان ومن سابق خبرته  
فالأحلام على هذائها وبعدها عن العقل تخاطب الناس على قدر  
خبراتهم • هي قد تخلط هذه الخبرة وتقلب موازينها وتجعل أعاليها  
أسافلها وأسافلها أعاليها انما تظل بالنسبة للانسان الذى تعرض له فى  
حدود ما عرف من واقع الحياة ، ولذلك يستطيع المرء غالبا أن يعبر  
عنها ويروى ما عرض له فى أحلامه اذا كان منتظما أو يعزوه الى خرف  
النوم أو فقد انتظامه وتتابعه •

اما هذا الذى يراه سباعى فلم يخطر له على حلم أبدا وما تصور  
أن تضم جنبات الحياة شيئا مثل هذا الذى يشاهده من راقصات  
الأوبرج • عرايا صدورهن أو عرايا جسومهن جميعا الا موقعا  
أو موقعين الغطاء فيهما أخبث من العرى وما أن أفاق هونا من ذهوله  
حتى التفت الى شعبان :

— أهؤلاء نسوان

وانفجر شعبان فى قهقهة عالية ليست غريبة ممن يحويهم هذا  
المكان وقال :



- طبياً نسوانُ  
وظل سباعى فى بهره وهو يقول :  
— مثل نسوان البلد عندنا  
واستمرت القهقهة يختطف من شهيقها الاجابة  
— ماذا ترى أنت ؟  
ويقول سباعى فى جدية حاسمة لا أثر فيها لمزاح :  
— النسوان عندنا خفراء  
ويقول شعبان بعد أن هدأت ضحكاته :  
— لعلك لم نراهن الا فى مواطن الجد  
ويقول سباعى فى جديته لايزال :  
— رأيتهن فى كل المواطن .. خفراء .. خفراء فى أكثر المواطن  
خلاعة  
— لعلك لم تحسن الاختيار  
— وهل هى واحدة .. انهن كثيرات عرفتهن .. وكلهن خفراء  
— فما رأيك أنك لم تر شيئا بعد  
— ما أرى يكفى .. يا رجل أنا أتعجب من نفسى كيف لم  
يغم على  
— لا .. اجمد .. الليل مازال طويلا أمامنا ..  
— وماذا سنعمل فيه أكثر من هذا  
— هذا شأنى

— أنا تحت أمرك .. عبدك وبين يديك  
— أولا تشرب هذا الكأس  
وما له أشربه .. هه باسم الله الشافي العافى  
وهم أن يقلب الكأس جميعه فى فمه مرة واحدة ولأن شعبان  
أسرع فأمسك بيده  
— لا .. انتظر .. ليس هكذا  
— فكيف اذن  
— رشفة رشفة .. اتريد أن تنقلب بنا فى الأوبرج  
— أمرك  
— حين ينتهى الكأس أو الكأسان .. وليس أكثر ستري ما لم  
تره حتى الآن ..  
واتهى سباعى من شرب الكاسين فى بطن الجاهل الذى لا خبرة  
له وبدأت المناظر التى يراها تصل الى أعناق كيانه وتضاعدت  
الحما الى مكان الشعور فيه فاذا هو يعيش حياة غير الحياة حتى  
ليحسب انه لم يولد الا فى هذه اللحظة وحين أدرك شعبان ما صار  
اليه حال صديقه سأل :  
— وما رأيك اذا قلت لك انك ستقضى الليلة مع واحدة من  
أولئك الراقصات .  
وفى وقار متمتع سأل :  
— وماذا اصنع معها ؟  
وحينئذ انفجر شعبان مرة أخرى فى قهقهة عالية وراح يقف ثم  
يقعد والقهقهة على حالها حتى اذا استطاع أن يلتقط أنفاسه قال  
لسباعى :

— كَانْ يَوْمْ هُنَا يَوْمْ عَرَفْتُكَ •

أما أصحاب شعبان فكانا اثنين وقد اتخذ كلاهما موقف الشاهد سعيدين غاية السعادة بهذا المخلوق الجديد على المكان والجديد على هذه الحياة جسيما ولكنه عندما سأل شعبان سؤاله الأخير هذا كانا أشد سخيا من شعبان وسأله أحدهما وكان شعبان يدعوه كريم :

— أَلَمْ تَقُلْ إِنَّكَ عَرَفْتَ نِسْوَانَ كَثِيرَاتٍ فِي الْبَلَدِ ••

وفي نفس النعمة الوقور المتعنتة قال سباعي :

— يَا سَيِّ كَرِيمَ أَفَنْدَى اسْمِ اللَّهِ عَلَى مَقَامِكَ النِّسْوَانَ اللِّوَاتِي عَرَفْتَهُنَّ شَيْءٌ وَالنِّسْوَةُ هُنَا شَيْءٌ آخَرُ بِالْمَرَّةِ لَمْ يَرِدْ صَنْفُهُ عَلَى مَظْلَقًا وَلَمْ يَخْطُرْ لِي عَلَى بَالٍ أَنَّ فِي الْعَالَمِ نِسْوَانًا بِهَذَا الشَّكْلِ •• بِالتَّأَكِيدِ هَؤُلَاءِ صَنْفٌ آخَرُ مِنَ النَّاسِ لَا أَعْرِفُهُ أَنَا وَلَا أَبِي •

وتتم الليلة كما ينبغي أن تتم مثل هذه الليالي ويحس سباعي أنه بهذه الليلة أصبح من طبقة أخرى غير طبقة أهله ولكن العجيب أن سباعي مع كل هذه المتعة التي شعر بها والتي أوغلت في العيق من كيانه كان يدرك أن مثل هذه الليالي إنما هي لهو يتمتع بها من يحبها ليلة كل شهر أو ليلتين ولكنها لا يمكن أن تكون حياة بأكملها كما كان يعتبرها شعبان • كان الأمر بين الاثنين مختلفا كل الاختلاف فقد كان شعبان لا يريد من الحياة إلا هذه الحياة • وكان عمله في الأرض عمل مرغم لا راغب مدركا أن أباه سينضب عليه موارد المال إذا هو لم يقوم بواجبه كفلاح يعينه على زراعة الأرض الواسعة بما يستأجر من الاوقاف • أما سباعي فقد كان يرى في الزراعة حياته ويرى في مثل هذه الليلة لهوه •

كان من الطبيعي أن تتوطد العلاقة بين شعبان وسباعي وتكاثرت

الزيارات بينهما • وفى يوم حزم سباعى أمره بعد أن فكر وأطال  
التفكير وتدبر الأمر مع نفسه فأحكم التدبير وقصد الى شعبان فى  
بيت أبيه •

— أنا أحبيتك جبا لا تدري قدره

— هذه مقدمة لشيء تريد أن تقوله

— أى نعم

— قل

— أريد أن أكون قريبك وصاحبك

— فهمت

— وما رأيك

— لابد أن أتأكد من صحة فهمى أولا

— أنت تفهمها وهى طائفة

— يكون أحسن لو فعلت

— أخطب اليك انت أختك قدرية

— هل شفتها

— شفتك أنت

— على كل حال اسأل أبى

— طبعاً

— ولكن لابد أن تشوفها

— ومن غير شوف

— لابد

— أمرك .. كيف ؟

— هذا أمر ميسور • والحقيقة أنا أفضل أن تشوفها قبل أن  
أكلم أبي •

— كيف ؟

— حتى يتكلم أبوك بعد ذلك وتجري الأمور في طريقها الطبيعي  
— ولكن معنى كلامك أنك لا ترفضني  
— أنا لا أملك الرفض أو القبول

— أعرف ذلك ولكن معنى أن تسمح لي برؤية الست أختك أن  
الأمر ليس بعيد الاحتمال •

وتنبه شعبان الى الموقف وسارع يقول :

— أنا لا أستطيع أن أقول شيئا مطلقا • وأنا أسمح لك برؤية  
أختي لأنني اعتبرك أخا • وأحب اذا فاتحت أبي في هذا الموضوع  
أن أكون واثقا أنك جاد فيه • لأن التقدم منك ثم الرجوع مسألة قد  
تسيل فيها دماء •

— أنا أعرف تماما وظيفه أبو سريع عندكم • ولا أحب أن أكون  
أنا أو يكون أبي من بعض مهام وظيفته •

— اذن تراها

— ياليت .. متى ؟

— الآن

— كيف ؟

— اسمع .. أخرج من الباب الأمامي قدام الخدم ولف وعد  
لي من باب الشرفة ..

## ـ أمرک ..

وخرج سباعى وعاد وفتح شعبان حجرة مجاورة وأدخله فيها :  
ـ سأنادى قدريّة وأنت تستطيع أن تراها من هنا وسأجعلها تقعد  
بحيث لا تراك فحين تراها وتسعها روح الى بيتك من هذا الباب  
الذى يخرج من الشرفة الى الحديقة الى الخارج •

ووجه سباعى قليلا وقال :

ـ وكيف سأقول لك أنى وافقت ؟ ..

ـ قلها بكرة .. لا أريد أن أعرف رأيك اليوم على كل حال •

## ـ أمرک ..

ودخل سباعى الحجرة وأبقى شعبان بابها نصف مفتوح حتى  
إذا رآته قدريّة حسبت أنه نصف مقفل وأنه ترك هكذا عن إهمال  
لا عن عمد ..

ونادى شعبان من بهو البيت الأسفل :

ـ قدريّة .. قدريّة ..

ـ نعم يا شعبان فيه حاجة ؟ ..

وأملت عليه من أعلى فقال :

ـ ماذا تصنعين ؟

ـ لا شيء .. أسمع الفونوغراف ..

ـ أنا زهقان .. لماذا لا تحضرين الكوتشينة وتجيئين تسلى؟

ـ حاضر .. جابة ..

ـ وجاءت وراها سباعى وفهم كل شيء ..



هى النقيض الكامل للنسوة اللواتى خبلن عقله بجمالهن فى الكباريه هى الطرف الآخر من جبال الخليقة .. اذا كان سبحانه قد خلق النسوة الجميلات ليرى عباده بديع صنعه فهو سبحانه جلت قدرته قد خلقها ليعرف عباده شديد سخطه .. اذا كان هناك من لا يصدق أنه سبحانه قادر على خلق الجنة والجحيم فليضع قدرية الى جانب أى جميلة من جميلات أى مكان سواء كان هذا المكان هو الأوبرج أو حتى قرية الصالحة . وحينئذ ستمثل له فى الفتاة الطبيعية الجنة كل الجنة وفى قدرية الجحيم غاية الجحيم . سبحانه انه على كل شىء قدير ..

لهذا قال له عبد الحيدة أبو ديدة أخطبها ولهذا لم يرفض شعبان فكرة زواجه بها رفضاً قاطعاً من أول وهلة وان كان قد دهش من رد الفعل الذى استقبل به شعبان طلبه : وان كان قد ذهل لأن شعبان جعل الأمر قابلاً للاتمام وان كان قد ازداد ذهوله حين وجده يسارع الى اتاحة الفرصة له أن يرى أخته ، فان الدهشة والذهول الآن لا مكان لهما فهو بالنسبة الى الحالة التى رآها فرصة لا نفوض لعز الدين بك .. فلاشك أن أباهاً وأمها وأخاها لم يكونوا يأملون أن تتزوج أكثر من عامل زراعة فى أملاكهم ويكون العامل مظلوماً .

كيف استطاع فيها أن يكون بهذه السعة وكيف استطاع أنفها أن ينفش لينال من وجنتيها - اذا كان لها وجنتان - كل هذه المساحة .. وكيف استطاع هذا الوجه المسحوب كعلامة تعجب أن يسمع كل هذا الفم وكل هذا الأنف .. وهى تغطى شعرها ببنديل ولكنه شعر متمرد صاخب يرفض المنديل ويقذف به الى أعلى ليجعل منه طرطور . وكل هذا يهون اذا تركز البصر من الناظر على ذقنها انه مقذوف الى أعلى يوشك أن يغلق الفم وربما كان هذا هو السبب فى نحافتها المفرطة .. فلاشك أن فيها يجد مشقة عاتية فى أن يلقف اللقمة ..

لقد وعى سباعى قبح الفتاة وعيا كاملا ولكن العجيب فى أمره أنه ازداد اصرارا على الزواج بها فقد أدرك لحظة رآها أن الزواج بينهما متكافئ بل ان أسرتها هى الكاسبة فيه لأنهم لا يعرفون ما يفكر فيه هو .. الزواج متكافئ لاشك .. هى قبيحة كل القبح وهو فقير بعض الفقر .. فهو مقبل اذن على الزواج فى عزم واصرار ازدادا ولم ينقصا .. وهو فى اقباله هذا غير مرغم ولا مضطر فانه يستطيع اذا لم يكن يريد للزواج أن يتم أن يذهب من غده الى شعبان ويحدثه فى حديث آخر غير هذا وسيفهم شعبان وسيعذره .. فهو مصمم .. وهو مصمم أيضا أن يكلم شعبان أباه حتى يكون وهدان مضطرا لاتباع الزواج ، وقد كان سباعى مقدرًا لهذا الأمر منذ دبر أمره قبل أن يفتح شعبان فى شأن الخطبة . فهو يعلم حرص أبيه وهدان على أن تعيش أسرة بعيدة عن كل المشاكل فاذا هو امتنع عن اتمام الخطبة فالويل الآخذ والانتقام الويل ..

وقد كان سباعى واثقا انه حين يطلب من أبيه أن يخطب له ابنة عز الدين سيرفض رفضا قاطعا كما كان واثقا أنه سيقبل أن يخطبها له على رغم أنه اذا أخبره أن شعبان فاتح أباه فعلا فى الأمر .. انه قبل .. قدر سباعى هذا جيعة وأقدم على هذا الحديث مع شعبان ..

وفى الصباح الباكر كان سباعى واقفا بجانب شعبان فى الغيط :

— متى ترد على ؟

ونظر اليه شعبان مليا ثم قال :

— تعال الليلة فى البيت ..

\*\*\*

انتظر سباعى حتى صبحا أبوه من القيلولة وتوضأ وصلى صلاة



العصر واستقرت به الجلسة على الأريكة وبجانبه نبوية ، وكان وهذان  
منشرح الصدر فهو يقول تلك الجملة التي كثيرا ما يردها :

— لقد كان قطع ذراعى بركة .. تزوجت به نبوية بعد أن تأكدت  
من قطعه .. انها تحبني لشخصى وأعفانى الله من غسيل ذراعين فى كل  
وضوء مكثفيا بذراع واحدة .

وضحكت نبوية وهى تقول :

— أما زلت تذكر زواجنا .. قد آن الأوان أن تفكر فى زواج  
أبنائنا ..

وقال وهذان :

— ما أحب هذا الى ..

واندفع سباعى الذى كان يتربص بالحديث :

— صحيح يا أبا ؟ ..

— صحيح جدا ..

— اذن فأنا أريد أن تخطب لى ..

— من ؟ ! ..

— قدرية بنت عز الدين بك الخولى ..

وهب الأب واقفا :

— من ؟ ! ..

هذقت نبوية صدرها وهى تقول :

— من ؟ ! ..

وقال سباعى :

.. ماذا يا أبا .. ماذا يا أمه ..

وألجمت الصدمة لسان وهذان وذهات الأم بعض الحين ثم  
قالت :

— ولكن يا ابني .. هل .. هل يقبلون ؟ ..

وابتسم سباعى وهو يقول :

— لقد قبلوا فعلا ..

وصاح الأب مرة أخرى وهو ما يزال واقفا :

— ماذا ؟ ! ..

وقالت الأم :

— قبلوا .. اذن ..

ومات الكلام على شفيتها وارتمى وهذان جالسا على الأريكة  
معتسدا برأسه على ذراعه الواحدة مفكرا فى كل ما فكر فيه ابنه من  
قبل .. وتست الخطبة وتم الزواج .

\*\*\*



أقام سباعي وزوجته في بيت وهدان .. ولكن وهدان لم يكن يطيق أن يكون البيت مزارا لعز الدين وابنه شعبان .. وما كان يتصور أن أسيرة كهذه تندمج مع أسرته .. وما كان يدور بخياله أن شعبان يسكن أن يدخل الى بيته في أى وقت من أوقات اليوم وهجست نفسه أن شعبان ربما فكر في الزواج من فاطمة أو عابدة وإذا مر هذا التفكير بذهن شعبان فهيئات لوهدان أن يرفض لأنه لم يكن يريد أن يسوت مقتولا .. فمؤلا، نفر من الناس لا يقف بهم نسب أو قرابة أن يرتكبوا أى جرم .

سارع وهدان فابتنى بيتا لابنه سباعي ولم يشعر أن كارثة زواج ابنه من ابنة هذا المجرم قد خفت حدتها الا يوم انتقل هو وزوجته الكثيبة الى البيت الجديد ، ومهما يكن البيت قد كلفه فكل مال حين اذا قارنه بمصيبة زيارة واحدة من عز الدين أو اطلالة من شعبان على أخته التى تسكن في نفس البيت الذى يعيش فيه مع نبوية وابنتيه .

وكان التعليم قد اتشر في القرية انتشارا أتاح لفاطمة أن تجد

شابا متخرجاً في كلية التجارة هو حسونة الزينى خطبها بعد أن تم تعيينه بالصعيد مراجعاً لحسابات السكة الحديد بها • ولم يسر كثير من وقت حتى خطبت عابدة أيضاً الى ياسين ضيف خريج كلية دار العلوم والذي عين مدرسا بالقاهرة • وقد كان ياسين قبل أن يلتحق بكلية دار العلوم شيخاً معماً نال ثانوية الأزهر ثم التحق بكلية دار العلوم وكان الأب والأم سعيدين غاية السعادة بهاتين الزيجتين • • وكان كلاهما يحمد الله أن عوضهما عن زيجة سباعى •

والواقع أن قدرية لم تكن في أخلاقها على هذا القبح الذي طبعه الله على وجهها وان كان بلوغ هذا القبح غير المنال على أية حال • • الا أن الفتاة كانت رضية الخلق تعامل حباها وحساتها بكل اجلال واحترام • • وكان وهذان بحاسة العدل فيه وبشاعر الأبوة يعلم أن قدرية لا ذنب لها فيما ركب عليه أبوها وانها تزوجت برغبة منفردة من زوجها وبشعور بالسعادة من أبيها وأخيها أن وجدت انسانا أى انسان يقبل أن يتزوجها •

وهكذا كانت معاملة وهذان ونبوية لقدرية تتسم بالأبوة الكاملة وبالحنان الشفوق لا يفرقان بينها وبين ابنتيهما وكانت هي تقوم مع أختى زوجها بشئون البيت في يسر ونعومة • ولم يحدث في يوم أن اشتجر خلاف مهما يكن هينا بينها وبين أحد من أهل البيت جميعا • • حتى الخدمات اللواتى استقبلنها في وجوم وأسى لقبحها وليس لأى سبب آخر هن أيضا سرعان ما أصبحت عندهن واحدة من أهل البيت لا تختلف معاملتهن لها عن معاملتهن للست فاطمة والست عابدة • والخدمات في الريف يألفن بنات الأسر التى يعملن بها حتى تصبح الصلة بينهن صلة أقرب الى الأخوة منها الى صلة سيد بمسود • • فلم يكن غريبا اذن أن تفرح قدرية بخطبة فاطمة ثم عابدة كفرح البيت جميعا من سادة وخدم •

وقد يتساءل الشباب ما هذا الزواج الذى تم بغير حب سبقه ولا لقاء ولا اتفاق بين العروسين ولو عرفوا الريف فى هذه الأزمان لعلموا أن الزيجات التى كانت تتم على حب فى الأسرة المتوسطة تكاد تنعدم . ففتيات هاته الأسر لم يكن يخرجن من بيوتهن منذ اليوم الذى ينقطعن فيه عن التعليم بل ان الكثيرات منهن كن يتلقين تعليمهن فى البيت اذا كان الأب يريد لبناته أن يتعلمن . فالدائرة التى تسمح لسجنهن ضيقة غاية الضيق ولكن تفاصيل حياة كل فتاة ومدى جمالها أمر مشاع بين أبناء القرية جميعا . والخطاب حين يتقدم الى الخطبة يكون علما بكل اسرار الفتاة التى يتقدم لها ولكن من غيرها وليس منها .

فأحاديث القرية عن القرية . وأمهات هؤلاء الشباب يروين لهم كل شئ عن كل فتاة او سيدة أو حتى طفلة فى القرية فينشأ الفتى وأبناء القرية جميعا فى كامل وعيه لا يغيب عن شاب من هؤلاء الشباب خبر عن اى فتاة من فتيات قريته .

والأمر مختلف كل الاختلاف اذا كان الزواج من ابن فلاح يعمل فى الحقل وابنة فلاح آخر يعمل . فالفتيات فى هذه الفئة يخرجن كل يوم ليذهبن بالطعام الى آبائهن أو أخواتهن فى الحقول وهن يملأن الجرار وهن يشترين حاجات البيت فى أيام الأسواق فاذا كان الحب قد اندلع بين وهدان ونبوية حين كان الزمن مازال فى غيبوبة الجهل فهو مندلع أيضا والزمن قادم على نور العلم لأن الفتيات من مشيلات نبوية حين تزوجت مازلن كشأنها فى الأيام الخالية من طفولتها وصباها وباكرا شبابها .

ربما لو كان هناك شاب من أقرباء وهدان أو نبوية يتردد على البيت بصلة القرابة وشب حب بين هذا الشاب وبين واحدة من الفتاتين كان الأمر قد تغير . وقد كانت الفتاتان جميلتين وكانت كل

منهما تمثل نوعا من الجمال الذى لا يختلف فيه اثنان وان كان هناك مجال لاختلاف فانه سيكون تقدير مدى هذا الجمال . كانت احدها خميرية اللون ذات تقاطيع منسجمة لها أنوثه جذابة وشعر مناسب فيه رخاء وسيولة ولين وكانت الأخرى عابدة شديدة البياض فى خديها حمرة واهنة وفى عينيها سواد داكن يتوسط بياضا ناصعا وفى شعرها عريضة حيية ، كلتاها مشوقة القوام وكانت عابدة أطول من فاطمة قليلا ولكن لا يشتكى من فاطمة قصر ولا يعاب على عابدة طول .

فالفاتان كاتتا جديرتين أن تجبا . ولكن لم يكن هناك حبيب فالذين يرونها من الرجال لا ترتقى آمالهن الى جهن . وكلتاها كانت تعلم أنها ستجد الزوج اللائق بها فقد كانت كل منهما تعلم أنها جميلة وأن أباهما من يآلف الناس ويألفون وأن أمها قريبة الى مشاعر الأمهات فى القرية لم تد يدعها لاحدها بغير المعروف والمكرمة . كلتاها كاتتا تجدان المتعة فى كتاب من الكتب الكثيرة التى كان يشترها لهما خليل وفى الراديو ما وجدت البطارية وفى الاسطوانات . وقد تزوجتا كلتاها وهما فى مطالع الشباب فلم تضق منهن نفس ولم تشعر واحدة منهما فى حياتها برهة المستقبل ولم يهدد أحدهما شبح من عنس .

وما هى الا سنوات قلائل حتى امتلأ البيت بأبناء فاطمة وعابدة يأتون جميعا الى بيت وهدان فى الاجازات والأعياد وكان الجدان يشعرا ببعيئهما أن الحياة التى عاشاها كانت مشرة خصيبة ولم يشعر واحد منهما بالأسف أن سباعى لم ينجب وقد استطالت سنوات زواجه . وكان سباعى فى هذه السنوات تواقا الى ابن وليس ابنة ليضمن وارثا لماله الذى سيؤول اليه من أبيه والذى ينوى أن ينسبه بكل الخطط التى كان يعدها طوال حياته وما ستره أيضا قدرية من أبيها وهو نصيب ان يكن نصف نصيب شعبان الا انه يظل مع ذلك موفورا ولم يكن قبح زوجته بالنسبة اليه يشكل أى أسف لزواجه

منها • فقد سرعان ما تعودته حتى لم يعد يرى فيها ما رآه في أول يوم دهمه فيه رؤياها • وهو أيضا كثيرا ما يروح عن نفسه مع شعبان • ولم يكن شعبان يجد أى غضاظة أن يصحب زوج أخته في لياليه الصاخبة بل لعله كان يعتقد أنه اذا لم يصحب شعبان فان شعبان سيجد وسيلة أخرى يخفف بها وطأة أخته عليه وهي وطأة لا يطيق احتسائها الا ذو قوة وايد •

وكان العرب قد بدأوا يرودون ملاهى شعبان وسباعى • وكانوا حريصين ان يجدوا لأنفسهم أصدقاء في القاهرة • وكان شعبان يتمتع حيث يسعى بأنه ابن أحد النواب وبأنه ثرى وأحس أمير عربى أن مثل هذا لن يطمع في ماله وانه يستطيع ان يتخذ منه صديقا • فاتخذة صديقا وأصبح الأمير نمر من أقرب أصدقاء شعبان أما سباعى فكانت الصلة بينه وبين الأمير صلة تعارف لا تصل الى الصداقة • وكثيرا ما دعا شعبان الأمير الى شقته بالقاهرة وكم سعد أبوه عز الدين حين دعا الأمير الى يتهم في القرية فأى مجد يناله وهو يصيح في خدمه • القهوة لسمو الأمير يا ولد • الشاى لسمو الأمير يا ولد • انه لم يحلم بزيارة وزير فكيف بأمير • كان فخورا عز الدين بابنه وبصداقته هذه الأمير فخرا لم يعرفه حياته كلها •

ودعا الأمير شعبان أن يزوره في بلده فلبى الدعوة وحده طبعيا فالدعوة لم توجه الا اليه • وحين سافر شعبان لم يكن يفكر الا في رؤية هذه البلاد وحين استقر به المقام هناك ووجد الثراء الفاخس الذى يعيش فيه الأمير انتهاز فرصة خلا فيها به وسأله في شبه مداعبة :  
— أُنقبلون في أسرتكم غير الأمراء •

وقال الأمير :

— يا أخى وما الأس كلنا أبناء آدم وكلنا مسلمون •

— أحقا ما تقول يا سمو الأمير •

- نعم هو الحق ؟
- لك أخوات لم يتزوجن بعد ؟
- تسع أخوات تزوجت منهن اثنتان ..
- فإذا طلبت منك أن تزوجني إحدى السبع الباقيات .
- أيهن ؟
- وهل أعرف .. انها أول مرة أعرف أن لك أخوات ؟
- وكيف تريد أن تتزوج اذن ؟
- بالانابة .
- الانابة تكون في زوجة محددة .
- اننى اوكلتك عنى في الاختيار أما العقد فلا داعى فيه للانابة
- فأنا حاضر بين يديك .
- أتريد أن تتزوج في هذه الزيارة
- وأعود الى أبى بالعروس .
- وهل هذا معقول ؟
- وفيهم نحتاج الى الزمن . ألسا يبنى موجود في البلدة وفي
- ساعات أختار للأميرة أحسن شقة في القاهرة والأميرة قطعاً لا تحتاج
- الى جهاز فقيم الانتظار ؟
- اسألها .
- هل اخترت لى ؟
- قد اخترت .
- وتزوج شعبان من الأميرة العربية وعاد بها الى أبيه وأقيم
- الفرح في القرية ثلاث ليال سوياً . ونم تكن الأميرة على كل حال في
- قبح قدرية . وهو حين طلبها انما سعى الى لقبها وراثتها وما سعى الى



جمالها أو أنوثتها • قدر أنه لابد أن يتزوج وقدر أن مثله لا يعرف  
للحب الا هذا الذى يمارسه فى لياليه فى القاهرة وعندما تنطفئ  
الأنوار تتساوى جميع النساء •

\*\*\*

اشتد المرض بوهدان فقد داهمه الكبر فجأة وتوالت عليه  
علائمه وأحس أنه يعيش الأيام الأخيرة من حياته • وكانت نتيجة  
البكالوريوس على وشك الظهور فكان كل دعائه حين كان يصلى  
وهو نائم من شدة الوهن أن ربى لا تضمنى اليك حتى أعرف نتيجة  
خليلى • أريد أن أقول له يا دكتور مرة واحدة قبل موتى • ومن  
العجيب أن قدرية كانت حاملا فى هذه الفترة وكانت قاب قوسين  
أو أدنى من الولادة ولم يدع وهدان ربه أن يرى سباعى قبل أن  
يموت وإن كانت نبوية تدعو له دائما بطول العمر ثم تهمس وكأنها  
تناجى الله فى علياء سمائه وإن كان لابد يا الله فافرحه بنجاح الدكتور  
خليلى وبحفيد من أبنة البكر •

وفى يوم أصبح خليل الدكتور خليل وقبله أبوه وعيناه تنهران  
دموعا وراح ينظر الى السماء وهو يقول الآن اذا شئت يارب •• الآن  
ولك ألف شكر وألف حمد وأبت السماء الا أن يأتيه الخبر الآخر فى  
نفس اليوم أن ابنه سباعى قد رزق بولد وكان سباعى هو من سعى  
اليه بالنبا وقبل يده وسأله :

— لن يختار له الاسم الا أنت يا آبا •• أطال الله عمرك •  
وقال وهدان وهو يلتقط أنفاسه :

— ليكون اسمه صلاح وليكن صلاحا باذن الله •

وفى المساء فاضت روح وهدان وهومت فى سماءات القرية  
كلمات الآية الكريمة ••• يخرج الحي من الميت سبحانه •••

\*\*\*



الانتخابات في القرى مواسم • حين تقبل يصبح الجميع مشغولا بها لا يصرفه شيء عنها • الا أن يكون موعد زراعة أو ري أو تسميد فان الأرض لا تعرف التأجيل والنبات لا شأن له بالانتخابات فهو لن يعطى صوتا وهو أيضا لن ينال ما يناله أصحابه من مال أو من تسليّة •

ولئن كان النفاق هو أعظم العملات تداولاً في الحياة جسيماً فان موسمه الأكبر هو أيام الانتخابات • • نفاق متبادل يقدمه المرشحون الى الناخبين ويقدمه الناخبون الى المرشحين مع ما يكرمونه به عند زيارتهم • ويروى أحد المرشحين المشهورين أنه ذهب في يوم لزيارة بلدة من بلاد دائرته الانتخابية فلقى أهالي على الأعناق واتجه الركب الى بيت العمدة ليكون أول بيت يزوره المرشح في القرية وكان التراب قد تصاعد الى عيني المرشح حتى لم يعد يرى وهو بطبيعته ذو عيون كليلية حساسة فهمس في اذن العمدة أنه يريد أن يغسل وجهه وسرعان ما أخلى الطريق له الى الحمام وغسل وجهه ونشفه ووضع نظارته على عينيه • ووجد بالحمام شيئاً عجيباً ووجد

لافتات في حجم اللافتات التي استقبلته بها البلدة لا فارق هناك بينهما  
الا شيء واحد هو أن هذه اللافتات تحمل اسم المرشح الآخر •

ولئن كانت الرشوة تستتر وراء الكلمات في مألوف الحياة  
وان كان المرثى يقول دائما ان المال لغيره والراشى يتظاهر بأنه  
يصدق فان الرشوة في أغلب الانتخابات تسفر عن وجهها سفورا كاملا  
لا تتشح بسائر ولا تستخزي وراء الكلمات ولا تستحي ان تصرح •  
فاذا لم يكن للبلدة كبير يرشى فقد تمثل الرشوة في تبرع يقدمه  
المرشح لجامع يبنى علم الله أنه تبرع لن يكتب في الحسنة أبدا • واذا  
كان كبير البلدة غفيف النفس وطلب الى المرشح الا يقدم أى تبرع في  
أثناء الانتخابات سعى الصغار الى المرشح يوسعونه مطالب واستجداءات  
حتى ليتسنى لو كان كبير البلدة مرتشيا فطلبات الأفراد لا نهاية لها  
أما التبرع أو رشوة الكبير فرقم محدد وينتهى الأمر • ولما كان  
المكر السيئ يحيط بأهله دائما فالراشون هم في الأغلب الأعم هم  
الساقطون فان المرشح الواثق بنفسه لا يقبل مساومة في فترة الانتخابات  
قط حتى لأعرف مرشحا كلفه المطعم والمشرى واستقبال الناخبين مبلغا  
لا يتجاوز بضعة مئات ولكنه خشى أن يعرف أحد هذا فيظن أنه  
انفق في الرشوة مالا فقال لابنه وهو يئنه بالحساب لا أحب أن يعرف  
أحد أنني انفقت هذا المبلغ • وكان نجاح هذا المرشح ساحقا •

فالمرشح السياسى الخير بالانتخابات يعلم أن الصوت الذى  
يشتريه لم يصبح له وانما يصبح سلعة في السوق • واذا كانت  
السلعة يدفع مشتريها ثمنها ويتسلمها فان الصوت سلعة غير آمنة  
ولا دأمنة فهي تأخذ من كل المرشحين ثم لا تنتخب أحدا على الاطلاق  
أو قد تنتخب من لم يدفع لها شيئا •

ولكن حين يكبر بين المرشحين مجرم مثل عز الدين الخولى فان  
الأمر يختلف كل الاختلاف • فان أغلب البلاد لا تريد أن تتعرض

لزبائنته ومجرميته الذين يسلطهم على عباد الله فيفعلوا بهم الآفاعيل.  
من حرق للزرع الى سرقة للبهائم الى قتل اذا احتاج الأمر الى  
قتل • والبلاد في الريف تخاف على زرعها وعلى بهائمها وعلى ارواحها  
ولكنها لا تحب أن تعلن انها خائفة فهي تتظاهر بكاء لا يتأتى  
الا للفلاحين أنها تنتخب المرشح المجرم عن حب وطواغيه وليس عن  
خوف واذعان • وانها تختاره راغبة لا راغمة • والمجرم أعمى  
البصيرة بطبيعة تكوينه وان لم يكن كذلك لادرك أن مال العالم وسلطان  
أجمع لا يساوي دم انسان برىء واحد من الدماء التي يريق ، وبهذا  
العمى في البصيرة يصدق أنه محبوب من دائرته وانها تنتخبه عن  
اقبال وحب • • وقد يسأل واحد من الذين لم يعيشوا في الريف •  
الا يسأل المجرم نفسه لماذا يحبه الآخرون وهو قاتل سفاح يهدد  
مصادر رزقهم ويقض منهم المضاجع ويجعل حياتهم رعباً وموتهم لعبة •  
ان هذا السؤال قد يرد على ذهن المجرم وهو واجد عند نفسه  
الجواب فهو يظن ان الفلاحين ما داموا يطربون حين يسعون حكايات  
أبو زيد الهلالي وعنتر بن شداد والزناتى خليفة ، ومادام بعضهم  
يروى لبعض حكايات أدهم الشرقاوى ومن تبعه باجرام الى الخط فهم  
اذن يعجبون بالرجل القوى الذى يصادر الحياة ويجعل من نفسه  
جلالاً لمن يقول في وجهه لا اله الا الله محمد رسول الله • وهو منطق  
كما ترى سخيّف وساذج • أما الطرب من الفلاحين لحكايات الأبطال  
فهو شعور بأن هؤلاء الذين تروى عنهم الاساطير قد واجهوا الظلم  
بمثله ودافعوا الطغيان بالقوة والعنفوان وهو ما كان الفلاحون يتمنون  
أن يصنعوه مع أمثال عز الدين الخولى • فعنتر وأبو زيد والزناتى  
واضرابهم هم أراحة الغضب الذى يغتلى في نفوس المغلوبين على أمرهم  
أمام القوة العاشمة المتمثلة في أسلحة الطغاة وأعوانهم •

أما رواية الفلاحين لتقصص المجرمين من معاصريهم فهي اتقاء  
لشرهم وتظاهر بالاعجاب بهم عساهم أن ينأوا عنهم باجرامهم وأذاهم

فالنلاحون اذن بما يروون انما يتقون شرا ولا يعجبون بشرير الا أن يكونوا أطفالا يسمرون ما يلبثون مع الأيام أن يدركوا الحقيقة وأن يعلموا الذميمة والطيب والفساد والصالح والأعوج والقويم •  
ولكن عز الدين الخولى وأمثاله لا يحبون هذا الحق وانما يحبون أن يهيئوا لأنفسهم أنهم أبو زيد وعنتر والزناى وأدهم الشراوى والخط جميعا • وانهم محبوبون •

ولهذا لم يكن عجيبا أن يزور عز الدين الخولى بلاد الدائرة فى سيارة مكشوفة وخلفه صفوف من السيارات التى استأجرها للانتخابات بأسعار توشك أن تكون رمزية فأصحاب السيارات أصحاب أولاد يخشون أن يخطفوا وأصحاب أرواح يخشون أن تحرق • • فهم اذن يقدمون سياراتهم له بكل الحب وبألفاظهم صائحين انها ملكه هى وأصحابها مقسمين بالطلاق ألا يتقاضوا مليما وما يزال بهم حتى ينزلوا على أمره ويقبلوا ما يعرضه • وقد كان ما يعرضه سفاكا للمال كما هو سفاك للدماء وكانت الانتخابات قد بدأت وكان عز الدين منتشيا لحزب الوزارة التى تركت الحكم ولكنه فى تفاق واضح لا شبهة فيه ولا مراوغة ترك حزب الحكومة المولية وانضم الى حزب الحكومة الحاضرة • فالرجل لم يدع فى يوم من الأيام أنه ذو مبدأ أو أنه سياسى أو أنه — لا قدر الله — ذو شرف •

ولم يكن هذا الانتقال من حزب الى حزب نظرة الى الانتخابات فهو يعرف نتيجتها على الحالين وانما كان تحسبا لما بعد الانتخابات وحرما على أن تكون صلتة بالسلطة التنفيذية وطيدة فتظل ايجارات الأوقاف سارية المفعول فى العهد الجديد وتظل رغباته فى تعيين العمدة ونقل الموظفين نافذة • وهو قبل لم يختار الحزب الذى كان فيه عن مبدأ ولا هو انتقل الى الجانب الآخر عن اعمال رأى • • فالشرف السياسى بعيد عن كيانه كل البعد • ومادام الأمر كذلك فماذا سيخسر اذن ان هو ترك حزبا الى آخر • • لا خسارة طبعا • • والريح مؤكد •

وراحت مواكب عز الدين تجوب بلاد الدائرة • وان له لبصمة  
في كل بلد زارها • • وبصمة السفاح ترك حيث تقع دماء ان لم تكن  
دماء بشر فدماء كرامة مسفوكة وخزى يلحق بمن اختاره الطاغية  
ليكون ضحيته • • والسفاح معدوم الحياء جامد الوجه شديد التبجح  
فليس يراعى الا يمر ببيت قوم قتل عائلهم أو سلب بهائمهم أو حرق  
زرعهم أو محصلولهم • وانما هو يتحرى أن يعمد في أول نزوله الى  
القرية الى البيت المخضب بدماء البشر أو الكرامة أو الفقر التي أسألتها  
هو ويتعبد أعوانه الذين هم على شاكلته من الفجور أن يرفعوا عقائدهم  
بالهتاف له ثم ينطلق رصاص عصاباتة ليعلن أن الذي يتخلف عن الهتاف  
ينوب الرصاص عنه في هذا الهتاف •

وعلا الضجيج وعلا الصخب ودق الطبل وعلا المزمار وتهافت  
أصوات الرصاص وغلت دماء في العروق وصعدت حيا الجنون الى  
مكان العقول وسقط عز الدين الخولى قتيلًا برصاصة في رأسه وخشع  
الطبل والمزمار وولى المجرمون بزعامة أبو سريع هربا وهم من كانوا  
يقسمون في كل يوم أنهم يهدونه بحياتهم • • ولكن القسم شيء وقتله  
ومجىء الشرطة والتحقيق شيء آخر • • وبدا الفرح على وجوه الجميع  
في القرية تحاول أن تغطيه الحوقة ولا اله الا الله • • وسبعان  
الدائم • • ومحاولة التظاهر بالحزن أمام ابنه ومن بقى من أعوانه • •  
فمن أين لهم أن يعلموا ان كان شعبان في مثل اجرام أبيه أو أقل  
أو أكثر فهم لم يجربوه بعد ولا يدرون مدى جبروته أو ضحيته • • انشد  
عاش عمره تابعا لمجرم أفتراه يصبح متبوعا لمجرمين أم لا يكون الله  
وحده أعلم • • التظاهر بالحزن أسام • • وما هي الا ساعة أو بضعة  
ساعات ثم ينحسر عن القرية موكب الاجرام وينرغون هم لأفراحهم  
بما خلصهم الله من هذا العاتية السفاح • • كان من المستحيل أن  
يعشروا على الجاني فكم من أعداء للقتيل • • وان انصرف الظن الى من  
نكبهم عز الدين من أهل القرية فسرعان ما يفيب هذا الظن فقب

كانوا جميعا يعلمون أنه قادم الى القرية فى هذا اليوم وكان من  
الطبيعى أن يتركوا القرية اكراما لأنفسهم أن يروا وجهه الذى  
لا يطيقون رؤيته وتقية أن يبلغ منهم الغيظ مداه فتنتطق من أفواههم  
كلمة قد تكون فيها نهايتهم ويدرك الشرطة أن القتاتل قادم من بلد  
أخرى وأنه تخفى حتى لا يلمحه أحد ممن يعرفونه من أبناء هذه  
القرية وأنه انتهم فرصة الهتاف والرصاص والطبل والمزمار ونال ثأره  
وتأر كثيرين آخرين غيره .. ولم يدهش أحد من كل الذين شهدوا  
القتلة أو الذين سمعوا بها فهي أمر كان لا بد أن يقع على هذه الصورة  
وليس على غيرها .. كل الذى كانوا لا يعرفونه هو متى .. وقد  
عرفوه ..



٩

حين اجتمعت أسرة وهذان بعد وفاته بفترة قال خليل كلاما قاطعا :

— يا أمه أنت الكبيرة ولا رأى قبل رأيك ولا بعده ولكننا نعرف أن هذا الحديث لا يطيب لك .. ونعرف معنى أن تفقدى المرحوم ولكننا فلاحون .. والأرض جامدة صلبة بلا عواطف ولا بد لها من خدمة وأنا لى رأى ..

— يا خليل يا بنى أنا ليس لى أرض .. الأرض أرضكم .  
وقال سباعى :

— بل كلها أرضك ..  
وقالت فاطمة :

— اسمعى يا أمه انت تديرين الأرض كما كان يفعل أبى .. يساعذك سباعى ..  
وقالت عابدة :



— ونعم الرأى يا فاطمة .. وماله يا أمه .. أنت فلاحه بنت  
فلاح وسباعى ابنك ..

ونكس سباعى رأسه فى مراوغة مكشوفة وقال :

— أنا تحت أمركم .. الا أننى أحب أن أتسلم نصيبى ..  
وقالت الأم فى أسى وفى تودة :

— طول عمرك مستعجل يا سباعى ..  
وقال سباعى :

— ليس فى الأمر استعجال .. هذا شرع الله ..  
وقالت الأم :

— لا اله الا الله .. وهل نازعك فيه أحد .. ولكن أنت كذا  
طول عمرك مستعجل ..

وقال سباعى :

— يا أمه أبدا ..

وقالت نبوية :

— ان لم تكن عجولا لا تنظرت على الأقل حتى تسمع رأىى ..  
وقال سباعى :

— أنا آسف يا أمه .. الحق على .. قولى رأيك ..  
وقالت نبوية :

— الآن لا أقول ..

وقال سباعى :

— ورحمة أبى الا قلت رأيك ..

وقالت نبوية :

— ماذا كنت تريد أن تقول يا خليل ؟ ..

— كنت أريد أن أوفر عليكم كل هذا الحديث .. أما الآن وبعد  
أن قالت فاطمة ما قالت ووافقت عابدة على كلامها فلا بد أن أسمع  
رأيك أولا ..

واندفع سباعي قائلا :

— هذا ليس رأي فاطمة ولا عابدة .. هذا رأي الشيخ ياسين  
والأستاذ حسونة ♦

وقال ياسين :

— أولا يا سباعي أنا وحسونة جالسان ولم نفتح فمنا بكلمة  
وأقسم بعهد الله أننا لم نلتق قبل هذا الاجتماع ولم نتفق على هذا  
الصمت ولكنني رأيت أن هذا هو الخلق بي ويبدو أن حسونة رأى  
نفس هذا الرأي .. ولو كان ما قالته زوجته رأيي لقلته وأعتقد أيضا  
أنه لو كان رأى حسونة لقاله فليس علينا بأس أن نشارك في شئون  
عائلة أصبحنا منها بحق النسب .. ولكن هذه أرضكم وزوجتي  
والحمد لله تعيش حياتها الزوجية في رضى وأعتقد أن أختها كذلك ..  
ولهذا فأنا أرجوك أن تبعدنى عن هذه المناقشة وينها لى أن حسونة  
يرجوك نفس هذا الرجاء ..

وقال حسونة :..

— الله يفتح عليك يا ياسين .. ليس لى بعد ما قلت كلمة واحدة  
أزيدها ..

واستخزى سباعي بعض الشيء وأطرق وقالت نبوية :

— ألم أقل لك يا سباعي أنك دائما مستعجل ..

وقال سباعي :

— الحق على مرة أخرى .. قولي أنت رأيك ..

وقالت نبوية :

— الأمر لله .. أقول .. أنا لا أريد من الدنيا الا أن أكون  
أمكم وأن أبتى في هذا البيت لأفتحكم جميعا حين تأتون اليه  
وبهذا أشعر أنني استطعت أن أرد بعض الدين الذي في رقبتي  
للمحريم الذي تشئت معه ما عشت ولم أر منه في لحظة من اللحظات  
ما يسيئني حتى اذا غضب كان يدخل الى حجرته ويقفل بابها على نفسه  
حتى لا أراه مكشرا .. أرض ؟ أنا لـ أشوف .. وان كنت  
كما قالت فاطمة فلاحه وبنت فلاح الا أنني منذ تزوجت أباكم لم  
أخرج الى الغيط .. حتى حين كنا فقراء في أول حياتنا رتب لنا مصطفى  
السقا حتى لا أخرج لملء الجرة .. فأى أرض هذه التي أشوفها ..  
وهل تسمح سنو بذلك .. يا أخى أنا كفاية على أن أجعل البيت  
دائما مستعدا لاستقبالكم .. غير هذا أنا ليس عندي كلام ..  
وما تشبهه أنت وأخوك أنا مسئولة أن أجعل فاطمة وعابدة  
تقبلانه ..

وقال خليل :

— أطل الله عمرك يا أمه وأبقاك لنا جميعا .. نعم الرأي الحقيقة  
أننى الآن أصبحت طبيبا .. والطبيب يحتاج لوقته كله حتى يكون  
طبيبا ناجحا .. وأنا متأكد أنكم تحبون أن يكون أخوكم ناجحا ..  
والحقيقة أيضا أن سباعي كان دائما ابن الأرض يعرف كل شيء عنها  
وكان أبى يعتمد عليه منذ كان سباعي صبيا وحين أصبح شابا كان هو  
الذى يشرف على الأرض ويكتفى أبى بأن يعرف منه ما فعل .. وكان  
أبى يبيع المحصول ويحضر سباعي .. أليس هذا كله حقا ..

وهيمنت أصوات بالموافقة كأكمل حديثه :

— وأن يجلس كل واحد منا آخر السنة ويرى حساباته أمر  
أنا لا أحبه فقد تقتنع فاطمة بالحساب ولا أقتنع أنا مثلاً •• فالرأى  
عندى أن أقعد الآن مع سباعى ونرى ما ألتجته الأرض فى السنوات  
الثلاث الأخيرة وتقدر ايجارا معقولا يعود بالربح على سباعى مقابل  
ادارته للأرض وتعبه فيها ويكون كل منا على علم طول السنة  
بما سيحصل عليه آخر العام ••

وقالت الأم فى حسم :

— كلام معقول ••

ونظرت فاطمة الى أختها وبادلتها عابدة النظر وتلمست كل منهما  
رأيا عند زوجها فلم تجدا اعتراضا وقالت فاطمة :

— موافقة ••

وقالت عابدة :

— نكتب عقود ايجار ••

وقال خليل :

— نكتب عقود ايجار ••

وقال سباعى والفرحة تملأ عليه منافذ الهواء :

— على بركة الله ••

\*\*\*

حين خلا سباعى الى شعبان بعد مأثم أبيه سألته شعبان عما فعله  
مع اخوته فأخبره •• وفكر شعبان مليا •• ثم قال :

— بعد الأربعين أريدك فى أمر مهم ••

\*\*\*

كان شعبان انسانا آخر غير أبيه وغير الذى عرفه فيه أبوه ••

فان تكن الأرض هى كل حياة أييه يقتل فى سبيلها الناس ويعتصر دماء البشرية فان شعبان لم يكن يرى فى الأرض الا وسيلة تمكنه من قضاء أيامه مقلوبة ومن أن يجعل نهاره كله سودا لأنه فيه دائما يجب أن يكون نائما ولياليه كلها بيضاء بالنور الملقى على أجساد الراقصات وهن بعض كاسيات أو حمراء بالضوء الشاحب الهارب فى خجل من جسومهن وهن عاريات .. تلك هى الحياة عنده .. وان كان فى حياة أييه يعاونه فى الزرع ويعضى عما يفعله بالبشر فما كان هذا منه الا لينال ما ينفقه على صنعته الوحيدة فى الحياة وهى المتعة والمتعة المشتركة وانها لباهظة الثمن •

وان كان أبوه يجب أن يكون عضوا فى مجلس النواب معتليا كرسيه على الرعب يثيره فى الناس بالقتل والسرقة والغصب والنهب والجبروت فان شعبان كان ينظر الى مجلس النواب هذا على أنه تسلية لا طائل تحتها مادامت لياليه لا تنتهى بما تنتهى به لياليه هو .. وان كان فى حياة أييه مرغما على الزراعة والسعى فى الانتخابات .. فلا ارغام اليوم عليه .. وقد كان شعبان فى القمة من سعادته بزوجه الرضية التى لا ترى فيما يفعله من سهر أمرا غير عادى وانما هو مألوف ما يصنع الرجال وما عليهم فى ذلك من بأس ما داموا آخر الليل أو أول النهار ينامون فى أسرة منازلهم .. وكانت قد ولدت لشعبان سمية ووليد فهى مشغولة بأبنائها والمال عندها دائما موفور بما يرسله اليها أخوها أو يعطيه لها حين يزور مصر .. وهى تشتري ما يعين لها أن تشتري وربما كان الشيء الوحيد الذى كانت تتوق اليه هو زيارة أمريكا وأوروبا وقد كان زوجها يعتذر عن عدم تنفيذ هذه الرغبة بمشغوليته فى أملاك أييه مخفيا الأسباب الحقيقية التى يتقدمها جهله باللغة ولكنه أمام الحاحها وافق على السفر معللا نفسه أن اللغة التى يجب أن يتحدث بها عالمية وربما وجد فى باريس مثلا من يفهمها خيرا مما يفهم الفرنسية نفسها وحدد لسفره انتهاء المعركة

الانتخابية • فعين قتل فيها أبوه تأجل الموعد الى أن تمر فترة مناسبة وهكذا كان شعبان في مشاغله وآماله بعيدا كل البعد عن مشاغل أبيه وآماله •• وكان أبعد ما يكون عما يفعله أبو سريع وقد كان واثقا أن أبو سريع لن يبقى معه بعد موت أبيه الا ريثما تمر فترة تسمح له أن يجد مستأجرا آخر •• فما كان شعبان يتصور أن يقتل أحدا في سبيل أى شيء الا أن يعوقه عن متعته في الملاهي •

ولهذا لم يكن غريبا أن يقول شعبان لسباعي بعد احياء ذكرى الأرمين لوفاة أبيه :

— ما رأيك يا سباعي أن تصنع معي ما صنعته مع اخوتك ؟  
وذهل سباعي •• أحقا ما يسمع •• ويسأله أيضا ما رأيك ••  
وهل فيها رأى •• لقد بدأت الآمال تتحقق من أوسع الأبواب •



حين غادر سباعي بيت شعبان قصد من فوره الى بيت  
أبو سريع ••

— السلام عليكم ••

— أهلا سباعي بك مرحبا •• القهوة يا ولد •• يا مرحبا  
أهلا وسهلا ••

— أهلا بك يا أبو سريع •• قهوتك مشروبة يا أبو سريع  
الا أنتى أريدك في كلمتين ••

— تحت أمرك •• عن اذنكم يا رجال ••

وينظر الرجال بعضهم لبعض في دهشة شديدة ثم يقومون الواحد منهم تلو الآخر وقبل أن يصل أولهم الى الباب يصيح  
سباعي :

- يا سلام ٠٠٠
- ويقف سلام ويلتفت اليه في اجلال :
- نعم يا بك ٠٠
- أنتم طول عمركم رجال ٠٠
- تحت أمرك ٠٠ مر ٠٠
- هذه الزيارة ٠٠
- مالها يا بك ٠٠
- لم تحصل ٠٠ لم تتم ٠٠ لم أجيء الى هنا ٠٠ لم يرني  
أحد منكم ٠٠
- وابتسم سلام وهو يقول :
- وهل جئت يا بك حتى يراك أحد منا ٠٠ هيا بنا يا رجال  
وخرج الجميع وهم يضحكون تشيعهم جملة سباعي :
- ألم أقل أنكم طول عمركم رجال ٠٠
- وحين خلا المكان بسباعي وأبو سريع قال سباعي :
- هل اتفقت مع أحد بعد عز الدين ٠٠٠ بك ٠
- يا بك الأربعين كان أول أمس ٠٠ من يمكن أن يكلمني قبل  
أن يمر الأربعين ٠٠
- لا تتفق ٠٠
- أمرك ٠٠ فيه حاجة ٠٠
- لا تتفق وبس ٠٠ أفهمت ؟ ٠٠
- أمرك ٠٠

\*\*\*

١٠

متولى أبو منصور هو أحس فلاح فى أرض وهدان جميعا  
وقد انتج فدانه فى العام الأول من تولى سباعى الأرض سبعة قناطير •  
وكان نظام الزراعة مع الملاك خاضعا للمحمول وهو نظام يشبه  
الايجار الا ان السداد فيه يكون عينيا أى بالمحصول نفسه • وكان  
هذا السداد يسمى المحمول وقد غلبت هذه الكلمة على النظام  
كله فكان يقال أن الزراعة بالمحمول وكان محمول الأرض الذى يجب  
أن يسدده الفلاح فى أرض وهدان هو ثلاثة قناطير عن فدان القطن  
وثلاثة أرادب عن فدان القمح وأربعة أرادب عن فدان الذرة • وكان  
متولى يزرع خمسة أفدنة وكانت الأرض تنتج فى مألوف عاداتها خمسة  
قناطير وكان الأصل أن يكون ثلاثة أخماس المحصول للمالك وخمساه  
للزارع فان كانت هناك مصاريف زراعية تخصم بنفس النسبة  
ما تمثل الكيماوى والرى وجمع قطن عينا أيضا من محصولها •

وحلا لسباعى أن يبدأ حياته الجديدة التى أعد نفسه لها منذ



باكر الايام مع متولى أبو منصور الذى يزرع عندهم منذ عشرين سنة  
ونيف • أرسل اليه وبدأ يحاسبه على ملأ من الناس •

— كم أتج الفدان عندك

— ياسى سباعى أفندى

— بك يا ولد

— ولا مؤاخذه بك الا تعرف

— أعرف ولكن أريد الرجال أن يسمعوا

— سبعة قناطير

— هو ما قلت

— أنا لا أكذب عمرى وأنت تعرف

— سبعة قناطير فى خمسة أفدنة يكون كل محصولك كم

— لا حول ولا قوة الا بالله

— انطق

— خمسة وثلاثون قنطارا

— حلو جدا •• فلماذا وردت خمسة عشر قنطارا •

— عجيبة •• ثلاثة فى خمسة •• أليست خمسة عشر • وليس

على مصاريق أنا اشتريت الكيماوى ورويت وأنا الذى جمعت

أيضا •• ماذا تعوز منى ياسى سباعى أفندى •

— بك

— بك

— أليس المحمول مخامسة

— كان كذالك حقا ولكن المرحوم والدك لما رأى الأرض تنتج  
عادة خمسة قناطير جعل المحمول ثلاثة قناطير حتى ينال الناح الذي  
يجتهد حقه وينال المقصر جزاءه عن ضعف المحصول وأنت نفسك  
كنت تحصل منا المحمول منذ سنوات على هذا الأساس •

— ولكنى السنة أريده مخامسة

— السنة هذه غير معقول •• اما اذا كنت تريد ذلك فى العام  
القادم فأمرك ولكن رابى ان هذا ليس من مصلحتك وليس عدلا  
أيضا •

— وهل لك رأى

— وكان المرحوم والدك يأخذ به منذ كنت أشيلك على كنفى

— اخرس يا ابن الكلب

— ابن الكلب •• أهى حصلت يا سباعى ••

— بك ••

— من غير بك •• سلام عليكم

وانصرف متولى ونادى سباعى

— يا أبو سريع

وجاء أبو سريع من الحجرة الأخرى

— نعم يا بك

— قطن متولى أبو منصور يذهب رجالك اليوم ومعهم بعض

رجال تختارهم أنت وتعبئونه فى الأكياس وتجيئون به الليلة •

— أمرك يا بك تكن فقط

— مالك

— سمعت وهو جالس معك من الرجال انه باع قطنه

— باعه ؟

— نعم

— وسلمه ؟

— اليوم وقبض ثمنه

— تذهبون اليه وتطالبونه بثمان سبعة قناطير منه • أنا لا أظلم  
أحدا •• انما حقى لا بد أن آخذه •

ولم يجد الرجال الجالسون والذين يقف أمامهم أبو سريع بكل  
تاريخه في موقف التابع الخاضع لسباعى بدا من أن يقول قائلهم :

— عداك العيب

— رجل وابن رجل طول عمرك

— وكتر خيرك لانك لم تؤدبه بثمان قنطارين جزاء طريقته في  
الكلام مع سعادتك

ويقول سباعى الذى أحس ان مراسم التتويج الاجرامى قد تمت  
له بهذا النفاق

— المؤدب ربنا •• أنا أريد حقى فقط •• اذهب أنت  
يا أبو سريع

— أمرك يا سعادة البيك

وينصرف أبو سريع ويأخذ الرجال الجالسون من سباعى في  
حديث آخر وحين يأتى أبو سريع يبادره سباعى :

— هه •• أحضرت المبلغ

— يا سعادة البك هذا الرجل قليل الأدب

— كيف ؟

— قال لن أدفع شيئا ولن أخاف منك يا أبو سريع ولا من سيدك الجديد وأعلى ما في خيلكم اركبوه

ويقول سباعي :

— أهو قال هذا

ويقول أبو سريع :

— يا سعادة البك وماذا يجعلني اتقول عليه وأنا لم أخاطبه في حياتي الا اليوم

— هيه .. طيب منه الى الله .. روح أنت يا أبو سريع

والتفت سباعي الى الرجال وقال :

— اذا منعتهم من الزراعة عندي أيلومني أحد

وقال أكثرهم نفاقا :

— وهذا قليل عليه

وقال سباعي في تظاهر بالعمى والرحمة

— يكفيه هذا وانما أردت فقط ان تكونوا شاهدين

مر على هذه الواقعة يومان فقط واذا بلدة الصالحة تعلو بها أصوات الأعيمة وما ان تنكتم حتى يعلو الصراخ وتنقلب البلدة كلها الى بيت متولى .. لقد أطلق عليه الرصاص وهو جالس مع زوجته يتناول العشاء وعلى ركبته ابنه الأصغر الذي كان في الخامسة من عمره وقد أفنى الرصاص ثلاثتهم وجاءت الشرطة وجاءت النيابة واستقبلهم العمدة والخبراء وجرى التحقيق ولم يكن أحد في القرية يجهل القاتل والآمر بالقتل جميعا لأن أحدا في القرية لم يكن يجهل

تفاصيل ما حدث بين سباعى ومتولى • ولكن من ذلك الذى يريد أن  
يلقى مصير متولى • وازداد سباعى فجورا فأعلن أن مصاريق الدفن  
والمأتم عليه • فهو رجله وهو مسئول عن دفنه هو وابنه وزوجته  
وعن مأتمهم أيضا • وبلغ أقصى القمة حين وقف يستقبل العزاء يحف  
به عن يمين شاكر الابن الأكبر لمتولى وعن يسار عبد التواب الابن  
التالى لشاكر •

وعرفت القرية أو المنطقة أن سباعى قد جلس على عرش سبىء  
الذكر المجحوم عز الدين الخولى بك •

ثنى سباعى بحسن بن عبد الحميد أبو ديدة الذى أوصاه بابنه  
هذا لقاء نصيحته له أن يتزوج ابنة عز الدين • طلب سباعى الى حسن  
أن يبيعه أقدته الثلاثة قرففس حسن •

— ماذا يقول الناس عنى • باع أرض أبيه • خائب أنا اذن  
لا اكسب من صنعتى •

ويقول سباعى وكأنه ينصحه :

— يا بنى أنت فى دكانك ولا تستطيع زراعة الأرض وهم  
ينهبونها منك •

— كل هذا ولا أنى أبيعها

— بل تبعيها

— أهذا تهديد يا سباعى بك

— ليكن كذلك

— تقتلنى كما قتلت متولى

— وهل أنت كبير

— كبير جدا

## ـ نشوف

ويحرق المحصول في أرض حسن وتسرق بهائمه في ليلة واحدة  
ويأتى خاضعا وعيناه نيران ولهيب وغيظ وتمرد ولكنه تمرد المكبل  
الذى لا يستطيع من كبوله فكাকা •

ـ ابيع يا بك ابيع وأمرى لله •

ـ بنصف الثمن الذى عرضته •

ـ بنصفه ؟ !

ـ اذا كان يعجبك •

ـ يعجبنى فأبنائى صغار ولن يجدوا من يريهم من بعدى •  
ايـع • وان قلت بغير ثمن ابيع أيضا •  
وأمر سباعى وكتب العقد •

ثم استدار الى سليمان النواوى • ذلك الرجل الذى أتاح لأبيه  
أن يشتري عشرة أفدنه بالدين الذى استدانه منه • ذلك الرجل الذى  
قبل سباعى يده يومذاك وغضب أبوه من فعلته تلك مرتباً فيها بعدا  
عن الكرامة • هذا الرجل صاحب ذلك الفضل عليهم استدار اليه  
سباعى بجبروته الجديد • وكان الرجل قد علت به السن واستطاع أن  
يجمع الى الستة أفدنة عشرين أخرى وكف عن التجارة خاشيا ألا يتيح  
له وهن جسمه أن يقدم لها ما تستحق من سعى • ومكث الرجل يربى  
أولاده بريع أرضه •

استقدمه سباعى الذى لم يستطع أن ينسى أن أباه كان يستطيع  
أن يشتري هذه الأفدنة الستة وعف عنها بكبرياء من لا ينتهز الفرص  
وينهش ما ليس له بحق • واستطاع في جمود مشاعره وتحجره أن  
ينسى أن سليمان ابدلهم بالستة أفدنة عشرة ونسى بعواطفه الصلبة  
البخيسة صداقة سليمان لأبيه منذ وقف أبوه الى جانبه في أزمتة •

استدعاه :

— اشترى الأفدنة الستة •

ومع ان سليمان رجل عجوز خبر من الحياة أوجه الحياة جميعا ومع انه عاش أغلب عمره تاجرا يرى ما لا يراه الناس ويعرف من القوم أسافلهم والاكرمين منهم • ويعرف من الأسافل أشدهم انحطاطا ومن الاكرمين أعلاهم يدا • ومع أنه عرف من الحياة كل دناءتها وكل ما فيها من قذر ودنس ، ومع أنه أصبح وهو لاشيء يدهشه ولا يثير فيه تعجبا •• مع كل هذا •• ففر الرجل فاه • هذا نوع من فجور الحياة لم يتصور انه ملاقيه •• ومن هذا الولد الذي قبل يده • ومن ابن أعز صديق له •

وتمالك سليمان أمر نفسه ولكن بعد فترة ليست بالقصيرة سيطر فيها الصمت الصاخب في نفسه والصمت المتبجح من محدثه •  
— آه ••• أنت لم تنس ان اباك كان يستطيع أن يشتريها وعف •

ويقول سباعى فى جرأة :

— عليك نور •  
— ولكنك نسيت أننى اشتريت لأبيك عشرة أفدنة بدلا منها •  
— ونسيت هذا ولن أذكره مهما ذكرتني به •  
— كم تريد أن تدفع  
— بكم تريد أن تبيع •

— أما أنا فلا أريد أن أبيع • ولكننى تاجر وأعرف أنك حددت الثمن وأعرف أيضا اننى لن أستطيع أن أناقشك فهل أعددت العقد •

- - جاهر
- - أين هو؟
- - ها هو ذا
- - وهذا توقيعى •• سلام عليكم
- - وتقودك
- - ارسلها حين تريد مع أبو سريع فهو الذى صنع الصفقة •• سلام عليكم

\*\*\*



١١

كان صلاح طفلا لا يدري ما يصنعه أبوه وحين بدأ ينطق الكلام ويفهمه وجد أباه في مكان الصدارة من البلدة جميعا ووجد الناس لا تخاطبه الا بكل اجلال ، وحين بلغ الخامسة من عمره وجد أبوه أن من الطبيعي أن يذهب الى المدرسة وقد أحب أن يبعده عن القرية فقد خشى أن يجتمع بالفلاحين فيعرف منهم في طفولته ما لا ينبغي أن يعرفه عن أبيه . أما القاهرة فهي بعيدة وابنه هناك سيكون في تيه عن أمر أبيه وأمر أبيه هناك لا يعرفه أحد . وان كان سيلتقى في القاهرة مع ياسين زوج أخته ومع عابدة أخته الا أن أحدا منهما لن يذم أبا الى ابنه وخاصة اذا كان الأب هو المتصرف في أرضهم . ومهما يكن ظالما لأخته ولخليل متأيبا أن يرفع الايجار الذي ارتفع في جميع الأراضى الا انه مع ذلك كان واثقا أن أحدا من الاثنين لن يذم أبا عند ابنه . وسيرى هناك الدكتور خليل عمه ولكن خليل أبعد ما يكون عن ذلك فان من هو في مثل علمه لا يتصور أن يذكر أبا عنده ولده بما لا يرضاه .

كلم سباعى ياسين في التليفون وطلب اليه أن يبحث له بجوارهم

في المنيرة عن شقة تسكن فيها قدرية وابنها وقدر انه بقربه من ياسين  
المدرس سيكون في رعاية منه طيبة خاصة وانه في مثل سن ابنه عمر  
وسيدهبان مدرسة واحدة • وتم الأمر كما أراد تماما وذهب سباعي  
الى القاهرة ورأى الشقة وكانت فاخرة واسعة فقد استقر في نفسه أن  
تكون بيتا له في القاهرة يلتقى فيها بمن يرى دعوتهم الى غداء أو عشاء  
إذا اقتضت مصلحة أن يدعو الى غداء أو عشاء ، وبعد أن وقع عقد  
الشقة عزم عليه أخته وزوجها أن يبيت ليلته عندهما ولكنه رأى أن  
يبيت عند أخيه خليل • واستقبله خليل بترحاب أخ شريف يحب أخاه  
ويتغاضى عما يرتكس فيه مما لا يرضاه الشرفاء وبعد العشاء قال  
خليل :

— قل لى يا سباعي •• من المؤكد انك عندك من المال  
السائل ما تريد •

— الحمد لله لا أشكو •

— لا تخف أنا لا أنوى أن أستلف منك فالحمد لله أنت لاشك  
تعرف اننى اكسب من عملى مكسبا يكفينى ويزيد •

— ولماذا لم تفكر فى الزواج •

— فكرت •

— واخترت ؟

— وسأدعوك قريبا لتخطب لى وتتفق على كتب الكتاب •

— أعرفها ؟

— لا أظن انها ابنة أستاذ لى وطبيبة زميلتى

— وستجعلها تعمل ؟

— طبعاً هذا أمر لا تتصوره أنت ولكن هل تظن مصر  
تستطيع أن تستغنى عن جهد طبيب أو طبيبة •

ويقول سباعى فى دهشة :

— مصر وأنت مالك وما لمصر

ويقول خليل فى حسم :

— طبعا هذا موضوع لا شأن لك انت به

— أنا من مصر .. ألسن كذلك

— سباعى اعمل معروف .. يا أخى لكل منا طريق فى الحياة  
لا يتوازى معه ولكن يتقاطع .. ولا يسكن ان أفهمك وأنت أيضا  
لا يمكن أن تفهمنى فدع هذا وقل لى • هل عندك مانع أن تشتري  
أرضى •

— مطلقا .. كم تريد فى الفدان

— انت الذى تسألنى .. اننى لو كنت أبيعها لغرب لجعلتك  
انت الذى تبيعها عنى

— وهو كذلك .. اشترت

— ادفع الشن ولن أناقشك فيه واكتب العقد الآن

وكتب سباعى الشيك وكتب خليل العقد وتمت الصفقة •

وقال سباعى :

— أين مفتاح شقتك ؟

— فى جيبى

— نم أنت اذن وسأترك لك المفتاح على هذه المنضدة حين  
أعود حتى تخرج الى عملك ولا توقظنى •

— الى أين أنت ذاهب ؟

- ألم تقل ان الطريقين متقاطعان
- فقط أردت أن أعلم
- وأنت تعلم ولكنك تتخاثر على
- ظننت أنك ستقضى الليلة معى نسمر فأنا لا نلتقى الا نادرا
- أنت ستنام
- ما أخبار أمى ؟
- قاطعتنى
- ولهذا أسألك ..
- ولماذا ؟
- انها قادمة لتعيش معى
- أحسن
- أتظن ذلك
- أصبحت لا تحتمل البلد
- لا يخرج أمى نبوية من البلد الا ما لا تطيق
- ما دمنا اتفقنا أن الطريقين متقاطعان الا يحسن بنا الا يناقش
- أحدنا طريق الآخر
- على كل حال أشكرك
- العفو عـلام ؟
- انك جعلت أمى تأتي لتعيش معى
- وسأرسل لك ايجار أرضها كل سنة

- بل أظنها ستوكلنى فى بيع أرضها هى أيضا
- وعلام توكلك .. اكتب وخذ العقد وخذ الشيك ولنوقع هى العقد عندما تحب
- وهو كذلك
- وتمت الصفقة .. وقال سباعى :
- والآن أين المفتاح ؟
- هل أنت مصمم
- لو شفت ما أشوفه أنا حين اجىء الى مصر لما سألتنى هذا السؤال .. اتظن نفسك عائشا يا دكتور
- علم الله أن حياتى هى الحياة .. ولكن فليتقاطع الطريقان ولا نقاطع نحن وخذ المفتاح •
- ولكن تقاطع الطريقين لن يمنعك من رعاية صلاح فانى سأتركه تحت اشرافك وسجلت اسمك فى المدرسة ولما أمره •
- هل رأيتنى عمرك اتخلى عن واجبى • أنا أعرف واجبى دائما وصلاح ابنى كما هو ابنك •
- أعرف ذلك سلام عليكم ..
- وخرج سباعى الى سهراته التى بدأ تاريخه معها فى صجبة شعبان التى أصبح مجيئه الى مصر مرتبطا بها ارتباطا يوشك أن يكون هو الوحيد •

\*\*\*

- حين جاءت نبوية الى بيت خليل وأعطاها ثمن أرضها سألته :
- ماذا أنت صانع بأموالك

- سأشترى بها كمية من الأسهم
- وماذا تصنع هذه الأسهم
- تدر دخلا أحسن من دخل الأرض على الأقل •
- اذن فاسمع اشتر بثمان أرضى أنا أيضا كمية من الأسهم باسم أختك فاطمة وأختك عابدة واسمك للذكر مثل حظ الانثيين •
- أنا متنازل عن نصيبى لهما •
- الله يفتح عليك ويعوضنى فيك عما أصابنى به من أخيك • فقط أريد الربيع طول حياتى •
- وأنا أدفع لك قيمة الربيع واتركى أنت الربيع للبنات •
- •• أطل الله عمرك ولكن لا •• ان أعيش على نفقتك لا مانع فهذا حقى عليك لكن مصروف يدى لا بد أن يكون من دخل مالى أنا •• حين أريد أن أعطى أحدا من أولاد أختيك هدية لا بد أن تكون من مالى أنا • أعط انت لأختيك ما تشاء لتعنيهما أما أنا فريعه الأسهم يكون لى طول حياتى •
- امرك • وسيكون كذلك •

\*\*\*

١٢

حين اقتربت الاجازة الصيفية كان سباعى فى بيته بالقاهرة فى  
الممامه سريعة فاذا صلاح يقول له :

— بابا سنأخذ الاجازة الصيفية بعد أسبوعين •

ووجم سباعى فما كان يفكر فى هذه الاجازة فطالعتة من حيث  
لا يحتسب ودون وعى سأل ابنه :

— وماذا تريد أن تفعل

— أذهب للبلد

— وماذا تصنع فى البلد

— أركب الحمير وألعب انكرة •• اننى أريدك أن تشتري لى  
كرة ألعب بها مع أصحابى فى البلد

— أى بلد التى تذهب اليها

— بلدنا •• أنا أحبها جدا يا بابا

— يا بنى البلد تراب وعفار

— ولكنك تعيش فيها مع التراب والعفار

— شغلى

— رفضت في العيد واجازة نصف السنة أن تذهب بى الى  
هناك .. أرجوك يا بابا .. والنبي

— ألم أجيء اليكم في العيد

— أنت جئت نعم ولكن البلد لم تجيء

— وكيف تريد البلد أن تجيء

— أذهب اليها أنا

وفجأة ومضت في ذهن سباعى فكرة لم تكن خطرت له  
على بال

— أنت تلعب مع من طول السنة

— مع أصحابى في المدرسة ومع عمر ابن عمتى

وهنا فقط تدخلت قدريّة في الحديث :

— الله يخليها عابدة لا تتركنى ليلا ولا نهارا أما ياسين أفندى  
فلا بد أن تقدم له هدية عظيمة انه يعامل صلاح كأنه ابنه عمر وزيادة  
لا يشغله شيء في الدنيا أن يعطيها كل يوم الدرس ويراجع معها  
دروس المدرسة فاذا أحسن صلاح الاجابة أعطاه مكافأة من النعناع  
والملبس والشيكولاتة التي لا يخلو منها درجه أبدا .

والتفت سباعى الى صلاح

— مبسوط منك عنك ياسين يا صلاح

— كل يوم آخذ أنا النعناع والملبس والشيكولاتة وعمر  
لا يأخذ



- أنت أشطر من عمر  
— بزمان  
وقال سباعي :  
— ما رأيك أن تذهب أنت وعمر وعمتك عابدة وعمك ياسين  
الى الاسكندرية لتصيفوا هناك  
والنفت الى قدرية وقال لها :  
— وتكون هذه هي هديتنا الى ياسين وعائلته  
وقبل أن تجيب قدرية يقول صلاح :  
— ما الاسكندرية هذه يا بابا أنا لم أرها عمري  
ويقول الأب في سخرية :  
— والله يا ابني ولا أنا ولكن ماذا أفعل .. الغلبة لها أحكام  
وتقول قدرية وهي مترددة في السؤال وكأنها تعرف الاجابة :  
— لماذا لا تريد صلاح أن يذهب الى البلد  
— أريده بعيدا عنها  
— الا ينبغي أن يتصل بالأرض  
— ليس الآن .. حين يكبر  
وفي خوف ولعثة قالت قدرية :  
— اذا كنت لا تريده أن يعرف ما تفعله فلماذا تفعله  
وفي حسم قال :  
— أنت انتى تقولين هذا يا بنت عز الدين الخولى دعى هذا  
الكلام لغيرك

— ومن قال لك انى كنت راضية عما يفعله أبى  
— اذن فما دمت لم تكونى راضية فمن الطبيعى الا يذهب صلاح  
الى البلد ..

وحاولت أن تقول :

— ولكن ...

وقاطعها سباعى فى لهجته العاتية التى أصبحت طبيعة عنده •

— اتنهينا .. لا مناقشة •

ونسكت قدرية رأسها فى استسلام •

— أمرك ..

ومر هذا النقاش على ذهن صلاح وكأنه لغة أخرى غير التى  
يعرفها فهو لم يفهم من الحديث شيئاً وكان يفكر أن يسأل ولكنه حين  
رأى الطريقة التى ختم بها أبوه الحديث أخذه الرعب من ملامح أبيه  
ولهجته فنكس رأسه فى استسلام وراحت عيناه ترتفعان الى أبيه  
مخالسة ثم ترتدان الى أسفل كأنما يخشى أن يراه أبوه وهو يتجراً  
على النظر اليه • ورمقه أبوه فى حاله هذه فحاول أن يزيل ما علق  
بنفسه من آثار الحديث •

— وماذا يدرس لك عمك ياسنين ؟ ..

— القرآن ..

— القرآن ؟ ..

— نعم .. فأنا أحفظ الفاتحة وأحفظ الكثير من السور •

ونظر سباعى الى زوجته وسألها :

— هل يدرسون لهم القرآن فى المدرسة ؟ ..

وقبل أن تجيب أجب صلاح :

— لا .. ولكن عسى ياسين يدرس لنا القرآن مع دروس  
المدرسة ..

ولم يجد سباعى شيئاً يعلق به الا أن يقول :

— ما رأيك أن تذهب الى الاسكندرية ؟ ..

— أنا لا أعرفها ..

— سنعرفها معا ..

— هل ستبقى معنا هناك ؟ ..

— أطل عليكم كما أفعل هنا .. هيه ما رأيك ؟ ..

— أريد أن أذهب الى البلدة ..

وحسم سباعى الموقف :

— ستذهب الى الاسكندرية ..

وفي الصباح توجه سباعى الى الاسكندرية وحين نزل من القطار  
سأل عن فندق وذهب الى فندق سيسيل •

وهناك طلب من ادارة الفندق أن تدله على سمسار شقق وبدأه :

— أريد شقة ..

— للمصيف ؟ ..

— طبعاً ..

— تقصد مفروشة ..

وفكر سباعى قليلاً فوجد نفسه لا يفهم السؤال فلم يجد بدا  
من أن يسأل :

— ماذا تقصد ؟ ..

وفهم السمسار أنه أمام رجل لم يطق الاسكندرية من قبل  
فقال :

— هناك شقق يمكن أن تستأجرها طول العام وتفرشها أنت  
وهناك شقق تؤجر للصيف فقط وتكون مفروشة ويكون إيجارها مدة  
الصيف فقط أو جزءا منه إذا شئت أنت وكيفك •

وفكر سباعي قليلا ..

— والشقق التي أستأجرها طول العام أفرشها أنا ؟ ..  
وقال السمسار :

— نعم وطبعا تستطيع أن تأتي إليها في الصيف وفي الشتاء  
كما تريد .. تصبح شقتك ..

— وكم إيجار هذه وكم إيجار المفروشة ؟ ..

— على حسب الحجم والمكان ..

— أقصد الفرق كبير بين المفروشة وغير المفروشة ؟

— طبعا المفروشة تكون أغلى بكثير لأنك تستأجرها بفرشها  
ولمدة ثلاثة أشهر فقط على الأكثر ..

— والسنة الجاية إذا أردت أن أصيف ؟ ..

— نستأجر لك شقة أخرى ..

— وأظن كل سنة أبحث عن شقة ؟ •

— طبعا ..

— اذن فأنا لا أريد شقة مفروشة ..

- عظيم •• تريد شقة طول السنة ••
- طول السنوات ••
- طبعاً •• العقد يتجدد من تلقاء نفسه ••
- أريد من هذه ••
- كم تريد أن تدفع ؟ ••
- أريد شقة واسعة وعلى البحر والفلوس لا تهم ••
- وكان ما أراد ••

\*\*\*



حين صدر قانون الاصلاح الزراعى الاول لم يمس سباعى فقد  
كانت أرضه لا تزيد عن المائة فدان الا قليلا وكانت أرض زوجته  
تقارب السبعين فدانا .. أما شعبان فقد كانت أرضه تقارب المائة  
والأربعين فدانا .. ولكنه أحس بما تحمله هذه القوانين فى طواياها  
فطلب الى سباعى :

— بع أرضى ..

— ماذا تقول ؟ ..

— أنا لست فلاحا .. والدولة أصبحت لا تحب الملاك ..

وفكر سباعى قليلا .. انه يرى فى كلام شعبان حقا ولكن بيع  
هذه الأرض سيجعل المساحة التى يشرف عليها تتقلص فنظر الى شعبان  
طويلا ثم قال :

— ما رأيك أبيع أرضك ولا أبيعها ؟ ..

— وكيف ؟ ..

— اكتبها بأسماء فلاحين آخرين واستكتبهم أوراقا بمبالغ من  
ثمنها ..

— الله أكبر .. أحاول أن أهرب من الحكومة فأقع في أيدي ناس  
الله أعلم بذمتهم ..

— أيجرؤ أحد منهم أن يطالب بالأرض ؟ ..

— يجرؤ أحد .. ويقول ان هذا البائع هو ابن عز الدين  
الخولى وانه اغتصب منا كمبيالات .... لا .. لا يا عم .. الا هذا ..  
وأنا ما حاجتى الى الأرض .. بعها يا سباعى .. واسمع منى نصيحة  
هذا الزمن يجب أن تعرف أنه غير الزمن الذى نعرفه والله وحده  
يعلم ما مصير الملاك فيه ..

— والله كلامك معقول ..

— بع أرضى الآن .. وأنت اليوم تستطيع أن تحسن بيعها قبل  
أن تضيع منى ..

— وماذا ستعمل بالفلوس .. تصرفها على اياهن ؟ ..

— أنا أحب المتعة ولكنى صاحب أولاد وقد فكرت جيدا ..

— ماذا ستفعل ؟ ..

— سأعطى الفلوس كلها للأمير .. وان شئت أن تطمئن على  
سلمها أنت له ..

وبعد ..

— سيضعها فى أحد مشاريعه وسيعطينى مرتبا شهريا أكبر من  
ريع الأرض خمس مرات وآخر السنة يعطينى بقية أرباحى ويبقى رأس  
المال كما هو .. وحتى يزداد اطمئنانك سيضع المال باسم وليد  
وسمية بالنصيب الشرعى ..

— وهو كذلك ..

— كم يستغرق بيع الأرض ؟ ..

— لو كان غيرى الذى يبيع لاستغرق بيعها شهورا قد تصل سنوات أما أنا ففى مدى شهر واحد سأكون قد بعت الأرض ..

وأنفذ سباعى وعده وكان الأمر ميسورا بالنسبة اليه فقد أمر كل مستأجر فى الأرض أن يشتري الأرض التى يزرعها ولم يبالغ فى الثمن وسارع المستأجرون يشترون فقد كانوا على ثقة أنهم لن يحصوا على هذه الأرض تطبيقا لقانون الاصلاح الزراعى الذى سمح للمالك أن يستبقى مائتى فدان اذا لم يكن له أبناء وثلاثمائة اذا كان أبا .. وشعبان أب وأين مائة وأربعون من ثلاثمائة .. ولم يكن عسيرا على المستأجرين أن يحصلوا على أثمان الأرض فمن لم يكن منهم ميسورا كان يسيرا عليه أن يستدين المبلغ أو يتقاسم الأرض مع ميسور على أن يسدد هو ما عليه على مدى الأيام ..

باع سباعى الأرض جميعا وأبلغ شعبان بأن ثمن الأرض جميعه معه .. وقال شعبان فى فرحة :

— يعمر بيتك .. ما رأيك .. الأمير هنا هذه الأيام سادعوه للغداء عندك بعد غد وسيتم كل شئ أمامك ..

— وهو كذلك .. يا مرحبا ..

وتم الأمر كما رتبه شعبان وأصبح شعبان لا يملك قيراطا واحدا من الأرض ..



كان سباعى قد انضم الى التنظيمات السياسية الجديدة ولهذا لم يكن عجيبا أن ترشحه الحكومة فى دائرة عز الدين الخولى ..



وبدأت الانتخابات .. وطلب صلاح أن يأتى الى البلدة ليكون مع  
أبيه أثناء مروره بالدائرة • وأحب سباعى أن يشهد صلاح أباه والناس  
تهتف باسمه والخطب تلقى في مديحه .. وجاء صلاح ورأى عجا ..  
رأى أباه يمر بالدائرة ولكن محوطا دائما بالسلاح يشهره أبو سريع  
ورجاله ورأى في نقاء صباه أن الناس تهتف ولكن العيون والوجوه  
لا تهتف .. وسمع الخطب تلقى ولكن الخطباء يتكلمون مذعورين ..  
فالأوجه منهم بأسرة وعلى الجبين منهم حسرة وفي أصواتهم رنين  
المقهورين من الرجال فعل المغلوب على أمره لا اختيار له ..

قليل ما بقى .. وعجب أبوه ألا يفرح صلاح بما يرى واستبعد  
أن يكون قد وصل ببصيرته الى خفايا النفوس .. وما كان يتصور  
أن الروح الشفيفة ترى من الأشياء ما تخطئه العيون .. وحزر أن  
يكون أحد قد هجس في أذن صلاح بجبروت أبيه ولكنه استبعد  
هذا الحزر أيضا فمن ذاك الذى يجرؤ على أن يقدم على هذه  
الهمسة .. اذن فلماذا يطلب صلاح أن يعود الى القاهرة ؟ ..

— ورائى مذاكرة ..

— ألا تريد أن تنتظر حتى تعرف النتيجة ؟ ..

— المرشح الآخر واضح الضعف وأنا واثق من نجاحك ..

وسافر صلاح عائدا الى القاهرة وفي نفسه الكثير مما لو أراد  
أن يعبر عنه لما استطاع .. انها مجرد مشاعر .. ان حاول أن يسأل  
سته أو عمه أو عمته فانهم جميعا سيطلبون اليه ألا يفكر في هذا الذى  
يفشى ظنونه وكيف لأم أو لأخ أو لأخت أن يشوهوا ابنهم أو أخاهم  
أمام ابنه ؟ ..

طوق نفسه على ما بها وصمت ولكن نفسه أبت عليه هذا  
الصمت .. قال لعمر :

— يا أخى سبحان الله .. هناك شىء فى البلدة لا أعرف كيف أقوله ..

— ماذا ؟ ..

— الناس تخاف من أبى ..

— وماذا فى هذا ؟ ..

— الكلام معك لا يجدى ..

واتنظر فرصة فى فسحة الظهيرة وذهب الى زوج عمته فقد أصبح هو وعمر تلميذين فى المدرسة نفسها التى يعمل ياسين مدرسا بها . وكان صلاح يحس نحو ياسين بنوة صادقة يمازجها اعجاب شديد .. فقد استطاع ياسين أن يرسى فى نفسه حب الله والطمأنينة اليه بما علمه من الدين وما حبه فى القراءة وفى كل المعانى التى أصبح صلاح يجد فيها سموا وقربا من السماء .. كما استطاع أن يجعله يحب أن يذكر لا للنجاح ولكن للعلم .. وان كان صلاح فى سنه هذه البكرة المتشوقة فى مطالع الشباب الأولى الى الغد لا يستطيع أن يقدر فضل ياسين عليه بالعقل والمنطق الا أنه كان يشعر بهذا الفضل بنقاء هذه السن التى تتمازج فيها الطفولة مع الشباب ..

— عم ياسين .. أريدك فى كلمة ..

وكان ياسين فى حجرة المدرسين فقال :

— تعال .. وقل ..

— لا ... اذا سمحت ... تتمشى فى الفناء ...

ورأى ياسين على وجه الصبى الذى رباه خلجات لم يشهدها عليه قبل اليوم فقام اليه .. وقال صلاح فى لجلجة :

— لا أعرف كيف أبدأ ولكن أنا لم أكمل الانتخابات مع أبى ..

— أعرف ذلك وحسنا فعلت حتى لا يفوتك شيء من الدراسة •  
— هذا ما قلته له ولكن ليس هذا ما جعلنى أترك المعركة  
الاتخائية ••

وصت ياسين قليلا ثم قال :

— الحق أنا دهشت لهذا الذى فعلته •• فالشباب فى سنك  
يحبون هذه المعارك ويسعون اليها فما الذى جعلك تترك هذه  
المتعة ؟ ••

— كانوا يهتفون لأبى ويلقون له الخطب ويدقون الطبل  
والمزمار ••

— ألم يسرك أن تجد أباك محبوبا ؟

— هذا هو ما أرجعنى ••

— ألا تحب أن تراه محبوبا •

— بل لا أتمنى شيئا فى حياتى قدر أن يكون أبى محبوبا •

— ألم يكن ما رأيته علامات الحب ؟ ••

— بل هو علامات حب ••

— اذن ؟ ••

— علامات غير صادقة •• رأيت فى العيون خوفا ورأيت فى  
القلوب رعبا •• لم يكن الحب هو الذى رأيته ••

وأطبق الصمت بين المتحدثين تماما •• أما ياسين فلا يدري ماذا  
يقول •• أيقول انه انقطع عن الذهاب الى البلدة حتى لا يسمع  
ما يصنعه نسيبه بالناس •• أيروى لهذا الفتى الغض كيف جمع أرضه  
وهو لم يرث عن أبيه الا عشرها تقريبا وما ذنب صلاح فيما صنع

أبوه .. ولكن هو يعرف منزلته عند صلاح ولا يجب أن تهتز هذه  
المنزلة .. من أجل مستقبل صلاح نفسه لا ينبغي أن تهتز هذه  
المنزلة .. وإذا كذب عليه اليوم فهو في غد سيعرف الحقيقة فكيف  
ستكون نظرتة اليه .. ربما يدرك ويقدر ولكن إذا أحس أن أستاذه  
وزوج عمتة الذي كان منه دائما بمكان الوالد يكذبه فمن يصدق اذن  
وأين ينشد الصدق اذا لم ينشده عند الانسان الذي يعتبره بغريزته  
الصافية أباه الروحي .. ولماذا لم يوجه هذا السؤال الى عمتة  
بل لماذا تحرى أن يأخذ في هذا الحديث معه في المدرسة وهو قادر  
دائما أن يحادثه في البيت الذي يعتبره بيتا ثانيا له .. أو لماذا لم  
يسأل جدته أو عمه .. لقد خشي أن يخرج أحدا منهما والوحيد الذي  
ألقي اليه بثقته هو أنا ..

وتقبل صلاح الصمت الطويل متصورا أنه لم يستطع أن  
يحسن البيان عما يجيش بصدرة .. وأخيرا تكلم ياسين ..

— صلاح .. اسمع .. انك غير مسئول عن أبيك ..

— ولكنه مسئول عني ..

— ولكنك غير مسئول عنه ..

— ولكن الناس تنسبني اليه وأنا ابنه فعلا ..

— هذا يجعله مسئولا عن الاتفاق عليك ولكن حين تخرج  
الى الحياة ستكون وحدك في مواجهتها فهي لن تعرف الا أنت .. واني  
أراك تحسن اعداد نفسك لمواجهتها وحينئذ لن يقول الناس من أبوه  
وانما سيعاملونك مع موقفك منهم ومع موقفك من الحياة ومن البشر  
ومن الانسانية .. وحينئذ يصبح أبوك أيضا وهو غير مسئول عنك ..  
انه لم يقصر في شأنك ..

— وهل المسؤولية مال فقط يا عمي ياسين أفندى ؟ ..

— انه اطمأن انك معى وانى أحسن القيام بشأنك وأنا لحسن  
حظه أو لحسن حظك مدرس أيضا والتعامل مع الناشئين هو صناعتى  
وليست صناعته ••

— اسمع يا عمى ياسين أفندى انك أجبت أحسن اجابة وانى  
أشكرك ولقد قلت أكثر مما توقعت أن أسمع منك •• لن أفتح هذا  
الموضوع معك مرة أخرى ••

ودق جرس المدرسة وذهب المدرس الى مكان المدرس والتلميذ  
الى مكان التلميذ •

توفيت نبوية واتصل خليل بأخيه وأخبره :

\*\*\*

— سأقيم المأتم وأنتظركم ••

— لا تقم المأتم ••

— ماذا ؟ ! كيف ؟ !

— لقد طلبت أن يكون العزاء فيها أمام بيتى ••

— أمرها •• أجيء فوراً ••

— بل انتظر ••

— ماذا ؟ !

— لقد طلبت أيضا أن تدفن الى جانب أبى فأعد مكانها وتعال  
لتقبل العزاء ••

\*\*\*

حدث انفصال سوريا وصدرت القوانين فى مصر بمصادرة  
شركات وأموال •• وهكذا فقد خليل أغلب أمواله فقد كان يضع

كل ربحه من الطب في الأسهم شأن أغلب الأطباء وكان رأيهم أنهم ليسوا فلاحين وأن عملهم في العيادات وفي المستشفيات لن يسمح لهم أن يباشروا أرضهم حتى ولو كانوا من هواة الزراعة .. فإذا أرادوا أن يبنوا عمارات فهم قد رأوا ما حل بأصحاب العمارات من أهوال فلم يكن أمامهم إلا الأسهم تعطيهم عائدا دون أن تتطلب منهم مباشرة ودون أن تعرضهم لما يتعرض له أصحاب الأملاك كافة أرضا كانت هذه الأملاك أو كانت عمارات •

وهكذا لم يبق للدكتور خليل إلا أوशल وضاع عليه جهد السنين الطويلة التي عاناها والتي كان يأمل أن يجد فيها مؤثلا حين يفكر ابنه وهدان في الدراسة بالخارج أو حين يأتي اليوم وتزوج ابنته نبوية •

سبحانك يارب .. أهذه هي العدالة الاجتماعية .. أخي الذي جمع ماله بهذه الوسائل لا يمسه شيء وأنا الذي جمعت مالي بما يرضيك أصاب بهذه المصيبة ولكنه سرعان ما نفّض عن نفسه هذا الخاطر .. ان الله عادل والذي أنزل بي هذا الخراب بشر من البشر .. ولا يجوز لي أن أنفس على أخي انه لم يمس .. ولكنها هواجس نفسي وليس لي فيها حيلة .. الأمر لله من قبل ومن بعد .. أما فاطمة وعابدة فقد أصابتهما القوانين في دخلهما ولم تصبهما في رأس المال فقد كان بطبيعته أقل من الحد الأدنى الذي أعفاه القانون ..

ولكن المصيبة الحقيقية هي تلك التي نزلت بعد أيام بقدرية زوجة سباعي الذي أصبح عضوا بمجلس الأمة .. فقد صدر قرار بمصادرة أموال أبناء المرحوم عز الدين الخولي وابنته .. ونزل القرار بسباعي فاجعة قاسفة .. وراح يطرق الأبواب بكل الوسائل التي يستطيعها ولكن هيهات .. لا سبيل •

ليس عجيبا أن يكون سباعي وحده هو الذي أحس بهول

الكارثة فقذرية لم تكن تدري عن الأرض شيئاً وهى تعيش فى حمى زوجها وتعلم أن شيئاً لن ينقصها وما كانت مطالبتها تريد عما تحتاجه حياة طيبة ليس فيها هوان وليس فيها أى بذخ .. أما المشاعر التى كان من المفروض ان تشترك فيها مع زوجها فهى لم تكن موجودة .. بينهما فى أى شىء حتى تجمع بينهما فى هذه الكارثة . وبلطف من الله كانت قدرية تحس أن غنى ابنها صلاح لن يكون بمال أبيه وانما بعلمه الذى ظل متفوقا فيه دائماً . وهو فى هذا العام مقبل على امتحان الثانوية العامة وهى تريد أن يكون الصفاء مخيماً على البيت حتى لا تتأثر نفس صلاح بأى عامل خارجى .

أما صلاح فلم يكن يعرف عن أرض أبيه شيئاً وانما هو مشغول بالعلم والقراءة والشباب وبصداقات فى المدرسة يريد أن ينسى ما وسعه الجهد ما رأى من خوف الطبايين والزمارين والهاتفين لأبيه وأصحاب الخطب التى كانوا يلقونها فى مدحه وقد وجد بغيته بالاقبال بالحياة على الحياة .. وألقى نفسه فى دفاعها يتعلمها منها ومما يكتب الكتاب ومما يؤلف الفنانون فى الموسيقى والرسم .. ومن التاريخ الذى كان يعتبره السيرة الذاتية للحياة كتبها عنها أبناء لها منهم الصادق ومنهم المتحمس الذى يميل به تحمسه عن الصدق الى الهوى . وكان يحلوه أن يرى تصارع هؤلاء المتحمسين ويرى كلا منهم وهو واقف على طرف قصى من أطراف الحقيقة وعرف صلاح التيارات الدينية والتيارات الملحدة .

وناقش كل الآراء مع عمه ياسين وكان يقبل رأيه حيناً ويرفضه أحياناً ولكنه كان يحترم رأى وصاحبه دائماً .

وحين صودرت أموال أمه كان يدرك أن هذا لن يؤثر على حياته فى شىء ولم يكن يهمه الا أن تظل حياته كما هى حتى يتم تعليمه ثم يتفرغ بعد ذلك لما يحاول أن ينسأه مما رآه فى الانتخابات ..

فموقفه الذى اتخذه بالتباعد عما رآه فى الانتخابات وعما استشفه من حديث ياسين لم يكن الموقف النهائى له وانما كان موقف الذى يؤجل المواجهة الى اليوم الذى يستطيع فيه أن يواجه وهو قادر حتى تكون للمواجهة يومذاك قيمة ولا تكون مجرد احتجاج كاحتجاجات هيئة الأمم .

ولم تكتف الأيام بهذه الصاعقة تنزلها بسباعى بل نزلت به صاعقة أخرى فقد صدر أمر بترحيل أبو سريع الى جبل الطور مع المجرمين الذى يخشى على الأمن منهم . وراح سباعى يبذل مساعيه للافراج عنه وفى هذه المرة نجح سعيه وعاد أبو سريع الى البلدة وأمر سباعى فاستقبله الطبل والزمر والفرح ولكن ما هى الا أيام لا تصل الى الشهر حتى جاء النبأ لسباعى أن أبو سريع قتل وهو عائد فى الليل من البندر . وحاول سباعى أن يتماسك وجعل سلام كبير مجرميه بعد أبو سريع ولكن أين الوشل من العمر وأين التلميذ من الأستاذ .

\*\*\*



١٤

التحق صلاح بكلية الحقوق وقد انتسب اليها عن رغبة وليس  
بارعام من المجموع فقد كان مجموعته يؤهله لأى كلية يختارها وهناك  
تعرف بأصدقاء جدد الى جانب من التحق معه بالكلية من زملاء  
دراسته الثانوية .. وكانت معه فى نفس السنة عديلة .. أعجب بها منذ  
وقعت عينه عليها .. وما أيسر ما عرف اسمها عديلة عبد الغنى الزاهد ..  
ولكن فى زحام الطلبة لم يكن يعرف عن أيها شيئا الا اسمه  
أما وظيفته .. أما بلدته .. ولكى ماذا يهمنى من وظيفته أو بلدته ..  
وماذا يهمنى أيضا من عديلة .. انها جميلة فقط .. وأنا لست قادمة  
الى هنا لأحب فللحب أمكنة أخرى .. ولكن البنت حلوة .. وحلاوتها  
جعلتنى أعرف اسمها والأمر عندى ينتهى الى هذا الحد ..

ولننظر بعد ذلك فى أمر هذه الكلية التى تحمل اسما من  
أشرف أسماء التاريخ .. الحق وهو اسم من أسماء الله الحسنى ..  
وان من أسمى معانى الحياة أن يعرف الانسان الحق .. ويقف عنده ..  
ترى لو لم تحدث لى هذه الحادثة التافهة فى أول سنة لى فى المدرسة  
الاعدادية أكنت انتسبت الى كلية الحقوق .. من يدرى .. لماذا

لا تريد هذه الحادثة أن تفارقني .. أهى حادثة .. انها واقعة صغيرة .. ولكنها فى حياتى كانت حادثة بل هى الحادثة الوحيدة التى ارتكبتها لماذا لا تريد أن تبارحنى .. كان ياسين أفندى يدرس لى القرآن فى الليلة السابقة على هذه الحادثة وكان يشرح لى أن السرقة حرام وأن الذى يسرق يعاقبه الله .. وفى اليوم التالى كان علينا حصّة حساب بعد الفسحة مباشرة .. وبدون أى مناسبة ذهبت الى الفصل قبل أن يدق جرس الحصّة وجلست الى الدرج أعيد النظر فى واجب الحساب ووجدت زميلى عبد التواب تاركا قلم حبر على درجه .. القلم رخيص كل الرخص .. ولكننى قلت فى نفسى سأسرق هذا القلم وأرى ان كان الله سيعاقبنى أم لا .. وبفكرة السرقة وحدها أخذت القلم .. ربما لو كنت أخذته دون تفكير فى السرقة كان الأمر قد اختلف وانما أنا استوليت عليه بقصد السرقة وأعلنت هذا لنفسى .. وبدأت أوضح بالقلم أرقام مسألة حسائية من مسائل الواجب .. أمر عجيب .. التلم جديد .. فما هذا الذى حدث .. كيف انكسر دون أى ضغط منى عليه ثم اتثر الحبر منه على الواجب كله حتى لم يبق فى الصفحة مكان لم ترتم عليه بقعة حبر .. أكل هذا الحبر كان فى هذا القلم الصغير ؟ ..

عرفت الحياة بعد ذلك وعرفت أن الله لا يعاقب كل السارقين من الحياة فى الحياة وانما عقابهم فى الآخرة .. وجعلتنى هذه المعرفة أوقن أن الله يرعانى بعنايته وأنه أنزل بى العقاب عند أول سرقة لى .. وهو وحده يعلم أى طريق كنت سأسير فيه لو لم يردعنى فى بادرتى الأولى .. أم ترى من حقى الآن أن أقول فى حادثتى الأولى والتى أصبحت أخبرة ..

أهذا ما جعلنى أختار كلية الحقوق ؟ .. ان الذين اتسبوا اليها معى عن اختيار قلة نادرة فأغلب زملائى فيما رمى بهم اليها المجموع .. لماذا .. لماذا يرفضون الالتحاق بكلية الحقوق .. أترانا أصبحنا

فى زمن لا حقوق فيه .. هل ضاع فى زماننا حق الله وحق الوطن  
وحق الأسرة وحق الناس ؟ .. والا فما انصراف الشباب عن كلية  
الحقوق لا يلتحقون بها الا مرغمين \*

ربما جعلنى هذا أتفوق فى دراستى .. ولكن هل التفوق على  
الضعاف قوة .. ليس النجاح فى الكلية اذن هو المهم .. انما يوم  
أكون محاميا أو وكىلا للنياحة وأتفوق على الظلم وعلى الجشع وعلى  
نفسى .. يومئذ أستطيع أن أدعى لنفسى أننى تفوقت \*

\*\*\*

كان صلاح حريصا على أن يزور عمه كل فترة وكان يجد منه  
لقاء رجبا \* وقد حرص أن يذهب اليه بعد القوانين التى أتت على  
الجانب الأكبر من مذكراته وفرح بعمه وهو يجده يقوم بعمله فى  
العيادة وكان شيئا لم يكن \*

— المصيبة يا صلاح ليست فى حجبها وانما فى الحجم الذى  
تحس به أنت وفى المكان الذى تنزلها فيه من نفسك .. وقد علمتنى  
مهنتى أن أرى الناس \* وجدت بعض المرضى مصابا بالأنفلونزا وهو  
مع ذلك هالـع مرعوب كأنما هى كارثة الكوارث .. ووجدت آخرين  
من ذوى العقول الناضجة والعلم الواسع والايمان الراسخ مصابين  
بأمراض تجعل الموت اليهم أقرب من جبل الوريد ومع ذلك كنت  
أجدهم كالجبال الرواسى لا يحركها شىء بل وجدت من هو سعيد  
فرح أنه سيلاقى ربه .. فما المال يا بنى .. أنا الذى جئت به  
وأنا القادر على أن أجىء به مرة أخرى .. وانما قل لى ما الذى  
جعلك تأتى وقد اقتربت من امتحان الثانوية العامة \*

— أحببت أن أطمئن عليك ..

— لفظة عظيمة منك هذه يا أبو صلاح .. أنت مصمم على  
الحقوق ..

— ان شاء الله ..

— حين تعرف أساتذتك أخبرني عنهم فان لى أصدقاء كثيرين  
فى الكلية ..

— وماذا أريد منهم ؟ ..

— أعرف همتك .. ولكن تعرفك بهم يجعلك تقصد اليهم فى  
غير حرج اذا أردت شرح شىء أو التوسع فى موضوع على كل حال  
التعرف بالأساتذة ينفع ولا يضر ..

— فعلا .. حاضر سأخبرك بأسمائهم .. ولكن أين أنا من  
أسمائهم وأنا لم أمتحن بعد فى الثانوية العامة ؟ ..

— نجاحك مضمون وحتى أكون أكثر تأكدا تنفضل بالذهاب  
الى المذاكرة .. ولا أراك الا بعد الامتحان .. وأرجوك بل أمرك أن  
تأتى الى فى اليوم الأخير من الامتحان لأطمئن ..

— حاضر ..

— قبل سفرك الى الاسكندرية ..

— حاضر ..

ولم يستطع صلاح أن يجد عمه فى العيادة يوم انتهى من الامتحان  
وسافر الى الاسكندرية وعرف النتيجة والتحق بالكلية وعرف أسماء  
الأساتذة وأحس أنه تأخر عن زيارة عمه فقصد اليه بعد أسبوع من  
الدراسة كان مشغولا فيه بالتعرف على الحياة الجامعية الجديدة  
عليه •

ماذا يدبر القدر .. ما الذى أتى بعديلة هنا .. ومن هذا الذى  
بجانبا ؟ .. أيسلم عليها .. وكيف ؟ .. انها تعرفه فقد رآته مدة  
الأسبوع كله وهو يحملق فيها .. جمع أطراف شجاعته :

— مساء الخير يا آنسة عديلة .. أنا زميلك صلاح سباعي  
وهذان ..

— مساء الخير .. أهلا وسهلا .. هذا أبى ..

وقال الأب وهو يحاول أن يرغم نفسه على تقبل الأوضاع  
الجديدة للشباب :

— أهلا يا بنى .. مساء الخير ..

وأبى صلاح أن يفوت الفرصة :

— خيرا .. ماذا تفعلين هنا ؟ ..

— أبى متعب قليلا ..

— وهل البك الوالد من زبائن الدكتور خليل ؟ ..

قال الأب في اختصار من يريد أن ينهى الحديث :

— نعم ..

وقال صلاح في دهشة :

— هذا شرف لنا كبير ..

ودهش الأب لحظة ثم قال :

— ما اسمك قلت ؟ ..

وابتسم صلاح وقال :

— نعم وهذان جدى هو والد الدكتور خليل وهذان ..

وابتسم الأب وأحس بنوع من هدوء بعد بواذر ثورة من  
غضب :

— أهلا يا بني ونعم الناس .. أنا أعرف عمك منذ بدأ  
اشتغاله بمهنة الطب .. كنت أنا موظفا صغيرا لا أحتمل أجر الدكاترة  
الكبار ودلني عليه أحد الزملاء .. ونعم الناس يا بني •

— سلامتك يا عمي ..

— والله يا بني الكبد .....

ووجد صلاح نفسه قد نجح نجاحا باهرا فليس أحب للسريش.  
من أن يروى عن مرضه ويجد من يسمع أه •

\*\*\*

لو ترك سباعى مقتل أبو سريع يمر دون أن يهتم به اهتمام  
الإنسان على خاصة حياته لكان معنى هذا قاصدا بالنسبة له .. فان  
هذا يحمل فى طوإياه تهديدا مباشرا لسباعى .. والقاتل يعلنه انك لست  
عنا ببعيد نقتلك حين نشاء فحياة سباعى اذن أصبحت أسهل شئ منا لا  
ولم يكن سباعى يجب أن يموت .. والأمر الذى لاشك فيه ان مقتل  
أبو سريع ضياع لهيبة سباعى واعلان أنه لم يصبح مرهوب الجانب فى  
المنطقة .

سارع سباعى الى المأمور :

— أرى أنكم لم تهتموا بالبحث عن قتلة أبو سريع ..  
وكان المأمور يعرف كل شئ عن سباعى وصلة أبو سريع به  
فقال له فى جفاء صريح :

— هذا ليس من شأنك ..

— أنا عضو مجلس أمة ومن واجبى المحافظة على الأمن .  
— الظاهر ان سيادتك لا تعرف واجبات وظيفتك وحقوقها .

- تتعلم من سعادتك ..
- بل ويعلمك تلامذتي يا سيد سباعي فالذى أعرفه عن مدى ثقافة سيادتك يسمح لتلامذتي أن يعلموك ..
- أنا عضو مجلس أمة ..
- هذا لا يدل على ثقافة ..
- وابني طالب في كلية الحقوق ..
- وهذا أيضا لا يدل على أن سيادتك مثقف ..
- اذن ؟ ..

— اذن فيجب أن تعلم أن وظيفة عضو مجلس الأمة داخل مجلس الأمة فقط وليست خارجه .. وان المحافظة على الأمن من اختصاص وزارة الداخلية فقط واذا رأيت علينا اهبالا فتستطيع أن تتقدم بسؤال أو استجواب داخل مجلس الأمة .. ولكن الصلة الرسمية بيني وبينك مقطوعة تماما •

كارثة أخرى ، لم يكن رجال الداخلية يكلمونه بهذا الجفاء وهو أشد ما يكون حاجة الى هؤلاء الرجال .. وان يكن سباعي الذي ملغى وتجبر قد صار متعودا أن يقول فلا يناقشه أحد فان سباعي الذي قبل يد سليمان النواوي مازال في داخله فان المجرم البعيد عن الحق هو مع جبروته أشد الناس هلعا اذا واجهه الحق أو واجهته السلطة .. والرجل الذي ينافقه الجبناء خوفا من بطشه هو أكثر الناس خبرة بالنفاق اذا اقتضى الأمر منه نفاقا ..

وأحس سباعي من كلام المأمور المستخف كل الاستخفاف بمنصبه في البرلمان أن الحكومة تريد أن تؤمم الأجرام كما أمت الشركات والأرض .. انها حكومة لا تريد أحدا أن يسرق أو يقتل



أو يذل الناس غيرها هي .. هي وحدها صاحبة الحق في السرقة والقتل والاذلال .. وهي لا تريد أن تراعى زملاءها من الأفراد والا فما لهذا المأمور يخاطبه بكل هذه الاستهانة ..

وهكذا لم يكن عجبيا أن يتصاغر سباعي فاذا هو قطيطة مذعورة وما أسرع ما قال :

— ومن قال يا سعادة البك اننى قصدت اليك بصفة رسمية ..  
ومن قال يا سعادة البك اننى لا أحب أن أتعلم منك ما لا أعلمه ..  
أنت راجل سمعتك مثل المسك وحياة النبى .. والمديرية كلها تحبك وتعمل لك ألف حساب ..

— يا سيدى كتر خيرك .. مادام الأمر كذلك فأنا أقول لك ما تشاء عن مقتل أبو سريع .. أعداء أبو سريع كثيرون وهو كما تعلم جيدا مجرم محترف ..

وضغط المأمور بقوة وهو يقول كلمة « جيدا » وأصابت الكلمة موضعها تماما من كيان سباعي وأكمل المأمور حديثه :

— له عند الكثيرين ثارات وما أكثر ما قتل وما أكثر ما سلب ونهب ولذلك فاننا فى هذه الحالات نعلم علم اليقين أن البحث عن قاتله والعثور عليه أمر يوشك أن يكون مستحيلا .. قد يكون القاتل أحد رجاله أنفسهم فالذى يقتل مرة يسهل عليه أن يقتل لأقل سبب .. قد يكون أساء الى سلام مثلا فقتله سلام أو قد يكون سلام طامعا أن يحل محله فى رئاسة العصاة كما حصل ..

وقال المأمور الجملة الأخيرة فى تودة وفى تفصيل واضح فيه القصد الذى يهدف اليه وأدرك سباعي الإشارة .. أولاد العفريتة هؤلاء لا تخفى عليهم خافية ..

وأكمل المأمور كلامه :

— ولهذا فقد قمنا بكل التحريات الممكنة ولم نصل لنتيجة  
لأن الذين نسألهم واحد من ثلاثة إما لا يعرف شيئا وهذا طبعاً لن  
نأخذ منه حقاً ولا باطلاً ، وإما يعرف وفرحان وهذا أيضاً سيبلغ في  
اخفاء ما يعرفه ولا أمل لنا فيه ، وإما يعرف وخائف من القتال أن  
يقتله وهذا لا حيلة لنا معه .. فإذا كنت سيادتكم تعرف شيئا وتريد  
أن تمدنا به أكون شاكراً ..

— شيئا ... مثل ماذا يا حضرة المأمور ؟ ..

— مثل أبو سريع قتل من ؟ اغتصب مال من ؟ حرق غيط من ؟  
هذه المعلومات .. ستفنعنا كثيراً ..

يا نهار أسود من الجبر الكوبيا .. هذا الرجل يريدني أن  
أقول أن أبو سريع قتل متولى أبو منصور وأحرق غيط حسن  
ابن عبد الحميد أبو ديدة وهدد سليمان النواوي والسؤال التالي من  
الذي استفاد من هذه الجرائم .. وأروح أنا في ستين مصيبة ..  
أنا غلطان من الأول أن جئت لهذا الداهية .. تنبه سباعي إلى  
ما يحيط به فوجد نفسه على شفا أن يكون متهما وهو الذي جاء ممثلنا  
بالكبر ليعلم الداخلية واجباتها .. قال للمأمور :

— وهل تظن سعادتك أنني أعرف شيئا وأخفيه ؟

— من جهة أظن .. نعم أظن ولكن للأسف لا دليل عندي على  
الاطلاق :

— ومن أين هذا الظن ؟

— هذا علمنا يا سيد سباعي .. أن نبدأ بالظن ..

مصيبة سوداء .. الرجل يهددني تهديدا صريحا .. لا .. القيام  
أحسن حاجة أعمالها الآن ..

- الحمد لله يا سعادة المأمور انك تظن فقط .. وستعرف مع الأيام انك لست محققا في ظنك •
- هذا ما أرجوه يا سيد سباعي .. لأن الظن في أعضاء مجلس الأمة للذين رشحتهم الحكومة وعملت على نجاحهم أمر لا نحبه نحن العاملين في نفس الحكومة •
- ربنا يديم المودة يا سعادة البك •
- هي دائمة طالبا أنت مع القانون ولست ضده يا سباعي •
- أستأذن أنا ••
- مع ألف سلامة ••
- لا أمل له اذن أن يعرف قاتل أبو سريع من الجهات الرسمية ••  
لم يبق أمامه الا تحرياته الخاصة وقد بدأها فور عودته •
- سلام •• أليس بينك وبين أبو سريع عيش وملح ؟
- وعيش ودم وحياتك يا سعادة البك •
- فكيف ترك قاتله بغير عقاب ؟
- اعرفه ويموت قبل أن تطرف عينه ••
- أليس من واجبنا نحن أن نعرفه ؟
- وماله •• نبض ••
- في البلد هنا أولا •• شف لى أين كان حسن ابن عبد الحميد أبو ديدة وأين كان شاكر وعبد التواب أولاد متولى أبو منصور ••  
وأين كان سليمان النواوى • طبعاً هو لن يقتل بيده وإنما اعرف لى من زاره أو هو زار من •
- يا سعادة البك سليمان لا يخرج من الدار مطلقا ••

— اعرف لى من زاره ..

— أمرك ..

أما حسن أبو ديدة فهو منذ اغتصب منه سباعى الأرض لا يبرح دكانه يحاول أن يعوض بانعمل ما ضاع من ريع الأفدنة .. وقد اشترى بثمان الأرض حجرة بجانبه وفتحها على الدكان فأتسع المكان وما أن بلغ ابنه الأكبر عبد الحميد السن التى يستطيع فيها أن يتعلم الصنعة حتى أجلسه معه وراح يعلمه الخياطة بكل ما يملك من مهارة .. كان الطفل ذكيا واستطاع أن يكون تلميذا موفقا لأبيه وفى نفس الوقت أرسل ناصح ابنه الأصغر مع ابنتيه الى الكتاب وخين أتم ناصح حفظ القرآن أرسل به الى الأزهر الشريف حتى يستطيع أن ينفى بنفقاته الى نهاية التعليم \*

وكان عبد الحميد الابن الأكبر جالسا فى الدكان حين جاء مرسى الشحات أحد رجال سلام ومعه قطعة قماش :

— أين أبوك يا ولد ؟

— ما ولد هذه .. آكنت خادم أيبك ؟ ..

— يا سيدى ولا مؤاخذه .. أين أبوك ياسى عبد الحميد ؟ ..

— ومن غير سى .. عبد الحميد كفاية \*

— نهارك أسود .. أين أبوك يا عبد الحميد ؟

— فى البيت .. لماذا تريده ؟

— أما عجيبة هو ترزى وانت شايف فى يدى قطعة قماش فيهم سأريده .. ويقولون عنك ناصح ..

— ناصح أخى ..

— طيب يا سيدى .. يقولون عنك فالح \*

- أنا اسمى عبد الحميد •
- اسمع بابنى لو قابلت كل الزبائن بهذه الصورة فالمؤكد  
انك انت وأبوك واخوتك لن تجدوا قوت يومكم •• يا أخى قل لى  
أين أبوك ؟
- وخرج عبد الحميد من باب البيت المفتوح على الدكان ••
- حاسب على الوليد يا مرسى وهل هو قدك ؟
- انت سامع الحديث ••
- من أوله ••
- ولماذا تأخرت ؟
- لم أتأخر وانما كانت فى يدى قطعة قماش أنقعها ••  
تحت أمرك ••
- القطعة هذه اشتريتها من البندر •
- وماله •• ألف مبروك ••
- أريدها جلبابا على ذوقك ••
- أول مرة تأتى الى •• طول عمرك تفصل عند عطية •
- أتلف لى الجلباب الأخير فأقسمت ألا أذهب اليه •
- أمرك يا سيدى نفصلها لك •• خذ مقاسه يا عبد الحميد •
- خذه أنت ••
- وانت لماذا لا تأخذه ؟
- يدى مشغولة •

— أمرک يا سيدى .. أصل الزمن انقلب .. تفضل ياسى  
مرسى ..

وبدا مرسى الحديث الذى جاء من أجله :

— المديرية مقلوبة على رجل •

— لماذا كفى الله الشر ؟ •

— من أجل مقتل أبو سريع •

— هل عرفوا القاتل ؟

— أبدا ..

— عجيبة ! ..

— والأعجب ان كل حادثة مثل هذه نسمع كلاما ربما يكون  
اشاعات كاذبة انما نسمع .. أما هذه المرة ولا حتى سمعنا شيئا •

— الناس ملهية فى مشاغلها ..

— طول عمرهم مشغولون ومع ذلك يحبون الكلام أكثر من  
عيونهم • فى هذه المرة لا حس ولا خبر ..

— عجيبة ! ..

— وانت كيف عرفت بقتله ؟ ..

— مع الناس ..

— أين كنت ؟ ..

— أنت تعرف أننى لا أترك الدكان مطلقا •

— يعنى لم تسمع شيئا ..

— نهائيا ..

- طيب يا سيدى شكرا .. متى أستلم الجلباب ؟ ..
- اعطنى يومين فقط ..
- وهو كذلك .. السلام عليكم ..
- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته ..
- وانصرف مرسى والتفت عبد الحميد الى آبيه فى غيظ ..
- تفصل له أيضا ؟ ..
- يا ولد اعقل وافصل لآبيه أيضا .. وأفصل لسلام اذا طلب منى ذلك ..
- ليس هذا غريبا عليك مادمت ضعفت أمام تهديدهم ..
- يا عبد الحميد يا ابنى تمزقنى بسكين يارد كلما قلت ذلك .. يا ابنى أنا ليس لى أمل فى الدنيا الا أن أكون أمامك وأمام أخوتك رجلا قويا ..
- وهل يقبل القوى التهديد ؟
- غصبا عنه اذا هده من هو أقوى منه .. ماذا كنت تريدنى أن أفعل ؟
- أترك البلد ..
- وهل لو كنت تركتها كنت سأحمل فداينى على كتنى ؟ ..
- لا أعرف ماذا كان يجب أن تفعل انما المهم ألا تقبل التهديد ..
- أنت تعرف أننى حاولت فأحرقوا المحصول وسرقوا البهائم وكانت الخطوة التالية أن يقتلونى ..
- ولا عار الذل ..

— ومن كان سيربك أنت وأخوتك .. أكنت أترككم تمدون.  
أيديكم للحسنة ..

— كلما سمعت اسم سباعى زفت أو شفت أحدا من رجاله تركبني.  
عفاريت الدنيا \*

— مصيرك تتغلب على العفاريت .. انما يا ابني خف الوطأة  
عنى \* فلاشئ يقتل الأب مثل شعوره أن ابنه لا يحترمه \*  
— أنا فقط أشفق عليك \*

— وهذه يا ابني أدهى وأمر .. حسبى الله ونعم الوكيل \*

\*\*\*

حين ذهب مرسى الى سليمان النواوى قال له :

— كيف الصحة با عم سليمان ؟

— أهلا مرسى .. عجيبة ..

— ما العجيبة ؟ ..

— الزيارة ..

— قلت اطمئن على صحتك ..

— أى صحة التى تريد أن تطمئن عليها .. أنا أنتظر عزرائيل.  
من سنوات ولم تحاول أن تطمئن على صحتي وعزرائيل هو الآخر  
تأخر فى الوصول .. تأخر جدا يا مرسى يا بنى ..

— وفيهم العجلة ؟

— حتى يعفينى من رؤيتك ورؤية أمثالك ياسى مرسى .. اسع  
يا بنى أنا عجزت نعم ولكن عقلى كما هو رغم كل ما شفته فى  
الحياة .. أنت تريد أن تعرف منى معلومات عن قتل المجحوم



أبو سريع .. ولبعا لا أنت تتصور ولا سيدك ولا سيد سيدك انى  
سأقتله .. لم يبق الا أن أسلط عليه ولو كنت أفكر هذا التفكير  
لفعلتها منذ استوليت على أرضي .. قم يا مرسى مع السلامة ولا تضيع  
وقتك وابحث عن غيرى ..

— كذا ..

— وهل هناك غير كذا ؟

— أمرك .. سلام عليكم .

\*\*\*

كان شاكراً وعبد التواب معا فى الغيط وقدم اليهما مرسى وراه  
شاكراً مقبلاً عليهما من بعيد فالتفت الى أخيه :

— يعنى أخبطه بالفأس وأخلص ؟

ونظر عبد التواب وهو يقول :

— من .. آه .. يا أخى اعقل .. انه قادم يظن أننا لنا يد فى  
قتل أبو سريع .. اسكت انت ولا تتكلم .

— لا أطيق ..

— اسكت انت وأنا سأريحك .

— السلام عليكم ..

وقال عبد التواب وهو يعمل فأسه فى الأرض وكأنه لا يراه :

— من غير سلام أبلغ سيدك أننا عندما قتل أبو سريع كنا فى فرح  
هنداوى الجلطة أنا وأخى وأعطينا النقوط على ملا الناس وألف  
شاهد يشهد على ذلك .. مع السلامة يا مرسى ..

— يا سلام أهكذا من غير أخذ ولارد ؟

— وما لزوم الأخذ والرد وقد عرفت ما كنت جائئاً من أجله ..  
مع السلامة يا مرسى ..

— طيب يا سيدى وهو كذلك ..



أدرك سباعى أن لا فائدة ترجى من بحثه وانتهى به الأمر الى اليأس التام من العثور على القاتل \* ولم يبق له الا أن يكون هو على أهبة تامة حذر الموت .. وتولاه شعور بالرعب لم يعرفه حياته كلها .. ان لحظة خوف واحدة يصغر أمامها مال العالم كله وسلطان الدنيا بأسرها .. وخالق النفوس سبحانه هدد البشر بشيء من الخوف رحمة بعباده أن يبلوهم بالخوف كله فان شيئاً منه أدهى من الموت ومن الفقر وكل عذابات الدنيا \* ترى أياكون سباعى بهذا الرعب الذى يتغشاه قد كفر عن جرائمه .. من يدري .. فאלله وحده هو الذى يملك الغفران وهو وحده الذى يعرف متى يستحق عبده المغفرة يمنحها له أو لا يستحقها فيحببها عنه \*

فكر سباعى أن يقيم أغلب وقته فى القاهرة ولكن ارتد عن هذا .. فالقاهرة واسعة وقد يقتل هناك فى أى لحظة .. ثم هو لا يستطيع أن يسير فى القاهرة وجوله هؤلاء الحراس الذين يصطنعهم هنا فى البلدة .. كل ما استطاع أن يفعله أن يضع على بابه أضعافاً مضاعفة من المراتج وأن يزيد من عدد الخفراء .. وكان يظل طول ليله لا يغمض له جفن وتظل آلة الاضاءة تعمل لا تنى ولا تنطفئ بل لقد اشترى آلة أخرى لتضىء اذا أصاب العطب الآلة التى تعمل \* ولا يننى طول الليل ينادى أسماء الخفراء الواحد بعد الآخر ليكون على ثقة أنهم أيقاظ فلا ينام الا حين يأتى الصباح ..



السنوات الخضراء من الشباب حين يكون للحب جناحان  
يخلق بها الانسان في سماوات سامقات عن الدنيا : قصيات عن  
الأرض . رفيعات عن الدنيا . هناك يحس الشباب أنَّ الهوى لم  
يخلق الا له وأن الله سبحانه وتعالى يرسل به الى الأرض نفحات من  
الجنة تعين الانسان على مرور الحياة وعلى تكالب البشر وعلى اشتباك  
المصالح وعلى الكذب وعلى الغش وعلى خداع الصديق وعلى  
حضيض الناس وانحيازهم الى خلق الحيوان وتنكرهم للانسانية التي  
جعلهم الله بها سادة الخلق أجمعين .

بالحب يستطيع الانسان أن يكون سيد المخلوقات .. بهذه  
الخفقات المجنحة العريضة الآمنة .. السعيدة القلقة .. الباسمة  
المقطبة .. الآملة اليائسة .. الراغبة العازفة .. المقدمة عن رعونة  
المحبة عن حذر .

بالبحث عن الكلمات فإذا هي في تيه عن المشاعر أغلقت عليها  
المسالك لا تدري أين سبيلها الى الشفة لتعبر عن حب صاحبها .  
باللثمة واللسان فصيح ولكنه ينوء بما لا يطيق من أحمال الحب .

فأذا به - وهو المنطلق القؤول - مفيد مَكْبُول وإذا النجوى صمت  
وإذا الحديث نظرة وإذا الحياة نشوة يطمسها الحديث المعلن ويشعشعها  
القم الصموت •

عرفه صلاح وعرفته عديلة • بلمسه يد بابتسامة عند لقاء في  
الصباح أو لقاء في المساء •• بكلمات يهمن على شفاه صلاح ويقف  
بهن جلال على وجه عديلة •

انه الحب البكر لقلبين مخلوقين من لقاء الماس دون صلابته  
ومن ظهارة الملائكة ممتزجة بخلجات الانسان وشفافية البلور وقد سرى  
فيه نبض البشر ومن نور الأمل في المستقبل طليقا من قيود الزمن ••  
أحس كل منهما عند صاحبه ما كانا به في غناء عن التصريح •• وكان  
الحديث يجري بينهما رخاء وفي غير الحب كان الحديث •• لقد اتفق  
كل منهما مع الآخر دون قول منهما أن أى حديث هو أصغر من الحب  
يكنه كل منهما لحبيبه والمكان الذي يعرفه كل منهما لنفسه عند هواه •

سأله يوما :

- هل أنت اخوان أم شيوعى ؟

- أنا مصرى ••

- اذن فأنت من الأغلبية ••

- وأنت ؟ ••

- ماذا تظن ؟ ••

- مصرية •• لحما ودما وقلبا وروحا وجسما ومشاعر وأخلاق  
وآراء ••

- اما أن يكون المصرى كذلك أو لا يكون •

— ولكن ألم تفكر أن تنضم الى هؤلاء أو أولئك لتعرف ما يفكر فيه كل من الجانبين ؟

— صادقت من هؤلاء ومن هؤلاء وحاول كل من الجانبين أن يضمني اليه ورفضت ..  
— لماذا ؟ ..

— لا أريد أن أحكم العالم ولا أريد حتى أن أحكم مصر بل ولا أريد أن أحكم أحدا على الاطلاق ..  
— فماذا تريد أن تكون ؟

— انسانا ..  
— ألسنت كذلك ؟ ..

— ليس بعد ..  
— فما الانسان عندك ؟ ..

— أن أحب كل الناس حتى المخطئين .. ولا أحقد .. وإن أعطى اذا ملكت العطاء ولا أنتظر على العطاء شكرا لأن العطاء نفسه يمنح المعطاء سعادة لا ييئها في القلب كل شكر العالمين . أريد أن أرى جمال الحياة وأحاول بكل جهدي أن أهون البؤس فيها على البائسين .. أريد أن يظل ايماني بالله وبالخلق وبالصدق وبالقيم ثابتا لا تزعزعه الأهوال التي أعلم أن الحياة ستواجهني بها .. أريد أخيرا أن أكون وأنا في طريقى الى الله سعيدا أننى سألقاه .. وأنت ..

لم يسمع جوابا ورأى الدموع تجري مدرارا على وجنتيها وكانت توقفت عن المسير فتوقف وهو يتحدث دون أن يسألها عما دعاها للوقوف .. أسعده بكأؤها ومد يده ومسح دموعها في هودة محب مشفق ، وفي ضغط شاب فتى وابتمس وقال :

— لقد أجابت دموعك عنك أنت تريد أن تكونى مثلى ..



١٧

كان صلاح يؤدي امتحان النقل من السنة الثانية في كلية الحقوق الى السنة الثالثة حين ضرب جرس التليفون في بيتهم وقال خليل :

— صلاح أنت تذاكر هذه الأيام ؟ ..

— نعم ..

— اذن اسمع .. آخر يوم امتحان تمال فأنا أريدك في شيء، مهم جدا ..

— خير يا عمي ..

— وهل تظن ان عمك يقدم لك الا خيرا ؟ ..

— ولكن سعادتك شغلتنى ..

— وهل تظن أنه لو كان هناك ما يشغل كنت طلبتك وانت تمتحن .. متى آخر امتحان عندكم ؟

— غدا ..

— اذن تعال غدا .. واطمئن ستفرح جدا .. أظن ذلك على الأقل ..

وحين ذهب صلاح الى عمه في اليوم التالي كانت اللفتة تحيط به وكان عمه مشغولا بالكشف على مريض فازداد به القلق حتى اذا خرج المريض دخل دون استئذان وقال دون سلام :

— ماذا هناك يا عمي ؟ ..

— أقعد ..

— ماذا هناك والنبى ؟ ..

— اسمع يا سيدى .. لقد خطبت لك ..

— ماذا ... من ؟ .. هل أعرفها ؟ ...

— وهل من الضروري أن تعرفها ؟

— اسمع يا عمي .. أنا خاطب فعلا وأنا أعرف حبك لى ولذلك أرجو أن تكون خطبتك مجرد جس نبض .. أنا خاطب فعلا ..

— من ؟ ...

— فتاة زميلتى ..

— اسمها عديلة ؟ ..

— ماذا ؟ ..

— وابنة عبد الغنى بك الزاهد ؟

— كيف عرفت يا عمي ؟ ..

— الله يكسفك .. أعرف منهم ولا أعرف منك ..

— ماذا تقول ؟ ..

— لقد جاءت الى هنا وقالت ان كثيرا من الخطاب تقدموا لها  
ورفضتهم ولكن تقدم اليها أخيرا شاب مهندس لا عيب فيه وأبوها  
يريد أن يزوجهما منه على رغم أنفها وطلبت الى أن أرجو أباهما  
الا يرغما ..

— وماذا فعلت يا عمي ؟ ..

— سألتها عن سبب الرفض فأصرت أن تصمت ولكنها أخيرا  
قالت انها لا تريد أن تخرج عن طاعة أبيها ولكنها لن تتزوج هذا  
المهندس .

— وبعد يا عمي وبعد ..

— طلبت اليها أن تنتظر في غرفة الاستقبال وطلبت أباهما في  
التليفون .. فاذا الرجل ينفجر .. ألم تفكر يا دكتور لماذا اختارتك  
أنت بالذات ؟ .. قلت أعتقد انها اختارتني لأنها تعرف مكاتني عندك ..  
قال يا سيدى مكاتك على العين والرأس ولا شك فيها ولكن لها  
أعمام ولها أخوال وكان من الطبيعي أن تلجأ لواحد منهم ، وتنبهت  
الى هذه الحقيقة متأخرا يبدو أننا عائلة غبية يا ولد يا صلاح .  
سألت عبد الغنى ماذا اذن .. قال ابن أخيك يا سيدى .. ماله ؟ ! ..  
قال متحaban وهى لا تريد الزواج من أجل خاطره .. ربك والحق  
يا ولد يا صلاح فرحت بك قلت وانت ما المانع عندك .. قال المانع  
بسيط جدا أنه لم يتقدم اليها وهؤلاء العرسان تقدموا وكلهم شبان  
ممتازون وأحسنهم هذا الشاب الأخير .. ما رأيك .. قلت له اذن  
يا عبد الغنى فأنا أخطب ابنتك عذيلة لابن أخى صلاح .. قال  
الا تسأله .. قلت انى أعرف الجواب .. قال اذن وأنا قبلت .. قل



للبنات انها لن تتزوج الزفت المهندس ولا تقل لها شيئا عن الخطبة  
حتى تتم رسميا قلت حاضر ..

وقفز صلاح عن كرسيه وراح يقبل عه ويحتضنه ويصيح ..  
الله يطيل عمرك .. الله يخليك .. وقال خليل :

— والآن قل لى ماذا فعلت فى الامتحان ؟ ..

— قل لى انت أولا كيف عرفت أنتى سأقبل هذه الخطبة ..

— عجيبة .. ألا تعرف أن لى أصدقاء كثيرين بين أساتذتك ؟

— وكيف عرفوا ؟ ..

— لماذا يعتقد الشباب منكم أن الشباب لم يعرف الا جيله  
وحده .. كانوا هم أيضا شبابا وكانوا فى الجامعة ولا تفوتهم  
الفائنة ..

— العجيبة اننى مع عذيلة كل يوم ولم تقل شيئا عن هذه  
الحكاية مطلقا ..

— أولا ماذا تريدها أن تقول لك .. تعال اخطبنى .. ثانيا هي  
لا تعرف أننى خطبتها من أيها ..

— والبنات التى ترفض أن تذكر لى شيئا عن خطابها أليست  
جديرة بالحب ..

— فعلا هي جديرة بالحب وبالأعجاب ولو أننا نحن أحبيناها  
اولا والآن نفكر فى حيثيات الحب أليس كذلك يا نصف المتر ..

— وهل تظن أن أبى سيقبل أن يخطب لى وأنا نصف متر ؟

— غصبا عنه ..

— كيف ؟ ..

— ان كان عليه هو يريد أن يزوجك من يوم دخولك الجامعة  
وأنا الذى كنت أستمهله ..

— هل كلمته ؟ ..

— وسيكون هنا غدا .. اذهب أنت الآن الى والدتك واخبرها  
بكل شيء حتى لا تفاجأ ..

وجاء سباعي وطلب الى أخيه خليل أن يشتري له الشبكة المناسبة  
وما هي الا أيام حتى تمت الخطوبة وأعلنت واتفق الجميع على أن  
يكون الزواج بعد الليسانس مباشرة .. وكانت أم عديلة متوفاة  
ولهذا لم يكن عجيبا أن يهمس عبد الغنى في أذن صلاح :

— تعال يا ابني أريدك في كلمتين ..

قام صلاح مع والد خطيبته وذهب به الى غرفة نومه :  
— أعرف أن الكلام في هذا سابق لأوانه الا أنني يا بني لا أحب  
القلق ..

— تحت أمرك يا عمي ..

— أنت ترى أنه ليس لي في الدنيا الا عديلة .. أمها تركتها  
لي من خمس سنوات وأنا كبرت ولا أستطيع أن أعيش وحيدا  
أكون هناك أثقال عليك لو عشت معي في هذا البيت ؟

— أنا تحت أمرك ولكن لي رجاء واحد عندك ..

— قلبه .....

— أن أساهم في مصاريف البيت .

— في بيتي ؟

— وهل ترضى لي أن أعيش عالة عليك ؟

— أنا قبلت ..

— وأنا قبلت ..

— على بركة الله .. اذن ربنا يهنيكم يا ابني ان شاء الله .



١٨

كان صلاح قد انتهى من امتحان الليسانس ولكنه بقي في القاهرة في انتظار النتيجة ولم يسافر الى الاسكندرية .. وكان يتهيأ للنزول ليذهب الى عديلة شأنه في كل يوم حين دق جرس الباب واذا القادم عسه خليل .. وفوجيء صلاح بعسه يحتضنه على الباب ويصيح :

— جيد جدا .. ألف مبروك ..

وذهل صلاح :

— أحقا ؟ ..

— كلسنى الآن الدكتور عبد الوهاب رفاعى .

— أستاذ الجنائى ..

— رئيس الكترول ..

— عديلة ؟ ..

— جيد ..

— يعنى نجحت ..

وقبل أن يكمل الحوار انفجرت زغرودة من حيث لم يحتسبها  
ومن حيث لم يتصورا أيضا . لقد كانت قدرية بمسمع منهما .. والتفتا  
إليها في فرح فاذا هى تطلق زغرودة أخرى وترتمى على الكرسي .  
ويجرى إليها ابنها وعمه وتقول لاهثة :

— ندر على وأنا أوفيه .. ما فعلتها في حياتي ولكنى كنت  
أتمرن عليها كل ليلة منذ دخلت الحضانة .. أنا يا بنى لا أحب  
الحياة الا من أجلك .. انت حياة حياتي ..

وراح صلاح يقبل يدها ووجهها ويشرب صادق دموعها  
المنهرة .. وهى تقول وكأنها تكلم نفسها :

— لقد جئت مصر من أجلك وأنا لا أعتبر أن لى زوجا منذ  
رزقنى الله بك .. لم أفكر فى شىء لنفسى طول حياتك لا فكرت فى  
فسحة ولا فى فستان ولا فى شىء حتى أرضى حين أخذوها منى قلت فى  
ستين داهية مادمت انت فالجا فى مدرستك .. ولولا الحاحك  
ما ذهبت عمري الى السينما . التليفزيون لا يفتح مادمت أنت تذاكر .  
عمري كله كان ينتظر هذه اللحظة فلا تعجبوا .. انها لحظة عمري،  
منذ اليوم أنا لا أريد شيئا . أنا ابني معاه الليسانس وكل شىء  
بعد ذلك لا يساوى شيئا . حتى فى يوم فرحك لن أزغرد . فرحانة نعم  
سأكون . ولكنى لن أزغرد . هى مرة . ولن تعود . ابني معاه  
الليسانس . شربات يا أم السعد . شربات يا هنية . شربات للعمارة  
كلها .

ان حب الأم لابنها أمر ليس غريبا على صلاح ولا هو . بغريب  
على خليل ولكن الذى دهشا له أن قدرية الصوت المستسلمة دائما  
الجادة تزخر بكل هذه المشاعر ولا تبين عنها الا الآن . تركية عجيبة

هذا الإنسان .. حتى أقرب الناس اليه لا يعرف الأعماق الحقيقية  
التي ينطوى عليها كيانه .

قال خليل :

— انت وعديلة عندي على العشاء الليلة . وكلم أباك .

وقبل ان ينزل خليل فال له صلاح :

— نجىء لك فى العيادة أم فى البيت ؟

— على البيت مباشرة واذا تأخرت انتظرانى .

— وهو كذلك ..

وسارع صلاح الى عديلة وبشرها بمشهد من أيها ومن هناك  
طلب أباه فاخبره فاذا بصوت ابيه ياتيه فى التليفون :

— اسمع يا استاد .. بعد غد أنت وعروسك والبك والدها  
وعمك وزوجته وعستك عابدة وزوجها وعمتك فاطمة وزوجها كلكم  
مدعوون مع أولاد الجميع على احتفال عندنا هنا فى البلد بمناسبة  
تخرجك .. سامعنى ..

— خذ سعادتك كلم عمى عبد الغنى .

قبل الرجل الدعوة ونزل صلاح مع عديلة ولم ينتظرا أن يركبا  
السيارة وانما قبلها على السلم واذا هى تضربه على خده ضربة أقرب  
الى التريت وهى تقول :

— يخرّب عقلك ..

— ماذا ؟ اذا كنت جيد فأنا جدا .

— وما شأن الناس بهذا ؟

— انهم يحبون أن يروا خطيبا يبوس خطيبته ..

- ولكنهم مع ذلك يدعون الغضب .
- وأنت ما الذى يهمك الحقيقة أم الادعاء ؟
- يبدو أنك ستكون أنت فى الادعاء فإلغالب أنك ستدخل النيابة .
- أو أكون أستاذًا فى الكلية .
- ماذا تريد أنت ؟
- لم أحدد بعد ربما رفضت هذا وذاك وفكرت فى المحاماة .
- كانا قد ركبا السيارة وسارت بهما وقالت عذيلة :
- الى أين ؟ ..
- الى صاحب الفضل الأول على ..
- الأستاذ ياسين ؟ ..
- كان يجب أن يعرف قبل أبى ..

\*\*\*

١٩

كان سباعي حريصا دائما أن يحضر كل بقرة أو جاموسة عنده تلد . وتلك خصلة صحبته وصحبها منذ كان طفلا في رعاية أبيه . وقد ظلت فرحته بولادة البهيمة التي كان يحسها وهو ذلك الطفل كما هي لم تتغير . وإن كان في طفولته يساعد الكلاف إلا أنه كف عن ذلك منذ شب عن الطوق وأصبح يشرف على زراعة أبيه ، وهو اليوم يضع كرسيًا ويجلس قريبا من الذين يقومون بتوليد البقرة أو الجاموسة حتى تتم الولادة فينصرف إلى البيت . وكان في جلسته هذه ينسى كل مشاغله التي أصبحت حين كبر مخاوف ولا يفكر إلا في مولد العجل أو العجلة إن كانت الوالدة بقرة والفحل أو الفحلة إن كانت الوالدة جاموسة . وكانت البلدة كلها تعرف عنه هذه العادة . فعادات كل أبناء القرية معروفة لبعضهم البعض ، فالقرية مهما اتسع إنما هي بيت كبير كل إنسان يعرف كل شيء عن كل إنسان فيها فما الشأن إذا كانت تلك هي عادة أغنى أبناء القرية وكبير طغاة المنطقة .

وقدر الذين يجسّون البهائم وهم أطباء الولادة بالقرية أن

الجاموسة المفضلة عند سباعى ستلد فى نفس اليوم الذى حددته للاحتفال بحصول ابنه على الليسانس .

وفكر سباعى قليلا ثم قال لمحدثه الذى سيقوم بتوليد الجاموسة:  
— اذن فاسمع . . عليك انت ان نظل الى جانبها لا تنتقل وحين  
تحس ان الموعد اقتررب ارسل لى اجىء اليك . وسيكون المدعوون  
ثتيرين ولن يلتفت احد لعيابى .

وحل يوم الاحتفال ولم تكن الجاموسة قد ولدت بعد وتقاطر  
المدعوون وكان سباعى لم يترك أحدا الا دعاه وفى المقدمة المحافظ  
ومدير الأمن والمأمور وأعضاء مجلس الأمة والعمد والأعيان .  
لقد اراد أن يعلن للجميع ان سباعى الذى لم ينل شهادة استطاع  
ابنه أن يحصل على الليسانس وبدرجه جيد جدا . الوحيد الذى كان  
يجب أن يكون موجودا ولم يدع هو شعبان فما كان الى دعوته من  
سبيل فقد كان قد سافر الى صهره الأمير مع زوجته واولاده وأقام  
هناك اقامة غير عائد .

وجاء المحتفل به ليرى القرية التى لم يكن رآها منذ كان صيبا  
يفعما سعى الى القرية فرحا ليشهد الانتخابات وانصرف عنها  
مصطحبا الحيرة والقلق مما رأى فى أعين الرجال وهم يحتفلون بأبيه .

جلس صلاح بين القوم وراح ينظر . . لم تكن عديدة معه فقد  
ذهبت هى وأمه وعماته الى مكان الحريم ، فالريف لم يعترف بعد  
باختلاط الجنسين . رأى فى عيون القوم المدعوين وفى جباههم تعبيرا  
آخر غير الذى شهدته من الناكبين . هؤلاء لا يخافون أباه ولكنهم  
أيضا خائفون . كلهم مرتعد فى داخله تتضح الرعدة فى حديثه . .  
فالحوار يبدأ ولكنه ينقطع من تلقاء نفسه اذا أدى الى موضوع  
عام . وكل حوار بين الرجال لابد أن يؤدى الى موضوع عام . . ولكل  
منهم رأى وربما كانوا متفقين جميعا على رأى ولكن هيهات لرأيهم



أن يعلن أو يخرج من منطقة الهمس الداخلى الى منطقة الحديث ••  
أشدهم رعبا المحافظ ويلييه مدير الأمن ويلييه المأمور • ويعجب صلاح  
كيف يحافظ على الأمن من لا أمن له • كيف يكون مسئولاً عن أمن  
الناس وهو نفسه غير آمن على نفسه • ويل للناس اذا خاف الناس •  
وويل للناس كل الويل اذا كانت نفوسهم تخاف من نفوسهم •

أما أعضاء مجلس الأمة فهم يتلهون بكل حديث فارغ ويختارون  
طريق الحديث حتى لا يصل بهم الى ما يرهبون • وقد وجد بعضهم  
في الاجتماع فرصة ذهبية يقترب بها الى العمد والأعيان فكل نائب  
فيهم ليس يدري الانتخابات القادمة متى تكون •

حابل ونابل كما يقول العرب وقوم يجتمعون وينفضون يقولون  
الكثير من الكلام ولا يقولون شيئاً • وصلاح ذاهل واع مندهش  
مفكر • لا يفوته شيء مما حوله •• وتزيد قوة الملاحظة  
الما ورفضاً • وخلا بأستاذة ياسين :

— أهؤلاء ناس •

— مجتمعك •

— أكانوا كذلك دائماً •

— المجتمعات التي عرفتها حين كنت في مثل سنك لم تكن  
متعرضة لما يتعرض له هؤلاء •

— أليس فيهم رجل ؟

— كلهم في داخلهم رجال ولكن الارهاب يطمس الرجولة  
فالتمس لهم العذر ولا تعنف بهم في حكمك •

— ماذا تقول أنفسهم •

— ان كان لك عند الكلب حاجة قل له يا سيدى •

- وماذا لهم عند الكلب •
  - الحياة •
  - الموت خير منها •
  - نادر من يقول هذا أو يشعر به •
  - تهون الحياة مع الذل •
  - ومع ذلك فهم يرون أنفسهم على كرامة •
  - من أين يأتيهم هذا الشعور •
  - كل منهم لبعض الناس عندهم حاجات •
  - فكلهم كلاب •
  - ويجدون من يقول لهم يا سيدى •
- وانقطع الحوار وهوم الصمت الذاهل فقد انطلقت في اسماع  
الحاضرين ثلاث رصاصات •• ارضاص والمحافظ والمدير والمأمور  
ورجال الأمن جميعا هنا • ما هذا •• ما هذا •• ما هذا •
- وجاء الجواب •• قتل سباعى •• من القاتل ؟ •• سلم نفسه •  
من هو ؟ •• حسن عبد الحميد أبو ديدة •• من حسن عبد الحميد  
أبو ديدة ؟ !

\*\*\*

٢٠

كان كل ما عنى به المأمور ان يحافظ على حياة القاتل وقد تمكن  
من ذلك وصحبه الى المديرية • وانقلب الاحتفال مأتما وتحقق  
بيت شوقي :

واذا نظرت الى الحياة وجدتها  
عرسا أقيم على جوانب مآتم

وكان أول ما صنعه صلاح بعد أن انفض معظم الناس أن يعجل  
بسفر خطيبته وأبيها • وحين حاولت عذيلة البقاء معه اصر على سفرها  
في حسم لم تشهده منه قبل اليوم فاضطرت الى السفر •

اقيم المآتم في اليوم التالي • ولكن صلاح لم يكن يطيق  
انتظارا لقد رأى داخل الناس وكأنهم يقولون : غمة وانزاحت •

اتنحى جانبا بياسين :

— أتعرف شيئا •

— أعرف كل شيء ولا أعرف شيئا •

— أتذكر حديثنا في فناء المدرسة •

- وكيف أستطيع أن أنساه •
- الا تعرف على الأقل من أستطيع أن أسأله •
- نعم أعرف •
- من •
- أكبر أهل البلدة سنا •• عمك سليمان النواوى كان صديق  
جداك الصدوق ولن يكذبك •

\*\*\*

روى سليمان النواوى كل شيء • لم يخف عنه خافية وحين أتم  
حديثه قال صلاح :

- هل معك العقد الذى فرضه عليك أبى •
- ونادى سليمان ابنه وأمره أن يأتى بحقية أوراقه •• وأخرج  
سليمان العقد دون جهد وقدمه الى صلاح •• قرأه •• ثم التفت  
الى الابن وطلب منه ورقة بيضاء وصدع الابن بالطلب وقال  
سليمان :

- ماذا ستصنع •
  - أكون أنا •
- ولم يزد • وجاءت الورقة وراح صلاح يكتب وتقل بعض أشياء  
من العقد القديم ووقع الورقة •• واعطاها لسليمان وقام وهو  
يقول :

- سلام عليكم •
- انتظر •• اقعد •• ما هذا •
- لقد انتهت مهمتى •

— اذن فانتظر ربما كانت لى مهمة أنا الآخر •

— أمرك •• انتظر •

وقرأ سليمان الورقة ووجدها عقد بيع من صلاح بالأفدنة  
السة خالصة الثمن وفهم أنه كان ينقل الحدود من العقد الأول وجرت  
دمعتان على خدى سليمان وهو يقول :

— عجيبة •

وقال صلاح : ما العجيبة ؟

— بل عجائب •

— ما هى العجائب •

— العجيبة الأولى أن عيني مازال فيها دموع ولم تحجرها  
السنون والثانية أن تكون أنت ابن سباعى وأملك من أشرف الناس  
ولاشك أنك ابنه فتلك عجيبة أما العجيبة الثالثة أن عزرائيل تأخر عنى  
طول هذه المدة وأنا لا أدرى السبب • واليوم دريته •

— والآن اسمح لى •

— بل انتظر •

— ماذا ؟

— الفلوس التى ارسلها الى أبوك •• لم امسها •• كما هى  
وهى هنا فى هذه الحقيبة •

— لا تلزمى •

— امثلنى يقبل الصدقة •

— استغفر الله وانما الذى قدرته قلة أنت الآن •• لو كان أبى

صنع هذا معك وأنت تاجر فربما كنت تاجرت بالمال وكسبت منه  
أما وقد فعل ما فعل بعد أن توقفت أنت عن التجارة فهذا معناه  
أن المال بقى عندك ولم يصنع شيئا ولا شك أن نفسك عزفت حتى أن  
تشتري أرضا أخرى .. فالربيع الذى أخذته أبى من الأرض حقك  
فليكن ما أرسله لك من المال مقابل هذا الربيع •

— منطق قد يقبله غيرى .. فقد كنت أستطيع أن أشتري أرضا  
أخرى وكنت أستطيع أن أجعل زميلا لى فى التجارة أو واحدا ممن  
علمتهم التجارة يتاجر لى • فابقاء المال بلا عمل خطأ اخترته أنا ولم  
يفرضه على أبوك • والأرض اليوم ثمنها أضعاف أضعاف ثمنها يوم  
اغتصبها منى أبوك ودفع فيها نصف الثمن • فإذا كنت تريدنى أن أقبل  
الأرض فأقبل أنت على الأقل ما دفعه لى أبوك قسرا • انه أرغمنى على  
البيع بثمان بخس فأذل كرامتى فلا ترغمنى أنت على الشراء بلا ثمن  
وتزيد كرامتى ذلا •

— لا والله فما الى هذا قصدت •

— اذا أردت أن نريح ضميرك فارح ضمير الناس واطال الله  
عمرى وثبتك على ما أخذت به نفسك واعانك عليه فان من كان فى مثل  
عدلك سيلقى الكثير من المتاعب • خذ الفلوس •

— أمرك .. سلام عليكم •

— مع ألف سلامة !

\*\*\*

ذهب صلاح الى بيت شاكر وكان ما صنعه صلاح مع سليمان  
النواوى قد ذاع فى القرية كلها فرحب به شاكر فقد أحس أن القادم  
اليه انسان .. قال صلاح :

— أين أخوك عبد التواب •

— في بيته •

— ارسل اليه من يستدعيه •

وجاء عبد التواب وبدأ صلاح :

— حياة الانسان لا يساويها شيء في العالم • ولكن الله وحده هو القادر على أن يبعث الحياة ولا يد لي في هذا • وكل كلام للعزاء في أيكما لا يجدي فلا عوض عن الأب ولكنني أنا أريد أن أعيش ويبدك أنت وأخوك هذا أن تسمح لي بأن أحس أنني فعلت ما يجب على أن أفعله في أضعف صورة فاستطيع أن أعيش •

وقال عبد التواب :

— ما المطلوب منا يا ستاذ •

— لا شيء الا أن تقبل هذا العقد •

— وماذا فيه •

— بيع باسمك واسم أخوتك منى للأفدنة الخمسة التي كان يزرعها أبوكم •

وبهت الأخوان وقال شاكر :

— والثن ؟ •

— العقد خالص والثن وصل •

وقال عبد التواب :

— لا يرد الكرامة الا لثيم • • كان غيرك يستطيع أن يقول ما شأني بما فعله أبي ويبقى الأرض •

— ولكنني أنا لا أستطيع •

— اذن فأنت جديد بالشكر •

- بل الشكر لكما أن قبلتما .. السلام عليكم •
- السلام ورحمة الله وبركاته •
- تردد كثيرا ثم جمع أطراف شجاعته وذهب الى عبد الحميد  
ابن حسن قاتل أبيه • وجزع الشاب وهو يراه واقفا على رأسه في  
الدكان وانتفض واقفا وييده المقص وهو يقول :
- ماذا تريد ؟
- رد السلام أولا •
- ومن أين يأتي السلام •
- يا أخى أبوك قاتل أبى وأنا الذى جئت اليك •
- من أجل هذا أعجب ماذا تريد •
- كل خير ان شاء الله •
- لم نر الخير منكم مطلقا •
- صدقت ولكن من يدري ماذا فى داخل الأيام القادمة ..
- رد السلام •
- وعليكم السلام •
- اقعد •
- تقعد •
- خذ هذا •
- ما هذا •
- أنا أعرف أنك تعلمت القراءة والكتابة •
- وقرأ عبد الحميد :



- أهذا معقول •
- نعم •
- ليس معي ثمنها •
- ألم تقرأ العقد •
- نعم ••
- ماذا فيه عن الثمن •
- انه خالص •
- وهو خالص •
- هذا كثير •• هذا كثير ان أبى قتل أباك من أجل هذه  
الافدنة الثلاثة •
- والآن وقد مات أبى فلنترك الأيام تصنع ما عندها •• ويؤدي  
كل منا واجبه •
- وانفجر عبد الحميد عن بكاء عالى النحيب وراح صلاح يربت  
كتفه •• وقال عبد الحميد :
- أنا الذى جعلته يصنع ما صنع •
- أنت ؟
- كنت دائما أعيره انه قبل الذل •• وكان يقول اننى أقتله كلما  
قلت له هذا •• قال لى عندما زرته فى السجن : ثلاث رصاصات  
عن كل فدان رصاصة •• قل لأولادك جدكم لم يكن ذليلا •
- هل وكلت عنه محاميا •
- لا •

— وهل معك أجر المحامي ؟

— سأدبره •

— خذ هذا المبلغ وتسمع نصيحتي في اختيار المحامي أم تظن

أننى أغشك •

— أتقدم لى كل هذا وتغشنى •

— اذن فاذهب الى القاهرة ووكل الدكتور عبد الوهاب رفاعى

أستاذ القانون الجنائى فى كلية الحقوق •• وهذا عنوان مكتبه ••

سلام عليكم •

— نعم •• الآن السلام عليكم ورحمة الله وبركاته •

وبقى صلاح فى البلدة يعيد الى كل من اغتصب منه أبوه أرضا

أرضه أو يعيدها لأولاده ، منهم من يرد الثمن ومنهم من لا يرد حتى

إذا اطمأن أن لم تبق أرض لم تعد لصاحبها أو لورثته سافر الى

القاهرة •

وهناك ذهب الى عمه الدكتور خليل •

— أهكذا تكون النهاية موت فى حظيرة بهائم •• فى أقذر مكان

فى القرية بل ربما فى العالم •

— انه مجرد جسد ارتمى فى القذارة وعند الموت تستوى

الأمكنة •

— وربما كانت روحه قد صعدت وهى تحمل من القذارة أكثر

مما ارتمى عليه جسده •

— هذا ليس شأنك •

— أنا ابنه •

- ولكنه أصبح الى من لا ينفع عنده مال ولا بنون •
- وأكمل صلاح :
- الا من أتى الله بقلب سليم • • أو كان قلبه سليما • •
- ومن هذا الذى يستطيع أن يطلع على القلوب •
- الذى لا ينفع عنده مال ولا بنون •
- فهذا شأنه اتركه له •
- ياليتنى أستطيع •
- أنت قمت بواجبك بعد وفاته •
- ليس بعد •
- ماذا بقى عليك •
- هناك انسان سيقتل •
- انه قاتل • • هذا حق المجتمع •
- وحقى • • ألسنت ولى الدم •
- وماذا تريد أن تفعل •
- رفعت الدعوى المدنية •
- أتريد عوضا عن أيبك •
- أريد الحق أن يأخذ سجراه •
- لا أفهم شيئا •
- لكل شيء وقته •
- بلغنى ما فعلته فى البلد •

- لم يبق أحد أرد حقه الا سعادتك •
- أنا ليس لى حق •
- سنعرف الآن •
- أربعون فدانا •
- لا بأس •
- ستصبح الآن عشرين تقريبا •
- كم بقى لك من أرض •
- لماذا ؟
- أرضك وأرض جدتى •
- أرضى أنا •
- نعم •
- مالها •
- لابد أن أردّها اليك •
- لماذا وهل بعثها قسرا أنا الآخر •
- لو لم يكن أبى على ما كان عليه لما بعث أرضك •
- أكذب لو قلت لك أن هذا كان تفكيرى •
- بل تريد أن تبقى فى ملكنى أرضا ليست من حقى •
- كان أبوك لا يتأخر عن دفع الايجار وكنت أستطيع أن أبقى الأرض تحت اشرافه لو أردت ذلك ولكننى بعث الأرض بمحض اختيارى والتمن كان مناسبا لهذه الفترة •

— عمى أنت تعرف العباء الذى أحس به على ضميرى •  
— وواجبى أن أخففه عنك ولكن أنريد أن تخفف من عبئك  
لأحمل أنا عبئا أشد • أغشك • أغش ابنى • • أى ضمير يقبل  
هذا •

— هل أنت واثق •

— كل الثقة •

— فأرض ستى اذن •

— هى الأخرى باعتها مختارة •

— لقد رأيت ستى وهى تعيش معك • كانت الحسرة تملأ نفسها  
الى يوم وفاتها لأنها تركت البلد وبيتها • • لا • • لولا أبى وما فعله  
ما تركت ستى البلد أبدا •

— وأفرض • • ولكنها باعت الأرض باختيارها •

— أهذا اختيار • • انه الارغام ذاته • • على كل حال أنا قررت  
أن أتنازل عن أرض ستى لعمتى عابدة وعمتى فاطمة •

— وأنا قبلت عنهما هذا وقبلت هذا لك ، فان من واجبك أن  
تكرم عماتك ، وفعلنا كلتاهاما تحتاج الى ما يعينها على الحياة ،  
وأنا أعمل ما فى طاقتى وأحب لك أن تكون بجانبى فى رعايتهما •  
— اذن •

— عندى توكيل منهما •

— وهذا عقد بيع خالص الثمن لهما وقعه أو لا توقعه فهو على  
كل حال من صورة واحدة وكلف سعادتك واحدا من وكلاء المحامين  
ليبدأ فى اجراءات التسجيل •

- لا أحب أن أمدحك ولكن لا بد أن أقول لك أنى فخور بك •
- أرجو أن أشعر بنصف هذا الشعور نجو نفسى •
- والآن ماذا ستعمل فى الزواج •
- تأجل طبعاً •
- كيف ؟
- عديلة من نفسها قالت لا بد أن تنتظر سنة على الأقل وأبوها أيد هذا رأى بحرارة •
- وأنت ما رأيك •
- لو لم يقولوا هذا ما كنت تزوجت الآن على أى حال •
- نعم ولكن سنة كثير •
- والله أعلم .. ربما أكثر •
- كيف ؟
- أتريدنى أنا أن أتزوج وأفرح وأنجب أطفالاً وهناك زوج انسان متهم فى قتل أبى يتردد الأمر فيها بين البقاء والازهاق •
- وأنت ماذا بيدك •
- لا أعرف ولكننى لا أتصور أن أتزوج والقضية منظورة •
- صلاح .. أتكون كرهت عديلة •
- بل يزداد حبى لها كل يوم عن اليوم الذى فات •
- عجيبه •
- يا عمى حتى يتزوج الانسان .. وأقول الانسان لا بد أن يكون مرتاح الضمير •

— يا بنى ضمير الانسان لا يشغله الا ما يصنعه الانسان

• نفسه

— أو ما يصنعه أبوه •

— وكل انسان الزمناه طائره فى عنقه •

— وهذا طائرى يا عمى •

— أعانك الله على نفسك يا ابنى •

— ادع لى •

— لم تقل لى فيم أتتويت أن تعمل •

— عرض على عميد الحقوق أن أتقدم لأشغل وظيفة المعيد

الخالية بالكلية فطلبت أن يمهلى للعام القادم •

— لماذا ؟

— لى غرض فى هذا •

— ألا تقوله لى •

— ستعرفه فى حينه •

— والنيابة •

— هى أيضا لم أتقدم لها •

— اذن فماذا تنوى ؟

— طلبت قىدى فى الحمامة •

— ومتى ستحلف اليمين •

— أظن بعد شهر تقريبا •

— وأين تريد أن تتمرن •

- لم أفكر بعد •
- أتحب أن تتمرن في مكتب الدكتور عبد الوهاب •
- وكله ابن حسن عن أبيه وليس معقولا أن اتمرن في مكتب يترافع عن قاتل أبي •
- اذن أكرم الأستاذ عاطف البهنسى •
- عظيم •
- الآن •• أي مكتب يتمنى أن تتمرن عنده •• أنت جيد جدا يا أستاذ •• وهل أنت قليل •• وعاطف من أعز أصدقائي •
- وهو كذلك •

\*\*\*





انعدت دائرة الجنایات ونظرت فی قضية حسن عبد الحمید  
وتحدد يوم المرافعة • وتکلم وکیل النيابة ولم یکن محتاجا لاسباب  
فالتسائل معترف والجريمة تمت مع سبق الاصرار والترصد فشر  
یطالب بأقصى العقوبة •

وطلب صلاح أن یترافع بوصفه مدعیا بالحق المدنی فسمح له  
وبدأ المرافعة •

— بسم الله الرحمن الرحیم أقولها یا حضرات المستشارین  
لا افتتاحا للمرافعة فحسب وانما لأتأمل مع المحكمة الموقرة لماذا  
أختار سبحانه الرحمة الرحیمة من بین اسمائه الحسنی جمیعا لیسجل  
منها فاتحة فاتحة الكتاب • ألیس هذا الآن صفة الرحمة الرحیمة هی  
أحب الصفات الی الذات العلیة • وقد جعل الله الانسان سید المخلوقات  
لأنه قبل أن یحمل الأمانة التي عرضها سبحانه علی السموات  
والارض والجبال فأین أن یحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان فنصبه  
سبحانه سید خلقه أجمعین فانسان بلا رحمة لیس انسانا جادیرا أن  
یحمل الأمانة • • والأمانة یا حضرات المستشارین هی الاختیار الذی

منحه الله للانسان حين هداه النجدين وحرم سائر مخلوقاته من حق الاختيار هذا فالحيوان لا يستطيع أن يكون الا حيوانا والملائكة لا تستطيع أن تكون الا ملائكة .. والانسان وحده هو الذى يستطيع أن يكون انسانا أو حيوانا أو ملاكا وبهذا الاختيار يصبح الانسان أما شرا من الحيوان لأنه اختار أو خيرا من الملائكة لأنه اختار وكلاهما لا يملك الاختيار .. ونحن فى عصر يا حضرات المستشارين فرض على مصر أن يكون أبنائها مسحوقين .. وحينما يسحق الناس يسود الجبروت ويفشو الظلم ويصبح النفاق هو الزعيم الأول .. فنحن نفاق السلطات ونفاق من ينافقون السلطات ونفاق العش ونفاق الخداع ونفاق الرشوة ونفاق التدليس ونفاق السرقة ونفاق القتل ونفاق الاعتداء على الأعراض والأموال والكرامات وعزة الأدمى .. حضرات المستشارين اننا نفاق النفاق ذاته وأبناء جيلي نشأوا فى هذه الفترة القائمة السواد .. وقد تبينا أمرنا بعد أن أدلهم الخطب واشتدى أزمة تنفرجى قد أوشك ليلىك بالبلج هكذا قال الشاعر وهو ينظر الى قوله سبحانه فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا والعسر هنا واحد لأنه معرف بال واليسر مطلق لأنه محرر من التعريف بحكمة الاله الأعظم ولهذا قال المفسرون لا يغلب عسر واحد يسرين أبدا فلا عجب يا حضرات المستشارين أن يبدأ جيلنا نحن أن يصنع اليسر بيده مؤيدا بروح من بارىء النفوس وملهمها فجورها وتقواها .. وقد آن لنا أن تتبع تقوانا بعد أن أوغل عصرنا فى فجوره وخلق من المعاصى ما لم تعرفه البشرية ..

ان هذا المتهم المائل أمامكم لم يقتل أبى وانما قتل أبى نفسه .. وان هذا المتهم حين أطلق الرصاص على أبى كان فى حالة دفاع شرعى عن الكرامة التى هى أغلى من النفس ..

أما ان أبى قتل نفسه فيما صنع من فظائع فى حق البشرية وبما قتل من أنفس وبما قهر من رجولة الرجال وبما أذل من كرامات

الانسان .. وأى شيء أقسى على نفس الرجل من أن يكون ذليلاً أمام زوجته وابنه وابنته ولا يملك لظالمه دفعا ولا لكرامته صونا .. وإذا قالت النيابة ان المتهم هو أيضا قتل طلبت الى الزميل ممثل النيابة أن يرجع الى قول الله سبحانه انه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا • وقد كان أبى وأشهد في هذه الساحة المقدسة مفسدا في الأرض فحق عليه عقاب • وإذا قيل أن العقاب من حق المجتمع ومن حق الله وحده انتقلت الى موقف المتهم مرتباً أنه فعل فعله في حالة دفاع شرعى عن الكرامة التى هى أقدم عند الفلاح الأصل من النفس .. تصوروا يا حضرات المستشارين حال هذا المتهم أن يبيع أرضا لا يريد بيعها • ما نظرته الى نفسه والنظرات من حوله احتقار أو اشفاق وكلتا النظرتين أشد على الحر وقعا من كل رصاص العالم فاذا قيل فما باله انتظر هذه السنوات فان الجواب حاضر من قريب .. لقد ذاق هو الذل مقهورا بالجبروت ولم يرد لأبنائه أن يذوقوا الذل مقهورين بالحاجة • فلو أنه صنع صنيعه يوم أرغم على ترك أرضه لترك أطفاله صغارا يتكففون الناس ويمدون أيديهم في طلب الجدوى فانتظر تزيده السنوات شعورا بالمهانة والذلة حتى استوى أبنائه رجالا • ودافع عن كرامته التى امتنت طوال هذه السنين •

وأنا يا حضرات المستشارين لست أدعو بقولى هذا الى الفوضوية التى يتاح فيه للفرد أن يمسك القانون بيديه يشرعه هو ويحاكم به الآخرين وينفذه أيضا فانه اذا حدث هذا وقعنا في هوة سحيقة ينهار فيها بنيان المجتمع كله الى حضيض ما له من قرار .. انما أحاول فقط أن أخفف عبء جريمة القتل العمد التى توجهها النيابة وهى المدافعة عن حق المجتمع الى قاتل أبى هذا .. ان هذا الذى أقول هو ما يعتمل في نفسه دفعنى الى قوله محاولة منى أن يكون العدل أعظم من الأبوة وأن يكون حق الانسان في الكرامة التى

وهبها الله له مقدسا قداسة الروح الانسانية •• وأن تكون مصر  
مسيح آدميين لا غابة ذئاب •

وبعد يا حضرات المستشارين فقد يقال أننى دافعت عن المتهم  
وجعدت حق الأبوة والله وحده يعلم كم أقدس الأيوة ولكن تقديسى  
للحق ولكرامة الانسان أشد • واننى بهذا الذى أقوله أتوجه الى  
الذات العلية أن أكون قد كفرت بما قلت عن بعض ما صنع أبى بالانسان  
سيد المخلوقات وبما امتهن من كرامته وبما أذل من عزته وبما أزهق  
من أرواحه •

وقد يقال شاب فى مقتبل العمر انتهز قتل أبيه فرصة ليصنع  
منها لنفسه شهرة • واننى أحتمل هذه القالة ولا أحتمل أن أكتهم الحق  
نفاقا للمجتمع ولكننى أعلن منذ اليوم أننى اعتزل المعاطاة وأقبل أى  
وظيفة قد تعرض على •

ولو كنت وكىلا عن موكل فى هذه القضية ما قبلتها ولكننى  
يا حضرات المستشارين أنا وحدى الموكل والوكيل فلا وارث للحق  
المدنى غيرى ولهذا رخصت لنفسى أن أتشرف بهذا الدفاع فى ساحتكم  
القدسية •

وأنهى مرافعتى يا حضرات السادة المستشارين بتنازلى عن  
الدعوى المدنية تاركا لأستاذى مثل الدفاع البدء فى مرافعته •

وأنهى صلاح كلامه واتجه الى باب الخروج واذا عديلة التى كانت  
جالسة على مقعد بجانب المشى تقف واذا هى حين يقبل اليها تدخضضنه  
وتقبله على ملا الناس لأول مرة فى حياتها ويصحبها وينرجان •

ويبدأ الدفاع مرافعته :

— حضرات المسنشارين •• ليس لى بعد مرافعة المدعى بالحق  
المدنى أى مرافعة أضيفها الا أن أخبر عدالة المحكمة أن هذا الشاب

الذى كان ماثلا أمامكم قد أرجع الحق الى كل من اغتصب أبوه  
منه حقا •

وأنهى المرافعة بطلب البراءة ••  
والتفت رئيس المحكمة الى ممثل النيابة :

— النيابة لها تعليق ••

— النيابة تفوض الأمر للمحكمة •

\*\*\*

ذهب صلاح مع عديلة الى منزل أبيها ولم يكن هناك ما يستطيع  
واحد منهما أن يقوله • هو لا يزال مرتعشا بالموقف الذى وقفه مقتنعا  
انه الحق • وهى مبهورة به ولم يطل بهما الا فراد جاء أبوها وقالت  
عديلة :

— ما الذى أخرك ؟

— كنت أنتظر الحكم ••

ولم يسأل صلاح عن الحكم وقال لوالد خطيبته :

— لقد انتظرت هذا اليوم لأسألك هل مازلت مصرا أن تزوجنى  
ابنتك بعد ما شهدت اليوم وبعد أن بددت ثلثى الثروة التى تركها  
أبى والتى كانت فى حسابك يوم قبلتنى • أما عديلة فقد أعلنت رأيها  
فى المحكمة فما رأيك أنت •

— يا بنى أنا لست مصرا ولكن لو لم تكن خاطبا لابنتى لسعيت  
اليك لكى تخطبها •• أنا اليوم أتشبث بك وفى تشبثى بك تشبث  
بالأمل فى مصر الغد ••

\*\*\*









النهر المخترق





الحر شديد ، شديد ، وفوكيون لمبرو يحمل حقيته الثقيلة ثقل الزمن ، ويده اليسرى يحمل البقعة المنتفخة بالأقمشة ، والمثقلة بها أيضا . عجيبة أن تكون الأقمشة الحريية والأخرى الشفيفة بكل هذا الثقل . ان شأنها شأن الزمن ما هو الا ثمانية وثانية ، ثم دقيقة ودقيقة ، ثم ساعة وساعة ، ثم أيام ثقيلة الخطى ، ثم سنون ترزح على كتف الانسان فاذا القامة المديدة تحنيها الأعوام التى لم تكن الا أياما كانت ساعات وكانت دقائق وكانت ثوانى .

من تراكم الثوانى شاب شعر فوكيون لمبرو ، ومن تراكم الحرائر والشفائف فى الحقيية والبقعة يئن فوكيون لمبرو ، وكأن الشمس لا يكفيها ما هو فيه من معاناة فاذا هى تصليه تلك النار الضارية تخترق قبعته وتعتصره اعتصارا .

ويمشى لمبرو ، والحر شديد ، شديد .

ويمز بيت الست عدلات ، ويله من الست عدلات ، انه لا يشتهى مطلقا أن يذهب اليها فهى كثيرة التقلب فى الأقمشة ، غزيرة الكلام بطيئة الحركة ، شحيحة المنال ، قليلة الشراء ، نادرة الدفع .

يعبر البيت ويستمر سائرا في ذلك الشارع الجميل الذي يرافق  
النهر العظيم الذي سماه أهله وذووه بحر موسى ، فلم يفهم في شأنه  
أن يرفعوه من نهر الى نهر بل أفاضوا عليه بما عرف عنهم من كرم  
وأطلقوها عليه بحرا فأصبح بحرا ، وكان يقوم بين البحر والشارع  
سور من الأعواد الحديدية العريضة بعض الشيء والمدببة الهامة ،  
وهكذا استطاع أهل الزقازيق أن يحموا موسى من أن يكون موثلا  
لمن يفكر أن يلقي به ما يشوه جماله • واستطاعوا أيضا أن يردوا  
الأطفال عن خوضه والتعرض لمائه العميق •

وفي هذه الأيام التي كان فوكيون يمشى فيها النهر في ذلك  
السبع لم يكن على الجانب الآخر من النهر الا قليل من المباني على  
قلة عددها جليلة الشأن عظمة الخطر • فمن هذه المباني المدرسة  
الابتدائية ، وكان كثير من التلاميذ يعبرون إليها النهر في مركب  
صغيرة لقاء مليم أو مليمين يتقاضاهما صاحب المركب • فقد كانت  
الكباري لاتزيد على اثنين أحدهما على رأس النهر حين يتجه شرقا الى  
القاهرة عن طريق أبى حماد • والكوبرى الآخر في الجهة المتجهة غربا  
الى منيا القمح فبها • وكان منزل الباشا المدير في هذا الجانب أيضا •

أما الجانب الذي يسير فيه فوكيون فهو زقازيق تلك الأيام بكل  
ما فيها من معالم • وحيث يدور النهر تمتد بجانبه تأبى أن تباعد عنه ،  
وكان فوكيون يسكن في شارع البوسنة وهو أهم شارع  
بالزقازيق ، وحين تزوج أثينا فروسو - وشدد السين حتى تصل الى  
النطق الصحيح - أقاما بنفس البيت ، فقد عرفها فيه وهى تقيم مع  
أخيها متراكى صاحب محل البقالة الشهير بالزقازيق •

دام زواج فوكيون لأثينا فروسو اثنتى عشرة سنة ولم ينجبا  
أطفالا ، والعجيب أن كليهما لم يحزن لهذا ، فقد كانا يعرفان كيف  
يعملان حين يعملان وكيف يستمتعان بالأجازة حين يرغبان •

كانت أينا تذهب مع فوكيون كل شهر الى محل الحاج محمدين الطوخى فى الحمزاوى وتنتقى منه الأقمشة لسيدات الزقازيق ، وكانت تعرف الغالبية العظمى منهن من قبل أن تتزوج فوكيون ، فقد كانت هى التى تقوم بتفصيل ملابسهن ، وقد كانت على ذكاء حاد فعرفت أذواقهن وهكذا استطاعت أن تكون ذات فائدة عظمى لزوجبها . وبعد أن كانت الأقمشة التى يشتريها يتخلف منها جزء غير يسير فترات طويلة عنده مما يضطره آخر الأمر أن يبيعها بغير مكسب أو بخسارة أصبحت الأقمشة التى تنتقيها فروسو تنفذ فى أسابيع قليلة الى درجة أنه كان أحيانا ينزل مع فروسو مرتين أو ثلاثا الى القاهرة ليتزود ببضاعة جديدة .

وكان الزوجان يصران على أن ينالا شهرا أجازة فى كل عام . وكانا يختارانه شهر يوليو ، ففي هذا الشهر تكثر السيدات فى الصيف هن أيضا قد انتهين من اعداد ملابس الصيف ، ويكون الشتاء بعيدا فأغلبهن يبدأ شراء الأصواف قبل أغسطس ان لم يكن سبتمبر .

سنوات طيبة عاشها الزوجان معا . العمل عند كليهما يحميهما من الفراغ والشجار . والأجازة السنوية تجدد نشاطهما ، والخروج الى الفسحة كل أسبوع يدخل على حياتها اليومية الرتيبة تجديدا . وكانا يذهبان فى كل يوم أحد الى كنيسة الأروام ، ثم يتناولان الشطائر عند الغداء فى حديقة وابور النور الذى يقع فى آخر الزقازيق بعد منشأة أباطة . ثم يذهبان الى سينما أبولون فى حفلة الساعة السادسة . ولا يمنعهما شئ عن هذا البرنامج الا المرض ونادرا ما كانا يعرفانه . والعجيب . أو ربما لم يصبح عليهما عجيبا أنهما كانا يستمتعان غاية المتعة بالموسيقى العربية والممارشات العسكرية التى كانا يسمعانها من فرق الجيش فى كشك وابور النور . فقد كانت موسيقى الجيش تعزف أيام الخميس والجمعة والأحد من بعد الظهر .

وكانت كثير من السيدات يمزحن مع فروسو وهى تخطط لهن ملابسهن ويقفن لها انك مصرية با فروسو أكثر من المصريات فلماذا لا تتكلمين مثلنا وتتركين لهجتك الجرجية هذه •

وتضحك فروسو وتقول :

— دا سغل يا خبيتى • أقصد أقول دا سغل يا خبيتى •

وتضحك السيدات وتقول هى :

— اذا أنا اكلمتو أربى الستات يقول دى خياطة بلدى

ويتركننى ويذهبن الى خياطة جرجى غيرى •

كانت فروسو تعلم أن السيدات يحببن أن يلوين ألسنتهن باسم

أجنبى اذا أردن أن يذكرن اسم الخياطة التى تفصل لهن فساتين •

وكانت فروسو اذا ذهبت الى أحد البيوت لتخطط لسيداتهن أصبح

ذهابها موسما • وتجمعت عند هذه السيدة الصديقات الأخريات

اللاتى تفصل لهن فروسو • ولا بأس أن يداعب الرجال فروسو أيضا

على مشهد من الزوجات فقد كانت مداعبات تثير الضحك ولا نثر

الغيرة • قال لها اطفى سعيد بمنطق المال :

— لمن تجمعين يا فروسو كل هذا المال أنت وفوكيون ؟

وتضحك فروسو ولا يمسها طائف من الحزن أنها لم تنجب

وتقول :

— من عارف يا اطفى بك • • • لصاحب النصيب •

— ألم تفكرى أنت وفوكيون من هذا الذى يمكن أن يكون

صاحب النصيب • ؟

— أو • • • أنا وفوكيون تفكر فى كل حاجة سوا سوا •

— فيمن تفكران اذن ليكون صاحب النصيب ؟

— على كل حال لطفى بك ... مش انت ..

ويضحك الجميع ويقول لطفى :

— دا مؤكد فروسو ... دا مؤكد \*

وتقول هى جادة :

— لطفى بك تفكر أنا وفوكيون نقدر نشغل كدا على طول \*

يجىء يوم تتعب .. نحب نستريح \* يكون القلوس موجودة \* سفت

لطفى بك ... أنا وفوكيون أصحاب النصيب مش حد تانى \*

ونقلت أتينا هذا الحديث بأكمله الى فوكيون لمبرو وهما

يتناولان العشاء ويسمران \* وضحك فوكيون وقال لها باللغة اليونانية

الخالصة :

— أحسنت الاجابة يا أتينا \*

أتينا هو اسمها الحقيقى أما فروسو فاسم أبيها ، ومع ذلك

لا يناديها أحد بأتينا الا زوجها وأخوها متراكى \* فهو أيضا اسمه

متراكى فروسو ولكن أحدا لا يعرف عنه الا متراكى ولا يرى أحد

داعيا مطلقا أن يبحث عن بقية اسمه ، ومن عرفه صدفة لا يرى داعيا

أن يناديه به \*

\*\*\*

وحين ماتت أتينا فروسو دون أى توقع أصبحت الحياة عند

فوكيون لمبرو صحراء جرداء لا تستحق أن تعاش \* كان قد أعد مع

أتينا كل خطوة سيخطوانها فى المستقبل ، ولكنها أخلفت مواعدها فى

لحظة عابرة وهما جالسان فى البيت يلعبان الورق \*

لم تقل أنها ذاهبة ولم تقل أنها متعبة \* كل ما قالت بعد أن

وضعت الورق على المنضدة : فوكيون .. وقبل أن يجيب كانت هى

قد أجابت داعي السماء \*

لا معنى للحياة ، ولكن الحياة لا تعترف برأى الأفراد ولا حتى برأى الجماعات أو الشعوب • انها تمضى كما تعودت أن تمضى ثانية تدفع ثانية ودقيقة تسوق دقيقة وساعة تستحث ساعة ويوما يستبطن ، يوما وأعواما تنتهب العمر انتهابا •

ماذا أنا صانع اذا لم أعمل ، اذا كنت أعددت المستقبل لى ولأيتنا وتخلفت هى فالمستقبل لن يتخلف • بل هو قادم رغبت أنا فى قدومه أو لم أرغب وسيجدنى أنتظره مادمت على قيد الحياة • والمصيبة الكبرى أننى لابد أن أظل على قيد الحياة • والمصيبة الأعظم أننى لا أعلم متى سأغادر هذه الحياة • وقد أصبح العمل هو كل ما أملك فى الحياة بعد أن كانت معه أيتنا • أخشى اذا أنا توقفت عن العمل أن يهملنى الموت ولا يذكرنى ، فهو زبون بلا موعد ولا منطق ولا عقل • يخطف أيتنا وهى فى قمة صحتها لا تشكو مرضا وينسى غيرها من الذين أنهكهم المرض سنوات طوالا • قد يرسل الى المرض فالمرض من أتباع الموت ومن خدمه وحاشيته ، ثم ينسى أنه أرسل لى المرض ويتركه عندى السنوات الكثيرة وأصبح بلا مال أنفقه على الضيف الذى أرسله الى الموت وعلى نفسى أيضا •

لابد اذن أن أعمل ، فلئن جاءنى الموت أر خادمه المرض وعندى مال خير ألف مرة من أن يأتينى أحدهما ، وخاصة الخادم ، وأنا قليل المال • فالمرض ضيف لا حياء له ويرغم مضيقه على كثير من الاتفاق ولا يقف به الطمع عند حد • فهو رذل وقبح عرييد لا ينجبل ولا يبالى أن يطلب آلاف الجنيهات وهو واثق أنك ستدفعها ولا تناقش •

أعمل اذن • ولكن الحر شديد • وموت أيتنا أصاب مشاعرى باحباط كثيف ، واللذة التى كنت أستشعرها وأنا أعتصر الحياة معها انعدمت تماما ، ولم يصبح للحياة رحيق ولا للمال ذلك الطعم



- السايطع الذى كان يملأ النفس رضى وهناءة وطمانينة وثقة .
- والحر شديد وأنا لا أريد أن أذهب الى الست عدلات ولكن لا بد مع ذلك من الذهاب ، فان عليها لى مبلغا من المال ونحن الآن فى موعد حصاد القمح وربما استطاعت أن ترد لى شيئا من ديونها .
- ثم أنا لا أستطيع أن أمضى خطوة بعد هذا . أمرى الى الله .
- وفتحت نعمات خادمة الست عدلات الباب وقالت فى ألفة :
- يوه هو أنت يا خواجه لمبرو ؟
- وقال لمبرو بعد أن دخل وقعد على كرسيه الممهود :
- هو أنا يا نعمات ... كنت تنتظرين أحدا آخر ؟
- أبدا يا خواجه فقط كيف تقدر على المشى فى هذا الحر الشديد ؟
- أكل العيش يا نعمات !
- بل أكل الجاتوه يا خواجه .. ماذا ستعمل بكل هذه الفلوس يا خواجه . قل لى يا خواجه لمبرو أتكتم السر ؟
- كل أعمالنا أسرار ..
- سلفنى مائة جنيه أتزوج بها وأرد لك كل شهر حاجة ..
- وأنا كيف سأراك اذا تزوجت يا نعمات .
- بلدنا قريبة ..
- وتريدننى أن أروح لبلدك كل شهر من أجل القسط ؟
- معروف تعمله فى . ألا تعمل معروفا لله أبدا ؟
- الله يعلم ولكن الذى تطلبينه مستحيل .
- أنا أحضر لك الفلوس حتى ييتك ..

– قولى يا نعمات • من خطيبك ؟ انت مازلت صغيرة على  
الزواج ••

– أبو الروس ••

– من ؟

– سويلم أبو الروس ••

– ماذا يعمل ؟

– يعمل فى مقهى فى البلد •

– كم عمره ؟

– قريب منى ••

– أكبر ؟

– يا ترى كل هذا التحقيق له فائدة ؟

– أين الست عدلات ؟

– جائئة •

– أهى ليست هنا ؟

– عند الست تفيدة ••

– فوق ؟

– نعم •

– فهى لن تأتى اذن ••

– لماذا يا خواجه لا قدر الله ؟

– الاثنان لا تتوقان عن الحديث الا بالبوليس ••

وتضحك نعمات وتقول له :

- الله يجازيك يا خواجه لمبرو ... ماذا قلت ؟
- فيم ؟
- خواجه ... أنيت ؟
- قلت لى عمره كم ؟
- انت مالك ..
- أعرف .
- ما دخل هذا فيما أطلبه ؟
- فقط قولى . أهو أكبر منك ؟
- يا سلام يا خواجه ..
- كم عمرك ؟
- ثمانى عشرة سنة .
- يعنى عنده عشرون تقريبا ..
- لن أقول لك .
- فهو أصغر منك اذن ..
- يا خبر أسود ... هل هذا محقول ؟
- ليس مهما .
- وما رأيك ؟
- وقبل أن يجيب تدخل الست عدلات وتفاجأ بالخواجه لمبرو .
- يخيك يا لمبرو ... فى هذا الحر ؟
- وأنت ست عدلات تخرجين فى هذا الحر . أنا أخرج من أجل العمل لكن أنت تخرجين من أجل التسلية .

- أفلونس على قلبك ستقتلك وتخرج في هذا الحر ؟
- والله ست عدلات لم أعد أحب أن أبقى في البيت أبدا .
- البيت كله أسود في وشى ..
- الله يرحمك يا أتيينا • والله من يوم ما راحت وأنا لم ألبس شيئا أرتاح له ..
- مرسى ست عدلات •
- هل معك حاجة جديدة ؟
- طبعا ... لكن أنت أليس عندك حاجة قديمة ؟
- يخبيك يا لمبرو ... كم حسابى ؟
- خمسة وعشرون جنيها ،
- وكم تريد منها ؟
- خمسة وعشرين جنيها ..
- أليس عندك دم ؟
- أنت سألت كم تريد وقلت لك ما أريد وأنت حرة ..
- طيب أرنى ما عندك ... يا نعمات • بنت يا نعمات ..
- وتأتى نعمات مبتسمة ومعها حقيبة يد سيدتها •
- وتضحك نعمات ويضحك لمبرو :
- كيف عرفت يا بنت أنى أريد حقيبة يدى ؟
- وقالت نعمات وهى تضحك :
- وهل يأتى الا من أجل حقيبة يدك ؟
- ويقول لمبرو :

- ملعونة أنت با نعمات ٠٠٠ لما أخلص مع الست لى معك  
كلام أمام الست عدلات •
- صحيح يا خواجه •
- ليس كما فهمت ، ولكنك ستفرحين جدا •
- الله يخليك يا خواجه •
- مش مهم يا نعمات مش مهم ٠٠ لا أريد أن يخلينى مش مهم •
- برضه الله يخليك ويعطيك الصحة •
- آه ٠٠٠ دا مهم ٠٠٠ الصحة مهم ٠٠٠ مرسى نعمات مرسى •  
وتعطى الست نعمات المخواعة لمبرو عشرة جنيهاات ويدور جدل  
ملويل يقصد لمبرو أن يطيله حتى تنكسر حدة الحر ويستمتع بفنجان  
القهوة الذى أحضرته نعمات مع الماء البارد •
- وتبدأ الست عدلات فى رؤية الأقمشة الجديدة وتنقلب الحقيبة  
رأسا على عقب وتتناثر محتويات البقجة ويخرج عثمان بك من نومة  
القيولة ويجد بهو بيته مليئا بالأقمشة ولا يعجب فهو أمر تعوده ويزح  
مع لمبرو :
- أنا يا لمبرو لا أشوفك إلا ومصارينك كلها ملقاة على  
الكراسى والسجاجيد •
- أمر الله يا عثمان بك ٠٠٠ أمر الله ،
- لا تترك منها الكثير فأنا الذى أدفع ثمنها كما تعرف •
- أعرف وأنا الذى أنتظر الثمن حتى تطلع روحى يا عثمان بك •
- ويضحك عثمان بك ويخرج ويستمر العرض •
- وتغرب الشمس • وتنتقى عدلات هانم قطعة واحدة من

كل الأقمشة التي كانت ملقاة بعرض البهو وطوله • تعطيه جنيهين من  
ثنهما • وتدخل نعمات تعاون لمبرو في اعادة الحقيبة والبقجة الى  
ما كانتا عليه عند قدومه • ويسأل لمبرو في اصرار :

— كم عمر عريسك ؟

وتدهش نعمات من هذا الاصرار :

— ماذا جرى يا خواجه أتريده في الجيش ... ألم تقل أنت  
عمره •

— فقط قولى •

— عشرون سنة كما قلت أنت •

— اتفقنا •

— اتمطيني المائة جنيه •

— أكثر بكثير •

— وتسأل عدلات هانم وتنقل لها نعمات الحوار الذي دار بينها  
وبين لمبرو وتقول عدلات :

— ألم يقل سيدك أنه سيعطيك المائة جنيه في القطن ؟

وتضحك نعمات في حياء وتقول :

— وماذا أعمل يا ستي ؟

— يا لهوك ... تعملين في ماذا ؟

— الولد سويلم يريد أن يتزوج في مولد سيد أبو مسلم •  
وتضحك عدلات وتقول :

— آه مستحيل ... طيب ولا يهملك يا بنت • جهازك على نفقتي  
في أي وقت •

- ربنا يطول عمرك يا ستي ويخليك •
- ويتدخل لمبرو :
- يعنى أنا خارج الموضوع اذن ؟
- وتضحك نعمات وهى تقول :
- البركة فى ستي يا خواجه ... أما أنت فانتا نريدك فى الخير •
- ويقول لمبرو :
- ولكن أنا الذى أريدك الآن يا نعمات •
- كيف ؟
- أنت قلت أن سويلم يعمل فى مقهى ؟
- نعم •
- وهل هذا عمل ؟
- لا يعرف كيف يفلح الأرض •
- أحسن •
- كيف ... يالته كان فلاحا •
- ما رأيك يا نعمات وأنت ست عدلات أن يأتى سويلم
- ويساعدنى فى العمل •
- وصاحتا معا :
- ماذا ؟
- وساد الصمت مليئا بالضجيج •
- وماله والله فكرة يعمل مع لمبرو • وفى هذه الحالة لا تتركنى

البت نعمات • ولا أحتاج للبحث عن غيرها • وأين أجد مثلها • أنا  
التي ربيتها وأصبحت تعرف كل طلباتي وكم كنت سأتعب حتى أجعل  
خادمة غيرها مريجة لى مثلما هي مريجة •

وساد صمت آخر •

— والله فكرة ••

اذن فقد قضى على أن أبقى هنا • وماله • اللقمة طيبة والهدمة  
نظيفة ، والذي نعرفه خير مما لا نعرفه • وهل كان سويلم سيستثنى لا بد  
أنتى كنت سأخدم فى البلد ان لم يكن عند العمدة فعند أحد الأعيان  
وربنا يعلم أين ولكن •

— ولكن يا خواجه •

— انطقى با نعمات ولكن ماذا ؟

— سيدخل سويلم معك الى الستات ••

وضحكت الست عدلات وضحك الخواجه وهو يقول :

— هذا شغلنا يا نعمات وأكل عيشنا ••• أتخافين عليه من  
الستات وكلهن كبيرات وزوجات أعيان ؟

— أتخافين عليه من الستات يا مضروبة ؟

— يا لهوى يا سنى أليس رجلا • لا بد أن عينه ستروح هنا •••  
أو هنا •





أأعبل مع الخواجة لمبو ... هل اسمه لمبو أظن لا ... لا تفرق .  
وأين أجد المتعة التي أجدها هنا وأنا أبيع الكازوزة لركاب القطارات .  
أين في العالم فرجة مثل هذه الفرجة . أنا قاعد مستريح والعالم  
يسر على كله في القطارات وفي الزبائن .

— أنا واحد من معالم هذا المكان . الزبائن لا يعرفون المعلم  
فرج قدر ما يعرفونني ، بل ركاب القطار المنتظمون لا ينادون المعلم  
فرج في غدوهم ورواحهم وإنما ينادونني .

أين سأجد حرية مثل حريتي هذه التي أنعم بها ، أصنع ما يحلو لي  
والكل يحبني وأنا أحب الجميع . موظفو المحطة لا يحلو لهم  
طلب لا أقدمه إليهم . وأعيان البلدة جميعا يسعون الى مقهاها هذا  
ينفحونني نفحات طيبة . ومرزوق والحمد لله ، ما الذي يجعلني أترك  
هذا جميعه للخواجة لا أدري اسمه هذا .. لمبو .. لا لمبو ...  
ما شأنى أنا به . وماذا سأصنع معه ؟

ولكن المسألة ليست بسيطة ... البنت نعمسات قالت كلاما

معقولا • الزواج محتاج الى مصاريف وأنا - والحمد لله - ما يجي،  
يذهب ولا يبقى شيء لأقيم به بيتا ولا حتى عشة • ولنفرض أن نعمات  
عملت في أحد بيوت البلد • ألا تحتاج هي الأخرى الى ملابس  
ومصاريف •

وفي الزقازيق ستقيم هي عند عثمان بك وأنا سأقيم عند  
الخواجة • وقد قال أنه سيرك لي غرفة استقبل فيها عروسي في  
الأجازة • وقال أيضا أنه سيرسلني أسبوعا في لوكاندة برأس البر  
كهدية زواج منه • والله حلوة هذه • والبنت نعمات تقول لي في  
ابتناسمتها الحلوة التي تحاول أن تخطيها بتكشيرة : أكنت حفظت  
القرآن والكتابة والحساب لتظل طول عمرك صبي مقهى • قل لن  
يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون • من  
يدري ربما يكون عملي مع الخواجة لمبرو هو المصير الذي اختاره  
الله لي •

أنا بعد في كامل صحتي • • وهأنذا مقبل على زواج أغلب الأمر  
أن يعقبه أولاد • وإذا كان ما أكسبه اليوم وما ستكسبه نعمات كافيا  
لكلينا فكيف سنواجه الأولاد •

لقد تيمت وأنا طفل لم أتم حفظ القرآن واضطرتني الحياة  
أن أعمل حين كان أترابي يلعبون • وربما يكون الله سبحانه وتعالى  
عوضني عن اليتيم بحب الناس لي • وأن كثيرا من الناس يقولون لي أن  
في وجهك القبول يا سويلم ألا يجوز أن يكون هذا القبول هو  
نصيبي الذي قسمه لي الله في الدنيا • أنا لا أغضبه • البنت حميدة  
حاولت معي وقلت في نفسي أنني أخاف الله ولم أذهب الى مواعدها ،  
وحين أخطأت مع البنت تفيدة زوجة حسنين خفير العمدة ظلمت نادما  
أياما طويلة وخاصة بعد أن رأيت معها عويس قاهي العمدة • انها  
بنت سائبة وزوجها هو الآخر حمار • يتزوج بنتا أصغر من ابنته  
ويريدها أن تظل شريفة خوفا من شريطه الأحمر •

وهأنذا أتزوج وأنا صغير حتى لا تستطيع فتاة أن تملنى •  
ونعمات جميلة ... قمر • ودمها زى الشربات أليس من حقها على أن  
تجدنى رجلا كاملا تحتوى فى ظله وتركن اليه فتجد عنده الأمن  
والطمأنينة • ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا  
اليها وجعل بينكم مودة ورحمة • وكيف تسكن الى اذا أنا بقيت  
خادم مقهى •

لا ... لن أستطيع ••

أضحى بكل هذا الذى أنعم به ؟

وما الحياة اذا لم سمع فى أركانها ونبحث عن أنفسنا فى أنحائها ؟  
وان عسى مع لمبرو سيجعلنى أتعرف على بيوت الأعيان الكبار فى  
المديرية لا فى القرية • واذا كان فى وجهى القبول فمن يدري •  
ربما وجدت بوجهى هذا عملا خيرا من عمل لمبرو • أو ربما أتقنت  
العسل مع لمبرو ، وعاد على هذا الاتقان بنفع كبير •

على أى حال العسل مع لمبرو اليوم أحسن لاشك من العسل  
بالمقهى • واذا لم أضح بستعتى فلست خليقا أن أكون رجلا ذا زوجة  
وبيت ومسئولية •



لا يعرف الحاج محمد بن الطوخى عن عائلته الا أنهم طوال حياتهم فى القاهرة ويعملون فى بيع القماش ، وكل التغير الذى يذكره عن أجداد الأجداد أنهم كانوا يعملون فى الحرائر فقط حتى تولى المحل جده أبو أييه الحاج المدبولى الطوخى الذى ارتأى أن يتوسع فى التجارة ، وأصبح يعمل فى الحرائر والأصواف وجميع الأنواع الأخرى من مخرمات الى شقائق . ويذكر الحاج محمد بن أن التجار الآخرين غضبوا من جده لأنه اعتدى على ما تخصصوا فيه من تجارة ولكن الحاج المدبولى دعاهم جميعا الى العشاء واسترضاهم وصفت النفوس ويذكر الحاج محمد بن بفخر أن جده قال لهم على العشاء :

— وماذا كنتم تصنعون اذا جاء شخص غريب عليكم لا تعرفونه ولا يعرفكم وفتح محلا أو محلات ؟

ونظر بعضهم الى بعض وقال الشيخ اسماعيل الحريرى لصديقه أبو العلا الصواف :

— ماذا جرى لنا يا أبو العلا هل أصابنا الكبر . لماذا لم تفكر فى هذه المسألة من قبل أن يفحصنا بها أخونا المدبولى ؟

وحكايات الحاج محمد بن كلها لا تخرج عن السوق وأحواله  
رابطا دائما بين تجارته والسياسة والاحتلال •

ولم ينجب الحاج محمد بن الا ولدا وبنتا أما البنت عائشة  
فقد تزوجها يوسف العقاد ابن صديقه زينهم العقاد وتعيش مستورة وقد  
أنجبت بنتين وولدا •

أما ابنه فؤاد فهو حزين من أجله غاية الحزن • فقد تزوج من  
كريمة بنت الشيخ اسماعيل الحريري وحملت منه ولكنها ماتت في  
الولادة ومات معها ابنها • ومنذ ذلك الحين وفؤاد مضرب عن الزواج  
يقول كلما فاتحه في الأمر :

— يا أبويا جربت حظي وعرفته •

ويدمي قلب أبيه :

— يا ابني ليس لي غيرك •

— البركة في أبناء عائشة أختي ••

— أبناء البنت لأبيهم وأبناء الابن لجدهم •

— ربنا يقدم ما فيه الخير يا أبويا ••

ويدرك الحاج محمد بن أن ابنه يريد أن ينهي الحديث •

ويرى في محيا ولده ما يتكتمه الابن وتبيحه ملامحه • لقد أحب  
كريمة وكبر الرجال فيه يمنعه أن يعلن حبه •

حين عرف سويلم الحاج محمد بن كان الحاج قليل العمل  
يكتفى بأن يجلس في الدكان تاركاً البيع والشراء جميعه لفؤاد •

فقد أصبح لمبرو يرسل سويلم وحده ليشتري الأقمشة من  
الحاج محمد بن وكان في أول الأمر يوصيه أن يترك اختيار الألوان

للحاج محمددين أو لفؤاد ، ومع التجربة ترك لسويلم التصرف جسيما  
فقد أصبح يحسن الاختيار كما أصبح على دراية تامة بأذواق السيدات  
اللواتى يشتريين •

صار سويلم قريبا الى نفس الحاج محمددين وولده فؤاد فهما  
يألمان اليه ويقبلان على حديثه يجدان النقاء بغير زيف ، والرضى بغير  
شكوى . وقبول الحياة بغير شروط ، فقد تعود كلاهما ألا يجدا  
عند الناس الا التذاكى مع الغباء • والسخط بغير جهد ، والشروط  
يضعها كل ابن آدم فى عقده مع الحياة وكأن الحياة أمة التى لم تنجب  
سواه •

فى يوم ذهب سويلم الى محلات الحاج محمددين فلم يجد فؤاد •  
فاشترى الكسية التى يريدتها وجلس الى الحاج •

ـ آبا الحاج •

ـ خير يا سويلم ؟

ـ أريد أن أقبل يدك •

ـ أستغفر الله لماذا يا ابنى ؟

ـ ربنا استجاب لدعواتك لى •

ـ خيرا ؟

ـ نعمات حامل •

ـ صحيح ؟

ـ والختمه الشريفه •

ـ ألف مبروك يا ولد ••

ثم نادى :

— يا سليمان هات ثلاثة أمتار حرير يا بانى فستقى وقيد ثمنها على حسابى ولفها واعطها لسويلم •

وأشرقت الفرحة فى عينى سويلم • فرح بحب الحاج أكثر من فرحه بالقماش وصاح :

— والله عندى نداؤك السريع على سليمان يساوى مال الدنيا كلها ايدك أبوسها • أبى مات وأنا عندى سبع سنوا ت ولحقت به أُمى بعد سنتين • وقد يجد الانسان المال عند الناس • ولكن الحنان الذى أجده عندك يجعلنى أنسى يتمى ••

— أترضى بى أبا يا سويلم ؟

— وأين أنا من هذا ؟

— يا ابنى أنت طيب ولك قبول وريحك خفيفة وربنا سيوفك لأنك تجمع الى كل هذا الذكاء والمهارة •

— يا أبا الحاج الناس قد يخرجون المال ولكنهم يكتزون الحنان لأولادهم •

— وأنت منذ اليوم أخ لفؤاد •

— فانا أعظم الناس حظا • لأن ربنا عوضنى عن أبى بأبوين ••

— الخواجة فوكيون رجل طيب يا سويلم •

— يا سلام يا أبا الحاج • والله لو كان خلفنى ما كان يعاملنى هذه المعاملة الطيبة • بعد كم شهر أصبحت أنا الذى أبيع وأشتري وأعمل كافة الأشياء • وبعد الشهر الأول لم يعد يحاسبنى قط •

— الأمانة عمرها طويل يا سويلم يا ابنى •••

— ان يكن أبواى قد ماتا وأنا طفل الا أنى يا أبا الحاج

تعلمت وحفظت القرآن وربنا أكرمنى كل الاكرام حين عرفت الخواجة  
الذى عرفنى بك ..

- أَرْضَاكَ اللهُ يَا ابْنِي ..
- أَلَا قُل لِي يَا أَبَا الْحَاجِّ ..
- نَعَمْ ؟
- هُوَ حَبِيبُنَا فَوَادِ عَمْرِهِ كَمْ الْآنَ ؟
- آه ... لَا تَذْكُرْنِي يَا سُوَيْلَمَ •
- قَارِبِ الْأَرْبَعِينَ ..
- يَفُوتُهَا السَّنَةُ دَى ..
- وَلَا زَالِ ...
- وَيَرْفُضُ حَتَّى أَنْ أَكْمَلَ مَعَهُ الْحَدِيثَ فِيهِ •
- وَذَا جَعَلْتَهُ يَتَزَوَّجُ ؟
- كَيْفَ ؟
- هَذَا شَغْلِي ..
- وَاللَّهِ يَا سُوَيْلَمَ أَعْطَيْكَ مِائَةَ جَنْيِهِ ..
- حَدِّثْهُ • لِمَاذَا تَشْتَمُنِي يَا حَاجَّ • أَسَحَبَ مِنِّي أَعَزَّ مَا أَمْلِكُ  
فِي لَحْظَةٍ اعْطَاهُ ؟ أَلَمْ تَقُلْ أَنَّنِي أَخُو فَوَادِ ؟
- صَدَقْتَ •
- فَأَنَا الَّذِي سَأَزُوجُهُ ..
- مِنْ ؟



— اسمع يا أبا الحاج • الزبائن اللواتى يجئن الى هنا بنات يحاولن أن يوقعنه ويتزوجنه وبهذا يجعلنه ينصرف عنهن فهو تاجر لسابع جد ولا يمكن أن يضحك عليه أحد • وأما سيدات من بنات الأثرياء يجئن فى السيارات الفخمة ومعهن السائق والزفة • وغالبا يكن مخطوبات أو غالبا تكون قلوبهن مع أصحاب النصيب •

— والله يا ابنى كلامك كبير ... استمع اليه وكأننى أنا الشاب وأنت الشيخ • انما يبدو أن عملنا فى التجارة يجعلنا لا تفكر الا فيها • قل يا سويلم •

— العمدة فى بلدنا الفؤادية •

— اسمها الفؤادية ؟

— كان اسمها شقلمان وسعينا حتى أسميناها الفؤادية ••

— عجيبه •

— كأننا أسميناها الفؤادية ليتزوج فؤاد ابنى ابنة عمدتها ••

— كم عمرها ؟

— ستندھش ••

— كم ؟

— خمسة وعشرون سنة •

— وما الذى جعلها تنتظر ؟

— أكملت تعليمها فى الجامعة •

— الجامعة وهى ابنة العمدة ؟

— عقلها يزن بلدا بأكمله •

— ولماذا لم تتزوج زميلا لها ؟

— القسمة • زملاؤها كن يخفن منها ••

— اهی ... ؟

— ان لم تكن قمرا في تمامه أكون غير جدير أن تقول لى ابنى •  
لقد صمم أبوها أن يلازمها في ذهابها الى الكلية والعودة منها ،  
الرجل الذى رباها عم حسنين أبو سفيان • وأقامت والدتها في مصر  
طوال دراستها في الجامعة •

— أليس عند العمدة غيرها •

— اسم الله عليك ... وأرادها أن تتعلم كما لو كانت ولدا ••

— وهل تقبل ؟

— فؤاد متعلم ••

— ولكن لم يتخرج في الجامعة ••

— بل تخرج في أحسن جامعة •• جامعة محلات الحاج  
محمد بن الطوخي وولده •

ويضحك الحاج محمد بن :

— وكيف سيرها ؟

— دع هذا لى ••

— هل أنت جاد ؟

— سأخبرك بالموعد في التليفون حتى تحرص على وجود فؤاد  
بالمحل •

— أنا لن أخبره بشيء •

— اياك يا بابا الحاج أن تخبره سنجعل الموضوع وكأن ابنة  
العمدة قادمة لشراء لوازمها لا أكثر ولا أقل ••

ونادى الحاج محمد بن مرة أخرى :

- يا سليمان •
- وصاح سويلم في غضب صادق •
- اياك يا أبا الحاج • انما أسعى سعى أخ لأخيه فلا تفسد على سعادتي وانسراحي •
- ربنا يا بنى يكتب لك في كل خطوة سلامة وتوفيق •
- أدخلت الأمل الى نفسى بعد أن تملكنى اليأس •

\*\*\*

قال سويلم :

- يا خواجة أنا عندى فكرة •
- قل •
- الآن المحلات تملأ الزقازيق والستات ان كن تعودن الشراء منك فهن لن يلبثن أن يذهبن الى هذه المحلات فهن طبعا يردن أن يخرجن وأن يكون مجال الاختيار عندهن أوسع •
- أنا فاهم هذا •
- اذن لماذا لا تذهب الى القرى • نستأجر سيارة ونذهب مرتين أو ثلاثا في الأسبوع الى البلاد ؟
- فكرة عظيمة يا سويلم • ولكن كيف سنحصل مستحققاتنا ونمر على بيوت البندر ؟
- وبيوت البندر أين ستذهب • انها موجودة ولك على أمر عليها بعد الظهر في الأيام التى نذهب فيها الى البلاد •
- اسمع سويلم • أنا يا بنى كبرت • أنا أشتغل حتى لا أكون عاطلا • أنت تذهب الى البلاد ومعك البضاعة والمكسب بالنصف •

— لماذا النصف هل اشتكيت لك • أنت لا تؤخر عني طلبا  
وأنا راض هكذا •

— المكسب بالنصف يا سويلم • أنا عندى فلوس كثيرة ولكن  
أخشى أن أمرض مرضا أكثر من فلوسى • ولا أريد أن أحتاج  
لأحد • والناحية الثانية لا تنفع فيها الفلوس • أنا أريدك •• أريدك  
أنت ونعمات فى البيت لأننى رأيت فيكما الوفاء والأمانة وأنا أعلم  
أننى اذا مرضت لن تتركاني للمرض •

— يا رجل أعوذ بالله • من الذى أتى بسيرة المرض الآن يا خوجة؟  
— الوحيد لا يخاف شيئا الا المرض سويلم •

— وهل أنت وحيد يا خوجة فوكيون؟

— من يوم مجيئك لم أصبح وحيدا ••• اسمع سويلم أنت من  
بكره خذ البضاعة الى البلاد • طبعا أول بلد سيكون القوادية •

\*\*\*

— صباح الخير يا حضرة العمدة •

— أهلا يا سويلم وبسيارة سويلم ••• أتكون قتلت الخوجة  
وسرقت فلوسه؟

— لا قدر الله يا حضرة العمدة • الخوجة لمبرو رجل طيب مثل  
سعادتك يا حضرة العمدة •

— وما هذه الأشياء التى تحملها؟

— بضاعة جئت أعرضها على الست الحاجة والأستاذة وهيبة •

— ادخل • الحاجة أمك وهيبة أختك ••

— كان سويلم قد انتقى أقل الأقمشة شأنا وتوقع ألا يعجب الحاجة  
أو وهيبة شيء مما سيعرضه •

الحاجة سيده وقور لم تتعد الخامسة والخمسين من عمرها ،  
معتدلة القوام تميل الى التحافة في وجهها اشراق ترسل به اليه نفس  
لم تعرف الحقديوما ولا الكراهية ، يحبها أهل القرية حب أم وأخت •  
لم تتأخر عن خير تستطيع أن تقدمه •

أما وهيبة فهي فتاة طويلة القامة صبيحة الوجه يضاء البشرة  
ذات شعر مسترسل ينسكب انسكاب الحرير على كتفيها ، وعلى  
شفتيها ابتسامة تمسكها أن تبقى على رغم أنفها • فكأنما تجد الابتسامة  
نفسها في غير مكانها فهي تريد أن تهرب وتولي الأدبار كأنها لا تعرف  
لوجودها على هذا الثغر معنى ولا سببا • وفي عينيها الواسعتين  
الوديعتين قلق يريد أن يعلن الدنيا بوجوده فترده وهيبة في كبرياء  
الشريفات وفي ثقة المثققات • وفي وجهها انسياب حلو فلا هو بالمستطيل  
ولا هو بالمستدير • لها اطلالة تأمر من يراها أن يشعر بالاكبار  
والاحترام •

— أهلا •• أهلا يا سويلم •

— أطل الله عمرك يا ست الحاجة •

— ان شاء الله تكون مبسوطة ••

— بركة دعائك يا ست الحاجة ••

وأفرجت وهيبة ثغرها عن ابتسامة مرجبة مضيئة •

— لك وحشة يا ولد يا سويلم • والله أحسنا بفراغ كبير من يوم

أن تركت البلد • وكيف حال نعمات ؟

— تسلم على ست الحاجة وعليك وكانت تريد أن تأتي معي

لولا أنها •••

— ماذا ؟ قل ؟ ••

- لا تكسفينى يا ست وهيبة ••
- لعنة الله عليك • وفيهم العجلة يا ولد ؟
- قلنا نريهم ونحن شباب ••
- وقالت الحاجة :
- على بركة الله • مبروك يا ابنى ألف مبروك ••
- ثم نادى :
- يا نواذر ••
- وجاءت نواذر وقالت الحاجة :
- مائة بيضة وبرطمان عسل أبيض وضعى متردين قشدة فى  
صفيحة وضعى كل هذا فى قفة صغيرة وأعطيها لسويلم وهو مروح •
- وقالت نواذر :
- اذن نعمات حامل ••• مبروك يا سويلم • يا خويا هل كان  
العيل واقفا على الباب ••• النهاية تقوم بالسلامة ان شاء الله ••
- ربنا ييقيك يا ستى الحاجة • أفضالك سابقة والله لا أنسى  
عطفك على وبرك بى منذ تركنى أبى وأمى كنت أحس فى حضرتك  
بالأمن الذى لا أشعر به فى أى مكان آخر •
- وبدأ سويلم يعرض البضاعة • وصح ما توقعه الا أن الحاجة  
قالت :
- والله القطعة هذه لا بأس بها آخذها •
- وقال سويلم :
- طول عمرك طيبة وقلبك من ذهب • القطعة هذه لا تنفعك

لا تنفع الست وهيبة ولا تنفع نوادر حتى انما أنت أردت أن أنصرف  
من عندك مجبور خاطر •

وضحك الجميع وقال سويلم :

— هذا القماش لا ينفعكم • وأنا جئت به عندكم لأراكم •  
انما القماش الصحيح موجود •

— أين ؟

وقطبت الحاجة وجهها :

— أتخون صاحب عيشك يا سويلم • ليس هذا ما أعرفه  
فيك •

— الله يعلم المقاصد يا ستي الحاجة • تأكدي أنني أنا كما أنا  
لم أغير ، فهذا القماش هو ما تبقى من اختيار السيدات ونحن نعرف  
زبائنة ولكنني أفكر في الست وهيبة وقعدتها في البلد لا تجد شيئا  
تفعله •

— لا تترك الكتاب من يدها •

— ونعم • ولكن النفس تحب التغيير • قلت أعملها حجة  
واستأذن حضرة العمدة ، ونذهب الى محلات مصر وتشتريين حضرتك  
لوازمك والأستاذة وهيبة لوازمها • وزيارة وتجارة •

وأشرق وجه الأم وابنتها •

— والله يا ولد فكرة ••• والحاج مسعود لن يرفض •

ويدخل الحاج مسعود :

— ما هذا الذي لن أرفضه ؟

وحين علم قال :

ـ وماله •

وقال سويلم :

- ـ أحضر سيارة وآتى يوم الاثنين الساعة السابعة صباحا •
- نكون فى مصر فى التاسعة •
- ـ وهو كذلك •

\*\*\*

حين تقدم فؤاد لخطبة وهيبة أدرك الحاج مسعود أبو عطوان  
ما صنعه سويلم ورحب العمدة بالحاج محمددين وبفؤاد ترحيبا طيبيا  
عن سليقة مواتية وقال :

- ـ والله يا حاج من جهتى أنا لا مانع عندى فانت تاجر معروف  
والرجل حين يكون له مثل اسمك فى التجارة لابد أن يكون شريفا  
يعرف أصول الناس وأصول المعاملة •
- ـ أكرمك الله يا حضرة العمدة •

ـ ولكنك تعلم أن وهيبة تحمل اليسانس •

وقاطعه الحاج محمددين :

ـ والله يا حضرة العمدة أنا الذى جعلته يقعد بجانبى فى المحل  
بعد أن حصل على البكالوريا فنحن عائلة تجار من جدود والعلم  
عندنا هو التجارة •

قال العمدة :

ـ ونعم الكلام يا حاج ولكننى أسأت التعبير وليس هذا  
ما أقصد اليه • فانه لا عيب فى ابننا فؤاد والتعليم وسيلة للثقافة •

وقاطعه الحاج محمددين :



هذا كلام الكبار والله •

— وواصل العمدة حديثه :

— والتجارة تجعل صاحبها أعظم في عمله من الذى حصل على  
الدكتوراه • وانما ما قصدت اليه أننى لابد أن أسأل وهيبة وأجعلها  
توافق عن اقتناع •

وقال الحاج محمد بن :

— ونعم الكلام •

— نحن يا حاج لا نستطيع أن نحمل مسئولية أولادنا وهم كبار  
يكفيننا مسئوليتهم وهم صغار • ولقد أرادت أن تتعلم وأردت لها ذلك  
في نفس الوقت • وأنا ليس عندي غيرها • وقلت العلم يجعل من  
عقلها عقل رجل والآن وقد تعلمت أصبح من حقها على الأقل أن تختار  
شريك حياتها •

— لقد أوصى النبي بذلك في وقت لم يكن الفتيات فيه عرفن  
الجامعة ولا حتى المدرسة ... متى نرجع يا حضرة العمدة ؟

— أسبوع واحد •

— وهو كذلك •

\*\*\*

قالت وهيبة :

— أكون ليسانس في الآداب وزوجى رجل البيت بلا شهادة  
جامعية ؟

وقالت الحاجة :

— يا بنتى هذا زواج وليس جامعة •

— يا نينا البيت يجب أن يكون جامعة للأولاد •

— البركة فيك أنت • علمى أولادك علوم المدرسة وأبوهم يعلمهم علوم الدنيا •

وقال الحاج مسعود :

— يا بنتى لقد تقدم لك الكثيرون من أهل البلد حاملى الشهادات وللأسف وجدتهم جميعا طامعين فى القرشين أو يريدون أن يتزوجوا بنت العمدة • والمال زائل والعمودية زائلة • لقد كنت مصرا أن يتزوجك من يريدك أنت • وأنت وافقتنى ورفضت كل الذين تقدموا • فى هذه المرة العريس عاقل وفى غنى عن مالنا وعرف الدنيا • وجاء يخطب وهيبة • لا يهमे مالها ولا عمودية أبيها • والأمر من قبل ومن بعد لك • قومى يا حاجة واتركيها تفكر •

\*\*\*

وفيم أفكر • أخطأنى الحب • زميلى عزام أحببته وأحببته لم يزد الكلام بيننا عن جمل تعد على أصابع اليدين وتركنى بعد أن ضاقت به السبل • والحمد لله أنه تركنى لقد تزوج بعد ذلك من ابنة عمه فهو شاب لا شخصية له أمره أبوه أن يتزوج فتزوج • ورجل بلا شخصية كالكلاب بلا معنى ، والأيام تجرى وإن كنت أخفى القلق عن الناس فهو يemor فى نفسى ويشور • يفترسها ينهشها • يقض مضجعى • يحيل ساعات أيامى رعبا وهلعا • أى مصير يمكن أن ألقى إليه اذا لم أتزوج ولا أخ ولا معين على الحياة بعد أبى أطال الله عمره • هذا زواج منطقى لا عاطفة فيه • والعاطفة لا تغتصب ولا يستطيع أن يخلقها الا بادىء النفوس • وأين أنتظر العاطفة وأين منى الطرف الآخر فيها وأنا حبيسة البيت فقد رفض أبى أن أعمل بالليسانس وهو محق • فقد سبق عصره حين جعلنى أتعلم وهو الفلاح القح تحكمه القرية بكل أوضاعها • وقد ارتضى على نفسه تشنيع أعدائه • وأى عمدة بلا أعداء ومن المستحيل عليه بعد ذلك أن يجعلنى أعمل أيضا •

وكيف كان يمكن أن أعمل ؟ ألم يكف أنه شئت بيته أربع سنوات من أجلى وسمح لأمى أن تلازمنى فى القاهرة • وهل يمكن أن يشتت بيته عمره كله • أنا لا أستطيع أن ألومه • وليس من المعقول أن أضع ما أصابته منى ظروف المجتمع على كتف أبى • ان تعليمى كان فى ذاته شذوذا عن طبيعة الأمور فى حياة مصر • فهل يقبل المنطق أن ألوم أبى اليوم لأنه حقق رغبتى فى التعليم • أعرف أنها كانت رغبته أيضا لأنه يريد أن يشعر أن ابنته لا تختلف عن الرجال فى شىء أو يحسب هذا له أم عليه •

ترى هل استطعت أن أخفى قلقى عن أمى ؟ هيهات • ان قلقها هى أشد وأبى أيضا يريد أن يطمئن الى وجود رجل الى جانبى ، وفؤاد يكبرنى بعدة سنوات ولكن أليس هذا هو الرجل الذى يطمئن اليه والدا البنت الوحيدة • انهما يريدان رجلا عرف الحياة وعركها ليكون زوجا وسندا ولا يههما كثيرا أن تتمتع ابنتهما بضعة سنوات بزواج شاب يجرب الحياة ولا يدرى من أمرها شيئا فهو يقدم عليها أقدام الجهلاء الذين يخيل اليهم أنهم أعلم الناس بكل شىء • أما أنا فقد كنت أتمنى شابا تتعرف معا على الحياة ونخطىء فيها ونصيب • فأغلب الأمر أن فؤاد على الرغم من عدم حصوله على الشهادة العالية سيكون بالنسبة لى أقرب الى المعلم ، فأحسب أننى قرأت ما يكفى لأن يجعلنى أعرف أننى فى علم الحياة لن أدرى الألف من الباء •

أيهما خير لى • أن أذلف الى الحياة معصوبة العينين لا أحمل الا علم الكتب أم أن أسعى اليها ويمينى معتمدة على رجل تمرس بها وعرفها وعرفته • أيهما خير ••• ؟

وهل يدرى أحد أين الخير ••• اننا نتحسب ونقارن ونزن الأمور بقدر ما تسمح لنا عقولنا ثم يقع الغيب كما قدر له الله أن يقع •



ونتم الزواج •

مرت سنوات وعرفت الشيخوخة طريقها الى لمبرو ، وأصبح  
سويلم يقوم بكل العمل • واكتفى لمبرو بتسلم النقود والجلوس في  
محل مارك أخى زوجته المرحومة أتيينا • ثم بدأ يتخلف عن الجلوس  
يوماً أو يومين في الأسبوع ثم ثلاثة • فرحاً بمداعبة مجدى بن سويلم •  
وحين ذهب مجدى الى المدرسة كان لمبرو حزينا في وحدته على رغم  
وجود نعمات بالبيت فقد تركت العمل بيت عدلات هانم قبيل  
ولادتها • ومالها أن تعمل خادمة وقد أصبح العيش ميسورا لها غاية  
اليسر •

لقد جعل لمبرو منها ومن زوجها أسرته ، وكان فرحه بمجدى  
أعظم من فرحة أبيه وأمه فقد حقق صراخ الطفل في بيته أملا لم يتصور  
في يوم من الأيام أنه سيتحقق • كان مجدى بالنسبة لأبويه فرحة  
الشمس تهم بالشروق وكان بالنسبة الى فوكيون لمبرو أمل الشمس تهم  
بالغروب فهي تودع الحياة ولا تنتظر منها شيئا •

كان مجدى لأبويه أمرا طبيعى الحدوث ، وكان لفوكيون أمرا  
مستحيل الوقوع • وان لم يكن ولده ••• نعم وان • وقد أسماه

هو مجدى لافهما منه للاسم ولكن ليكون نطقه سهلا على لسانه  
الأعجمى •

تحمل لمبرو ذهاب مجدى الى المدرسة فى ضيق شديد ، ثم ما لبث  
المرض أن داهمه وأصبح من العسير عليه أن يترك الفراش • ولكنه  
هائى البال مطمئن فسويلم يقوم بالعمل ونعمات مقيمة بالبيت لم يفكر  
واحد منهما أن يتركه وحيدا مع مرضه •

وفى يوم عاد سويلم الى البيت مبكرا بعض الشئ فلم يجد  
الخواجة فى حجرته •

— نعمات أين الخواجة ؟

— أليس فى حجرته ؟

— ما هذا الغباء • أكنت سألت ؟

— لا أدرى •• أنا فى المطبخ من الصبح •

— هل تناول افطاره ؟

— نعم وتناول الدواء وكانت صحته طيبة وترك السرير ليجلس  
على الكرسي • وتركته أنا وذهبت لشراء الغداء وعدت الى المطبخ  
مباشرة وقلت فى نفسى اذا أراد شيئا سينادينى •

ولم يطل النقاش فما لبث لمبرو أن جاء وسأله سويلم :

— أين كنت ؟

— كنت فى البنك أسحب قرشين •

— ولماذا لم ترسلنى مثل كل مرة ؟

— اشتقت أن أرى أصدقائى هناك ووجدت نفسى أريد أن

أخرج •

— أرجوك يا خواجه اذا أردت أن تخرج مرة أخرى أخبر  
نعمات •

— طيب • ولو أنني لا أظن أنني سأخبرها •

\*\*\*

مر على هذا النقاش شهر وبضعة أيام ثم نادى الخواجه سويلم قبل  
أن ينزل في الصباح :

— أين ستذهب اليوم ؟

— اليوم لن أمر على بلاد سامر على زبائن الزقازيق •

— ليس مهما •

— لماذا ؟

— أنا أريدك •

— فيم ؟

— اجلس •• خذ •

— ما هذا •• هذا شيك أبيض • لماذا لم تكتبه ؟

— في هذه المرة أنت ستكتبه •

— لماذا •• أكتبه •• أنا في حياتي كلها لم أكتب شيكا •

— اليوم ستكتب •

— انجس •

— لن تنجس •

— أنا يا خواجه لولاك ما ذهبت الى البنك في حياتي أبدا •

— ستذهب بعد هذا كثيرا •

- لا أفهم •
- اسمع •• أنا ذهبت الى البنك آخر مرة لأضع أموالى كلها باسمك يا سويلم •
- ماذا ؟
- ولا كلمة •
- ربنا يا خواجه يبقيك أنت لا تجعلنا نحتاج لشيء •
- ولما أموت ؟ ! •
- علمتنى السوق ويكفيك هذا •
- ومن يأخذ فلوسى ؟
- وألجم السؤال سويلم وراح يتهته ••
- أنت تأخذ هذه الفلوس ، هذا حقك • أنا ليس لى أحد فى الدنيا • خمسة وعشرون ألفا وأربعمائة جنيه •
- يا خبر أسود •• أبيض •• وماذا أصنع بهذا جميعه ؟
- هذا شأنك • وان كان لى رأى فأنا أرى أن تذهب الى مصر •• وربنا ان شاء الله سيفتح عليك • أنت معك فلوس وتعرف السوق •
- ربنا يطيل عمرك •• والله أكذب عليك ان قلت أنتى لست سعيدا • ولكن هذا كله لا يعوضنى عنك يا خواجه •• يا أبويا لمبرو •
- \*\*\*
- وبعد أيام ام تكتمل شهرا مات لمبرو •

٦

كان طبيعيا أن تزداد الصلة توثقا بين سويلم والحاج محمد بن وفؤاد وأسرته الجديدة • وهكذا لم يكن غريبا أن يفرح سويلم فرحا صادقا حين أنجبت وهيبة ولدها الأول فكري بعد تسعة أشهر من زواجها ، وحين حمل الهدية الى بيت الحاج محمد بن حيث يقيم فؤاد وهيبة لم ينس أن يقول :

— بينه وبين مجدى عام واحد ، وان شاء الله الحب الذى بيننا يستمر فى ولدينا •

و حين مات الخواجة لمبرو بعد ذلك بسنوات لم يكن سويلم قد أطلع الحاج محمد بن بما صنعه معه الخواجة لمبرو •

صفى سويلم أعماله بالزقازيق وأقل شقة الزقازيق مستبقيا لها لتكون سكنا له ان جاء الى الزقازيق • وقد ثقل العقد الى اسمه دون أن يجد أى عراقيل من الخواجة مارك صاحب العمارة • واستنتج من ذلك أن الخواجة لمبرو لم يخف عن مارك ما فعله •

وفى القاهرة نزل مع زوجته وابنه فى فندق ، وتركوا الحقائق



واتجهوا من فورهم الى بيت الحاج محمد بن وحين استقرت بهما  
الجلسة قص سويلم على الحاج فؤاد ووهية ما صنعه الخواجة . وكان  
الحاج في شيخوخته ومن العسير على أحد أن يجعله ينهر لشيء،  
أو يندهش . ولكنه لم يستطع مع حديث سويلم الا أن يسفر عن ذهول  
ساطع .

— ألف مبروك يا سويلم . ولماذا أخفيت على هذا . أنت  
تعلم كم يفرح له هذا البيت ؟

يا ابا الحاج الأمور تلاحقت كأنما حلم متصل . أنا لم أكن  
أدرى شيئا على الإطلاق . ولم أكن أتصور . الى أن فاجأني المرحوم  
بهذا الخبر قبل وفاته بأيام لم تكتمل شهرا ، ومرضه جعلني ألزمه  
ملازمة تامة وربما احتاج العمل أن أحضر الى القاهرة ولكنني امتنعت  
خشية أن يظن الرجل أنني لم أعد أعنى به بعد أن تنازل لي عن  
أمواله . وربما خشيت أيضا أن يظن أنني تركته لأحضر اليك خصيصا  
وأخبرك بما كان فيشعر كأنني كنت أنتظر ما صنعه أو أتوقعه .  
والحقيقة يا حاج أنني منذ قال المرحوم ما قال وأنا في ذهول .  
أنا رجل فقير يا ابا الحاج وهذه المبالغ نسمع عنها ولا تتصور  
أن تتعامل معها أبدا .

وقال الحاج :

— أنت رجل طيب يا سويلم . وقد بقيت وفيا للرجل . وقدر هو  
معروفك وأماتتك .

وقال فؤاد :

— والله انك تستاهل أكثر من هذا .

وقالت وهية :

— الوفاء والأمانة في هذا الزمن يستحقان ما نلته يا سويلم .

قال سويلم :

ـ الرجل قال لأقاربه حتى لا يسألنى أحد • وكتب ورقة قال فيها أنه لا يملك شيئاً على الإطلاق يحمينى بها من الضرائب ومن الجميع •

وقال فؤاد :

ـ وماذا تنوى أن تفعل ؟

ـ وهل فكرت •• وهل أدري •• ها أنذا جئت لكم وأنا ليس لى أهل الا أتم ••

ونظر فؤاد مليا الى سويلم ودار بعينه فى الجالسين • كان الطفلان يلعبان فى حجرة أخرى فقال فؤاد فجأة :

ـ وهية ألا تأخذين قرييك وزوجته الى حجرة مكتبك وتأمرين لهما بنفجان قهوة آخر •• واجعليه سكر زيادة مثل الشرابات •

وضحكوا وفهمت وهية الاشارة التى لم تخف عن سويلم ونعمات • وقام ثلاثتهم وانفرد فؤاد بأبيه ولم يطل انفراده به ثم نادى :

ـ وهية •• تعالوا ••

وحين جلسوا قال فؤاد :

ـ أبوك الحاج سيأخذ منك خمسة آلاف جنيه ••

وابتسم سويلم :

ـ والمبلغ كله والله العظيم وأنا الكسبان وهذا هو الشيك •

وضحك الحاج محمدين فى سعادة وانشراح وقال له : اكتب الشيك ••

وفعلا كتب سويلم الشيك وسلمه للحاج • وأمسك الحاج به وراح يهزه :

- هكذا دون أن تسأل لماذا .. أو فيم أو تطلب ايصالا ؟
- أتريد أن أكتب شيكا ببقية ما أعطاه لي الخواجة وبدون ايصال أيضا وحياء مجدى .
- وضحك الجميع وقال فؤاد :
- أطل الله لك عسره .. مالك كسكت بعده ولم تأت بأخ ؟
- أخ ... آفهم من هذا أن الست وهية حامل .
- العقبى لنعمات .
- ألف مبروك .
- ألف مبروك ... سويلم لا يريد أن آتى لمجدى بأخ أو أخت .

وقال الحاج :

- ربما غير رأيه الآن بعد أن صار من الأغنياء .
- وقال سويلم :
- لا والله يا حاج الأمر وما فيه أننى أريد أن أكرس حياتى كلها لمجدى . وبالعكس بعد ما جاءتنى هذه الثروة أصبحت أتصور أنها حقته هو ولا يجوز أن يشاركه فيها أحد .
- ربنا يبارك فيه . اسمع اذن الكلام المفيد . بجانب محلاتنا أنا وأخوك فؤاد مخزن بابيه مقفل لم يعد له لزوم عندنا الآن بعد أن اشترينا مخزنا كبيرا واسعا فى السيدة زينب .
- شىء لله يا رئيسة الديوان .
- ربنا يجعلنا من بركاتها . هذا المخزن وصل ثمنه أمس الى ستة آلاف جنيه ، أنا بعته لك بخمسة آلاف . وأنت وفؤاد تتحدثان بعد هذا على مهنكما فى كيفية فتح محل لك بجانب محلاتنا ، وبذلك تكون محلاتنا قد زادت بابا . فمحللك محل جديد لنا ... وعلى بركة الله اكتبى العقد با ست وهية .



بدأ سويلم تجارته الثابتة واحتفل به الحاج محمد بن وابنه فؤاد،  
وبذلك أعلننا للحى أجمع أن التاجر الجديد ليس منافسا وانما هو واحد  
من الأسرة .

ولكن الأيام تأبى أن تمضى فى مجرى واحد لها . ولكل حياة  
غاية . وكانت حياة الحاج محمد بن قد بلغت غايتها واختاره الله الى  
جواره قرير العين بابنه وبخفيديه فكبرى والهام وبعائشة ابنته وأبنائها  
وبنائها الذين أصبحوا أربعة نفر .

قريرا بذلك الفتى الذى عرفه فلاحا قادما كعود أخضر من بلده  
بالشرقية حتى صار أحد تجار المنطقة موفور المال عزيز النفس  
كريما على نفسه وعلى الناس .

ذهب الرجل فى موعده الى لقاء الحى القيوم وترك الدنيا وقد  
حققت له من المسال ما نظر اليه . .



البيت منذ اللحظة الأولى لم يعجب وهيتة ، ولكنها لم تشأ أن

تدخل بيتا فتشتت شمله وتفرق جمعه • وسويلم أقام بعد أيام من قدومه في شقة صغيرة اعتبرها مسكنا مؤقتا فلم يكن غريبا أن تدعو وهيبة سويلم وزوجته الى الغداء حين الطفلان الكبيران في المدرسة • وبعد الغداء يتضح ما نبئته وهيبة •

— صلوا على النبي جميعا •

— وعليه ألف صلاة وألف سلام ••

— هذا الغداء غداء عمل ••

وقف فؤاد في حركة سريعة ذكية :

— الله أكبر ••• ستغير بيتك يا سويلم •

وصفقت له وهيبة :

— ما هذا الذكاء ؟

وضحكوا جميعا وقال سويلم :

— هل سأغير بيتي وحدي ؟

وقال فؤاد في استسلام :

— أنا كنت أعرف مصيري وليس في الأمر مفاجأة لي ، أما أن

تدعوك أنت ونعمات فهي اذن قد بيتت أمرا لي ولك ووقعتنا •••

ويقاطعه سويلم :

— بيضاء ان شاء الله ••• قولي ••

وقالت وهيبة :

— أنتما تاجران •• أليس كذلك ؟

ويقول فؤاد :

٠٠ المقدمة مخيفة يا واد يا سويلم ٠٠

وتقول نعمات :

٠ يا أخى انتظر حتى نرى ماذا تريد الشابة أن تقول ٠

وتقول وهيبة :

٠ قولى له والنبي ٠ بدلا من أن ننتقل الى شقة بالايجار أنا وجدت عمارة بأكملها فى المعادى ٠

ويرين الجد على الحاضرين ويأخذ الرجلان فى التفكير ٠ وبعد صت ليس طويلا يقول سويلم :

٠ لمن العمارة هذه ؟

وتقول وهيبة :

٠ نشتريها معا ٠٠

ويقول سويلم :

٠ أما أنا اخوة فهذا لاشك فيه ٠ لكن المشاركة فى الملك ليست مشاركة بيننا نحن وانما مشاركة بين أبنائنا ، مثلا أنا شايف أصدقاء فكرى غير أصدقاء مجدى ، ونحن حين نشتري ملكا انما نشتريه لهم ٠ ويقوم فؤاد ويقبل سويلم :

٠ أنت رجل بعيد النظر وصادق الأخوة وربنا أعطاك الذكاء من عنده ٠

وتصمت وهيبة لحظات ثم تقول :

٠ وأنا أيضا يا ستى فؤاد لا يقل عنه ذكاء وكنت عارفة أنه سيقول هذا ، والما خشيت أن أقول أن العمارة لك وحدك فيظن أننا نبعده عن صفقة تجارية رابحة ، وعلى كل حال أنا دبوت الأمر ٠

أو أعتقد أن ربنا دبرها من عنده أحسن تدبير • عمارة كبيرة بها شقتان متجاورتان سنفتح أحدهما على الأخرى ويكون هذا سكننا نحن يا أبا فكرى وأبا أخته الهام وفي الشارع الذى خلفها مباشرة عمارة صغيرة محندقة لأبى مجدى •

ويسيح فؤاد :

— بكم ؟

وتقول وهيبة :

— أنت ستبيع البيت وتعطى عائشة نصيبها • وأنت يا سويلم تستطيع شراء العمارة المحندقة بكل سهولة ان شاء الله •

ويقول سويلم :

— ما رأيك يا نعمات ؟

وتقول نعمات فى ايمان •

— توكل على الله •

وتصح وهيبة :

— يحيا التوكل على الله • وقد عزمت على بركة الله أن أتولى تعليم مجدى مع فكرى طول فترة الدراسة حتى الثانوية • هذا بالنسبة لمن يختار منهما القسم الأدبى • ما دمنا قد أصبحنا جيرانا فى البيوت فمن حق مجدى هذا •

ويسيح فؤاد :

— أنت اشتريت وبدأت تعطى دروسا ••

وتقول وهيبة :

— نعم ••

ويقول فؤاد في تحد مازح :

— طيب روجي ادفعي الثمن اذن ...

وتصيح وهيبه :

— وهل كنت أنتظر أوامرك ؟ ... لقد دفعت العربون وحياة

والدك .

ويذهل فؤاد :

— من أين ؟

— مهري الذي دفعته لأبي . رينا يطيل لي عمره أعطاه لي

جميعا ولم أفتق منه شيئا ودفعته عربونا .

ويضحك الجميع ويقول فؤاد :

— تجعلينني مدينا رغم أنقى .

وتقول وهيبة :

— خيرك سابق يا أبا فكري لا ترد الدين اذا شئت وما البأس

أن يكون لي طوبه في عمارتك دفعت ثمنها ولا يهلك .

ويعم نوع من روح الأسرة الأمين على الجالسين ويسارع فؤاد :

— اسألها يا ولد يا سويلم ربما تكون قد دفعت لك العربون

أنت الآخر .

وتقول وهيبة :

— يا ليت والله لو كان عندي ما تأخرت .

ويقول سويلم :

— وأين هاتان العمارتان من المعادي ؟

— أليست سيارتك هنا يا فؤاد ... هيا بنا تنتم كل شيء ...

معك دفتر شيكاتك يا سويلم ؟

— توكلنا على الله





يسر اليوم بطيئا وتجرى السنوات سراعا • تنضى الدراسة  
بفكرى ومجدى متزاملين سنوات قليلة ثم ما يلبث فكرى أن يتخلف •  
ثم يتخلف حتى يصبح التخلف ديدنه وطبيعته • ومنذ تخلف أول مرة  
توقف مجدى أن يذهب الى عمته وهيبة كما كان يناديه ، ولكنها هي  
أصرت أن تستمر فى المذاكرة له •

ب واحد خائب لا داعى أن يخيب اثنان ••

وربما استطاعت أخته الهام أن تخفف بنجاحها المطرد وطء خيبة  
فكرى •

وكالت وهيبة تقول :

— الخيبة هذه لا قاعدة لها ولا أصول ، أنا ربيت فكرى  
ومجدى والهام • وربما كنت أكثر اهتماما بفكرى فهو ولدى الأول  
والانسان انسان وليس تملكا • ومع ذلك فاز هو بالخيبة والآخرا  
ناجحان والحمد لله •

وعلماء التربية يقولون البيت وثقافة الآباء والاهتمام والبيئة  
 ووجع الدماغ • كلام كله فارغ والا فليفسر لى أعظم عالم فى التربية  
 سبب خيبة فكرى ونجاح أخته وقريبه الذى يعيش معها نفس  
 الظروف ، وحياتك يا أختى الخيبة موهبة من عند الله • أنا عندى  
 ليسانس آداب وكان المفروض أن أصبح مدرسة •• كل كلام علماء  
 التربية لا يساوى قرشا •

ولم يكن كل هذا وغيره كثير ليؤثر فى حرص فكرى على  
 التخلف فى الدراسة مع الذكاء العقلى المفرط • فقد كانت المذاكرة  
 بالنسبة اليه كارثة من الكوارث الكبرى وفى غير ذلك هو فتى مولع  
 بكل ما يولع به أبناء سنه من رياضة وألعاب وبنات وفسحة ، قريب  
 إلى قلوب أصحابه يحبون صحبته ويسعون إليها •

ومن بين هؤلاء تعرف على حمدى الفنجري وعلى هشام دردير •  
 أما الأول فأبوه كان نجارا وله محل صغير للموبيليا والتنجيد •  
 وأما الآخر فأبوه مدير عام بالسكة الحديد • وكون هذا الثالث  
 وحدة لا تنقسم ، ولم يقطع فكرى صلته بمجدى كل القطع الا أن  
 انصرف مجدى الى المذاكرة فى أوقاتها جعل الصلة بينهما هينة ،  
 فمجدى صديق للثالث كلما أراد أن يروح عن نفسه أو يذهب الى  
 السينما أو الى النادى •

وحين وقعت أحداث ٦٧ كان أثر الأحداث على مجدى مروعا •  
 أما الثلاثة الآخرون فان الأمر لم يهز لهم أى كيان وانما اضطر ثلاثتهم  
 أن يتظاهروا بالحزن مع الحزن العام الذى زلزل الجميع •

وفى انتصار ٧٣ كانت الدنيا كلها اشراقا فى عيني مجدى بينما  
 الدنيا كلها لم يتغير منها شئ عند الثالث الآخر •

انهم جميعا أبناء جيل واحد . ولكن هيهات أن تتوحد المشاعر  
في أبناء أى جيل ، حتى وإن توحدت بينهم الظروف البيئية . انما  
تشابه هذه المشاعر اذا كان الوعي الثقافى متقاربا فى أفراد الجيل .  
فالذى شعر به مجدى شعر به أصدقاؤه فى كلية الهندسة لا يكاد  
يشذ عنهم الا قلة نادرة تقاذفتها آراء متطرفة أو أفكار لا استواء  
لها . ولكنهم يظلون مع ذلك قلة نادرة لا تكاد تذكر .

أما فكرى وصاحبه ومن كان مثلهم فهم فى عالم خاص بهم  
بعيد كل البعد عن دنيا الوطن . وعن فرح زملائهم فى المدرسة .

يبدو أن الأجيال ليست سنوات ينتسب اليها أبناء الفترة الواحدة  
ولكنها قدر من التشقيف اذا تقارب فيه الأفراد كونوا وحدة الجيل .



كانت الهام فى السنة الثانية من كلية الآداب ، وكان من الطبيعى  
أن تسبق أخاها الأكبر . فهمى لم تتخلف مطلقا فى دراستها . وقد  
أخذت الفتاة عن أمها شعرها الناعم المنساب وأضافت اليه عينين  
واسعتين سوداوين وقواما دقيقا ، فهمى رقيقة القسبات وادعة الملامح  
عينها تطلع هائىء مطمئة الى المستقبل . لا يعرف القلق الى نفسها  
سبيلا الا ذلك القلق الجميل الذى يصاحب تلك السن التى تنهد من  
المراهقة الى الشباب .

كانت الهام تشعر أن أمر ما تدبره أمها مع نعمات أم مجدى .  
ولم يكن هذا بالذى يخفى عليها . ولكنها كانت تتظاهر أنها لا تفهم  
شيئا . وهى تتغابى فى ذكاء نافذ عن الاشارة من أمها أو التلمحة  
من خالتها نعمات .



حين سكن سويلم عمارته الجديدة كان من بين شققها شقة مفروشة كان صاحب العمارة يؤجرها لخير ألماني • وحين انتهى عقدها اتفق سويلم مع زوجته على أن يمدا العقد لخمس سنوات أخرى ثم يجعلها هذه الشقة سكناً لابنهما بعد- تخرجه وزواجه •

وكان بالعمارة أسرة توطدت صلتهما بنعمات وسويلم • كان الوالد موظفا كبيرا في البنك الأهلي وكان له ابنة توفيت عنها والدتها منذ خمس سنوات وتزوج هو بعدها زوجته الحالية • أما البنت فاسمها سميحة ، وكانت في سن ناهد وكانت زميلتها في الكلية • أما زوجة أبيها فهي الست فوزية وكانت طيبة النفس تعامل ابنة زوجها أحسن معاملة • وقد أنجبت لزوجها الأستاذ فريد عبد القادر ابنه على وألحقه بابنته الطفلة هناء •

تعرفت الأسرتان وتزاورت السيدان ونقل سويلم حسابه الى فرع البنك الأهلي بالجيزة حيث يعمل فريد عبد القادر •



كيف ينشأ الحب ولماذا • انه مشاعر لا منطق لها ولا عقل ولا مقدمات • كانت سميحة صبيحة الوجه ولكن الأمر الذي لا يختلف في شأنه اثنان ان الهام كانت أجمل منها بكل مقاييس الجمال • هذه المقاييس التي تواضع الناس أن يجعلوا منها قواعد يعطون على أسسها جوائز الجميلات • ولو أن السانأ رأى الفتاتين دون أن يكون في نفسه هوى الى واحدة منهما لحكم من فوره أن الهام أجمل • كانت سميحة مستديرة الوجه في براءة وطيبة في عينها حزن يكسبها الحنان الانساني الشريف ، وكانت رشيقة القوام تميل الى الطول بعض الشيء •

حين رآها مجدى أول مرة رآها فى العمارة أحس نحوها  
 باعجاب ، وقد كانا طفلين معا فلم يكن غريبا أن يضم لمعبيهما أطفال  
 العمارة جميعا وفى سن الطفولة الناعمة هذه يبدأ نوع من الحب  
 الذى لا مثيل لطهره على الأرض . كنسمة من نسائم الجنة ، أو كنيسة  
 من نبضات الايمان . أو كتسبيحة متبتل فى محرابه او كهيام متصوف  
 فى نجواه ، الابتسامة عند الطفل المحب دنيا ، والهمسة حياة ، والحجب  
 خطرة من روح الله ، فاذا خلا الطفل بحبيته فهذا جميعا وأكثر ،  
 ويشب الحب مع الطفل لحظة بلحظة وهمسة بهمة فاذا بلغ الشباب  
 اندلع الهوى برايين وهزيم رعد ورياح عواصف لولا الحياء والدين  
 والخلق لاجتاح لا يبقى ، ولا ندفع لا يتوقف ، ولأعلن عن نفسه للعالم  
 أجمع .

نشأ هذا الحب بين مجدى وسبيحة . وقالاه وهما طفلان فى كرة  
 يختارها هى لها حين كانا يتراميان بالكرة . وقالاه ابتسامة لقفقتها  
 ابتسامة فى خفية عن عيون الصبية . وقالاه سؤالا عن امتحان لقية  
 سؤال عن امتحان فى همسة خيئة عن الآذان ، وقالاه وهما شباب  
 أحبك استقبلتها أحبك . واندلعت السنة الهوى وتعالى أمواجه .  
 والفتاة على أبواب الجامعة ، والفتى فى السنوات الأولى منها . وفى  
 كل عام يسر يزداد الهوى اشتعالا ، فالأمل كلما اقترب من التحقيق  
 ازدادت ملامحه قوة وتبينت معارفه حتى كأنه تم وتوضحت معالمه  
 فهو بعد ليس أملا وانما فعل حدث ان لم يكن فعلا ماضيا فهو فعل  
 حال يتشكل واقعا .

تخرج مجدى فى كلية الهندسة . وأقام أبوه ليلة فرح كبرى ،  
 ودعا كل أصدقائه من التجار ومن سكان العمارة ومن الجيران .

وشاء الله الرحيم بعباده أن يحصل فكرى فى نفس العام على  
 الثانوية العامة ، فكان فرح فؤاد به أكثر من فرح سويلم بتخرج ابنه .

فقد كان فؤاد واثقا أن الثانوية العامة هي نهاية المطاف بالنسبة لفكرى ، وكان يكاد يقطع أن ابنه لن ينالها عمره كله ، وقد هدأت نفسه الى هذا واطمأنت اليه لا يداعبها أمل مهما يكن ضعيفا أن يخيب فكرى ظنه ويحصل على الثانوية العامة . وقد كان يريد ان يكون تاجرا مثله . لكن التجارة لم تعد مثل هذه الأيام الناعمة التي بدأ فيها هو ممارسته المتجارة . ان التجارة أصبحت مسبعة وحوش ضارية. وصارت أيامها فناكة تلتهم الغافل التهاما حتى لا تبقى فيه من باقية أو ترفعه الى سماوات لم يحلم تجار الأزمان الماضية مجتمعين أن يصلوا الى جزء ضئيل منها . وأين العشرات والمئات التي كانت تلقيها الأفواه من التجار في حرص شديد وبعد أخذ ورد وتفكير وتدير من كلمة مليون وعشرة ملايين ومائة مليون يلقيها تجار ما بعد أكتوبر وكأنهم يلقون تحية سلام فاترة لا تعنى شيئا .

إذا لم يكن فكرى على قدر مهما يكن ضئيلا من العلم النظرى فكيف يمكن أن يكون له مكان أى مكان فى ميدان الوحوش هذا .

ان فؤاد بدأ حياته فى السوق صغيرا وعرف الخوافى البعيدة من أسرارها فحين استشرى السوق ودخلته النصور الضارية كان هو قد أصبح حاد الأظافر مثلهم يجرح ان جرحوا ويهادن ان هادنوا .

وقد أدرك فى ذكاء واع أنه لو ترك تجارته التى تعلمها منذ شبابه الباكر أصبح أعمى وسط مبصرين لنام فأصر أن يبقى فى تجارته لا يتركها الى أى نوع آخر من التجارة .

ولكنه يعلم علم يقين أنه ان كان قد ازداد مع الأيام خبرة فى التجارة ومراسا بالسوق الا أن هذه الأيام نفسها قد جعلته شيخا لا تهب له من الصحة ما كنت تهب ولا من النشاط ما تعود أن يجده . وقد كان يريد من ابنه أن يعينه على سنه وصحته . واذا ابنه يزيد

سنه ثقلا وصحته وهنا • وإذا الرعدة لا تتولاه الا حين يذكر ولده •  
وقد حاول بالعنف فأخفق وباللين فازداد اخفاقا • فقال لنفسه اعمل  
وما عند الله يكون • وعمل ، وإذا بالسوق ينقلب من هذا الميدان  
الذى مرن عليه وعرف دروبه ومنحنياته وكل مرفق من مرافقه أو ثنية  
من طرقاته • الى ميدان آخر قاتل سفاك لا يبقى ولا يذر ، وإذا  
الأثمان تشتعل فهي حريق ما تسامع الناس بشله ولا تضور أحد أنه  
سيسع بشله أبدا • وكما تصبح السوق فاجرة متوحشة يصبح الغنى  
فاجرا متوحشا •

ولا يتخلف فؤاد وما تخلف سويلم عن هذا الغنى ، ولكن  
كليهما أدرك في ذكاء أنهما اذا تخطيا عتبة ميدان الأقمشة الذى يعرفانه  
أصبح كلاهما عدما • والربح كما يكون بالملايين تصبح الخسارة  
بالملايين أيضا •

قال فؤاد لابنه فكرى :

— مرحبا بك فى دكان أبىك وأجدادك •

— ماذا تقصد ؟

— أقصد أننا عائلة ربنا خلقنا للتجارة وليس لنا مهنة غيرها •

— ولكن الجيل اختلف يا بابا •

وتدخلت وهيبة :

— يمكن أن يختلف الجيل ولا نختلف نحن ، واضح أن ليس  
لك أى ميل للتعليم يا فكرى •

— يا نينا أنا حصلت على الثانوية العامة وفى الجامعة الأمر  
يختلف •

- ١٠ - المسألة ليست مسألة ثانوية عامة وجامعة يا فكري • المسألة  
أهم من هذا بكثير أنت لا تحب القراءة •
- كل زملائي لا يحبون القراءة •
- اذن فلن يكتب الكتاب يا ابني ؟
- وقال فؤاد :
- يا ابني نحن عائلة تجار •
- أتكون أمي من حملة الليسانس و ...
- قاطعته وهيبه :
- المسألة استعداد يا فكري •
- نجرب يا نينا •
- نجرب •
- واسرع فؤاد مت دخلا :
- نجرب ماذا يا وهيبه ؟
- انتظر يا فؤاد • ماذا تريد أن نجرب يا فكري ؟
- أدخل الجامعة •
- أي كلية تريد ؟
- وانقطع الحديث ولم يجد فكري شيئا يقوله الا :
- ليكن معهدا مثلا ،
- وقالت وهيبه :
- أي معهد تقصد ؟



- أى معهد •
- اذن فانت لا تهوى دراسة معينة •• انت تريد مجرد شهادة ؟
- حتى أكون مثل زملائي •
- أيمكن أن يكون هذا هدفا في ذاته •
- ووجد فؤاد الفرصة سانحة :
- فكرى يا ابنى أتريد حقا أن تكمل الدراسة وتذاكر ؟
- ووجم فكرى لحظات، ثم قال فى لعشة :
- كنت أقول أجرب •
- كنت تلف علينا يا بنى حتى تقول لنا بكره أننا نحن اللذان منعناك من الجامعة أو التعليم العالى ؟
- لا والله أبدا يا بابا •••
- لا ••• اذن فاسمع • أنا مستعد أن أوافق على دخولك الجامعة • بل أنا أرحب بذلك كل الترحيب • وأكثر من هذا اذا كان مجموعك لا يدخلك جامعة فى القاهرة فالعالم كله مفتوح أمامك ، اختر أى كلية فى العالم تريد أن تدرس فيها وأنا مستعد أن أقدم كل ما تريد من أموال •
- فى الخارج ؟
- وقالت وهيبة فى استنكار :
- فى الخارج يا فؤاد ؟
- وقال فؤاد :
- فى الخارج ، فقط بشرط واحد •

وقال فكرى :

— أى شرط ؟

— كل المصاريف التى ستنفقها ستخصص من التركة • ما ذنب  
الهام أن تكلفها أنت الألوف ؟

وصمت فكرى قليلا واستمر فؤاد :

— اسمع •• أنت لاشك يتهمك لك أنتى أكسب الملايين مثل  
تجار اليوم لأنك تعيش عيشة مستريحة وتسمع الأرقام الخيالية عن  
مكاسب التجار • ولكن الأمر بالنسبة لى مختلف كل الاختلاف • أنا  
أتاجر بشرف ، ولم أدخل فى عملية واحدة خارج عمليات القماش  
التي أعرفها فأنا أكسب والحمد لله ، ولكن المكسب الطبيعي ، وأنت  
منذ الآن تستطيع أن تطلع على حساباتى •

— حضرتك غلطان •

— أنرى هذا ؟

— كل التجار اليوم يعملون فى كل ميادين التجارة •

— مجانين والمستقبل أمامهم مظلم وبكره أفكر •

— الحقيقة يا أبى أنك شريف أكثر من اللازم •

— الحقيقة انه ليس هناك شريف أكثر من اللازم وشريف أقل  
من اللازم • هناك شريف وغير شريف •

— تعرف رفعت الفنجري أبو حمدي ••

— نعم أعرف ماذا ستقول • بل ان مصر كلها تعرفه • اعلاناته  
تملأ التلفزيون ، وأصبح له أربعة محلات موبيليا • أنا لا أستطيع  
أن أحكم على طريقة تجارته ولكن يجب أن نعترف أنه لم يترك مهنته  
الأصلية •

- نعم هذا صحيح •
- وبالمناسبة أين حمدى الآن ؟
- يعمل مع أبيه •
- وتسأل وهيبة :
- هل نال شهادة ؟
- ويقول فؤاد دون أن ينتظر اجابة ابنه :
- لم يأخذ الاعدادية •
- ويقول فكرى :
- وهل أنت راض عن ذلك ؟
- اذن كان ناجحا فى معاونة أبيه فلماذا لا أرضى •
- قالت وهيبة :
- قل لنا أنت ••
- ماذا أقول ؟
- الحقيقة •
- الحقيقة أنه لا يعمل شيئا •
- قالت وهيبة :

— اسمع يا فكرى ، العلم لا يفيد فى مجرد حمل اللقب ، ولكنه يفيد فى كل نواحي الحياة ، والذى يعرضه عليك أبوك اليوم يقطع قلبى ويجعلنى حزينة كل الحزن ، ولكن أنا تناقشت طويلا مع أبيك وحجته قوية وأنا حجتى ضعيفة ، أنت لا تريد أن تتعلم من الكتاب وهو المصدر الحقيقى للثقافة فلم يبق الا أن تتعلم من العمل • وأنا

وأبوك نعلم أنك لا تريد أن تكمل الدراسة وأنت تناقشنا لمجرد المناقشة • وأنت الآن في سن تسمح لك باختيار مستقبلك فإذا كنت تنوى أن تعمل مع أبيك بحيث تتيح له الفرصة أن يعلمك التجارة والتجارة الشريفة فأنا عن أبيك أقول أهلا وسهلا •

وقاطعها فؤاد قائلا :

— ألف أهلا وسهلا •

وأكملت وهيبة :

— وان كنت لا تريد أن تصبح تاجرا مع أبيك فقل لنا ماذا تريد وربنا يساعدنا أن نحقق لك ما تريد •

وصمت فكرى صمتا تاما • أنا فعلا لا أعرف ماذا أريد • أعود للمذاكرة مصيبة • اذا عملت مع أبي سيحاسبني على الذهاب الى المحل وعدم الذهاب • أنا ماذا أريد • ماذا أريد ؟

— الحقيقة يا نينا أنا أعرف ما أريد •

وسارع فؤاد قائلا :

— الحمد لله قل لنا ماذا تريد •

— أنا أريد أن أتعلم التجارة •

— ألم تقل هذا أول الأمر ؟

قالت وهيبة :

— انتظر يا فؤاد • انه لم يكمل ••

وأكمل فكرى :

— أنا فعلا لم أكمل • لا أريد أن أجلس في محل • أنا أريد

أن أنزل السوق اشتغل فى عمليات تجارية حرة ، ولك أن تحاسبنى  
كل عام •

وصاح فؤاد ملهوفاً :

— الله أكبر ••• تنزل السوق هكذا وأنت لا تعرف فيه شيئاً ؟

— ابن تجار وعندى الموهبة وعندى المخ ••

— وماذا أيضاً ؟

— ألا يكفى هذا •

— والتجربة ؟ !

— تأنى فى السوق ••

— أتعرف كم يمكن أن تكلفك • أقصد أن تكلفنى هذه  
الكلمة • ربما كلفتنى ثروتى كلها وفوقها مثلها عشر مرات •••

— ألا تريدنى أن أتعلم ؟

— عندى فى المحل • فى الجامعة التى تخرج فيها أجداد أجدادك  
حتى تخرجت فيها أنا •••

— ولكن الدنيا تتطور •

وتقول وهيبة :

— اذن فأنت تريد •••

ويقاطعها فؤاد :

— أنا أعرف ماذا يريد يا وهيبة وأنت تعرفينه ••

وتقول وهيبة :

— نعم أعرفه ولكنني أريده هو أن يقول ...

ويقول فكري :

— أنا لن أقول شيئا ..

ويقول فؤاد :

— ولا ملهم واحد ...

ويفزع فكري :

— ماذا ؟

— أنت تريد مبلغا من المال ، الله أعلم أين ستنفقه ، ثم تقول  
تاجرت وخسرت ... أليس كذلك ؟

— وماله ؟

— انه مالي .. انه جهدي وجهد أجدادي .. حين أموت أنا  
أنت حر في نصيبك أما وأنا على قيد الحياة لايمكن . ما رأيك ؟

— سأعمل معك يا أبي ولكن ستعرف أنني لست كما تظن ..

— أهل بك . ومكافأة لك على عملك معي خذ هذه المفاتيح  
لسيارة جديدة اشتريتها لك ليعرف أصدقائك أن أباك فرح  
بعملك معه .

— أطال الله عمرك يا أبي . ربنا يجعلك راضيا عني دائما .



سميحة مخطوبة لابن عمها وجدى عبد الراضى منذ هما طفلان ،  
وقد تخرج وجدى فى عامه هذا فى كلية التجارة وأعد أبوه له شقة  
للزواج بعد أن باع عشرة أفدنة من العشرين فدانا التى يملكها ، وتقدم  
الأخ رسميا الى أخيه يطلب يد ابنته لابنه وقبل الأب الخطوبة وهل  
بها ونادى :

— سميحة ••

وكانت سميحة قد أحست من مجيء عمها المفاجيء ما سيتأدى  
اليه الحديث • وقد كانت صلتها بابن عمها واهية فهو يسكن فى  
الاسكندرية مع أبيه الذى يعمل هناك فى وزارة الكهرباء ، وكانوا  
هم يصطافون فى رأس البر • فلم تكن ترى ابن عمها الا فى مناسبات  
قليلة وزوجة أبيها لم تكن تذكره لها مطلقا ، فهى لا تنسى أن عمها  
وزوجته جليلة لم يكونا راضيين عن زواج أبيها منها وكيف لهما أن  
يرضيا وقد كانا سريثان نصف ثروة فريد اذا هو لم يتزوج ولم ينجب  
ولدا •

فوجدى هذا كان بعيدا عن تفكير سميحة كل البعد ، وهى تعلم  
أن أمه مزحت مع أمها وهما أطفال وخطبتها له ولكن الطريقة التى روى  
أبوها بها هذه القصة كانت لا تنبىء عن أى جد •

ولكنها مع ذلك حين علمت أن وجدى تخرج لم تستطع أن تمنع  
وساوس خوف أن تداخلها • واليوم وعمها فى حجرة الاستقبال مع  
أبيها • وأبوها يناديها يتحقق خوفها •

وينادى الأب مرة أخرى •• يا سميحة •• ولكن ليس له  
مجبب •••

ويقول فريد :

— قومى يا فوزية ناديا ••

ويقول العم عبد الراضى :

— قومى يا ست فوزية الله يرضى عليك ••

وتقوم وتدخل وقبل أن تقفل الباب تقول سميحة :

— لا ••

— أى لا ؟

— لن أذهب ••

— وهل عرفت فيم ؟

— عرفت كل شئ •• المسألة لا تحتاج الى ذكاء •••

— وماذا تقول لعمك ؟

— هذا شأن أبى •• لا شأنى •



— اسمعى يا سميحة أنت تعرفين أنتى لا أحب عمك عبد الراضى،  
وهذا يا بنتى شىء طبيعى فهو لم يرحب بى فى الأسرة ولكن حتى  
أكون عادلة هو معذور • كان طامعا ولم يصبح الطمع اليوم سفالة •  
الدنيا أصبحت مطالبها كثيرة • وطبيعى أن يفكر كل انسان فى مصلحة  
نفسه •

— ومن أين كان يعلم أنه سيرث أبى ؟ ولماذا لم يفكر أن أبى  
قد يعيش بعده ؟ انه أكبر من أبى •

— مع الطمع لا منطق يا سميحة •

— ولكن يا تنت أنا لا أعرف وجدى •• أنا لم أره فى حياتى  
الا مرات قليلة تعد على الأصابع •

— ولكنه مع ذلك ابن عمك • وماذا نستطيع أن نقول الآن ؟

— لا أعرف وانما أنا أرفض ••

— لقد أحضر الشبكة معه ••

— اذن فهو يعتبر الأمر منتها ••

— عم يخطب ابنة أخيه لابنه المتخرج فى كلية التجارة • ماذا  
يمكن أن يكون المانع ؟

— وهل ابنة الأخ هذه ليست انसानة ؟

— سميحة ••• اسمعى أنا بالنسبة اليك •••

— والله يا تنت أنا أعتبرك مثل ماما وأكثر • لأن الأم تحب  
ابنتها بالفريزة ولو كانت أمى موجودة كان لايسكن تقدم لى أكثر  
مما تقدمين أنت •••

اذن فاسمعى يا بنتى أنا الآن فى مركز حرج اذا خرجت وقلت

أنك رافضة أو تريدين أن تفكرى أو أى كلمة من الكلمات التى تقال  
فى مجال الرفض هذه سيظن عبد الراضى أننى أنا التى أغريتك  
بهذا ...

— وهل تقبلين أنت يا تنت أن أضيع حياتى من أجل حرج  
مؤقت ؟

— لك حق يا بنتى • فعلا هذا ليس عدلا ... الآن لابد أن  
يحمل كل انسان مسئوليته ...

وفتحت الباب ونادت :

— يا فريد •

— نعم ؟

— تعال أريدك فى كلمة ..

وهمست سميحة :

— ربنا يطيل عمرك يا تنت • قلت أريدك ولم تقولى سميحة ..

ويدخل فريد :

— ماذا ؟

— أنا لن أتزوج وجدى ..

— ماذا هل جننت ؟ !

— هل أصبح مجنونة حين أرفض شخصا لا أريده ؟

— ولماذا لم تقولى هذا من قبل ؟ !

— وهل سألتنى ؟

— ألم أقل لك أن أمه خطبتك من المرحومة ...

- أتعتقد بهذا أنك قلت لى ؟
- وحين كنا نلتقى ألم تسمى الاشارات التى كانت أمه تقولها ؟
- هل تعنى هذه الاشارات أنك سألتنى ووافقت ؟ انها اشارات تتناثر كلما اجتمع شاب وشابة ..
- والآن ماذا أعمل ؟ وجدى هنا وأبوه وأمه ومعهم الشبكة ويريدون أن يتفقوا على تحديد يوم الخطبة •
- أترضى لى يا بابا زواجا بهذه الطريقة ؟
- يا بنتى نحن لم نرفض •
- ولكننى لم أسأل حتى أقبل أو أرفض ..
- وماذا أعمل الآن ؟
- وقالت فوزية :
- أنت طبعا لن تجبر البنت على زواج لا تريده ..
- أنا مرغم ..
- ماذا تعنى ؟
- قالت سميحة :
- اسمع يا بابا نحن فى جيل لم تعد الفتاة فيه تتزوج رغم أنها •
- وأنا معى الثانوية العامة ....
- وأدرك الأب كل شىء • وأدرك أيضا أن صوتها بدأ يعلو فقال :
- طيب ... طيب ... اسكتى ..
- وقالت فوزية :

— اتصور أنك ستزوج فتاة جامعية رغم أنها ؟

: وقال فريد وقد أدرك الموقف تماما :

— لا يمكن •

ثم نظر الى ابنته نظرة عميقة وقال :

— وحتى لو أردت لا أستطيع ••

وقالت سميحة وقد ارتجفت كل مشاعر البنوة فيها :

— بابا • أنا ليس لي غيرك • وعندى الموت خير من لحظة

غضب منك على • ولكن الموت أيضا أهون من زواج لا أريده • انها

حياة بأكملها كيف سأعيشها مع شخص لا •• لا •• لا أوافق

على الزواج منه ؟

وقالت فوزية :

— اسمع يا فريد ، اخرج أنت الآن وأنا سأمنع عنك الحرج

وستكون سعيدا ان شاء الله • فقط اعلم أن سميحة لن تتزوج

وجدى ••

— لن تتزوج الا اذا •••

— لن أقبله مطلقا اذا لم يبق من الرجال الا هو •••

— اذن لن تتزوج وجدى •••

وقالت سميحة :

— اتفقنا • اخرج أنت الآن •••

— ماذا أقول لهم ؟

— قل لهم سميحة آتية حالا •

وتصيح سميحة :

— تنت •

وتقول فوزية في حسم :

— اسكتي أنت •• اخرج يا فريد ••

ويخرج فريد وتقول فوزية :

— أنت تعرفين الآن أنك لن تتزوجي وجدى ••

— كيف أعرف ؟

— ان الأمر في يدك وحدك وقد أوضحت هذا لأبيك ولم يعد

شيئا خافيا الآن • أنت وحدك تملكين مصير نفسك •

وتبتسم سميحة وتنعم النظر في عيني زوجة أبيها :

— أنت في غاية الذكاء •••

— وأنا معجبة بك • حقك وتمسكت به ولكن يبقى شيء

هام •••

— بابا •••

— ما رأيك ؟

— موقفه صعب •••

— أترضين له هذا أمام أخيه وابن أخيه وزوجة أخيه ••

— لا ••• أنا مضطرة ••

— الى ماذا ؟

— الى الرقض ••

- هذا أمر اتفقنا عليه ••
- اذن ••
- ألم تفهمي ؟
- اتظاهر بالقبول ••
- والشبكة ليست كتب كتاب •••
- موافقة •
- البسى ••

\*\*\*



قالت له في اليوم التالي وهما سائران على شاطئ النيل في  
المعادي :

— لقد خطبت أمس ..

ووقف • ثم جلس على الحجارة ثم التفت شهيقا مروعا • ونظر  
إليها :

— ماذا ... ماذا قلت ؟

وانفجرت ضاحكة :

— أمزح في مثل هذا ؟

— أنا والله لا أمزح ..

وروت له كل شيء وأدرك أنه لابد أن يتحرك من فوره وإن  
كانت سسيحة تقول له في هدوء :

- ان الذى حدث أمس كان من المنتظر حدوثه • وربما كان وقوعه خيرا لنا وأنت لا تدري •••
- ربما ••• ولكن كيف ؟
- لقد أدرك أبى اليوم أن مصيرى بيدى وحدى وأنه لا يستطيع أن يرغمنى على زواج لا أريده •••
- هذا حق والآن جاء دورى •••
- لا تتعجل •
- أترضين لى أن تقضى أنت هذا الموقف الحر وأسوف أنا ؟
- اسمع يا مجدى أنا لست جاهلة • وأنا حين أحبيتك عرفت على حقيقتك ، وأنا لست ساذجة لأحبك أولا ثم أضعك بعد ذلك فى موضع الاختبار •
- هل تتصورين السعادة التى أشعر بها وأنا أسمع هذا الحديث ؟
- نعم أتصورها لأنى أحس بهذه السعادة وأنا أقول ما أقول •
- كنت أحسب أنك أحببتنى لأننا نشأنا معا ونشأ الحب بيننا ولیدا ثم كبر ، العاطفة وحدها هى التى تحكمه •••
- مثل هذا الحب يكون حبا مخيفا لا يعرف واحد منا عواقبه • أنا كنت أراقبك فى كل مراحل حياتك منذ بدأت أعى وتذكرت وأنا عاقلة ما كنت تصنعه ونحن أطفال و ••• و ••• وأحبيتك • وأعلم أنك صنعت معى نفس هذا الصنيع •
- أنا أحبيتك ؟
- ودرستنى كما درستك • لست أنسى ونحن أطفال يوم قذف



سيد المدبولى الكرة بقدمه فكسرت زجاج بيت جميل بك فتقدمت  
أنت الى البواب وقلت له أنك أنت الذى كسرت الزجاج وأنتك  
ستدفع ثمنه لأنك تعلم أن والد سيد المدبولى سيضربه وأنه لا يطيق  
أن يدفع ثمن الزجاج ..

— ياه أمازلت تتذكرين هذه الحكاية البسيطة ؟

— ربما كانت بسيطة لو صنعتها الآن ، أما ونحن أطفال فهمى  
ليست بسيطة •

— وأنا لا أنسى حين نزلت من قطار المعادى ولم تكونى تعرفين  
أننى فيه ولا كنت أدرى أنا أنك معى فى القطار وتقدم منك فكرى  
يريد أن يحمل كتبك ويسير معك حتى البيت فاذا انت ترفضين  
وتتركيه يمضى •

— أكنت وراءنا ؟

— تخفيت عنكما ورحت أرقبه وهو يمضى ، ورأيتك أنت  
تتمشين على الرصيف فترة ثم تأخذين وجهتك الى البيت • أدركت أنك  
قلت له أنك لن تذهبي الى البيت حتى لا تخجله ، وفى نفس الوقت  
رفضت أن تسيرى معه وحدكما •

— وأشياء كثيرة رأيتك فيها انسانا ورجلا ، لم تحاول أن  
تحقق ذاتك بشعارات وانما حققت ذاتك بالدراسة • ولك آراؤك  
الوطنية ولك ايمانك الدينى ، لم تحاول أن تتطرف أو تتظاهر بالعلم  
أو بالبطولة وتتكلم فأعلم أنك تقرأ كثيرا دون أن تدل على الناس  
أو على أصدقائك بأنك تقرأ ..

— وأنت ألا تفعلين هذا ؟

— وأعرف أنك تعرف ..

- ويصدق علينا قول الشاعر :
- فلم تك تصلح الا له ولم يك يصلح الا لها
- وشعر أيضا ؟
- بيت واحد من نفسي ..
- نعود الى البيت ..
- أمرك ...



مر يومان على هذا الحديث ، وكان مساء جلس سويلم فيه  
ونعمات يشاهدان التلفزيون ومعهما معجدي صامتا . وفجأة قال  
لأبيه :

- ما رأيك يا أبى فى وظيفة معروضة على بالسكة الحديد ؟
- وفوجئ سويلم بالخبر وقالت نعمات :
- ألف مبروك ... ألف مبروك يا باشمهندس ... أزغرد ،
- ابنى أصبح مهندسا فى السكة الحديد ..
- وأناحت الجملة لسويلم أن يفكر قليلا ثم قال :
- متى عرضت عليك ؟
- اليوم طبعا ... وهل يمكن أن أخفى عنك شيئا هاما كهذا ؟
- وأنت ما رأيك ؟
- أريد أن أعرف رأيك أولا ...
- ألم تقل أنك تريد أن تفتح ورشة ؟

الآن ... لايسكن ... أنا سأعمل بعد الظهر في ورشة  
الأسطى داود الميكانيكى بالمعادى ..

— أفت يا باشهندس تعمل بورشة مع أسطى ؟  
— الذى تعلمناه فى الكتب شىء والحياة شىء آخر . أيرضيك  
أن أتعلم الهندسة فى سيارات خلق الله ...

ولم يملك سويلم نفسه وقام الى ابنه وهو يقول له :

— قم ... قم ... قف على حيلك .

وظلت نعمات أن زوجها غاضب فصاحت :

— انتظر يا سويلم بالهداوة ... بالراحة يا سويلم ...

وأعاد سويلم الجملة :

— قم قلت لك .

ووقف مجدى ذاهلا واذا سويلم يقول له :

— ادخل فى حضن أيبك . أنا اليوم عرفت أنتى خلفت  
رجلا لا طفلا .

وزغردت نعمات دون أن تدري لماذا واستطرد سويلم :

— كنت أخاف أن تظن أنك ما دمت حصلت على شهادة الهندسة  
ستحتقر الأسطوات وتقول فى نفسك أنك مهندس وأنهم لا يعرفون  
ما تعرف . أنا الآن مطمئن اذا مت هذه اللحظة .

وتقاطعه نعمات :

— يا اخويا بعد الشر ان شاء الله العدو ... أهذا وقته .

ويضحك ثلاثتهم ويمودون الى مجلسهم ثم يقول مجدى :

- ما دام الأمر كذلك فأنا أريد أن أتزوج ••
- وتسارع نعمات وتضع يدها فوق شفتها العليا متهمة لزغردة  
أخرى فيقفز مجدى فى هذه المرة ويضع يده على فم أمه :
- فى عرضك يا ماما الذى لم يسمع الأولى قد يسمع الثانية ••
- ويقول سويلم :
- وماله ••••• خلى الدنيا كلها تسمع •
- ويجلس مجدى فى هدوء وهو يعلم أنه سيقول كلاما لن يرضى  
أبويه كل الرضا •
- فقط اسمع الحديث لآخره ••
- وماله يا نعمات انتظري بعض الشيء بزغردتك ، يبدو أن فى  
الأمور أمورا •
- قال مجدى فى هدوء :
- ما رأيك ؟
- وهل قلت شيئا ؟
- قلت أنى أريد أن أتزوج ••
- الشقة موجودة والمهر موجود والعروسة •
- وهنا قاطعه مجدى :
- ليست موجودة ••
- وصاح الأبوان كلاهما معا :
- ماذا ؟ !

واسترسل مجدى :

— أتتما لا أنا خطبتما الهام • وأنا لا أريد أن أتزوج الهام • •  
وصاح الأبوان مرة أخرى :  
— ماذا ؟

وقال مجدى فى هدوء :

— هل قلت لك يا بابا أو قلت لك يا ماما أنى أريد الهام أو أننى  
معجب بها ؟

— حسبنا أنك • • •

ويقاطع مجدى أباه •

— انك حسبت يا بابا ليس هذا ذنبى • • •

— يا بنى هذه عشرة عمر وأبوها أكثر من أخ وجدها له فضل  
على وعليك • لولاه الله وحده يعلم الى أى مصير كنت أسير • •

وتقول نعمات :

— أين أودى بوشى منك يا وهيبة ؟

ويلحق بها سويلم :

— ووهيبة هذه ابنة عمدتنا وأنا الذى زوجتها • •

ويقول مجدى :

— وهل ترى أنك ما دمت زوجت الأم لابد أن تزوج ابنتها  
أيضا ؟

— لا أقصد • • •

وتقول نعمات :

— ولماذا لم تقل هذا من زمان يا ابني ؟

— وهل سألتني أحد منكما ؟

وينظر سويلم الى نعمات، وتنظر هي اليه ويقول سويلم :

— ألم تسأليه ؟

فتقول في ذهول يحتويها :

— وأنت ألم تسأله ؟

— كنت أظن الأمر منتهيا ...

وتقول نعمات :

— أنا كنت أظن الأمر منتهيا ..

ويقول مجدى :

— ايصالح الظن في هذا ؟

ويقول الأب في جد وعيناه مفتحتان والدهشة لا تفارق وجهه :

— أظن لا ...

— فأنا لا ذنب لى اذن ..

وتقول نعمات :

— ماذا أقول لوهيبة ؟

ويقول سويلم :

— وأنا ماذا أقول لفؤاد ؟

ويقول مجدى :

— ألسـت تحبين عمتى وهيبـة يا ماما ؟

— روحى من جوه ..

وينظر مجدى الى أيبه :

— وأنت يا بابا ألا تحب عمى فؤاد ؟

— أنت تعرف ..

— أيرضيكما أن تزوجا ابنتهما لرجل لا يريد الزواج منها ؟  
اتعتبران هذا جبا أم كرها لعمتى وهيبـة ولمسى فؤاد ؟ • ماذا كنتما  
تصنعان لو أردتما الانتقام منهما أكثر من ذلك • افرضا أنتى وافقت  
من أجلكما ومن أجل الصداقة التى تربط بينكم أيرضيكما هذا  
لالهام نفسها • لو كان لكما بنت أترضيان لها هذا ؟

وساد صمت مطبق ثم قال سويلم :

— فى هذا الزمان الأب لا يستطيع أن يزوج ابنته فكيف يسكن  
أن يتدخل فى زواج ابنه • نحن نربى ونكبر ثم لا رأى لنا بعد ذلك •  
نحن لا لزوم لنا • نحن نصنع فلوسا فقط • نحن عقليات أكل عليها  
الدهر وغسل يديه • ما دام الولد أخذ الشهادة فما حاجته إلينا • تقدم  
اه المال بضع سنوات أخرى ثم يستغنى عنا وعن مالنا جميعا • والى  
الجحيم آراؤنا والى ستين جحيم صلاتنا بالناس وحسبنا الله ونعم  
الوكيل • قومى يا نعمات نروح حجرتنا ...

وتقوم نعمات وهى تقول :

— حسبى الله ونعم الوكيل .. عين وأصابتنا والأمر لله من قبل

ومن بعد .. حسبى الله ونعم الوكيل ..

١٢

كان فرح هشام دردير وحمدي الفنجري بسيارة فكرى أعظم من  
فرحته هو • ولم يدر سبب ذلك فحمدي عنده سيارة هو أيضا ••

— الليلة لابد أن نحتفل بك ••

— الليلة سنسهر للصبح ••

وصاح فكرى :

— لا ••• كونا عاقلين • السيارة جديدة لو سهرت بها من أول  
ليلة يسحبها هو في صباح هذه الليلة • الأمور لابد أن تكون  
بالعقل ••

وقال هشام :

— هو ما قلت • تذهب معنا اذن الى صديق لنا ونعرفك به ••

— صديق جديد ؟

— عرفناه وأنت مشغول بالمذاكرة ••



— من هو ؟

— ستعرفه ... اصبر ... لو تعرف ما فعلناه لأدركت أن  
أبواب السماء فتحت لك ..

— خيرا ؟

— هيا بنا ..

لم يكن بعيدا عن حياة الليل فقد طالما تعرف بينات الهوى ،  
ولكن ذلك في بيوت يعرفها أصدقاؤه . النفقة فيها يطيقها ما يناله من  
أبيه . وكان بذلك يظن أنه عرف من الحياة كل الحياة . وأن أحدا  
لا يستطيع أن يدري من شئون الدنيا أكثر مما يدري هو .

وكان بظنه هذا قانعا كل القناعة . وحين كان يسع عن الكباريات  
والأموال التي تنفق فيها كان تقديره ان هذه الحياة ما هي الا ما عرف  
ولكن بصورة علنية فالذين هناك لا ينفقون مما يجود به عليهم  
أباؤهم .

وظل على ظنه هذا حتى ذهب مع صديقيه هشام دردير وحمدى  
المنجى الى ذلك الرجل الذى قالاه عنه أنه صديقهما وهناك رأى  
فكرى عجا .

البيت فى شارع الشيخ فواز بالمهندسين والعمارة شاهقة لم  
يستطع أن يعرف عدد أدوارها الا حين قرأ رقم ١٢ فى المصعد ،  
والصديق الذى ذهب الى يسكن هذا الرقم ، فهو فى أعلى العمارة  
فيها شقتان متصلتان تطلان على ما كان سطحاً ثم أصبح جنة من جنات  
الأرض . فالأنوار فيه باهرة والأركان نوافير والجدران حلى وتماويل  
كلها أشكال تنير وتثير فى وقت معا .

وحتى يباغ السطح أو الذى كان سطحاً كان قد اخترق بعض  
غرف أحس وهو يخطو إليها من الباب الخارجى ثم وهو يخطو فيها  
أنه فى فتحة الباب قد انتقل من انسان يحيا فى القاهرة المعزية الى ممثل  
فى أروع ما أنتجته السينما الأمريكية من تجميل للبيوت •

لقد تولاه البهر والذهول منذ اللحظة الأولى ، وما فكرى بفقر  
وانما هو ابن تاجر موفور ويسكن أيضا شقتين متصلتين • ويحيا  
حياة لا تعرف الا الرغبة المجابة فى المأكـل والمشرب والملبس • ولكن  
أين هذا جميعا مما هو رائيه الآن • دنيا غير التى عرف وحياة غير  
التى يحيا • واستقبله بالباب خادم واضح أن صاحب البيت رسمه  
ليكون جزءا من هذا الابهار ووضح له أن الخادم يعرف صاحبيه فهو  
يقول فى ألفة :

#### ـ تفضلا البك فى الروف ••

ويخطو فكرى معهما ذاهلا واعيا شاردا منتبها لا يفكر فى شئ  
الا سؤال ظل يتردد فى ذهنه ويدق مشاعره : ما هذا •• ؟ أين  
أنا •• ؟ أين أنا •• ؟ وكان ذهوله قد بلغ منتهاه • حين خطا  
خطوته الأولى الى السطح وأدرك صاحباه ما ألم به فهما أيضا مرا بما  
يمر به اليوم حين صحبهما الى هذا الحلم المحقق زهران قدرى زبون  
رفعت الفنجرى والد حمدى الى صديقه صاحب هذا البيت •

لقف كل من الصديقين ذراعا لفكرى وقاداه ذاهلا واعيا وأوقفاه  
وجاء الى أذنيه صوت كان عنه تأثها وخيل اليه أنه صوت حمدى :

ـ أهلا علوان بك • هذا صديقنا فكرى بن فؤاد محمد  
صاحب المحلات المشهورة بالحماوى •

ورأى فكرى نفسه واقفا أمام شخص قصير القامة أصلع الشعر  
أو هكذا خيل لفكرى على الأقل • وصاح حمدى :

— مالك التهيئة هذه اللهوه الكبرى • أفق وسلم على علوان بك  
سلطان • لا مؤاخذه يا علوان بك أنت طبعاً تعرف حالة الواحد منا حين  
يأتى الى هنا لأول مرة •

وقال علوان :

—مرحبا ... مرحبا فكرى باشا • كلمنى عنك حمدى وهشام  
كثيرا ..

— مرحبا سعادة البك •

— اسمع أنا أعرف أنك لن تستريح حتى ترى البيت كله •  
خذه يا حمدى وفرجه على البيت •

ورأى وازداد ذهولا .. كل غرفة مصنوعة خصيصا لتجمل  
الداخل اليها يكاد يغيب عن الوعي •

وحين عاد الى مجلس علوان كان الاعجاب الحائر واضحا عليه،  
وأراد علوان أن يجتذبه من دواره :

— مبروك الثانوية العامة ..

واتبه فكرى الى الواقع ودار فى الجالسين ... ثلاثة رجال  
وامرأتان رائعتا الجمال ثم سارع يقول :

— الله يبارك فيك يا سعادة البك ..

وقال حمدى :

— والأهم من ذلك يا علوان بك أن فكرى أصبح الآن مساعدا  
لأبيه فى المحل وقرر أن ينزل الى الحياة العامة ..

— هكذا ... هذا هو الكلام ... أليست الشهادة وسيلة  
للغنى فما دام عندنا الغنى والحمد لله فما لزوم الشهادة ؟

وقال هشام :

— ونحن اليوم نحتفل بركوب أول سيارة يملكها فكرى •  
وصاح علوان فى تظاهر بالفرح :

— أهكذا ... ألف مبروك ... وما ماركتها ؟

وصمت فكرى وقال هشام :

— اشتراها صغيرة حتى يربها على يديه ..

وضحك جميع الجالسين وقالت احدى الفتيات :

— تتربى فى عزك ان شاء الله ..

وقال علوان فى جد :

— لا ، ستتربى فى عزى أنا ان شاء الله • أنا أحب الشباب  
الجرىء الذى لا يبحث عن المظاهر والشهادات فكرى ابنى منذ  
اليوم •

ودهش فكرى ان يصبح ابنا هكذا فى لحظة من زمن ولم  
يملك الا أن يقول :

— ألف شكر ..

ويقول علوان :

— اسمع يا فكرى أنا لى زملاء وصلوا الى وزراء وأعلم  
أنهم لولا الخجل لجاءوا الى ليستلفوا منى • أنا أخذت الابتدائية  
وبدأت العمل الحر • لو كنت أخذت الدكتوراه كان مرتبى الآن أقل  
من نصف مرتب متولى الخادم الذى قدم بكم الى هنا • هذا واحد  
من خمسة يعملون عندى هو أقلهم مرتبا لأنه آخر واحد عينته عندى •

ستصبح مثلى يا فكرى وسترى ..  
وازدادت حيرة فكرى .. كيف .. كيف ؟ .. وقال علوان :  
- أنت الليلة ضيفى الى الصبح ..  
وارتج على فكرى وقال هشام :  
- يا أخى كلم والدتك وقل لها أنك ستسهر معنا الليلة ..  
وقال فكرى :  
- أرنى التليفون يا حمدي ..  
وضحك الجميع وصاحت الفتاة الثانية :  
- يا بنى هنا تليفون على كل كرسى • الكرسى الذى تجلس عليه  
الآن بجانبه تليفون •  
وقال جالس آخر :  
- هنا خمس نمر بخمسة عشر خطا ..  
قال علوان :  
- يا جماعة على مهلكم • الرجل أول مرة يأتى الى هنا ، والغنى  
لا يعرفك يجهلك • ثم هو لم يغلط .. انه يريد أن يكلم والدته  
أتريدونه أن يكلمها أمامكم • قم يا حمدي خذ صاحبك الى حجرة  
المكتب ..  
وفى الطريق الى المكتب قال فكرى :  
- يا بنى أنا كنت أسهر وأقول لها أنتى أذاكر • • الآن ماذا  
أقول لها ؟  
وصاح فيه حمدي :

— يا رجل أفق الى نفسك ، أنت اليوم أصبحت حرا تسهر  
كما تريد وتعود حين تريد • ألا تعرف الآن قدر نفسك ؟

وضحك فكرى وهو يقول :

— معقول معقول فقط ليس من أول ليلة هكذا ••

— بل يجب أن يعرفوا حدودهم من أول ليلة ••

— من هؤلاء ؟

— أبوك وأمك ••

— أترى هذا ••• سنرى ••

وطلب فكرى التليفون وقال :

— ماما أصحابي يريدون ان يحتفلوا بالسيارة الجديدة وسنسهر  
الليلة معا •• لا لن تتأخر كثيرا ••• نعم ناموا أنتم ••• معى المفتاح  
نعم ••• لا لم أنسه مع السلامة ••

وبدأت الليلة •

أما الويسكى فيعرفه فكرى وما هو بجديد عليه • وأما المخدر  
فقد جربه ولكنه لم يستجب له • وأما الفتيات اللواتي يشربن ويسمرن  
فهو أيضا يعرفهن • كانت الفتاتان قد أصبحتا ثلاثا فقد قدمت الى  
البيت فتاة فى عشرينات عمرها فتن بها فكرى منذ لحظة قدومها •  
وقد أعجب فيها بمظهر برىء • كانت نباتا أخضر جديدا على مثل هذه  
الحياة • بيضاء الوجه سوداء العينين متوسطة القامة فى طولها تميل  
الى النحافة ، كثيرة المرح وإتكنه مرح ساذج لم يتمرس بعد ، وأحست  
آلفت باعجاب فكرى فراحت تلقى شعرها عليه وهى ترقص وتكثر من  
الوقوف أمامه ، ويصخب الجميع مدركين اللقاء المتبادل الذى تم على  
مشهد منهم • وصاحت سعيدة أقدمهم فى العلم :

— الكوتاك جديد عند الاثنين • هزى وسطك يا ألفت • سيارته  
جديدة بشوكها •

ولم يلحظ نكري علوان وهو يغز لحصى الذى تبعه الى حجره  
المكتب •

— هذا الولد سينفعنا •

— ألم أقل لك ؟

— وسيارته الجديدة هذه مهمة جدا •

— أعلم •

— لا تظن أننى أختاركم وأنا لا أعرف ماذا أفعل • أمثالكم  
بعيدون عن كل شبهة •

— أنا سأتركه بعض الوقت ولا تذكر أنت أو هشام له شيئا •  
أنا لى طريقي الخاصة •

— لا يمكن أن نعمل شيئا قبل أن تقول ••

— أنا أريده الليلة فى الكباريه ••

— يذهب ••

— وأريد ألفت تذهب معه الى شقة جاردن سیتی ••

— قل لها ••

— لا شأن لك بها ولكن هيئه أنت لهذا وخذ • اجعله يعطيها  
هذه المائة جنيه وأنا لى معها شأن • قل له أن الفلوس منك أنت ••

— أمرك ••

وعادا الى مكانيهما وبعد دقائق قال علوان :

– والآن الى العمل ،

وصاح فكرى :

– عمل ... أى عمل ؟

– أظن أن ألفت وسعدية وسميرة يكسبن عيشهن من انبساط.  
سعادتك ..

– اذن !!

– هن ذاهبات الى الكباريه. ونحن سنذهب معهن ، الساعة الآن  
فانت العاشرة ... هيا بنا ..

وشهد فكرى الكباريه ورأى رأى العين كيف تصبح الجنيات  
من فئة المائة والعشرين والعشرة عقودا فى محور الراقصات • ورأى  
آلاف الجنيات تلقى على الموائد وكأنها قروش •

وكان من المقرر أن ترقص ألفت أول الراقصات ، وحين بدأت  
الرقص لم يلتفت حول سحرها سوى عقدين أحدهما من ذوى العشرة  
والآخر من ذوى العشرين • جديدة •

ومال حمدي على أذن فكرى :

– البنت تموت فيك •

– حلوة كالقمر •

– ما رأيك نخرج معها الآن ؟

– هل أنت جاد ؟

– اتفقت معها فعلا ..

– ولكن أنا ... أنا ..



- خذ هذه مائة جنيه أعطيها لها ..
- يا نهارك أسود ..
- ماذا جرى لك ؟
- من أين ؟
- الأعمال الحرة تجعل المائة جنيه هذه عشرة قروش ..
- ومن أين أردتها لك ؟
- قسطها لا شأن لك ..
- وأين سذهب ؟
- أيضا لا شأن لك هي تعرف ..
- وإن طلبت أكثر ... أنا ليس معي الا عشرة جنيهات ..
- خذ عشرين لتكون مطمئنا ..
- أقوم ..
- اركب سيارتك وقف بها أمام الباب. وستجدها بعد خمس دقائق بجانبك ..



شقة جميلة نظيفة ، كل شيء معد لتمضية سهرة وللإقامة أيضا ،  
عرف فكرى أنها من شقق علوان ، وفهم أن حمدي هو الذى صنع له  
هذا المعروف ..



- خذى ..

— ما هذا ؟

— ألا تعرفين ؟

— أعرف طبعاً ..

— إذا لماذا تسألين ؟

— لأننى لن آخذ منك شيئاً ..

— ماذا ؟

— أليس من حقنا أن نعجب ببعض الناس ونحبهم ؟

— من حقك طبعاً • ولكن يبدو أنك تحتقرين المبلغ الذى أقدمه لك بعد أن أخذت العقدين من المعجيين فى الصلاة ..

وانفجرت ألقت تضحكك فى قهقهة عالية بعيدة عن التظاهر ،  
ثم ما لبثت أن أوقفت ضحككتها وقالت فجأة :

— أهذه أول مرة تذهب الى كباريه ؟

— لاحظى اننى قبل اليوم كنت تلميذاً ..

— آه ... معقول • اسمع أولاً أنا لا أعرف المبلغ الذى  
تمرضه على حتى احتقره أو أحترمه • وثانياً كيف تصورت أن هذه  
العقود كلها لنا ..

— ماذا ؟ !

— أنا لو أخذنا منها عشرها تكون نعمة • انها تقسم على جميع  
العاملين فى الصلاة ... وحين تكون الراقصة جديدة مثلى يكون  
نصيبتها عدماً أو قريباً من العدم ...

— اذن لماذا ترفضين ؟

— أحببتك ..

— ثانية ..

— وأنت أيضا أحببتني ..

— الحقيقة أنا ... أنا معجب بك جدا ..

— وستحبني ..

— يتنها لي ... لن أسألك ماذا رماك الى هذا العمل .

— يا جيبى هذا السؤال كان يصلح أيام زمان . الآن لا أحد يسأل هذا السؤال . اللواتى لا يقن بهذا العمل علانية يقن به سرا في بيوتهن ، ولهذا لم يصبح اسمه المقدر أو النصيب كما كان يسمى في أفلام الماضى . وانما أصبح عملا محترما مثل كل الأعمال . ودخله أصبح أعظم من أى دخل ، ويوم أريد ازواج ألف يتمنون تراب رجلى . منهم تسعمائة وتسعون يستفيدون من خبرتى ويجمعون المال من ورائى ، والعشرة الباقون ليجعلوا منى أم عيالهم .

وفوجيء فكرى بالاجابة . وصمت طويلا ثم قال :

— ألفت .

— نعم ..

— أنا أحببتك ..

— اذن أدخل هذه القلوس فى جيبك ..

— ولكنى أحب أن أقدم لك شيئا ..

— قدم لي هدايا عندما تريد ..

— قد تكلف أكثر . .

— هدية بعشر جنيهات منك تساوي عندي الكثير . اننا من سن  
واحدة ندخل الحياة من باب واحد ويبدو أن الصلة بيننا ستطول . .

— ومن يدري ربما تدوم . .

— يارب .

— كل شيء بأمره . .

١٣

قالت الهام لأبويها فجأة :

— ألم تلاحظ يا بابا وأنت يا نينا اننا مقصرون جدا مع عمى  
سويلم ومجدى .

ونظرا اليها ثم تبادلنا النظرات ، وفهمت الهام تماما ما تحويه  
نظراتهما ، وربما أحست أن كلا منهما يقول في نفسه ما كل هذه  
الجرأة من الفتاة ، ولكنها أكملت حديثها متظاهرة أنها لم تفهم شيئا  
على الاطلاق ...

— أليس عمى سويلم هذا ابن بلدك يا ماما وهو الذى زوجك  
من بابا وأنت يا بابا أليس أقرب اليك من أخ . كيف ينجح مجدى فى  
بكالوريوس الهندسة ولا تدعوان العائلة الى عشاء على الأقل ؟

وتبادل الأبوان النظرات مرة أخرى واضطر فؤاد أن يقول :

— والله يا بنتى لك حق .. ولكن ..

وقالت وهيبة :

— ولكن ماذا يا فؤاد ؟ كان يجب أن تفعل هذا فعلا ..

وقالت الهام :

— بل اننى حتى أراكما نأخرتما • ان المناسبة الآن ستكون مناسبة

وصاح الأبوان فى دهشة حاولا ألا تبين :

— ماذا ؟ !

— طبعا ..

— وكيف ؟

— ألم يعين مهندسا فى السكة الحديد • أليست هذه مناسبة أيضا ؟

— واسترد الأبوان هدوءهما وقالت وهيبة :

— والله لك حق ..

— وماذا تنتظرين ؟

— ما رأيك يا فؤاد ؟

— ادعهم على العشاء •

— متى ؟

— متى شئت ..

— اليوم الاثنين • • • أوافقك الخميس ؟

— يوافقنى طبعا ..

وقامت وهية الى التليفون وأرادت أن تتكلم فقال فؤاد :

— انتظري يا وهية ..

— ماذا ؟

— أنا سأقابل سويلم اليوم وسأسأله ان كان يوم الخميس  
يوافقه وبعد ذلك كلمي أنت نعمات ..

وقالت الهام :

— يا سلام ... وفيم كل هذا وكأنك تدعو شخصا لأول  
مرة . انهم في كثير من الأيام يأتون بلا عزومة .. على كل حال أنا  
قلت رأيي وأتتما حران ..

وقامت الى حجرتها ، وقال فؤاد :

— ما هذا الذي تقوله ابتك ؟

— ربنا يا أخى زهقت وتريد أن تعرف رأسها من رجليها .

— أيعنى هذا أن نقول لهم تعالوا اخطبوا بنتنا .

— والله أنا الأخرى زهقت ..

— ومن أجل هذا جريت الى التليفون .. ؟

— اذا كانت البنت تكلمت ألا تتحرك نحن ؟

— فكرى قليلا فى الأمر ..

— والله لو كانوا أغرابا علينا لكان كلامك هذا معقولا ، ولكن  
سويلم ونعمات أخوات .

— مهما يكن الأمر اذا كان هما لم يتكلمنا ...

— والله لك حق ، ما الذى جعلهما لا يتكلمان ...

- كل بيت له أسرارہ ..
- الا بيت سويلم • فليس فيه أسرار علينا أبدا ..
- لكل بيت أسرارہ •
- على كل حال نحن وعدنا الهام أن تتكلم وندعوها ..
- ألا تفكر قليلا ؟
- اسمع ..
- ماذا ؟
- ما رأيك لو جعلناها مكالمة عادية ؟
- ما معنى عادية أنا أكلم سويلم يوميا وأنت تكلمين نعمات يوميا • ما عادية هذه ؟
- أقصد دعوة عادية ..
- كيف ؟
- سترى ..
- قامت الى التليفون ولكن فؤاد يقول لها :
- يا شيخخة انتظري ... انتظري حتى تتفاهم ..
- تتفاهم في ماذا ... أى عجيبة أن ندعو سويلم ونعمات ومجدي على العشاء • انتظر سترى ..
- وطلبت الرقم ..
- آلو ... نعمات ... كيف أنت اسمعى • فؤاد وأنا قلنا مرة واحدة كذا في نفس واحد ، لكم زمان لم تتعشوا معنا • هل عندكم حاجة يوم الخميس .. تعشى معا ، وقولي لمجدي إذا لم يكن



- مرتبطا يأتى يتعشى معنا أم ترى نفسه كبرت بعد أن أصبح مهندسا •
- مجدى ابنى أكثر منك • أنا أمه وأستاذته • سويلم بجانبك •
- أسأليه • عال ... نحن فى انتظاركم ..

وأقفلت التليفون وهى تقول لفؤاد :

— هيه ما رأيك ؟

— لا بأس ... والسلام ..

\*\*\*

قال سويلم :

— ماذا سنقول لهم ؟

— وهل أعلم ..

— الجباعة يستعجلون الخطبة ..

— لهم حق ... الولد أخذ الشهادة وعين أيضا ماذا ننتظر ؟

— وماذا قالت لك عن مجدى ؟

— بعيد عنك كلام جعلنى فى نصف هدومى • ابنى وأنا أمه

وأستاذته وكلام يجعل المقيمة تقف فى الزور ..

— نعتذر ..

— أمرك ..

— وافرضى اعتذرنا هذه المرة ماذا سنفعل المرة القادمة ؟

— والله لا أعلم ..

— اسمعى نحن نذهب ونقول لمجدى يأتى معنا وكان الأمور

طبيعية وبعد ذلك أكلهم مجدى مرة أخرى وربنا يعمل ما فيه الخير ..

— أترك ..

\*\*\*

كانت الهام تعلم أن سويلم وزوجته ينمان في القيلولة ومجدى لا ينام . طلبت في القيلولة من حجرتها متحيرة ألا يسمعها أبواها ..

— مجدى ؟

— نعم .. من الهام ... أهلا الهام ...

— اسمع يا مجدى أستم مدعوون عندنا يوم الخميس ...

— نعم أعرف ..

— أريدك أن تأتى ..

— هل هناك شيء ؟

— أنا أريدك أنت بالذات أن تأتى . أرجوك من أجل خاطرى لا تعتذر ..

— أنا كنت آتيا على كل حال ...

— أعرف وانما أردت أن أؤكد . أرجوك لا تعتذر لاي سبب ..

— يا سلام يا الهام أنت تعرفين مكاتك عندى ولا أستطيع أن أتأخر عنك مطلقا ..

— أعرف هذا . شكرا يا مجدى هذا ما كنت أنتظر فعلا ...

\*\*\*

جلس الجميع في انتظار العشاء وكانت تعده لهم الحاجة رشيدة التى لا يغيب عنها خبر في بيوت المنطقة كلها . فمطبخها منتدى الخدم الذين يجاورون العمارة جميعا . وفي هذا المطبخ عرفت قصة

سبيجة كاملة بكل تفاصيلها • والحاجة رشيدة هي التي ربت الهام  
منذ هي رضيع فهي لا تخفى عنها شيئا ..

كانت الأسرتان اذا اجتمعتا لا يجد الكلام فرصة يهدأ فيها •  
فالأخبار تتوالى بينهم والتعليقات لا تكف عن كل شخص وعن كل  
موضوع •

أما في هذه المرة فالكلام يتعثر قبل أن يخرج والصمت يجده  
لنفسه مكانا متسعا وبعد كل فترة يصبح سويلم وكأنه صاحب بيت :

— يا أمه رشيدة متنا من الجوع يا أمه رشيدة ..

وفؤاد يتصايح معه في مزاح لا يجرؤ أن يكون طبعيا ، وتختلس  
الهام وهي مدركة للسوقف كل الادراك نظرة الى مجدى فتجده  
متحرجا غاية في الحرج ، فعلى وجهه وجمة تتشح لتكون تظاهرا  
بالسرور ، وعلى فمه ابتسامة يحاول أن يثبتها على شفثيه فتنفلت منه  
تريد أن تغوص في أعماقه مرة أخرى • ونعمات في سذاجتها الطيبة  
حائرة لا تعرف كيف تتصنع أى شىء ومن ينعم النظر اليها يجدها  
مستسلمة في خضوع لما يجرى حولها لا تملك حولا ولا قوة •  
أما وهية فداخلة خارجة من حجرة الاستقبال توهم الجميع أنها تساعد  
رشيدة في اعداد العشاء وهي في الواقع لا تصنع شيئا الا المشى بلا غاية  
تحاول أن تجعله يبدو كأنه اهتمام بمن عندها من أعزاء فتفشل  
محاولتها فشلا ذريعا ...

ويأتى العشاء أخيرا وينناولونه ازدرادا بلا حديث الا تعليقات  
متناثرة تؤكد الجور الحرج الذى يخيم على الجلسة كلها وعلى من فيها  
جسيما •

ويعودون الى الصالون وفي اهتمام شديد تقول الهام :

— قهوة عمى سويلم يا دادة رشيدة وشاى مجدى وقهوة  
بابا ...

ويقول فؤاد فى محاولة تطرف :

— حسبك نسيت بابا ..

وتقول الهام فى تلحين مازح :

— أنا أنسى الكل ... أنسى الكل عشانك ...

ويضحكون .

وتصيح الهام :

— أخيرا ..

وتقول وهيبة :

— أخيرا ماذا ؟

وتقول الهام :

— أخيرا ضحكتم ..

فتعيد هذه الملاحظة الوجة الى وجوههم جميعا ... وجسة  
ذاهلة فقد تبين كل منهم أن تصنعه كان مكشوبا ..

وتقول الهام :

— أنا منتظرة هذه الضحكة من الصبح لأتكلم ..

ويقول فؤاد :

— تتكلمين ؟

— وأتم جميعا ولا مؤاخذة تصمتون . أولا يا عمى سويلم أنا

التي عملت هذه العزومة لأن المسألة بينكم أصبحت مضحكة محزنة  
بشكل لا يمكن السكوت عليه .

وتصيح وهية :

ـ بنت \*\*\*

وتقول الهام :

ـ أرجوك يا ماما هذا الوضع لابد أن ينتهى الآن وفورا ، ولن  
أتكلم كثيرا حتى لا أعذبكم أكثر من عذابكم . أى عفريت وسواس  
خناس جعلك أنت يا عمى سويلم وأنت يا خالتي نعمات وأنت يا بابا  
وأنت يا ماما تظنون أن مجدى يريد أن يتزوجنى أو أننى أريد أن  
أتزوج مجدى ..

وتصيح وهية :

ـ الهام ..

ونمضى الهام فى حديثها كأنما لم تسمع شيئا :

ـ هل خلفتم أخشا با أم آدميين . أليس من حقنا ونحن من بنى  
الانسان الذى حمّله ربه أمانة الاختيار أن يختار مجدى عروسه  
وأختار أنا زوجى . من قال لكم أن اتفاقكم الهامس يسرى علينا  
ويجعل مجدى يختارنى ويجعلنى أنا أختار مجدى . مسكين  
يا مجدى ومسكينة يا أنا ، ظللنا عمرنا كله تتحمل اشاراتكم الخفية  
والابتسامة ترتسم على وجوهكم اذا سألت مجدى عن امتحانه  
أو قدمت له برتقالة على طعام أو طلبت له فنجان شاي وكنت أنا وهو  
نلاحظ هذا وتلتقى منا العيون رغم أنفينا ونصت فى ألم وتتحمل فى  
صبر . وهو يعلم وأنا أعلم سخافة هذا الذى تصنعونه . والخرج  
عنده أشد ألف مرة مسكين . فهو رجل ولولا أنه يعرف مشاعرى  
لكان لا يدرى ماذا بفعل . فهو رجل عظيم وانسان حساس وكل

المزاياء فيه . ولكننى أنا لم اختره وهو لم يخترنى . ربما كان يختارنى أو اختاره لو لم يشعر كل منا أنه مفروض على صاحبه . أتم باتفاقكم السرى وإشارتكم التى كنتم تظنونها فى غاية الذكاء وهى لم تكن كذلك . . . . . أتم الذين باعدتم بيننا . ثم كيف يخطب هو أو أقبل أنا أن نتزوج ونحن نحس عمرنا كله أننا أخوة . بيتنا بيتنا أطلب فيه ما أشاء من أكل وشرب وهو أيضا يشعر أن بيتنا بيتنا . ليست الأخوة صلة رحم فقط وإنما كثيرا ما تكون أقوى بطبيعة الصلة بين الناس بعضهم وبعض مثل الأخوة التى بينكم أتم الأربعة . كيف تتصورون أن يتعلم مجدى فى الجامعة وأنعلم أنا فى الجامعة ثم تتحسبون أتم فينا . النهاية أنا ومجدى متفقان اتفاقا له الآن سنوات بعيدة لا أذكر منذ متى ودون أن تتكلم أننا لن نتزوج فإذا كان عندكم وسيلة لتزويجنا غصبا عنا فالأمر لكم . .

وساد الصمت ولم ينبس أحد بكلمة وقالت نعمات فى رعونة وفى محاولة انقاذ :

— مجدى قل شيئا . .

وفى رجولة وثبات قال مجدى :

— لقد قالت الهام كل شيء وإن كان هناك ما أقوله فهو فعل لا قول .

وقام مجدى وأمسك بيد الهام وصافحها قائلا :

— أنت أشجع منى . وأنا أعرف أخلاقك العظيمة كل المعرفة وإنما لم أكن أتصور أنك رائعة الى هذه الدرجة أنا أحبيك . .

وقال سويلم :

— ولكن يا بنى . .

وقال فتواد وقد أحس أن الصلة بينه وبين سويلم عادت الى طبيعتها :

— ولا كلمة يا سويلم • أليال علمونا درسا كان يجب علينا نحن أن نعلمه لهم • ولكن يا أخى لابد أن نعترف أن العلم شيء عظيم والثقافة قيمة كبرى • وأنا وأنت لم تتخرج في الجامعة • فأنا يعلمنا اولادنا أكرم لنا ألف مرة أن يعلمنا الأغراب • •

ويضحك الجبيع ويقول مجدى لأمه :

— الآن يا نينا تستطيعين أن تزغردى ••

— تدهش نعمات •

— أزغرد •• أزغرد على أى خيبة ••

ويقول مجدى :

— زغردى أنكم أخوات كما كنتم دائما وأن أصغر عضو في الأسرتين حلت المشكلة بكل عقل وبكل شرف ، وحياتى عندك يا ماما زغردى ••

— وتزغرد نعمات ثم تقول :

— الأمر لله •

وتعود الأسرتان الى مألوف عاداتهما من الضحك والتعليقات ، ويهض الجبيع أن السحابة أمطرت ماءها ولم تصب أحدا بالبلل •

١٤

قال علوان سلطان :

— حمدي ما أخبار فكري وألفت ..  
— يلتقيان كل ليلة ..  
— أتظنني لا أعرف هذا أما أنك عييط ، انسا يلتقيان في شقتي  
يا أستاذ ..

— لا مؤاخذه ... اذن فأت تسأل عن ... عن ..  
— عن مدى تعلقه بها ..  
— أظنه متعلقا بها كل التعلق ..  
— أنا أريده يجن بها ..  
— لقد قارب على هذا ..  
— اذن اسمع ..  
— تحت أمرك ..

\*\*\*



قال حمدي لفكري :

- ألم يأت الأوان أن تقدم هدية لألفت ؟
- نعم لكن من أين • أنت تعرف، البئر وغطاء •
- البئر الذي تتكلم عنه لا ينفعنا •
- لقد ذكرتني ... من أين لك كل هذه الأموال • بالأمس
- ألبيت سعديّة عقدا بألف جنيه • وأنا أعلم أيضا أن أباك يعطيك
- مائتي جنيه كمرتب ••
- مرتب أبي هذا يصلح لليلة واحدة ناشفة •
- فمن أين ؟
- أنا أشتغل ••
- فيم ؟
- لا شأن لك •
- لا شأن لي أنا يا حمدي ••
- ألم يقل لك هشام شيئا •
- لا •
- انه يساعدني •
- منذ متى ؟
- من زمان حتى وهو في المدرسة •
- أيساعدك في الفراغ عند أبيك يا ابن المنجد ••
- قبل أن تقل أدبك اسأل •

- أنت لا تريد أن تجيب •
- الليلة نلتقى عند علوان بك ••
- وهو كذلك •
- قل لى ••• هل كلمك أبوك أو كلمتك أمك عن السهر ••

\*\*\*

قالت وهية :

- أمعقول هذا يا فؤاد ••• الولد سهران كل ليلة لوش
- الصبح •
- ويضحك فؤاد :
- أى ولد ؟
- عجيبة ••
- حسبك تقصدين فكرى ••
- يا رجل أتستعبط • طبعاً أقصد فكرى • وهل عندنا ولد
- غيره ••
- اذن فأنت العبيطة •
- أنا ؟

- فكرى لم يصبح ولدا • فكرى زملاؤه تخرجوا فى الجامعة
- وهو الآن يعمل تاجرا • وفكرى ليس متزوجا ولا هو مرتبط بمذاكرة
- فان لم يسهر فماذا يصنع ؟ هذا هو الطبيعى ••
- الطبيعى ••• هذا هو الطبيعى ••• لقد ظللت بعد زواجك
- الأول الى سن الأربعين أعزب فى بيت أهلك أكنت تسهر كل ليلة ؟

— لو لم تكونى خريجة جامعة لما دهشت لما تقولين ...  
الزمن غير الزمن • أنا ظلمت الى أن مات أبى لا أجرؤ على التدخين  
أمامه ، وكنت رجلا وتجاوزت الأربعين وعندى المحروس فكرى •  
الآن الآباء يصبون الويسكى لأولادهم •

— ولكننى أخاف عليه ..

— أتخافين على رجل مكتمل ..

— أتصدق أنتى لا أستغرق فى النوم الا اذا جاء هو ؟

— أصدق لأننى مثلك ولكن ماذا تفعل ؟

— نقول له ..

— واذا تبجح فى الكلام وقال أنا رجل وأنا حر ؟

— ألا يأخذ مصروفه منك ؟

— طظ • انه يستطيع من بكره أن يعمل مع حمى الفنجري  
ولا يحتاج الى ولا الى مصروفى • اسمعى يا وهيبة • التجارة علمتى  
أن العملية التى لا أقدر عليها أظهار بأننى لا أعرف عنها شيئا •

— تقصد ..

— أقصد أن تنظر أننا نظن أنه يأتى الى البيت بعد نومنا  
مباشرة •

— أ يصلح هذا ؟

— أولا يصلح وهل نملك شيئا آخر ؟

وتطرق وهيبة فى أسى وهى تقول :

— لا ... فعلا لا نملك شيئا آخر ..

\*\*\*

قال علوان :

— أهلا فكرى باشا ..

— اذا قلت لى أنت يا باشا فماذا أقول لك ؟ يا سمو الأمير !

ويضحك علوان ملء فمه ويقول :

— أنا أريدك باشا فعلا ..

— أنا طوع أمرك ..

— أنت تذهب كل ليلة الى الكباريه ..

— نعم ..

— لا تعجبني جلستك هناك ..

— لماذا يا سعادة البك هل عملت شيئا ..

— الذى لا يعجبني أنك لا تعمل شيئا ..

— مثل ماذا ؟

— عقد ورق لهذه الراقصة .. هدية لهذه المغنية .. تحية لهذا ..

كأس ويسكى لآخر ..

— ولكن يا سعادة ... ولكن ..

— أعلم .. اسمع .. أنت وحمدى ستذهبان غدا فى عملية من

أجلى ستم وتعال قابلنى بعدها ..

— أمرك ..

— واسمع ..

— نعم ..

— خذ هذا أبقه معك •

— ما هذا يا سعادة ... ؟

— مفتاح الشقة التي تذهب اليها كل ليلة دون رحمة أو شفقة  
لدرجة أن الشقة كادت تقدم لى استقالة فهي ليست متعودة على العمل  
يومية • أبق المفتاح معك • فقط اسمع ••

— نعم ••

— يكون معك دائما لأنك لا تأمن أن أطلبه منك على غير  
انتظار ••

— أمرك يا سعادة البك وألف شكر ... أطل الله عرك •  
— مع السلامة •

\*\*\*

في السيارة قال فكرى :

— علوان بك بحاله يحتاج الى سيارتى المسكينة هذه ••

— كل الحاجة ••

— أنا أعتقد أن عنده بدلا من السيارة عشر سيارات •

— وعشرين اذا أراد ••

— اذن فما حاجته الى ...

— سيارة لا يعرفها أحد ••

— ماذا ؟

— ألم تسمع ؟

— سمعت ولكن مازلت مندهشنا ••

— سيارتك باسم شخص ابن تاجر كبير واسمه لا يمكن أن.  
يتطرق اليه شك ..

— شك فيم ... الى أين سندهب ؟

— ألم تفهم ؟

— الآن أكاد أفهم ..

— اذن ..

— مصيبة ...

— وأى مصيبة فى هذا ؟

— جناية .. أشغال شاقة مؤبدة ..

— كلام فارغ ..

— استعملتها كثيرا وعلوان بك يريد لها أن تختفى بعض  
الوقت ..

— ألا تخاف يا حمدى ؟

— اذا خفت أحرم من هذه الحياة التى أعيشها والتى لم  
يصل اليها أبى أو أبوك الا بعد أن شاخ كل منهما وأصبح لا يعرف  
كيف يعيش ..

— ولكن أبى وأباك يعيشان فى أمان ..

— الدنيا مغامرة والفلوس اذا لم تأت اليك وأنت فى عز الشباب  
فلا داعى لها ..

وسكت فكري لحظات ثم قال :

— عندك حق ..

- أتدرى كم آخذ في العملية الواحدة ؟
- كم ؟
- خمسة آلاف جنيه ..
- يا نهار أسود •
- وأنا ؟
- ستأخذ مثلى وربما تأخذ أكثر في أول عملية ..
- لم أمسك مثل هذا المبلغ في حياتى ..
- ستمسكه وترميه أيضا •
- قل لى أين هشام ؟
- لا أدرى • له أيام لم يكلمنى وكلما سألت عنه قال أبود أنه مسافر ..
- عجيبة • أنا أيضا لم أره منذ بضعة أيام ..

١٥

حين عين مجدى بالسكة الحديد كان طبيعيا وقد عرفوا أنه يسكن المعادى أن يعمل مهندسا بخط حلوان ، وكان طبيعيا أن يلتقى بالأستاذ درديرى اسماعيل المسئول الادارى عن قطع الغيار التى لا يستطيع مهندس أن يعمل بدونها • وكان طبيعيا أيضا أن يتحدثا معا عن الأصدقاء المشتركين لكليهما • وعرف الأستاذ درديرى أن مجدى يعرف ابنه وأنهما كانا فى مدرسة واحدة • وأحس مجدى الفجيرة التى يشعر بها الأستاذ درديرى أن ابنه يتعثر فى المدارس ، وأنه حين نال الثانوية العامة نالها بلا مجموع وأنه اما أن يعيد السنة أو يبحث عن معهد • ويقول درديرى :

— بعيد عنك يا باشمهندس التأم مع اثنين صائعين لا يتركهما ولا يتركاه •

ويقول مجدى :

— تقصد فكرى فؤاد وحمدى الفنجري •

— قطعاً •



— ولكن هذين لهما أبوان يستطيعان أن يجعلاهما يعملان  
بالأعمال الحرة •

— ولهذا جاءني منذ كم يوم يقول لى أنه سيعمل مع الولد  
الفنجرى فانفجرت فيه يا باشمهندس وأقسمت بالطلاق أننى ان سمعت  
اسم واحد منهما فى البيت سأطرده وأجعله يضيع فى الشوارع ••

وقال مجدى :

— ألم تتعجل بعض الشيء يا عم درديرى ؟

— مطلقا ••

— ألا تخشى أن يعمل مع الفنجرى ويترك البيت فعلا ؟

— يا نهار أسود ••• فعلا ••• الولد لم يطلب حتى مصروفا  
منذ أكثر من شهر ••• فعلا •

— خففت الوطأة عليه بعض الشيء •

— لا حول ولا قوة الا بالله • اذن من أين يأتى بالفلوس ؟

— ألا تعرف • أغلب الأمر أنه يعمل مع صديقه • وأى بأس فى  
ذلك ؟ المسألة لا تستاهل كل هذا الغضب •

— يعمل مع صديقه ؟ وهل صديقه يعمل ••• انه ضائع يأخذ  
مرتبا من أبيه بلا عمل ، هذا لأنه أبوه ••• أترأه سيعطى ابنى هو  
أيضا بلا عمل ؟

— ولماذا بلا عمل يا عم درديرى ••• قد يكون حمدى رجلا  
أباه من أجل صديقه واشترط الأب أن يعمل هشام •

— على الله ••• على الله ••• على كل حال بلاء أخف من بلاء •



أقيم فرح رائع للمهندس مجدى أبو الروس نجل الوجيه الأمل  
سويلم أبو الروس على ذات الصون والعفاف الأنسة سميحة فريد  
كريمة السيد الأستاذ فريد عبد القادر وازدحم المكان بالمدعوين  
يستقبلهم فريد وسويلم وفؤاد وزوجاتهم • فوهية ما زالت تعتبر أن  
الفرح فرح ابنها • وتمت الزفة ودقت الطبول والمزامير وقدم  
الفنانون ما لديهم • ولكن فى هذا الزحام رجل يجلس لا يحس من  
حوله شيئاً ، الدنيا حوله دوار والفرح ضجيج والحياة يأس  
والغد سواد وهو يريد أن يقول ما جاء من أجله ويمضى ولكن هيهات  
وكيف له أن يصل الى ما يريد •

زحام هو الفرع ، والعريس والعروس دمي تحركهما أيد يعرفانها  
ولا يعرفانها ، وكل من فى الفرع يجد له شأنًا يليه •

يتصل الحديث ان هدأت الموسيقى وينقطع اذا هدرت الا ملحوظة  
عابرة أو نكتة رفضت أن تنتظر الهدوء ، ولكن الرجل لا يكلم أحدا  
ممن حوله ولا حتى زوجته فهي لا تدري أنه جاء لمهمة وانما تظن أنه

لبنى دعوة زميله فى العمل وأبى أن يتخلف • وكلما ازداد الفرح امعانا  
فى السعادة ازداد الرجل امعانا فى الشقاء • والأستاذ درديرى اسماعيل  
لم يأت من أجل الفرح ولا من أجل أن يهنئ زميله مجدى ولا ليرفه  
عن زوجته التى لا تكاد تخرج • لشيء آخر بعيد كل البعد عن هذا  
جميعا جاء دردير وكان شأنه عجبا كيف تصورت أننى سأستطيع أكله  
اليوم أهذا معقول • أيمكن أن أكله فى أمر كهذا فى فرح هو فيه  
العريس • أليس الأجدى أن أقوم الآن • يا ليلة سوداء أقوم الى  
أين • واذا قمت أين أجده بعد هذا • لا يعقل أن أكله الليلة وهو  
عريس فالمستحيل المؤكد أننى لن أكله غدا • وأين يمكن أن أكله  
غدا ثم هو بعد ذلك فى شهر العسل • عسل أسود • والرجل ما ذنبه •  
أكان لابد أن يتزوج الليلة • الليلة بالذات • الليلة التى عرفت فيها  
الحقيقة السوداء • كله أسود والدنيا كلها سواد • فى أفراسها سواد  
وفى صباحها سواد وفى مستقبلها سواد • أهذا جزائى • كل هذه  
السنوات من الطهارة وعفة اليد والسمة الكريمة •

نحن جيل لا مثيل له فى سوء المصير • استقبلنا شبابنا فى الظلام  
حين فرضت الحرب منع الاضاءة • وحين انتهت الحرب العالمية دخلنا  
نحن حرب ٤٨ • وحين انتهت جاءت الثورة فتعلقت بها آمالنا فاذا هى  
تخذلنا فى الحرية أعز آمالنا ، ثم أفقرت الأغنياء ولم تنغ الفقراء •  
وهاجمت السرقة وعدم الأمانة وكان رجالها من أكبر رجال العصابات  
فى السرقة وعدم الأمانة • وقلبت القيم عند أبنائنا وأصبحت عفة اليد  
والسمة الكريمة التى أنغنى بها خرافة عند ابنى مادمت لا أستطيع  
التغنى بالشرف بالأموال الباطلة • وجيلنا نحن أغلبه عرف الشرف قيمة  
يلتزم به لأنه جزء من كيانه وخلقه لا يتصنعه أو يرغم نفسه عليه  
بل هو جيل فى أغلبه يتصور أن الشرف هو الأصل والجريمة  
استثناء فى خلق المجتمع لا أصل فيه • ويضحك أبنائنا من أفكارنا ،  
وتتقزز نحن من أفكارهم فلا هم قادرون على قبولنا ولا نحن قادرون

على فهمهم • وكنت تعلقت بأمل أن يتشقق ابني ويعرف أن الشرف غاية في ذاته وليس من العثم أن يكون وسيلة وأن الشريف يستطيع أن يكون شريفا دون أن ينتظر على شرفه جزاء أو شكرا • لأنه نال الجزاء براحة الضمير وهدوء النفس وأمن المشاعر • ولكن ابني رفض الثقافة أيضا وكان أملى الوحيد أن تنقذه من السمات الغالبة على جيله • وكان هذا الذي جئت من أجله الى هنا • وكان مجيئي نوعا من السذاجة فقد ظننت في سذاجة أن الانسان يمكن أن يكلم عريسا في يوم فرحه • انها على كل حال تجربة لم أحاولها من قبل ، ففي كل الأفراح التي حضرتها أخيرا كنت أدخل مع الداخلين وأخرج مع الخارجين ولا يدور بذهني أن أكلم العريس • فمنذ قرابة عشر سنوات لم أحضر فرحا العريس فيه هو الصديق الداعي • انما يكون الداعي دائما أبوه • فكيف كنت أتصور أنني سأفشل هذا الفشل • وما العمل الآن • لا شيء الا الصبر • وهل أستطيع • وهل نملك شيئا آخر • فما بقائي الآن • أما الفرح فلا يصلح لي وأما الضجيج فكارثة بالنسبة لي ، وأما العريس فلن أستطيع محادثته وحسبي الله ونعم الوكيل •

— قومي يا روحية ••

— الى أين يا درديري ؟

— الى بيتنا •

— وترك الفرح •

— وهل سرقص فيه • لقد دعينا فأجبنا وجاملنا زميلنا •

— فقيم كان لبسي وتجميلي ؟

— اغسلي وشك يروح كل شيء لحاله • قومي بنا • •

\*\*\*

كانت ألفت ضمن الراقصات في الفرح واستطاع فكرى أن يخلو  
اليها لحظات •

— متى سترقصين ؟

— الآن •

— ثم ••

— سأذهب الى الكباريه •

— الليلة أبى وأمى سيسهران هنا حتى الصباح أنتترك في

الشقة ••

— الليلة لا يمكن •

— لماذا ؟

— عندي موعد آخر •

— ماذا ؟

— ماذا ؟

— ماذا تقولين ؟

— لاشك سمعت ••

— ألا تخجلين ؟

— مم ؟

— ألا تقدرين هذا الذى تقولين ؟

— أولا لا ترفع صوتك • وكلمة أخرى سأتركك أو سأفضحك •

— وهمس في غضب مجنون :

— أمعقول هذا ؟

— أَلَمْ تعرفِ صنعتى من أول يوم ؟

— راقصة •

— وحين ذهبت معك الى الشقة كنت راقصة ••• اسمع ••  
الكلام هنا مستحيل •

— لا يمكن أن تذهبي الى موعد الليلة •

— أكنت تعتقد أنك الوحيد طوال هذه المدة • أما عجيبة •  
غدا ••• غدا ألقاك في الشقة •• مع السلامة •

وتركته ومضت • بنت الكلب كيف تجرؤ • منذ يومين فقط  
أحضرت لها هدية بخمسائة جنيه • وتقول أنها تحبني • أى نوع من  
الحب هذا • بنت الكلب • لا أراها بعد ذلك أبدا • النسوان أمثالها  
على قفا من يشيل • بنت الكلب ولكنى أريدها هى • أحبها • وهى  
تعلم • كيف سأراها غدا ؟ لن أذهب إليها • وماذا يهمها هى • ان  
ذهبت أو لم أذهب • ما بقائى فى الفرح الآن • انه عندي أصبح  
مأثم حبي ••• عامل لى أدنيا يا حبيبي • حبك لم يمت ولكنك لم  
تعرف الغيرة قبل اليوم والله لا يمكن • لا يمكن أن أسمح لها أن تلعب  
بى مطلقا • كيف أستطيع أن أتحكم فيها • أقتلها • هائل • وماله ألم  
تصبح مجرما محترفا • ترقى ونصبح قتلة أيضا • هائل • سترى ••  
سترى بنت الكلب •

\*\*\*

هذا الفرح وهذه السعادة على وجه العروسين أنا التى صنعتها •  
أنا وحدى التى جعلت هذا الفرح قائما معلنا لا يتخفى ولا يحزن  
فيه أهله ولا أهلي •• لم يكن مجدى بالنسبة لى حبيبا •• كان يمكن  
أن يكون عريسا ولم أرفضه فى أول الأمر ولم أقبله لأننى مع أهلي  
أخذت الأمر قضية مسلما بها • ولكن ما لبثت أن أفقت على الحقيقة ••

لقد كنت أرى تقربه لسميحة وتقربها له وانتظرت لأن الكلام في  
 الزواج كان في غير موعده على كل حال • وحين نال مجدى الشهادة  
 أدركت أنني لابد أن أعلن رأى • • فقد كنت أصبحت موقنة أنه  
 يجب سميحة وأنها تحبه • ولم أشعر أنا نحوه الا بمثل حبي لفكرى  
 أخى لا أكثر ، ولا أظن أن الحب يمكن أن يكون كذلك • ان  
 ما صنعت له لم يسمع أحد بشئ • وما أظن أنني سأكون سعيدة في يوم  
 فرحى سعادتى اليوم بنظرات العروسين لى كلما التقت منا النظرات •  
 أرى فى ضيائها الوضىء الشكر والحب والعرفان والاعجاب • أى شىء  
 أجمل من كل هذا •

١٧

قبل أن تجلس سألها :

— هل ذهبت الى موعد الأمس ؟

وجلست في هدوء وأشعلت سيجارة وقالت :

— اسمع أنا لم أذهب الى موعد الأمس لأننى أحبك ولم أرض.  
أن أكسر كلامك •

— هل متأكدة أنك لم تذهبي ؟

— أنت غبي ••

— هل جنت ؟

— لو كنت أكذب عليك ما قلت لك بالأمس أننى ذاهبة الى  
موعد • هناك آلاف الأعذار •• أستطيع أن أختلقها ••

— لك حق ••• ربنا يطيل لى عمرك ••

— لا ••• انتظر ••• الأمر لم ينته بعد •

— كيف ؟



- أتظن أنتى لن أذهب الى مواعيد أبدا ••
- اذن تنوين أن تذهبي ؟
- لا شك فى هذا •
- أهذا معقول ؟
- هذا أكل عيش •
- ألا يكفيك الكباريه ؟
- فكر فى الكلام الذى تقوله • أى شىء يمنعنى الآن أن أقتل  
فى وجهى بابا من رزق مفتوحا على مصراعيه •• ما الذى يمنعنى ؟
- الحب •
- لماذا ؟
- الحب طبعا •
- وما شأن الحب بهذا • الحب فى القلب وأنا أحبك الآن  
ولكن لا أدرى غدا ما مصير هذا الحب •
- ماذا تعنين ؟
- أعنى أنك ما دمت لست بزوجة فأنا عرضة لأن أحب غيرك  
طبعا • حبى لك الآن هواية ، ولكن أنا امرأة الحب عندى حرفة  
ولا أدرى ربما أجد هوايتى مع شخص آخر •
- اذن فأنت تريدین الزواج ؟
- اذن أنا الذى أريد ؟
- نعم أنت •
- أنا ؟

- طبعا أنت •
- هل يمكن هذا ؟
- هذا شأنك ... يمكن أولا يمكن هذا شأنك أنت فأنا لم  
أطلب منك شيئا •
- وهذا الذى تقولينه ؟
- الحقيقة •
- حقيقة سوداء •
- سوداء أو ابيضاء •
- ما هى هذه الحقيقة ؟
- الحقيقة أننى لا أمانع أن تستمر علاقتنا على ما هى عليه •
- وتمتنعين عن لقاء غيرى ؟
- أقول لك على ما هى عليه • وأنا ألتقى مع غيرك لأن هذه  
هى طبيعة حياتى ، اذا أردت أن تغير حياتى فلا بد أن يكون هناك  
سبب معقول •
- أتزوجك كيف ... ماذا أقول لأبى ولأُمى ؟
- هذا ليس شأنى •
- اسمعى اتركى لى فرصة لأقول لهما •
- أنا تحت أمرك لكن الى أن تقول لهما تظل العلاقة على  
ما هى عليه •
- لا يمكن ... مستحيل •

— اسمع يا فكري كن عاقلا وفكر كما يفكر الرجال • اذا أردت  
الصلة بيننا تستمر كما هي نلتقي كلما سحت فرصة وبعد ذلك  
أنا حرة وأنت حر أنا تحت أمرك • تريدني أن أكون لك فقط لابد  
أن يكون هناك سبب أبرر به لنفسي انقطاعي عن مورد ضخم من  
مواردی •

— الا أقول لأبي وأمي ؟

— ماذا ستقول لهما ؟

— أنا سنتزوج •

— وماذا سيقولان • حين تقول لهما سأتزوج راقصة أعاشرها  
معاشرة الأزواج دون زواج • ماذا تنتظر أن يقولوا • ألف مبروك ربك  
يهنيك بها ونريد منكما الأحفاد •

وصمت فكري فترة ثم قال :

— طبعاً لا يمكن •

— اذن ••

— اذن ••

— اذا كنت أنت مقتنعا بالزواج تتزوج ثم نجعلهما أمام الأمر  
الواقع •

— وهو كذلك قومي بنا •

— الى أين ؟

— تتزوج •

— وأين سنعيش •

— أليس عندك شقة ؟

- افرض • اترضى أن تعيش في شقة كنت ألتقى فيها بغيرك ••
- مؤقتا •
- وبعد ذلك ؟
- اسمعى • أنا عندى فكرة •
- ما هى ؟
- قومى بنا •

\*\*\*

- سعادة البك •
- نعم يا فكرى باشا ؟
- أنا عرفت ألفت فى بيتك فمن حقك على اذا أردت الزواج منها أن أخطبها منك •
- صحيح ألف مبروك •• ألف مبروك يا فكرى • هل أنت موافقة يا ألفت ••• طبعاً موافقة والا لما كنت أتيت معه • الليلة تتزوجان هنا ، وأقيم لكما الفرح وتعتذرين الليلة عن الكباريه • أنا الذى سأعد الفرح بنفسى • والشقة تحت أمرك •
- أطال الله عمرك ••
- حتى تعد لنفسك شقة • أنت الآن تكسب الوفا ••
- وتقول ألفت :
- وأنا سأؤجر شقتى مفروشة ••
- لا يخشى عليك يا بت ••• كيف استطعت أن توقعى الولد فى هذه الفترة البسيطة لا تقولى شيئاً • هو الملعون الحب • عرفته •
- ويقول فكرى :

— انك يا بك تصنعه على يدك • وهل فى العالم من يعرفه  
مثلك ؟

\*\*\*

تم الزواج وحين رجع فكرى الى البيت كان صوت المؤذن يصيح  
بالناس « الصلاة خير من النوم » ولحقت به أمه بعد أن خلع  
الجاكته •

— سهران للفجر يا فكرى ؟  
وفى سرعة وذكاء وجد نفسه يقول :  
— أنا أبدا • اتنى ألبس لألحق بصلاة الفجر ••  
وفغرت وهيبة فاها :  
— ماذا منذ متى ؟

— منذ الآن يا ماما • كنت بالأمس فى حضرة وتبين لى أن  
صلاة الفجر تنشط الانسان وتجعله مبروكا فى كل ما يقوم به من عمل  
أثناء يومه •

وصمتت قليلا ثم قالت :  
— وهل قالوا لك فى الحضرة أن صلاة الفجر جائزة بغير  
وضوء •

وضحك فكرى ضحكة مختصة • وأسعفه ذكاؤه :  
— أهذا كلام يا ماما • سأتوضأ فى الجامع حتى لا تفوتنى صلاة  
الجماعة •

وأدركت وهيبة كذبه ولكن حلا لها أن ينزل بنفسه ما أراد لها  
من عدم النوم فقالت :

ب يا بنى ألف مبروك • سأوقظك كل يوم لتصلى ان شاء الله • •  
وصرخ فكري :

ـ لا • • • فى عرضك • أنا سأضبط المنبه فى الأيام التى  
لا أكون منها فيها • • • ان الله غفور رحيم • •

هذه هى الصفة الوحيدة التى تعرفها • • على كل حال لا بأس  
ما دمت تعرف صفة من صفات الله • مع السلامة يا بنى • •  
ـ مع السلامة يا ماما •

\*\*\*



مر على فرح مجدى عشرة أيام ثم لم يستطع دردير انتظارا  
وطلب سويلم بمحل تجارته :

- صباح الخير يا أفندم أنا دردير اسماعيل •
- أهلا وسهلا سعادة البك • أنا أعرف سعادتك من مجدى ••  
أهلا وسهلا •
- مجدى أخذ أجازة خمسة عشر يوما ••
- نعم يا أفندى ••
- أينوى أن يقضيها كلها بالاسكندرية ••
- والله هو ينوى ذلك انما ان كنت تريده نطلبه ••
- لا أبدا شكرا • أنا فقط أردت أن أطمئن عليه • طبعاً • هو  
ييكلم سعادتك ••

— كل يومين أو ثلاثة .. عريس كما تعلم سعادتك والعقبى  
لأبنائك ..

— ربنا يهنيه ويسعده ويبارك لى فيه ..

— ألف شكر يا سعادة البك ..

المكالمة لا تحتمل أكثر من هذا ولكنه لم يخرج منها بشيء  
اضطر أن يبحث عن شيء فوجد نفسه يقول :

— المسألة ان فيه ورقة هامة كنت أريد أن يوقع عليها ..

— وماله تحت أمرك • أرسلها الى وأنا أرسلها مع أحد عمال  
المحل ..

لا حول ولا قوة الا بالله ماذا أقول له الآن ... النهاية  
الأمر لله ..

قال درديرى :

— أبدا أبدا • حضرتك فقط قل لى اسم الفندق وأنا أرسل  
ساعيا من عندنا ..

— هو فى فندق فلسطين بالمنتزه •

— ألف شكر يا سيدى ألف شكر • السلام عليكم ..

\*\*\*

كان مجدى يستعد للقبولة حين دق جرس التليفون فى حجرته  
وأخبره الفندق أن الأستاذ درديرى اسماعيل يريد أن يكلمه ، وحين  
أوصله به :

— أهلا درديرى بك مرحبا ..



— لا عليك يا مجدى يا ابنى أنا أقلقت راحتك • ألف مبروك  
مرة أخرى ••

ودهش مجدى • أطلبه من القاهرة ليقول له ألف مبروك وهو  
قد حضر الفرح • أدرك أن الأمر أكبر من هذا بكثير •

— يا أفندم أطال الله عمرك •

— أنا أريدك يا مجدى •

— أجيء الى القاهرة ••

— أنا يا ابنى هنا عندك فى الفندق وأريد أن أكلّمك وحدنا ••

— لحظات وأكون معك •

\*\*\*

— أكذب لو قلت لك أنتى جئت الى الفرح لأهنتك ••

— خير يا درديرى بك ؟

— بل ليس خيرا مطلقا ••

— ماذا •• ماذا حدث ؟

— يوم فرحك كنت أبحث لنفسى عن رباط عنق يليق بالفرح لم  
أجد عندي قلت فى نفسى طبعا هشام عنده كل أربطتى • ذهبت الى  
دولابه وفتحت به مفتاح معى فافتح • وأخذت رباط العنق وهممت أن  
أقفل الدولاب ولكننى وجدت قمصانه مرتبة ترتيبا غير منسجم فوضعت  
يدي عليها بصورة عفوية فسمعت صوتا لا يتأتى من قماش •  
المهم • وجدت فى دولاب هشام سبعمائة جنيه يا مجدى يا ابنى ، ربنا  
يعلم ما ألم بى • لم أستطع أن أقول شيئا لأمه • ولم أستطع أن آخذ  
المبلغ وأسأله لأنه سيكذب على • وجئت لك الفرح خصيصا لأسألك

عما تعرفه عن نشاط فكرى وزفت الآخر لم أستطع أن أنال لحظة  
معك ..

— أنا آسف يا عم درديرى ..

— وأنت ما ذنبك • رجعت الى البيت ولم يغمض لى جفن حتى  
الصباح : وتركت العمل وتبعت الولد دون أن يشعر المهم عرفت أنه  
وفكرى وحمدي متصلون بشخص فى غاية الثراء • لى ابن عم فى  
الشرطة تظاهرت أننى أزوره لغير غرض فعرفت أن الشخص الذى  
يعرفونه واسمه علوان سلطان من أكبر تجار المخدرات ، وأنه يستغل  
الشباب الذى لا يدل مظهره على أية شبهة وعلمت أيضا أنه يعمل  
تاجرا فى الرقيق الأبيض •

— يا خبر أسود ..

— من جهتى أنا رجعت الى البيت ووجدت الفلوس فى مكانها •  
انتظرت الولد حتى جاء وضربته •

— ضربته ؟

— بالحداء •

— وهو ماذا فعل ؟

— هددته أننى سأبلغ عنه وعن علوان ، ورأى فى عينى الجذ  
وفعلا كنت أنوى أن أفعل ذلك ، أنا عشت عمرى كله أضيق على  
نفسى وعلى زوجتى وعلى ابنتى والولد لأكون شريفا ، اذا كان هذا  
الولد سيلوث اسمى ليذهب فى ستين داهية ، شرفى ومستقبل أخته  
وسلام بيتى أهم منه • أمرته أن يذهب الى البلد ويعيش مع عمته  
حتى أرسل له •

— وأطاع ؟

— لو لم يكن يخشى أن ابلغ عنه ما أطاع • الفلوس في متناول يده وعلوان عنده • أطاع غصبا عن عينيه وسافر ••

— لا حول ولا قوة الا بالله ••

— لا حول ولا قوة الا بالله أتظننى اجهل هذا • أتظن أنتنى جئت اليك من مصر خاصة لمجرد أن أحكى لك •

— أنا تحت أمرك ••

— الولدان الآخران ••

— ما شأنهما ؟

— فؤاد أبو فكرى طبعاً لا يعرف شيئاً وكذلك الولد الآخر • وأنا لا أعرفهما • وأخشى أن يضبطا ويذكرا اسم هشام •

— الله ••• لقد نبهتنى •

— ألم تكن تنبّهت •• اذا أنا ذهبت الى فؤاد وأخبرته ما الذى يجعله يصدقنى ، وحتى لو صدقنى كيف أجابه الرجل على غير معرفة وأفجعه هذه الفجیعة ؟

— لا عليك ••• ربنا معك • أترك الأمر لى ••

\*\*\*

قال لزوجته :

— لابد أن نسافر الى مصر ••

— خير يا مجدى ؟

— ستعرفين حين أجد الوقت مناسباً ، ولكن من حقك أن تعرفى أنها مسألة لا تمسنى شخصياً ولا تمس أى شخص يهمك وكل ما أرجوه منك أن تثقى فى •

— أأعطيك حياتي كلها ولا أثق فيك • أنا تحت أمرك • •  
دهش سويلم وهو يرى ابنه وزوجته داخلين الى البيت وحاول  
أن يخفي دهشته ولكن نعمات لم تستطع :  
— حسبت أنك ستمد الأجازة خمسة عشر يوما • خيرا يا بني •  
خيرا يا سميحة • •

وضحكت سميحة وقالت :

— ابنك رجل مهم كل الأهمية رئيسه طلب منه أن يقطع  
الأجازة • •

وقال سويلم وهو يحاول أن يجد سببا لهذه العودة المفاجئة :

— فعلا لقد كلمني في المحل •

وقالت سميحة :

— ألم أقل لك يا ماما ؟

ولم يستطع مجدى أن يقول لأبيه شيئا وانما صعد الى شقيقته  
وقضى الليلة • • وفي الصباح ذهب الى أبيه في المحل وروى له كل  
ما عرفه من درديري • ولم يشكلم سويلم والما أخذ ابنه فورا الى محل  
فؤاد واتحى به ناحية •

\*\*\*

وجد فؤاد في دولاب ابنه ألفا وخمسمائة جنيه • ولم يعد فكرى  
في الظهيرة وظل ساهرا خارج البيت حتى الثانية صباحا • وحين عاد  
فوجيء بأبيه وأمه جالسين في غرفة المعيشة ينتظرانه وتوجس •

— خير يا بابا • • • خير يا ماما ؟

وأخرج فؤاد النقود وألقى بها على المنضدة أمامه •

— ما هذا يا فكرى ؟

وارتمى فكرى على أقرب كرسي وصمت قليلا ثم استجمع شجاعته لقد كان ينوى أن يخبرهما بزواجه والآن جاء الوقت :

— أعيب أن أتاجر ؟

— فى المخدرات •

— فى أى شىء •

وصاحت وهيبة :

— فى أى شىء يا فكرى • حتى فى البشر ••

— الفلوس فلوس مهما يكن الطريق الذى جاءت منه •

— اذن تعمل قوادا •

— لا أحتاج الى هذا ••

— الذى يتاجر فى السموم يتاجر فى البشر • مثل علوان سلطان سيدك ••

— أنا ليس لى سيد ••

— اذن السهر حتى الصباح فى التجارة والكباريات ••

— أنا متزوج ••

وصعق الأبوان وتماكت وهيبة نفسها وقالت :

— ماذا ؟

— أنا متزوج ••

— عاهرة طبعاً والا كنا خطبناها لك • عاهرة ••

— ان الله غفور رحيم وقد تابت ••

ساد صمت طويل ثم قال فؤاد :

— تخرج الآن من هذا الباب • ولا تعد اليه الا في واحدة من

اثنين • اما أن تكون طلقت زوجتك وتركت تجارتك الى الأبد •

واما أن أكون أنا ميتا •

وفي حسم قالت وهيبة :

— وأكون أنا أيضا مت • لست أما لقواد ••

وقال فؤاد :

— أسمعت ؟

وأطرق وهو يقول :

— نعم ••

— ففيم انتظارك • اخرج • واذا مت قبل أن تعود أنت الى

الطريق الذى سرنا جميعاً فيه والذى يسير فيه خلق الله الأشراف

فستجد أتنى لم أترك لك مليماً واحداً من مالى •

وأكملت وهيبة :

— ولا مالى أنا أيضا ••

وصاح فؤاد فى لهجة حاسمة قاطعة :

— امش لا تدخل هذا البيت ولا تجلس فيه لحظة واحدة ••

وقام فكرى وخرج •

\*\*\*

بعد أيام ثلاثة كان سويلم ومجدى يجلسان الى فؤاد ووهيبة  
في بيتهما •

وقال فؤاد :

— أنا كتبت نصيب فكرى باسمك يا مجدى •  
ووقف مجدى صائحا :

— ماذا ؟

وقال فؤاد فى هدوء :

— اقعد واسمع • اذا حدث لى شىء وظل فكرى على ما هو عليه  
يظل المال باسمك ولا تعطيه منه مليما واحدا ، واذا عرفت وتأكدت  
أنه رجع عن المصيبة التى هو فيها لك أن تعطيه المال والريع •  
والغالب أنه لن يرجع والغالب أيضا أنه سيقبض عليه • فى هذه  
الحالة اذا كان عنده أولاد من العاهرة التى تزوجها تنفق على الأولاد  
من المال وتحاول أن تشتترط على هذه العاهرة أنك لن تعطيههم شيئا  
الا اذا دخلوا مدرسة داخلية وابتعدوا عنها فما دمت قد فشلت فى ابنى  
فلعلى أوفق فى الجيل الذى يجىء بعده • بعد عشر سنوات من  
وفاتى ، اذا ظل الحال على ما هو عليه تعيد المال جميعه بيعا وشراء  
الى الهام فهى أحق به •

وقال سويلم :

— أنت تحمل مجدى فوق ما يطيق •

— ماذا تقول يا سويلم • اذا لم يقف مجدى ابنك معى فى  
مصيبتى هذه فمن يقف ؟ أنا ليس لى الا أنت ••

وقال سويلم :

- بشرط واحد •
- أعرفه •
- ما هو ؟
- لقد أعددت ورقة ضد سأحتفظ بها الى أن أموت فان شعرت  
بقرب الأجل سأقطعها واذا لم أستطع ستقوم وهيبة بهذا •
- والتفت سويلم الى وهيبة :
- أنت موافقة على هذا يا ست وهيبة ؟
- وابتسم فؤاد وابتسمت وهيبة في مرارة :
- أنا التي دبرت هذا التدمير •
- وقال سويلم في دهشة :
- أمعقول هذا ؟
- والدليل على ذلك أنني سجلت نصيبي من ميراث أبي في  
الشهر العقاري اليوم لمجدى ، والذي سيفعله مجدى مع فؤاد سيعمله  
معى • وجهزت ورقة أيضا •
- وأطرق سويلم ومجدى وقال سويلم :
- اذن فلا حديث لنا ••
- وقالت وهيبة :
- في كل جيل الشرفاء وغير الشرفاء • الأمر لله من قبل  
ومن بعد •
- وقال مجدى :
- ألا تظنين يا عمتى أنكما تعجلتما بعض الشيء ؟



وأطرقت وهيبة :

— أنا أم يا مجدى ولكنى أيضا مثقفة • العضو الفاسد  
إذا لم يبتري يقتل • ونحن أسرة لها بنت واستطعنا والحمد لله أن نحيطها  
بسمعة كلها شرف ونقاء • قررنا أنا وفؤاد هذا الذى قررناه  
لنحافظ على سمعتنا ••

وقال سويلم :

— ولكنه مع ذلك ينزل ابنكنا •

وقال فؤاد :

— لم ننس هذا وانما نصنع ما نصنع حتى اذا قبض عليه أو عرف  
الناس أمره عرفوا أيضا أننا بترناه من أسرتنا ونستطيع أن نقول ما قاله  
سبحانه وتعالى لنوح « انه عمل غير صالح » فحتى الأنبياء يمتحنهم  
الله فى أبنائهم •

وحسبى الله ونعم الوكيل •

\*\*\*







طَارِقُ مِنَ السَّمَاءِ



كانت ولادة لم يشهد التاريخ لها مثيلاً • القلوب واجفة والنفوس هالعة والعيون زائفة والأم تكتم صرخات الوالدات التي تطلقها كل أم تلد لتعلن الى العالم قدوم انسان جديد الى الحياة • وعملية الولادة تقوم بها جدة الطفل القادم فبجىء القابلة اعلان وهم يحرسون على الكتمان غاية الكتمان •

الصمت يضرب بخيامه على المنزل جميعا فالحديث همس والخطى تلمس الأرض لمسا ولا تجرؤ أن تطأها وطأ •

وحول البيت رجال شداد غلاظ يتسمعون ويراقبون فهم يعلسون أن موعد الولادة قد حان • فان يكن أهل بيت الوليد يشكتمون في يوم مولده خبر الولادة فان مقدمات الولادة هيهات لها أن تتخفى في قرية كل: نبأ فيها معلن وكل همسة صبيحة ، وكل حركة خبرها ذائع شائع • فكيف لأُم حامل أن تخفى حملها •

انها قرية نائية عن الدنيا وتكاد تبتعد عن الزمان • من قرى الصعيد القاصية من أرض مصر اسمها الذين نزلوا بها في أول نشأتها

بنى عمران • وليس فيها من العمران شيء • جهلها التقدم الذى عرفه العالم وظلت على حالها من يوم نشأتها منذ قبل الميلاد الى يوم ميلاد الطفل الجديد • تكاد لاغراقها فى الجمود اذا الأرض دارت بها لم تدر •

أما الطفل الذى يجيء اليوم فأبوه ابراهيم آدم • نال أبوه ثأر ابنه وهمدان الذى قتلته أسرة حمدان لتأثر هى أيضا لقتيل لها اتهموا فيه وهمدان • واضطر • آدم أن يقتل سليم حمدان ليرفع رأسه فى القرية وما كاد يرفعه حتى قتلته أسرة وهمدان ولم يستطع ابراهيم أن يسكت عن ثأر أبيه فسارع الى زعيم أسرة حمدان فقتله •

وقبل أن تقتل أسرة حمدان ابراهيم عاجلته السماء بموت ربانى فوت على أسرة حمدان ثأرها فأقسم رجال الأسرة أن يقتلوا وليد ابراهيم المنتظر ان كان رجلا وهكذا تحلق رجال أسرة حمدان حول بيت ابراهيم ينتظرون الولادة بأذان مرهفة وعيون طلعة تكاد تخترق الجدران اختراقا •

فكان لابد لأسرة ابراهيم أن تعيش الأيام السابقة على الولادة منعزلة عن العالم تجهز لليوم الموعود سرا •

وكان لابد للولادة نفسها أن تتم فى هذا الصمت المطبق الذى تمت به • وقد كانت كل خشيتهم أن يعلن المولود الجديد ما تجاهد أمه فى كتمانها • وما تبذله من ألم يفوق طاقة البشر فى سبيل هذا الكتمان •

وولد الطفل وقبل أن يطلق الصرخات التى يلقيها كل طفل فى وجه الحياة سارعت أخته عزيزة ووضعت يدها على فمه فحرمته أن يعلن الحياة بقدمه •

تمت الولادة فى صمت كما أراد لها بيت ابراهيم آدم • ولكنهم

كانوا يعرفون أن ما يسترونه اليوم وما قد يخفونه يومين آخرين  
أو ثلاثة لابد أن ينكشف • ولكنهم كانوا قد أعدوا للأمر عدته •

\*\*\*

في الموهن الأخير من الليل خرجت عزيزة تحمل أخاها وهي تضع  
يداها على فمه وتلفه باليد الأخرى بخمارها الذي يغطي رأسها ويغطي  
أخاها في آن معا •

وركبت عزيزة مركبا صغيرا أعدته منذ أيام وأخفته في الأحراش  
الكثيفة التي تحيط بترعة الرادين • وجرت المركب في الماء مجرى  
وانيا هامسا كأنه وشوشة أمواج لشاطئ • فقد كانت عزيزة تلمس  
الماء بمجذافيهامسا هينا لا يعلو لها صوت حتى إذا بلغت مشارف  
قرية التمرة أرست مركبها وتلفتت حوالها في حذر وخشية ونزلت  
إلى الشاطئ • وفي الخصر الذي أقامته في الصباح وجدت الحمار  
حيث تركته فركبته وهي تحتضن أخاها في حذب حريصة دائما  
ألا يصدر عنه بكاء يفضح هربها به •

الليل ستار • والناس بعد نيام فلا بأس عليها أن تخترق شوارع  
القرية وهي آمنة بعض الأمن وكان بيت العمدة في جوف القرية والطريق  
إليه يخترق الكثير من الدروب • وكلما أوغلت في الطريق اقتربت من  
الأمن حتى بلغت بيت العمدة وقلبها يوشك أن يقف من الخوف •

وطرقت الباب طرقا رقيقا فكأنها طارق من السماء مرة واثنين  
وثلاثا • ثم انفتح الباب واستقبلها العمدة •

— هل أتيت به حسنا

— هل أدخل

— بل انتظري



— ماذا

— ان زوجتى سافرت الى أسوان عند أختى منذ اتفقنا بعد أن  
أعلنت هنا انها حامل •

— اذن

— اذن لابد أن نساfer بالطفل الى أسوان لتعود به زوجتى ونعلن  
أمره الى الناس •

— ولكن الطفل يحتاج الى رضاعة •

— ادخلى فارضيه هل معك ما ترضعنه به •

— نعم •

— اذن فارضيه واسرعى حتى أنادى سائق السيارة. ونسافر •  
وسرعان ما أخذت السيارة طريقها الى أسوان وكان الفجر يرسل  
أشعته الأولى الى الطريق •

وصلت السيارة الى أسوان والنهار يملأ الدنيا وقبال العمدة  
لعزيزة :

— ابقى حيث أنت •

— لماذا •

— لآتى بزوجتى ونعود •

— ألا تعرف أختها بالأمر •

— بل تعرف •

— فمالى لا أنزل بالطفل حتى أرضعه وأريحه بمض الشىء ونعود  
به وقتما تشاء فلم يعد فى الأمر عجلة •

— معك حق .. انزلى •

وجاءت الأم المزيفة واستقبلت ركب ابنها الذى لم تلده ورفعت  
عن وجهه الدثار وأشرق وجهها بإبتسامة عريضة •

— بسم الله ما شاء الله ... حلو هو كالقمر ... وقال العمدة •

— ارينى ابنى هذا الذى لم أنجبه ... سبحان الخلاق  
العظيم فى وجهه سمو وسارعت زوجته قائلة :

— واسمه سامى • ان شاء الله •

ثم نظرت الى أخته •

— هل ستبقين معه •

— اذا أردت •

— حسنا ولكن هل سبق لك أن رعيت طفلا ؟

— الحقيقة لا •

— اذن ا

— هل تريدن له من ترضعه ؟

— ياليت •

— أعرف فى بنى عمران أما فقدت رضيعها وهى فقيرة وأستطيع  
أن آتى بها لترعاه وترضعه •

— على بركة الله • ولكننى أحببتك لماذا لا تبقين مع المرضعة  
وتساعدنيها فى رعاية سامى •

— وأنا والله أحببتك يا ست هانم منذ رأيتك أول مرة حين  
اتفقنا على احضار الطفل لك • وما أحب الى أن أبقى فى بيتك •

فنحن لم يعد لنا في بنى عمران شيء يستحق أن نبقي الى جانبه •  
 الفداان سيزرعهما خالي ••• المهم اننى أحب أن أبقي معك ومع  
 المحروس سامى •

وعاد الركب الذى خرج متخفيا من التمرة في باكر الصباح وبلغ  
 بيت العمدة • قبل أن تغرب الشمس وأعلن عن عودته بالزغاريد  
 وبالدفوف وبالزمار •

لقد أنجب العمدة ولدا بعد أن ظل عشر سنوات محروما من  
 النسل •

وكما استطاعت عزيزة أن تهرب بالطفل استطاعت أن تدبر لأمها  
 مهربا ولكن بطريقة مختلفة كل الاختلاف • فقد أدركت أن أمها  
 بعد الولادة التى لم يعرف بأمرها أحد أصبحت هيئتها غير تلك التى  
 يعرفها عنها المترصدون لها • وامعانا في التكرر ألست أمها ملابس  
 خالها وخرجت بها بعد غروب الشمس بقليل حتى ليرى الرائي فيها  
 جسما ولا يستطيع أن يتبين وجهها • وجازت الحيلة وبلغت الأم مأمنا  
 لترضع وليدها الذى أصبح ابن العمدة • أصبح اسمه سامى زين  
 انرفاعى • فاسم العمدة زين واسم أسرته الرفاعى •

ولكن الأم تعلم أن الذى ترضعه هو وليدها وهى بهذا قرية  
 العين هاتئة • وليكن اسم أيه بعد ذلك ما يكون مادام قد نجا من  
 أعداء أيه وكتبت له الحياة •



عاشت رتيبة أم سامى عيشة هائلة في بيت العمدة قريبة غاية القرب من زوجته حميدة . وكانت عزيزة في البيت هي مديرة التي تقوم بكل شأنه . وسرعان ما أصبحت الأم وابنتها صديقتين لأهل القرية جميعاً وقد اتفقت الأم وابنتها أن ينتسبا الى قرية المهاجرة التي تدخل في اطار محافظة المنيا البعيدة كل البعد عن محافظة أسوان . ولم يحاول أحد من نساء القرية ولا من رجالها أن يستقصي أمرهما فما دار بذهن أحد أنهما تكذبان . واستقر الحال على هذا ومضت الأيام رخاء . رتيبة ترضع وليدها وحميدة ربة البيت تقربها اليها في حب وحنان وعطف وهما يقضيان وقتهما في أحاديث لا تنفد ويمدهما سيدات القرية بمدد من أسباب الحديث لا ينقطع .

والعمدة أصبح لا يرى زوجته الا وفي رفقتها رتيبة . ولم تستطع رتيبة أن تغفل النظرات الراغبة التي كانت تطل في اصرار من عيني العمدة زين الرفاعي . وكان كيانهما يضطرب أشد الاضطراب حين تلح عليها هذه النظرات فقد كانت تخشى كل الخشية أن يتجاوز العمدة النظرات التي تصدر عنه على رغم أنه الى محاولات أخرى

تفسد عليها هذه الحياة الهائلة التي تحياها والتي لم تكن تتمنى خيرا منها • وماذا يمكن أن تأمل أم ابنها مهتد بالنار أكثر من هذه الحياة التي تحياها مع ابنها وابنتها في ظلال كريمة من عطف الست حميدة • وقد كانت رتيبة تحمل لها مع الاعتراف بالفضل حبا لا ينتهي مداه • فقد كانت أخلاق حميدة رضية سلسلة لا عنف بها ولا كبر • وكانت طيبة عن سجية مواتية في غير افتعال ولا من • وقد أحبت سامي حب أم لوليدها حقا • وكانت رتيبة من الذكاء والفطنة بحيث لم تذكرها قط بأن سامي ربيبها وليس وليدها • ولم يجر هذا على لسانها حتى ولو كانتا في مأمن كامل من العيون والآذان •

وكانت رتيبة تحرص دائما أن تضع الطفل في حجر أمه في غير أوقات الرضاع آملة أن يعمق احتضان حميدة له مشاعر الأمومة الفطرية التي لم تعرفها حميدة فهي لم تكن له أما • فلا هي حملته ولا ولدته ولا أرضعته وهي مع ذلك هي أمام العالم أجمع أمه •

ومع الأيام أوشكت حميدة أن تنسى أنها ليست أمه بل وأوشك زين الرفاعي أن ينسى أنه ليس أباه • لم يكن ينقص حياة رتيبة الا هذه النظرات الهاربة من عيني العمدة والتي كانت تتقيها بالتجاهل التام • وكان ينقصها أيضا ما تقوله لها النسوة اذ جلسن إليها بعيدا عن حميدة • • فقد عرفت رتيبة أن العمدة ظالم جبار • جشع غاية الجشع في معاملته للناس نهاز للفرص في جمع المال • وكانت رتيبة تدهش مما يفعله العمدة • أيكون جمع المال غاية في ذاته • لمن يجمعه • لطفل هو يعلم حق العلم أنه ليس ابنه ولا هو أباه • كاذب ذلك الذي يقول ان الانسان يحرص على المال من أجل أبنائه • انما هو النهم في جمع المال مرض قائم بذاته يصيب الانسان فيخرب نفسه حتى وان لم يكن له ولد • وما الولد عند هؤلاء الا حجة منهارة لا صحة لها • وان جازت هذه الكذبة على الناس الذين يشهدون

سعادة زين الرفاعي في جمع المال فما كانت هذه الكذبة لتجوز  
على رتيبة التي ولدت سامى والتي تعرف من سره ما لا يعرفه في  
القرية أحد .



كانت حجرة رتيبة في جناح من البيت قصى وكانت عزيزة تبيت  
معهما فيها . وما كان أحد يعرف أن عزيزة ابنتها . وهكذا قضى الله  
على رتيبة أن تكون أمومتها - وهى أمومة شرعية - مستورة  
مستسرة عن الجميع لا يعرفها أحد من البيت الذى تعيش فيه أو من  
القرية التى تحتوى هذا البيت .

وفى يوم بينما كانت الشمس ترسل شواظا من نار على القرية  
وفى فترة الظهيرة التى لا يطيق أحد فيها أن يترك السقف الذى يحميه  
من سعي الحر ، وكانت رتيبة وابنتها عزيزة تنالان قسطا من الراحة  
فى فترة القيلولة وكان العمدة فى حجراته مع زوجته . وكان سامى فى  
سريره بالغرفة المجاورة لهما .

بلغ أذن رتيبة صوت طرق واهن على شباك حجرتها . وتعجبت  
فهى لم تتعود أن يطرق أحد شباكها . بل ولم تتصور أن أحدا  
يجرؤ أن يطرق شباكها فى بيت العمدة بهذه الطريقة الهامسة . صمت  
حينما فتوالى الطرق . أيقظت عزيزة . وساد الصمت لحظات ثم عاد  
الطرق وسبعته معا ... ما هذا .

- من ؟

قالتاها معا وجاءهما صوت مرتعد

- أنا

- انت من

- أنا صيدة  
وقالت رتيبة وصوتها في طريقه الى الارتفاع  
— صيدة ؟ صيدة من  
— أنا في عرضك • اخفضي صوتك ••• أنا صيدة  
الدلهوني  
— ماذا تريد  
— أنا واقع في عرضك يا ست رتيبة  
— من أين تعرفني أيها الرجل  
— من سيرتك في البلدة • اجميع يمتدحك • وأنت أقرب واحدة  
من الست حرم العمدة  
— ماذا تريد  
— أختي  
— مالها أختك  
— يريد العمدة أن يزوجها غصبا عنها  
— والعمدة ما شأنه بأختك  
— الرجل الذي يريد الزواج منها دفع له مبلغا كبيرا  
— مبلغا كبيرا من هذا الرجل  
— الشيخ دهشور الملواني سمعنا انه دفع له ثلاثمائة جنيه •  
— وأختك لا تريده ؟  
— انه رجل عجوز تخطى السبعين من عمره وأختي في

السادسة عشر من عمرها • وابن عمها خطيبها منذ هما أطفال • أختي  
ستموت منى يا ست رتيبة أنا فى عرضك •

— وماذا يستطيع العمدة أن يعمل •• زوجها لابن عمها ولن  
يستطيع العمدة أن يصنع شيئا •

— ست رتيبة • ألا تعرفين ماذا يستطيع العمدة أن يعمل •  
وجدت رتيبة الفرصة مواتية لتتأكد مما يرويه لها النسوة عن  
العمدة

— ومن أين لى أن أدرى  
— لك الآن معنا فترة ليست قصيرة ولا تدرين  
— أنت تعرف اننى لا أترك بيت العمدة ولا أزور أحدا من  
نسوان البلد

— ولكن نسوان البلد جميعا يزرن بيت العمدة ويأمنن اليك  
ولابد أنهن قلن لك ماذا يستطيع العمدة أن يعمل  
— كلام نسوان لا أصدقه

— ان لم أزوج أختي من دهشور الملوانى فمعنى هذا أن تقتل  
أختي صبيحة ويقتل ابن عمها شملول القط ثم أقتل أنا  
— ماذا تقول

— ما سمعت ياست رتيبة

— هل يعقل هذا

— أتريدىنى أن أفهم أن الست حميدة وأنت لا تعرفانى شيئا  
عن رجال العمدة القتلة  
— أتتصور أننا نعرف



- اما نت فنعم • بخيل الى أنك تعرفين  
— وافرض • فهل أجرؤ أن أقول هذا لزوجته  
— طبعا لا  
— اذن فقيم مجيئك الى  
— كلمى العمدة نفسه  
— هل أجرؤ  
— انك مرضعة ولده • وهو يعلم أن الست حميدة تحبك كل  
الحب وقد يخشى أن تكشفى للست حميدة ما يحاول أن يستره  
عليها  
— أنا أكلم العمدة  
— حياة أختى بين يديك ياست رتية  
— نحاول يا صبيدة • امش أنت الآن واترك لى الموضوع  
— أمرك  
— قالت لها عزيزة  
— ماذا تنوين أن تفعلنى  
— والله لا أدري با بنتى  
— الرجل وضع أمله فيك •  
— سأرى



صحا العمدة من نومه وذهب الى حجرة ولده يتناول قهوته هناك  
وترك زوجته فى سريرها بين نائمة ومتيقظة • كانت رتية جالسة على  
الأريكة وسامى فى حضنها يحرك أطرافه فى جذل بعد أن رضع

وأرتوى • رنا زين الرفاعي الى جمال رتيبة كان يرى في وجهها نورا  
واشراقا ورأى في عينيها وهي تنظر الى سامي نظرات ساجية هائلة ووجد  
نفسه ينظر اليها كامرأة بعد أن كانت عنده مرضعة سامي • طويلة القامة  
موفورة الجسم في غير استرخاء هادئة السمات تشعر من يراها  
بالطمأنينة •

نظر اليها لحظات ثم قال لها :

— هل رضع ؟

وقالت في سعادة :

— ألا ترى سعادته

— اعطيه لي

— تفضل

وحمل سامي وقامت هي واقفة فقال لها :

— بل اجلسي مكانك يا ست رتيبة

وجلست وراح هو يناغي سامي ويداعب وجهه واتتهزت هي  
الفرصة

— سيدى العمدة

— نعم ياست رتيبة

— قصدتني امرأة برحاء عندك

— من هي ؟

— طلبت الى ألا أذكر اسمها عندك

— وماذا تريد

— أن تتزوج صبيحة من ابن عمها شملول القط  
وانقلب وجهه الضاحك الى أنواء عاتية من الغضب والسخط  
وصاح دون أن يرتفع صوته  
— من تلك التى طلبت منك هذا  
— لا تغضب يا سيدى العمدة • كأنى لم أقل شيئا  
— هل عرفت حميدة شيئا عن هذا الموضوع  
— لا وشرفك  
— اذا عرفت فستكونين أنت التى قلت لها  
— لن تعرف  
— ولا أسمع شيئا عن هذا الزواج منك  
— أمرك  
— خذى الولد  
— أمرك  
وأعطاها الولد وخرج دون أن يشرب قهوته



مشاعر شتى متباينة داخل قلب رتيبة • هذه النظرات الجائحة  
أرهبت جوانها • وهذا الوجه الحديدي الملامح الذى ارتدى على  
جبين العمدة • وهذه الأنياب المكشرة • • • ما هذا ؟ أيمكن للإنسان  
أن يكون عدة آدميين فى كيان واحد • ألقت الى وجه ابنها نظرات  
فارغة ساهمة تحمل فى طواياها حيرة ورعبا من المستقبل • وما لبثت  
أن فكرت فى ابنها هذا الذى يتسم فى سعادة غامرة • ماذا يحمل

لك الغد مع أب هذه سماته تنقلب الى خوالج ذئب وهذه خلته  
يشب في أرواح الآدميين في قرينه يدا فراسة تعتصر دماءهم في غير  
رحمة ولا مهادنة •

تائهة هي حائرة خائفة • يثقل على قلبها أن رجاءها في شأن  
صبيحة قد خاب • ما لهذه الدنيا تجور على أبناءها • وما لقوم كأن  
أكبادهم من فولاذ جامد •

وقبل أن تفيق سمعت في البيت ضجيجا وأصواتا متسارعة  
وانقضت عليها ابتها عزيزة •

— أمى

وذعرت رتيبة في هلع آخذ وقد أخطأت ابتها في ندائها وأوشكت  
أن تكشف المستور من علاقتها بها ولم تملك نفسها أن صاحت بها  
في غير وعى •

— اخرى

وفي لمحة تنبعت عزيزة الى خطتها وتلفتت حولها وعادت تقول في  
بهرها لاتزال

—الحقى يا أمة رتيبة

— هل جننت

— جاءت سليمة • لم يسمع أحد • اسرعى الى الست حميدة  
انها في حالة سيئة

وهمت رتيبة في جد

— مالها ألف سلامة لها • ماذا بها

كانت حميدة شاحبة اللون لاهثة تصيح

ـ هواء .... هواء

وقالت لها رتيبة :

ـ ألف سلامة ياست حميدة

ـ صدرى يا رتيبة • كأن يدا تقطع فيه بسكاكين حادة

ـ بعد الشر عنك • العمدة • أين العمدة

وما لبث العمدة أن دخل وقبل أن يسمع شيئاً صاحت به رتيبة

ـ نريد طبيباً من البندر فوراً • فوراً يا حضرة العمدة

\*\*\*

وجاء الطبيب وأعلن

ـ انها أزمة قلبية



الليالى الحاملة والأيام المشرقة المعطرة بأريج الحب منذ هما  
طفلان فى مرح الصبا الغض ويدها فى يده وهو يذهب بها الى كتاب  
انقرية ثم الى مدرستها وكانت تعطيه يدها فى بلاهة الطفولة ونصاعتها  
ومع مرور السنين أحست أن يده بدأت تضغط على يدها ثم تواتر  
الضغط وأحست يدها أن جديدا لا تدريه يشب بين يدها ويده •  
شيئا ثالثا استشعرت له فى قلبها وجيا غريبا على القلب البرىء • ثم  
سمعت من لقاء يدها بيده حديثا حلوا ونعما ذا أغاريد ومعانى كلها  
عذب فهى نشيد وكلها طروب فهى رقص ودفوف ونأى وعود •  
وفجأة قال أخوها صميذة :

— منذ الغد لا مدرسة لك يا صبيحة

وانعقد لسانها ... أكون قد سمع همس يده الى يدها •  
أكون الأناسيد العذاب قد بلغت أذنيه • لم تجادل • فقد خشيت أن  
تطالعه من أخيها الحقيقة • انطوت على أسى • وصمتت على قلب  
واله • وأطرقت رأسها فى تخاشع • وان كانت فى نفسها ثورة عارمة •  
وفى الصباح جاء شملول ليصحبها الى المدرسة وفاجأه أخوها

- كفى ما تعلمت
- وقال شملول وكأنما مسته جمرة
- كيف ؟
- أنا أخوها
- وأنا ابن عمها
- أنا صاحب الولاية عليها
- لم أقل شيئاً • ولكنها مازالت صغيرة • ماذا تعمل في البيت.
- كما تعمل بنات القرية تساعد في عمل البيت
- انها مازالت في الرابعة عشر
- كان يجب أن تبقى في البيت منذ سنتين
- صميذة
- نعم يا شملول
- أنا أخطب اليك أختك
- أجننت • انك قلت منذ لحظة انها في الرابعة عشر
- أنزوجها عندما تبلغ السادسة عشر
- أسألها
- ورأى صميذة في عينيها السعادة أعلى صوتاً من الحديث
- وقال صميذة لشملول :

ـ أوافق

وقال صميذة :

ـ نقرأ الفاتحة غدا في جمع من الرجال

\*\*\*

وحين بلغت السادسة عشر انقض عليهم دهشور بسنواته السبعين وأمواله وأقدته العشرة وقدرته على رشوة العمدة • وحاول صميذة محاولته تلك • وبدلا من أن يعود الى رتيبة يسألها عن شفاعتها بلغته الأبناء عن مرض حميدة وبينما هو جالس الى أخته التي أصبحت كعود جف، عنه الماء • وهي مطرقة تحاذر أن يرى أخوها ما علا وجهها من قترة وعبوس • دق الباب وقامت صبيحة اليه تمشى وكأن بالأرض أشواكا أو جمرات وفتحت الباب ودخل محمود القط وراءه أخوه الأصغر شملول • ولم يلق أحد منهما السلام وإنما صاح محمود في همس

ـ صميذة

ـ أهلا يا محمود •• أهلا يا شملول

وأكمل محمود

ـ اسمع يا صميذة ماذا نك في هذا البلد

ـ ألا تعرف

ـ أرضك ؟

ـ حياتي

ـ اشترىها منك

ـ ماذا تقول



— اشترى أرضك وخذ أختك وأخى واذهبوا الى مصر • وأرض  
الله واسعة • ولا الذل الذى نحن فيه

وبهت صميذة لحظات واعمل ما سمعه فى ذهنه وكأنما يريد أن  
ينال مزيدا من الوقت ليفكر وجد نفسه يقول فى صوت ذاهل :

— ماذا تقول

— ان لك ولأختك أربعة أفدنة وعشرين قيراطا • ولكما هذا  
البيت • وكلها ثمنها معروف • هذا هو • واجنعا ملابسكم وتوكلوا  
على الله • كان الاشرار يعود الى وجه صبيحة طوال الفترة التى تسمع  
فيها هذا الحديث وكأنه صعود الشمس الى سمتها فى السماء •  
وأطرق صميذة هنيهات ثم رفع رأسه الى محمود

— أنظن العمدة سيسكت عنك

— بل لن يسكت • لقد بعث أرضى أنا أيضا • بما فيها  
أرضك • بعثها كلها

— لمن

— الا تدرى لمن

— لعوض أبو عوف

— طبعا • انه يكره دهشور الملوانى ويكره العمدة

— اذن

— سافروا أتم الليلة الى مصر وهو مشغول بمرض زوجته

— وأنت ؟

— سأبقى يومين أو ثلاثة حتى أبيع بيتكم وبيتنا

— والله لا بأس

— وقع هذه العقود ... الأرض باسم عوض أبو عوف والبيت  
باسمى حتى اتصرف فيه

ووقع صميذة وصاح محمود

— ألف مبروك • هيا لا تضيعوا وقتا • اسمع يا صميذة • خذ  
هذا ثمن أرضي • ابقه معك

— لماذا

— لو حاول العمدة أن يرغمنى على دفع مبلغ له يجدنى لا أملك  
شيئا

— معقول ... هات المبلغ • ولكن لا تتأخر • اذا لم تبع البيتين  
في يوم أو يومين دعهما • ولهما عودة

— توكلوا على الله • انزلوا على بيت مسعود الصاحب •  
أو اجعلوه يعرف عنواكم مع السلامة •

\*\*\*

ورأت حقول التمرة ثلاثة نفر يشقون ظلمات الليل وكانهم قطعة  
منه يتركون وراءهم ذكريات أعمارهم وماضى أيامهم وملاعب طفولتهم  
ورفات آبائهم وأجدادهم ومع دمة في عيونهم كانت تتراءى لهم في  
ظلمات الليل أضواء أمل في الغد • واشراقات مستقبل يرجون الله  
أن يكون هائلا سعيدا •

\*\*\*

٤

أطال المرض مكوثه في قلب حميدة • وكان البيت جميعه مشغولا بها • حتى العمدة لم يكن يجلس مع الناس في السلامك الا ساعة أو بعض الساعة. ثم يرتد الى داخل بيته يراقب حميدة • فمهما يكن جبارا صلب المشاعر الا أنه مع ذلك يظل انسانا •

وبينما زين الرفاعي جالس بالخارج مع بعض زواره من أعيان التمرة قدم اليه خطاب وفي محياه جهامة لا تخطئها العين • وعلى شاريه الكثيفين غضبه •

— أريدك في كلمتين يا حضرة العمدة •

وكان الجالسون جميعا يعلمون ما صنعه شملول وصميذة ومحمود ولكنهم كانوا يحاذرون أن يعرضوا لهذا الحديث حتى لا يثيروا من العمدة ثائرا الله وحده يعلم ماذا هو مدمر في اشتعاله •

وقام العمدة وأدرك الجالسون ما سيلقيه خطاب الى اذن العمدة فقام بعضهم يلوذ بالفرار من الاعصار المنتظر وأقام بعض آخرون وقد تغلب حب الاستطلاع في نفوسهم على الخشية •

وعاد العمدة وهو كظيم يحاول أن يضع على وجهه قناعاً من  
الجمود فتخونه عروق نافرة ونأμάτων نابضة ونظرات ملتهبة • ولا يقول  
العمدة شيئاً •



كان محمود جالساً في بيته متمراً فقد كان لا ينام الليل متربصاً  
بما قد يصنعه العمدة • حتى إذا لاحت تباشير الصباح كان يختبئ  
من القرية في مكان مستور وينام •

كان في ليلته تلك جالساً يصنع لنفسه كوب شاي يعينه على السهر  
فاذا هو يسمع حفيف ثوب يحاول أن يتخافت فتحصن وتطلع وانتظر •  
وفجأة فتح الباب وانطلق الرصاص فسارع محمود يجيب الرصاص  
برصاص واحتدمت المعركة • وأدرك رجال العمدة أنهم لو استمروا في  
المعركة فانها قد تدور عليهم دوائرها فأمرهم خطاب أن يتوقفوا  
واستداروا قافلين الى حيث جاءوا • وانتظر محمود حتى اشرقت  
الشمس وقام الى ملابسه جميعها فوضعها في جوال وأخذ ستمته الى  
القاهرة • فليذهب بيته وبيت ابن عمه بددا ولينج هو بحياته •

لم يحاول حتى أن يمر بعوض أبو عوف لبيعه البيتين أو يوكله  
في بيعهما •

انتظر القطار وركبه الى القاهرة وليدبرها كريم قيوم على  
عبادة •

بلغ صوت الرصاص آذان حميدة • وجزعت وأدرك زين أن  
أوامره تنفذ فأجابها حين سألت :

— لا بد أنهم الخفراء يريدون أن أعرف أنهم ساهرون على  
الأمن •

— الخفراء يطلقون رصاصة أو اثنتين •

- لعل أحدهم قد أخذه الحماس
- وصمتت حميدة غير راغبة في اتصال الحوار

\*\*\*

عرف العمدة أن المهمة التي كلف بها خطاب لم تنجح فأصدر  
أوامره أن يصبح البيتان مخزين لمحاصيله حتى لا يفكر أحد في  
شرايهما •



لم يمض طويل وقت حتى لاقت حميدة ربها • وأصبحت رتيبة  
مشرفة على البيت • وسارت الأيام في طريقها على عادتها فما تعنى الأيام  
بمن يموت ومن يقيم وانما هي تمضي في طريقها • وقليلًا ما تمضي حتى  
وجدت رتيبة نفسها في مواجهة توقعتها منذ وقت طويل وأعدت لها  
عدتها •

— ياست رتيبة أنت الآن مسئولة عن سامي ولا يستطيع أحد أن  
يحل مكانك

— أعرف ذلك

— وأنا رجل احتاج الى زوجة واخشى ان أثبت بأخرى أن  
تضيّق بالولد أو تضيّقى أنت بها •

— لا بأس أن تجرب

— ولماذا لا تتزوجينى

— الحقيقة اننى لا أفكر فى الزواج مطلقا

— هل أنت على استعداد أن تتركى سامى

ودون أن تفكر فزعت قائلة :

— لا ... الا هذا

وفى دهشة باغتته لحظة ثم

— نعم أعرف أنك تحبين انولد ولكن لم أتصور أنك تحبينه  
الى هذا الحد

وعادت رتيبة الى ثباتها

— لقد حملته أكثر مما حملته أمه وأرضعته ولا أعرف لنفسى  
الآن عملا آخر الا أن أكون المستولة عنه

وصمت زين قليلا ثم قال وقد أدرك أنه أصبح يملك الموقف

— فاذا جاءت سيدة أخرى فانتى لا أستطيع أن أحييك منها  
أو أحمى سامى

واطرقت وقد أوشكت على الهزيمة

— انك العمدة ... ولست مثل أى عمدة • انك تحكم بلدك  
بيد من حديد أتعجز عن أن تحكم امرأة فى بيتك  
وفهم زين كل ما ترمى اليه ولكنه قال :

— اننى عمدة فى خارج بيتى ولكننى فى البيت زوج ولا يستطيع  
زوج مهما يكن عمدة أن يفرض مرضعة على زوجته فى بيته  
— ولماذا لا تحسن الاختيار

— قد تكون قبل الزواج هادئة حليمة ثم تنقلب بعد الزواج  
جبارة طاغية • وأنت تعرفين المرأة اذا وجدت ابن غيرها هو موضع

الرعاية في بيتها حينئذ ستعمل أول ما تعمل أن تخرجك أنت من البيت.  
لأنك تؤثرين الطفل عليهما ثم هي بعد ذلك تنفرد ...

وقاطعته رتيبة

— نعم ... نعم أعرف

— اذن

واطرقت • لقد تركت بيتها وبلدتها من أجل ابنها هذا • وهي  
لا تحب هذا الرجل وهي تكره خلقه كل الكراهية • فالظلم هو الذي  
قتل زوجها وشتت شملها وأخرجها من بين أهلها وذويها ليرمى بها  
الى قوم غير قومها وناس غير ناسها •

انها كامرأة تدرك أن حياتها لم تصبح شيئا الا أن تكون اما لهذا  
الطفل • وقد ضحت من أجله بكل حياتها الماضية فهل ترى كتب  
عليها أن تضحي أيضا بحياتها الآتية • وأى مصير يمكن أن تنتظرها به  
الأيام • فاذا ولدت لهذا الرجل وليدا آخر وصاحت دون أن تدري •

— لا

وصاح زين

— هذا جوابك

ورجعت الى نفسها واطرقت

— ألا تترك لى فرصة للتفكير

— أنا لم أعود أن أفعل ذلك • ولكن من أجل خاطرك

سأقبل

وفكرت • ولم تجد لنفسها مهربا • انها الآن اذا رفضت  
فسيطردها هو من بيته دون أن ينتظر زوجته المقبلة لتطردها • فاذا كان



يرى في مطلبه أن ينظرها انتقاصا له فهيئات أن يرضى من أجيرته أن ترفضه زوجا وهو بعد لن يكون حريصا على مستقبل طفل ليس ولده أكثر من حرصه على كبريائه •

انما طلبت منه فرصة للتفكير حتى لا تتداعى أمامه في نفس الجلسة التي طلب اليها فيها الزواج •

لم يكن هناك خيار لرتيبة فهي بين اثنين لا ثالث لهما • اما أن تترك وليدها نهبا لمستقبل لا يعلمه الا الله وأما أن تقبل الزواج من زين الرفاعي الذي قدر الله أن يحمل وليدها اسمه فأصبح أبا لابنها الذي ليس له بعد الله غيره •

وتزوجت رتيبة من زين بعد أن مر على وفاة حميدة ثلاثة أشهر وحملت رتيبة في الشهر الثاني من زواجها وما لبثت أن ولدت ولدا اسماء مأمون وكانت رتيبة في رعب أن يحل الابن الحقيقي عند زين مكان الابن المصطنع ولكنها أخفت رعبها ولم يناقشها زين في الأمر فهو واثق أنها لم تعلم من أمر سامي شيئا فهو متصور أن سامي عندها هو ابنه وابن زوجته المتوفاة حميدة •

وقد خشى أن تبوح عزيزة بالسر الدفين فاتتهز فرصة خلت به وبعزيزة غرفة

— عزيزة لا أحد الآن يعرف سر سامي الا أنت

— نعم يا حضرة العمدة

— أخت حميدة التي كانت تعرف السر ماتت ولم يبق إلا أنت فاذا عرف السر فجزاؤك سيكون رهيبا

— أعرف يا حضرة العمدة

— لا تلومي غين نفسك

— أنتصور يا حضرة العمدة أن أعرض نفسي لغضبك وأعرض  
أخى للتشريد

— رتيبة لا تعرف شيئا

— ومن أين لها أن تعرف لقد أثبت بها يوم أثبت بها لترضع  
ابن عمدة الترة بعد أن مات وليدها

— فليظل الأمر كذلك

— سيظل كذلك يا حضرة العمدة • ولا يمكن الا أن يظل  
كذلك •

\*\*\*

وحين تأكدت عزيزة أنها في خلوة بعيدة بأمها نقلت اليها هذا  
الحديث ففرحت رتيبة به وقرت به عينا وزايلها أو كاد رعبها الذي  
داخلها أن يفوز مأمون بالأمن وينتهي دور سامى كابن لزين • ذلك  
الدور الذى فرضته عليه الأقدار دون أن يكون له أى رأى فى قبوله  
أو رفضه •

وهكذا كان البيت مكونا تكويننا عجيبا • أم تعلم أنها أم الابنين  
والفتاة التى تقوم بشأنهما أيضا • وأب ليس له فى الثلاثة الا ولد  
واحد والأب يخفى سر ابنه المتبنى والأم تخفى سر ابنها وابنتها •

وهكذا يستطيع الظلم والجبروت أن يطمس معالم الحياة ويخلط  
تأعيج الأرحام ويخسف عن حياة الناس الشمس التى لا معنى للحياة  
بغير اشراقها •

وكان أمر زين أمام رتيبة عجا • فهو فى خارج بيته ذلك الجبار  
القاسى يقتل وينهب الأموال فى يسر وطبيعة مواتية وهو فى البيت أنيس

لين العريكة دمث الحديث شديد الحذب على ولديه لا يفضل واحدا  
منهما على الآخر • وتعجب رتيبة •• ان تكن غريزة الأب ترغمه على  
حب مأمون فأى نبضة في قلبه تجعله يرعى سامى بهذا البر وذلك  
الحب والحنان • سبحانه • لا يملك أحد أن يجعل قلب هذا الرجل  
يلين لغير ابنه الا الله وحده وان له في ذلك لحكمة لا يعلمها الا هو  
ان له لغاية يطويها سبحانه في خفايا السنين •

## ٦

بدأ سامى يذهب الى الكتاب ولم يمس سوى عام وبعض  
العام حتى لحق به مأمون •

وقليلًا ما مكثا في الكتاب فما ذهبا اليه الا تنفيذًا لرغبة انشبت  
برائتها في نفسه أن يتعلم ولداه القرآن • وازداد عجب رتيبة وان كان  
صدرها قد انشرح لتمكن هذه الرغبة من زوجها وازداد يقينها أن  
الله يهيىء الابنين لقدر بعيد كل البعد عما يسير فيه أبوهما •

وعجب زين الرفاعى من سرعة حفظ سامى ومأمون للقرآن  
واستجابة كل منهما استجابة نورانية لآيات القرآن الكريم • وكان  
سامى يمتاز بشيء لم يشهد له زين ولا أحد من أبناء القرية مثيلاً •

فقد كان يحلو لأبيه أن يطلب اليه أن يرتل شيئًا من الذكر  
الحكيم وكان سامى يسارع الى الاستجابة • وكان الأب يجد نفسه  
يحس في صوت ربيبه خشوعًا تحف به أجواء الهية سامقة ولا يملك  
ذلك الجبار السفاح دموعه فاذا هى تتبادر مترسلة من عينيه •

وقد كان زين يحسب أن هذه الدموع لا تطفئ الا من عينيه

وهو يرى ربيبه قد كبر وأصبح يقرأ القرآن الا أنه في يوم كان يجلس بالدوار وكان الديوان مليئا بالزوار مكتظا بالقادمين اليه للتحية أو للسمر أو لحاجة لهم عند العمدة • وقدم اليهم سامى ومأمون يشاركان الجمع الجلسة ويستمعان الى ما يدور من حديث •  
وفجأة وجد زين نفسه يقول دون أن يملك زمام تفكيره أو عنان لسانه •

— سامى • اقرأ لنا عشرًا مما حفظته •  
وعجب الجالسون أن يعرف زين الله أو ينفو الى سماع كلماته •  
وتهمياً جميعهم للنفاق يعلقون به على تلاوة سامى •

وبدأ سامى يقرأ •• أعوذ بالله من الشيطان الرجيم  
« بسم الله الرحمن الرحيم اقتربت الساعة وانشق القمر » ومضى في قراءته مرتعش الصوت بايمان عميق عربى اللسان بين الحروف ينطقها في حب وخشوع واخبات يحسب سامعه أن صوته يسجد بالقراءة لمالك الملك • والصوت خفيض ولكن الصمت حوله مرهوب يكاد كل سامع منهم يمسك أنفاسه لا يعلو منه شهيق أو زفير • لحظات ربانية هومت على الجمع • ويمضى سامى في القراءة • فاذا القلوب كلها وجيب والنفوس متعلقة بالسّموات العلاء بعيدة غاية البعد عن الأرض وما فيها والدموع من الجمع سواجم هاملات لا يطيق فرد منهم أن يمسكها لا تهمى بل ان أحدا لا يحاول أن يذودها ••• لقد كانت كل دمعة تسبيحة مرفوعة الى رب العرش وأحسن الجمع احساسا واحدا انهم جميعا أصبحوا عند سدرة المنتهى قريبين غاية القرب من العرش وسامى يقرأ لا يلتفت أمر الجمع حوله أنه هو في الملكوت الأعلى هناك عند الملك القدوس في الساحة العلوية التى لا يبلغها الا ذو حظ عظيم •

وحين قال سامى صدق الله العظيم • شمل الصمت الذاهل المكان

وتملكك الرهبة قلوب الحاضرين فهزهم هذا ثم علا فجأة نجيب  
مأمون واندفع الى أخيه يقبله ويحتضنه وصحا الجمع من البهر الذي  
لهم وراحوا يحيطون بسامى تتعالى أصواتهم ما هذا بصوت  
بشر سبحان من أعطاك • ما هذا الذي ترتله • كأننا نسمع القرآن لأول  
مرة • وتوالت التعليقات • والتفت سامى الى أخيه مأمون •

— مأمون اقرأ

— بعدك

— نعم

— هيهات

— بل اقرأ

— أمرك

وجلس مأمون جلسة القارئ وبدأ « أعوذ بالله من الشيطان  
الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم • ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من  
الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون » •

ومضى في القراءة • سبحان الوهاب • اذا كان صوت سامى  
سجودا فصوت مأمون ركوع ورجاء ودعاء • وصوت كليهما ايمان  
أو فناء في حروف الكلمة الربانية التي يرتلونها وكأن كلا منهما أصبح  
حرفا من الكلمة أو كلمة من الجملة أو جملة من الآية أو آية من  
السورة •



كانت رتيبة تراقب ولديها وتشهد بقلب الأم وعين البشر هذه  
المعالم العجيبة التي ينفردان بها عن سائر من عرفت من البشر .

وكلما شبا ازدادت هذه المعالم قوة ووضوحا . كان سامى  
هادئ السمات مطمئن القسماث واثقا فى تصرفاته وفى خطواته ،  
خاشعا فى غير مذلة ، هادئا فى غير ضعف . وكان مأمون دائما مأخوذا  
بأخيه ، معجبا به ، يطيعه طاعة أب لا أخ لا يكبره بأكثر من سنتين .  
وشىء آخر كان يذهل الأم هو تلك القوة الجسدية التى يتمتع بها  
سامى . تلك القوة التى بهرتها فى طفولته الباكرة . فقد مشى قبل السن  
التي يمشى فيها أترابه وليست تنسى يوم كانت جالسة تريد أن تقوم  
الى المكواه الحديدية الثقيلة . وكان سامى جالسا بجوارها . وراها  
وهى تمد عينها الى المكواه ولاحظ أنها أوقدت نار وابور الجاز  
ووضعت عليه تلك القطعة من الصفيح التى تضعها عادة تحت المكواه .  
وفوجئت رتيبة بالطفل الصغير يقوم من جلسته وقد أدرك ما تريد من  
نظرتها ومما أوقدت من نار . قام الفتى وحمل المكواه . وقفزت مشفقة  
أن يقع الطفل من ثقل الحديد ويأخذها الدهش البالغ أن الطفل حمل

المكواه وكأنه يحمل لعبة من لعب الأطفال ويقدمها الى أمه ويجلس الى جوارها وكأنه ما صنع شيئا \*

وكان مما تلاحظه أنه له يحاول أن يتفاخر بهذه القوة مطلقا وكأنه لا يعرفها في نفسه \*

وكان الأطفال في ملعبهم اذا تعاركوا ابتعد عنهم وكأنه يخشاهم \*  
الا مرة واحدة وكان أخوه مأمون يلعب مع صحابه فاذا بأحدهم يعدو عليه ويضربه ويوقع به وسامى متباعد لا يحاول أن يتدخل حتى اذا أمن الصديق في عدوانه وارتمى فوق مأمون وراح يكيل له الضربات تقدم سامى في هدوء وفي ثقة وقد فرغ صبره الطويل وفوجئ الأطفال جميعا بسامى يرفع الطفل وكأنه يرفع قطعة من القماش المتهرى ويلقى به بعيدا ثم يحمل أخاه الى البيت \* ومنذ ذلك اليوم لم يحاول أى طفل أن يعارض سامى أو مأمون \* والأطفال في الملعب لا يخشون الآباء فكلهم في مراح الطفولة سواسية لا تقف مناصب الآباء أمام أعينهم فهم لا يدرون عن هذه المناصب شيئا وهى لا تعنيهم في قليل أو كثير \*

\*\*\*

كبر الاخوان وانتظما في سلك الدراسة الابتدائية وكان بالقرية مدرسة ابتدائية \* وكان كلاهما نابغة في فصله \* وكان كلاهما حبيبا الى المدرسين والتلاميذ معا \* ولكن سامى مع السنين لاحظ أن شيئا ما في عيون التلاميذ والمدرسين جميعا غير الحب \* لم يدركه سامى أول الأمر ثم شعر كأنما هو طائف من خوف ولم يدر سامى مأتى هذا الطائف ولا مبعثه \* حتى كان يوما جالسا بالفصل وحده وسمع اثنين من المدرسين يتحدثان من خارج الحجرة وهما لا يعلمان أنه بها \*

— عجب شأن سامى ومأمون



- تقصد ابني العمدة
- ألا تعجب معي
- كأنهما ابنا قطب من أقطاب الله الصالحين
- كلاهما مثال نادر في الأدب والهدوء مع ذكاء غير طبيعي
- أتراهما يعرفان ماذا يفعل أبوهما
- مطلقا
- لا بد أنهما لا يعرفان • لا يمكن أن يكونا على علم بما يصنعه أبوهما بأهل القرية من رعب وقهر وظلم وجبروت
- على فكرة هل عرفت أنه رفع الاتاوة
- حقا
- وحاول فرهود أن يحتج فأحرق له قمحه وهدده أن يفقد بهائمهم
- وبعد؟
- رضح طبعاً وقدم الاتاوة كما قررها العمدة
- طيب اسكت وحياة والدك لا يسمعا أحدهما وينقل الى أبيه حديثنا
- أعوذ بالله لا قدر الله ••• ان أطفالى مازالوا صغارا اذا قتلت أنا لن يجدوا أحدا بعدى •
- وأدرك سامى فى مكنه الهول الراعد الذى سيدخله الى نفس  
الاستاذين اذا هما علما أنه سسمع ما سسمع فاختنفى تحت الدرج وحين  
سمع أصوات الطلبة القادمين تظاهر لزملائه وكأنه يبحث عن قلم

سقط منه حتى اذا دخل المدرس وجده جالسا في مكانه وهجس في نفس الأستاذ هاجس ♦

- سامى
- نعم يا أستاذ
- لم أرك تدخل الفصل مع أخوانك
- بل كنت معهم
- حسنا

واطمأن الأستاذ الى ما فى صوت سامى من نبرة طبيعية ♦

\*\*\*

تأكد سامى أن المكان خال به وبأخيه وقص عليه ما سسمع من الأستاذين وقال مأمون :

- وبعد ؟
- ما رأيك ؟
- ما رأيك أنت ؟ ♦
- الآن عرفت سر هذه النظرات فى عيون الزملاء والمدرسين ♦
- وماذا تفعل ؟
- أيا وأنت لم نسيء الى أحد فلماذا نحتمل كراهية الناس لنا ♦

- انه أبونا
- ألا نخبر أمنا ؟ ♦

وقال سامى بعد ريث تفكير

- واحدة من الاثنين اما انها تعرف ولا تستطيع أن تصنع

شيئا واما أنها لا تعرف وحينئذ لن تستطيع أن تصنع شيئا أيضا

— أنت محق فماذا ترى ؟

— أرى أن نصبر حتى تتم هذا العام الدراسة في المدرسة  
الابتدائية ونطلب الى أئينا الذهاب الى المركز للدراسة في الاعدادية

— وأنا ... مازال أمامي عامان

— سأطلب من أبى أن نذهب أنا وأنت فمادام سيفتح بيتنا  
هناك فمن الطبيعى أن يذهب كلانا

— معقول

\*\*\*



- رحب مسعود الصاحب بأبناء بلدته • وأنزلهم أهلا • وحين  
تداولوا أمرهم معه أفسح لهم من الآمال ما لم يخطر لهم على بال •
- توكلوا على الله • الصعيدي منا ينزل مصر لا يملك الا صحته  
ويعيش أحسن عيشة فكيف وأنتم تحملون ما تحملون من مال
- اسمع يا مسعود نحن لم نخرج من بلدتنا الا هذه المرة  
— أعرف ذلك
- ونحن نترك لك الأمر كله
- لنبدأ أولا بزواج صبيحة وشملول
- أترى هذا
- حتى يتاح لهما أن يعيشا معا • وزواجهما فرصة أن يعرفا  
أبناء بلديهما وتقول صبيحة :
- وكيف أنزوج قبل أن أعد المنزل  
ويقول مسعود :

— سأترككم فترة صغيرة من الزمن لأهيبء لك ولزوجك المنزل  
ويقول صميذة :

— هل الأمر ميسور الى هذا الحد  
ويقول مسعود :

— هو أمر فى غاية الصعوبة على جميع الناس الا علينا نحن أبناء  
الصعيد • فنحن بيننا معاملات قوية ومشكلة الفرد منا مشكلة الجميع •  
فأترك الأمر لى أدبره • ألا يكفيك حجرة بمنافعها  
ويقول شملول :

— يا عم مسعود اننا نبدأ حياة جديدة والله وحده يعلم كم من  
الوقت سنقيم فى هذا البيت وأنت تعلم اننا اذا كنا اليوم نجد عظماء  
من أصدقائك فسرعان ما تصبح منكم ونهتم معكم بمشاكل الآخرين  
ويستعصى علينا أن نجد من يهتم بمشاكلنا فكلما كان البيت متسعا  
كلما كان هذا أنسب • حجرة لا تصلح • طبعاً • وخاصة ومعنا الآن  
صميذة ونحن نتنظر أخى محمود أيضا •

— يا ابنى كلامك معقول ولكننى قدرت طبعاً أن صميذة  
ومحمود سيعيشان فى بيت آخر • انما علينا أن نهيبء مكاناً للأبنائكما  
دع الأمر لى • سلام عليكم •

وحين عاد مسعود بعد ساعتين كان قد وطأ لهم كل العقبات  
ووجد فى روض الفرج شقتين • وما أن سمع ضيوفه هذا حتى  
شملهم الفرح والعجب معا • ولكن عجبهما زال حين عرفا أن العمارة  
لسليم الخشت وهو من قرية الدميرة المجاورة لقريتهم أثرى من  
العمل فى سوق الفاكهة وظل شديد الانتماء لقريته والقرى  
المجاورة لها •

وانتقل الركب الى البيت الجديد • وبدأ الجميع فى الصباح

يشترون الأثاث بصحبة مسعود الذى كان على صلة وطيدة بكل متجر  
دخلوا اليه •

وما هى الا ثلاثة أيام حتى كان البيتان صالحين للاقامة غاية  
الصلاحية • ولم يجد محمود صعوبة فى الوصول اليهم •

وبات محمود ليلته مع شملول • وباتت صبيحة مع أخيها صميذة  
ودعا محروس الى الفرح بعد أسبوع من مجيء محمود ولم يكلفهم  
هذا الفرح شيئاً فقد تعاون أبناء الصعيد بروض الفرج فى اقامة  
الفرح • وعرف الجميع العروسين الجديدين وعرف العروسان أبناء  
الصعيد فى المنطقة •

ومر أسبوع آخر ترك فيه محروس العروسين يستمتعان  
بمرسهما ثم •

— وبعد يا شملول

— نعم

— تفكر فيما نحن مقبلون عليه

وقال صميذة :

— أنت رئيسنا هنا

— اسمعوا نحن قيمتنا هنا بعملنا

— طبعاً

— الفلوس تذهب الآن الى البنك ونودعها

— كلها ؟

— تقريباً

- وبعد
- أعددت لكل منكم عملا
- لكل منا
- شملول سيعمل في محل سليم الخشت لبيع الفاكهة بالزمالك حتى يتعلم هذه الحرفة •
- ويقول محمود :
- ونعم العمل • خاصة وهو يجيد القراءة والكتابة
- ويقول محروس :
- وأنت يا محمود وأنت يا صميذة ستعملان معي في المقاولات •
- فأنا لن أجد أحدا أطمئن اليه مثلكما • وبعد وقت قليل سأجعل كلا منكما يتولى مقاولاته الخاصة به •
- وهكذا استقر المقام بالقادمين وعرف كل منهم طريقه الواضح في الحياة •

حين حصل سامى على الابتدائية جلس الى أبيه جلسة عرف بها الأب أن فى نفس ربيبه أمرا يريد أن ينفذه على مسامعه • ولم يعجب الأب من تلك النظرة التى اتسمت بها عينا سامى منذ فترة فقد تعود عليها • كان سامى اذا جلس الى أبيه نظر الى السماء حذرا أن تلتقى عيناه بعيني أبيه • ولم يعد الأب يعجب ولكنه لما يزل جاهلا ما تعنيه هذه النظرة ولا يجد لها سببا •

منذ عرف سامى ما عرف من أمر أبيه انشطرت نفسه شطرين • فهو ابن يكن لأبيه أو لمن يظن أنه أبوه كل العواطف التى تجيش فى نفس ابن قبل أبيه من حب وشكر وولاء • وهو كائنات تعلقت روحه بأسباب السماء • وأحب الله حتى تفانى فى هذا الحب يرى أن ما يصنعه أبوه بالناس اجراما واعتداء على حقوق الله وعلى الإنسانية الانسان الذى جعله الله أكرم مخلوقاته • وكان فى نفسه يتساءل لماذا يمتحنه ربه هذا الامتحان العسير ويمزق مشاعره هذا التمزق والله هو العدالة المطلقة • وهو سبحانه المطع على القلوب وهو سبحانه يعلم كم يفنى سامى فى حب الله اللطيف الرحمن •



وفي هذه الحيرة كان سامى يتحرى دائما اذا جلس الى أبيه  
ألا ينظر اليه عينا بعين فقد كان يمثل في نظره تناقضا غير منسجم مع  
طبيعة الأمور كيف يكون أبا حانيا وزوجا بارا فى بيته وكيف يدمر  
حياة الناس الذين هم مثله آباء وأزواج وأخوة وأبناء .  
قال زين لابنه :

— أراك تريد أن تقول شيئا

وقال سامى ونظرته معلقة بالسما لم تزل :

— نعم يا أبت

— فقل

— أريد أن أتلقي تعليمى الاعدادى بالمركز

ولماذا

— اننى أعد نفسى لأكون صاحب شهادة عالية وأريد منذ هذه  
المرحلة التى أنا فيها أن أتلقي تعليمى على أحسن المصادر المتاحة

— وترى أن المدرسة الاعدادية هنا لا تصلح لذلك

— اننى هناك سأكون متفرغا للدراسة كما اننى سأكون قريبا  
من المكتبة وأستطيع أن أحصل على ما أشاء من كتب . والمركز  
قريب على أية حال

— ولكنك بهذا ستكون وحدك

— اذا سمحت لى صحبت معى أخى مأمون فكلانا لا يترك  
صاحبه وهو أيضا هناك سيكون تعليمه خيرا من هنا

— ومعنى ذلك أن تصحبك أمك

— هذا اليك

- أتريد أن تتركنى وحدى ؟  
— يا أبى أنت مشغول بعملك  
— أليس من حقى أن يكون لى بيت  
— انك لا يمر عليك أسبوع دون أن تذهب الى المركز مرة  
أو مرتين • والتليفون موجود تستطيع أن تطلبنا وقتما تشاء •  
— هل أنت مصمم ؟  
— أما أنا فمصمم نعم ولكن الأمر الأخير لك •  
عجيبه تلك المشاعر التى كانت تداخل نفس زين من ربيبه سامى •  
انه كان يحس نوعا من الرهبة وهو يتحدث اليه أهى رهبة المخطئ •  
أمام النقاء • أم أن فى سامى هذا سرا خفيا يفرض الاجلال على  
من يتحدث اليه حتى ولو كان هذا المتحدث أباه الذى ان لم يكن  
قد ولده فهو الذى تلقفه وليدا وشمله برعايته حتى أصبح هذا الفتى  
المهيب فى هدوء • الجليل فى تواضع • كان زين واثقا أنه لن يستطيع  
أن يرفض طلب ولده وكل ما استطاع أن يفعله •  
— اذن أرسل معكما خادمة ترعى شأنكما وتتركان أمكما لى  
— هذا اليك  
— ولكن والدتك لن تقبل  
— أحسب هذا  
— فلنسألها

\*\*\*

وذهبت الأم وابناها الى بيت استأجره لهما زين واستقرت بهما  
الحياة هناك وصحب الجميع فواز الشيمى الذى ظل يرافق سامى

الى المدرسة منذ اليوم الأول لدراسته • والذي يحبه سامى ويرعاه حتى أصبح معروفا فى بيت العمدة أنه مخصص لسامى ثم لمأمون كليهما • وقد ارتأت رتيبة أن وجود قواز معهم هام حتى يشتري لهم مطالب البيت • وصحبت معها طبعا ابنتها عزيزة • واستقر بهم البيت الجديد فى المركز وركب لهم التليفون أيضا ففى المراكز مشكلة التليفون ليست فى عسرها بالبندر والمدن • واستطاع سامى أن يحصل على ما يشاء من كتب وجعل أخاه مأمون يقرأ معه فأصبح كل منهما نسيجا وحده بين التلامذة • وأحس التلاميذ أن سامى وأخاه مأمون من صنف آخر غيرهم • وساد بينهم هذا الشعور الذى يختلط فيه الاعجاب والاكبار بالغيرة والحسد والشعور بالتقص • ولكن التلاميذ على كل حال لم يكن يبدرونهم الا الود وان طفر الحقد على وجه بعضهم فما يلبث أن يمحي ويعود ادراجه الى خفايا الضمائر ويستتر هناك لا يعلم أمره الا الذى يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور •

حصل سامى على الاعدادية بتفوق وانتقل الى المرحلة الثانوية • وحاله تجاه أبيه على ما هى عليه وحيرته من العذاب الذى ألقاه أبوه اليه كما هى • يسأل ربه كل حين لماذا يا الهى هذا العذاب الذى أنا فيه • يسأل ربه كل حين • أنت تدرى يا الهى كم أحبك وكم أطيعك وكم أفنى فى حبى فلماذا •

وفى ليلة أخذه الناس وهو فى هذه الحال من التهجد والمساءلة • فرأى فى منامه عجا •

رأى شيخا مهيبا وجهه كله صلاح وتقوى ونور يركب البحر ولكن مركبه فيه ليس سفينة ولا هو قارب • وانما حوت ضخم يشق به العباب ويأتمر بأمره • ولم يكن حين يأمره يحدثه وانما كان الحوت يدرى ما يريد سيده فيأتمر بأمره بصورة تلقائية لا يعرف الناس لها مثيلا •

ويظل الشيخ النوراني سائرا في البحر وسامى معه يصاحبه وقد  
اطمأنت نفسه وأصبح في سعادة سماوية لا يحسها الا حين يقرأ القرآن •  
وبينما الشيخ النوراني على حوته يشق الماء شقا • عرضت له سفينة  
ضخمة فاذا هو يخطو خطوة فيصبح فوق السفينة والحوت يسير  
بجانبا • ولا ينظر ركاب السفينة الى الشيخ وكأنه ما شاركهم مركبهم  
بل هم حتى لا يرون الحوت ولا يحسون من أمره شيئا • واذا الشيخ  
النوراني يصنع صنيعا يذهل له سامى ذهولا مفاجعا • ان الشيخ الرباني  
يخرق السفينة ويتلفها وحينئذ فقط يتنبه الركاب الى ما حدث  
بمركبهم دون أن يروا الشيخ أو يشعروا به •

ويصيح به سامى

— أتخرق السفينة لتغرق أهلها ... أهذا عدل ... أيعقل  
أن شخصا في عظمتك يصنع هذا الصنيع •  
وينظر اليه الرجل الرباني ولا يكلمه وان كان يبدو عليه أنه  
سمعه • ويلج سامى في استنكار ما رأى •

— انك رجل نوراني ... انك رجل رباني ... أمعقول هذا  
الذى تفعله وكان الشيخ قد استقر على الحوت فنظر الى سامى نظرة  
هادئة مطمئنة وابتنس له فكأنما أشرق عن فيه ضياء فجر ومشى به  
الحوت وسامى معه لا يدرى كيف يتسنى له أن يكون في رفقته •

ورسا الحوت الى أرض مدينة وخرج الشيخ النوراني ومضى في  
طريق بين بيوت واذا بغلام مقبل عليه حتى اذا أقترب منه وأصبح بين  
يديه اذا به يضربه ضربة صاعقة فيقتله • ويحيط الهول الآخذ بسامى  
ويتملكه الدهول وتكاد الدهشة أن تعقد لسانه ولكنه جاهدها حتى  
استطاع أن يصيح بالشيخ في استنكار شديد :

— أتقتل نفسا زكية بغير نفس • أهذا عمل يرضاه الله •  
أهذا معقول • لقد كنت أحسبك ربانيا •

ولم ينظر اليه الشيخ وكأنه ما سمعه وصاح سامى ثانية وثالثة ورابعة • فنظر اليه الشيخ وابتسم تلك الابتسامة المشرقة بالنور وصمت سامى •

وركب الشيخ حوته ومضى طريقه حتى بلغا قرية نزل بها الشيخ واختفى الحوت • ورأى الشيخ جماعة كبيرة من الناس فاقترب منها وقال فى مسألة وفى اعتزاز لم يزل يحتفظ به :

— الا أجد عندكم طعاما فقد مسنى التعب ولا أجد هنا طعاما •  
فأشاح عنه الناس وكأنهم ما سمعوا مسأله •

وانصرف الشيخ عنهم ومضى طريقه من القرية فى هدوء من يعرف مقصده • وبلغ الشيخ جدارا يهم بالسقوط فراح يصلح شأنه ويقومه حتى أصبح ثابتا قويا •

فقال سامى :

— هذه أول حسنة أراك تصنعها ولكنها أيضا عجيبة أيرفض أهل القرية طعامك فتصلح لهم حائطا يوشك أن ينقض ألم يكن يجدر بك أن تطلب منهم أجرا جزاء ما صنعت •

ونظر اليه الرجل وابتسم ثم رجع الى الحوت فركبه وبلغ صخرة رسا عندها الحوت فنزل الرجل النوراني وجلس عليها وأشار الى سامى فقدم اليه والذهول ما يزال يحيط به وأومأ اليه الرجل فجلس سامى وأراد سامى أن يعود الى استنكاره ولكن الرجل النوراني سارع قائلاً :

— اسمع حتى يطمئن قلبك • أما السفينة فهى لقوم مساكين لا حياة لهم الا بالعمل فى البحر •

— أو هذا سبب يجعلك تخرقها وتغرقها

— بل انى أنقذها

— لا أحسب أن مع الخرق انقاذا

— بل هو الحق • فانى أردت أن أعيها عن عمد لأن ملكا ظالما  
كان قادما من خلف السفينة بأسطوله وكان يستولى على كل سفينة  
يجدها غصبا • وأمرنى الله أن أخرق هذه السفينة حتى براها الملك  
الطاغية وكأنها ستغرق فيتركها لأصحابها المساكين •

— وهل سلمت السفينة

— ولم يأخذها الملك اللص

وهم سامى أن يفتح فمه فاذا بالشيخ يقول :

— تريد أن تسأل عن الغلام

— أمعقول هذا

— أن أبويه مؤمنان قريبان الى ربهما كل القرب

— أصبحت المصيبة أعظم

— بل انتظر ... ان هذا الابن كان سيرهقهما ويسىء اليهما  
ويلاقيان منه الشقاء والعقوق والعدوان فأردنا أن يهب لهما ربهما  
خيرا منه ابنا زكيا بارا يصل الرحم ويكون لهما على الحياة عونا  
ولا يكون عونا للحياة عليهما •

— ولكن الأبوين سيعجزان لموت ابنهما فهما لا يدريان أنهما كانا  
سيعجزان من ابنهما هذا عقوقا ونكرا •

— ان حزن عام أو عامين خير من نكد الدهر كله • وما أدرانى  
وما أدراك لعل الله يكتب لهما مزيدا من الخير جزاء صبرهما على الجزع  
الذى أحاط بهما لموت الغلام •

— أصبت و

— تريد أن تسأل عن الجدار

— نعم

— أتخيلت اننى أريد من الناس طعاما وأنا فى حمى الله

— دهشت لهذا

— أنا أردت أن أمتحن كرم هؤلاء الناس فكانوا عندما توقعت  
منهم بخلا وشحا

— والحائط الذى أقمته

— انه لغلामين يتيمين فى هذه المدينة وان تحته كنزا وقد كان  
أبوهما رجلا صالحا • فشاء ربك فى علياء سمائه أن يبلغ الفتيان  
أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك وأكراما لعباده المؤمنين •  
وأنا يا بنى لا أفعل ما أفعل مختارا فما صنعت شيئا مما صنعت  
عن أمرى

— باركك الله أيها الشيخ الزباني سلام عليك

— الى أين

— أعود

— بل انتظر

— اذا أمرت

— فاجلس

— أمرك

— ألم كنت تسأل ربك لماذا جعلك شقيا بأبيك وأنت على  
ما أنت عليه من حب الله وطاعته

— لا أعجب الآن حين أجذك تعرف هو اجس نفسى

— أعرفت الآن

— ان قلت نعم عرفت أنت اننى لم أصدقك القول

— يابنى ان عدالة السماء لا صلة لها بعدالة الأرض • ان الانسان فى دنياه هذه الضيقة لا يستطيع أن يصل الى عدالة السماء • ولكن الانسان حين يؤمن ايمانك يثق أن الله وهو العدالة المطلقة لا يريد بالناس الا خيرا • وقد رأيت المركب قد خرقت ولكن الله أنقذها من السلب • ورأيت الغلام قد مات والموت ليس عقابا لمن مات وقد نقله الله الى جواره قبل أن يسيء الى والديه وقبل أن يصبح جبارا شقيا فموته اذن رحمة به وثواب لوالديه أهذا النوع من العدالة المطلقة يعرفه البشر • والجدار حفظ به للأسرة المؤمنة كنزا أراد سبحانه أن يظهر فى الوقت الذى قدر سبحانه أنه أحسن الأوقات لهما • فعدالة السماء يابنى هيئات لبشر أن يدركها وانما علينا فقط أن نؤمن بها ونؤمن أنه الرحيم الرحمن اللطيف الخبير • هيه يابنى أوجدت جوابا لسؤالك •

وصحا سامى من نومه وعيناه تفيضان بالدمع وتوضأ وصلى ثم صلى ثم صلى • يدعوه ربه ويشكر آلاءه عليه • سبحانه ربى فأنا اذن أثير عندك قريب منك • عبدك أنا أعاهدك يارب العالمين أن أكون حتى ألقاك العبد الشاكر العامل فى طاعتك أصحب أبى بمعروف وأرد ظلمه عن الناس بكل ما أملك من الايمان والقوة التى وهبت لى • اللهم أعنى على اتباع أوامرك وعلى رفع الظلم عن المظلوم • وعلى رد الحق الى أصحابه انك أفت العزيز ذو القوة المتين • اللهم لقد بلوتنى لتختبرنى بما يفعل أبى اللهم أنت القائل « ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلوا أخباركم » اللهم فاجعلنى من أولئك الصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس فقد قلت عنهم سبحانه « أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون » •



١٠

ما لبثت صبيحة أن أنجبت لشملول ابنهما الأول فالثاني وما لبث  
شملول أن أصبح صاحب متجر خاص به فهو ذو ثراء عريض • ولم  
يمض كثير وقت حتى أصبح صبيدة ومحمود من المقاولين انواسعى  
الثراء وأصبحت الحياة بالنسبة للمهاجرين جميعا واضحة المعالم بينة  
السمات •

ودخل ماهر ومختار ولدا شملول الى المدرسة وانتظما في  
السلك الدراسى وسارا خطواتهما الدراسية فى توفيق •

\*\*\*

وازداد سعار العمدة زين الرفاعى وفشا رجاله فى المنطقة جميعها  
يفرضون ما يشاء زين من أوامر • وكان زين ذكيا فهو يجزل العطاء  
لمعاونيه ويعاملهم فى كرم باذخ واسماح • • لماذا هذا المال • • •  
لمن • • • لولدى سامى ومأمون • • • ماذا • • • ماذا • • • ما قلت • • •  
سامى • • اتخلى الكذبة وتصدقها • وهل سامى ابنك • هكذا  
أثبتته فى شهادة الميلاد • • • أتساوى اذن بينه وبين ابن دمك • • • وماذا

يبدى أن أصنع • وكيف أفرق بينهما في المعاملة ••• لا أحد يعلم  
 أن سامى ليس ابنى الا عزيزه وقد حافظت على السر لم تخنه ••• وهى  
 تعلم سطوتى وجبروتى ولن تفكر يوما أن تخون سرى ••• اذن كيف  
 أستطيع أن أفرق في المعاملة بين سامى ومأمون ••• لا سبيل أمامى •••  
 ومن أين كنت أعلم أننى سأرزق بطفل من رتبية • وهل كنت أتصور  
 حين جاءت رتبية الى بيتى لترضع سامى انها ستصبح زوجتى وأم  
 ابنى الحقيقى • عجب أمر رتبية ••• انها تعامل سامى كما لو كان  
 ابنها شأنه شأن مأمون • بل انها أحيانا تفضل سامى في المعاملة  
 بمقولة أنه الأكبر • ان شأن سامى هذا عجب هو أيضا • أى سر  
 فيه يجعلنى وأنا لست أباه أشعر كأننى حقا أبوه حتى أننى  
 كثيرا ما أنسى أننى اصطنعته اصطناعا واستجلبته من حيث لا أدري  
 محاولا أن أرضى غريزة الأمومة في زوجتى • وقد تلقفته طفلا في يومه  
 الأول ثم أنا بين يديه أحس رهبة وتروغنى من حوله هبة لا تطالعنى  
 من أحد • وأنا رجل لم أعرف الخوف من أحد • لقيت من لقيت من  
 كبار رجال المديرية بل والدولة فما استطاع أحد منهم أن يلتقى في  
 نفسى لمحة من رهبة • وأنا في منطقتى جميعا أنا الرهبة والخوف  
 يرتجف أشجع رجالها هلما اذا سمع اسمى فأى شيء في هذا الفتى  
 الذى شهدته رضيعا وطفلا وصبيا • يجعلنى أخشى أن أواجهه  
 وأحاذر كل الحذر أن يعلم عنى ما أشيعه من الهول والذعر في أنحاء  
 الربوع التى تجاور بلدتى • وما له وهو أمامى وهو واثق كل الثقة  
 أننى أبوه وليس له من أب غبرى • ما له لا يتولاه هو الرهب ويتولانى  
 أنا وما له لا يخشانى بينما أحس أنا أننى أخشاه • أكون هذا  
 لنقاؤه وعلمه وصدقه وثباته وإيمانه العميق بالله ووثوقه بنفسه ثقة  
 لا تتاح الا لمن عرف الطريق وسار عليه •

كم من صادقين لقيتهم ولكنهم لم ينالوا ما يناله سامى في نفسى  
 من اجلال • بل ان مأمون أيضا ينال منى هذا الاجلال وهو ابن

دمى • ولكنه لصيق بأخيه لا يكاد يفارقه فهو يتشبه به فى كل شىء  
حتى فى اشاراته ولفقاته وحتى لقد اكتسى وجهه بهذا الوقار الذى  
يكسو وجه أخيه • وهو يقدر كل ما يفعله أخوه فكان الفارق  
بينهما عشر سنوات وليس سنتين • ما شأن هذين الأخوين وما لى  
أحسن من كليهما رهبة تجعلهما غريبين عنى • واحدهما جزء منى والآخر  
ربيى الذى لا يعرف لنفسه أباً غيرى •

أىكون ما أصنعه من مال لأجلهما ••• لا ••• ما أظن ••• ربما  
خادعت نفسى وقلت اننى أكون لولدى ثروة ولكننى أعلم فى البعيد فى  
نفسى أننى أصنع ما أصنع عن رغبة عاتية فى السلطان والجبروت •  
والمال أساس خطير من أسس الجبروت ونتيجة محتمة للسلطان اذا  
جاء من البطش والطغيان • وقد استطعت بقوتى أن أقتل فى نفسى كل  
شفقة الا على أهل بيتى • ومادمت قد تخلصت من ضعف الشفقة فأنا  
قادر أن أصنع ما أريد لا يردنى شىء •

ان رغبة السلطان الجارفة التى تموج بين أضالعى هى التى  
ترسلنى كالاعصار فى ارجاء الحياة • وليس ولدى •

أيقاوم الانسان قدره ••• أيعارب الانسان سجيته ••• هكذا  
أنا • وهكذا أحب أن أكون •



كان سامى قد بلغ نهاية المرحلة الثانوية وأدى امتحان الشهادة وفى يوم ظهور النتيجة ذهب مع مأمون ليتعرفا عليها • وكان فناء المدرسة حاشدا بالطلبة والجلبة شديدة والتلاميذ فى حلقات منها المتسعة ومها قليلة العدد • وسامى بين رفاق له يجرى بينهم الحديث هينا وهو يسمع أكثر مما يتكلم • وفجأة رأى سامى حلقات تنضم واثنين متماسكين فى معركة عنيفة • وأنعم النظر فاذا مأمون أحد المتعاركين وخصمه يكيل له الضربات ويهم سامى الى أخيه وقبل أن يصله يكون مأمون على الأرض وقد ارتدى خصمه عليه يضربه فى غير هوادة ولا رحمة ويصل سامى الى مكان المعركة ولا يسأل ولا يفكر وإنما يرفع ذلك الخصم فى ثبات ويحمله وكأنه يحمل ورقة ويلقى به وكأنما يلقي حصاة اعترضت طريقه ومال على أخيه فاقامه وهو يسأل فى هدوء وكأنه لم يصنع ما جعل الطلبة متجمدين من الهول والذهول •

— ماذا حدث ؟

ويقول مأمون لاهثا :

— راح يذكر أبى بسوء دون أى سبب

وقبل أن يجيب سامى يتصايح الطلبة

— الحقوا ... اسرعوا ... منيب ... منيب

ويلتفت سامى الى الصائحين

— من منيب ؟

وتتكاثر الأصوات وتتقاطع الكلمات ويفهم سامى بصعوبة أن  
منيب هو اسم الفتى الذى ألقى به عن أخيه •

— ما له

— مات

— ماذا

— مات

ويؤخذ سامى على غرة ولا يترث • بل سرعان ما يشق جموع  
الطلبة الزاحفة وكأنه يزيج شخوصا من هباء ويصل الى باب المدرسة  
بين حيرة المشاهدين وذهولهم ويخرج يجرى فى سرعة الومض حتى  
يصل الى محطة السكك الحديدية • ويسأل سائق التاكسى الواقف فى  
انتظار القادمين •

— ما أول قطار الى مصر

— بعد دقيقتين

— لمّا إذا لم يصل اذن الى المحطة

— سلامتك يا أستاذ ها هو ذا واقف على ...

وقبل أن يكمل السائق جملته يكون سامى فى القطار دون أن  
يشترى تذكرة ودون أن يفكر أن كان ما فى جيبيه يكفى ثمنا للتذكرة  
أم أن ما معه لا يكفى ويتحرك القطار •

— الى أين ؟ ما هذا الذى فعلته ؟ اقتل انسانا وأهرب ! ؟ كأتى  
اذن أبى ما الفارق بينى وبينه ؟ لماذا نلوم الناس ونفعل فعلهم ! ألم  
يكن الأجدر بى وأنا الذى أوثق أسبابى بالسمااء وأقرأ ما أقرأ  
أن أكون أكثر هدوءا وروية ؟ نعم أعلم أننى لم أتمالك نفسى وأنا  
أرى أخى يكاد يموت تحت هول الضربات ولكن أى فارق بينى وبين  
الحيوان اذا أنا تركت مشاعرى تتحكم فى دون أن أحيطها بسياج  
التعقل والتفكير ؟ أليس بالعقل وحده فضل الله الانسان على سائر  
المخلوقات فما فائدته اذن اذا لم يجعلنا تروى عند غضب ، ويعصنا  
عند ثورة ، ويدرأ عنا عادية المعاصى ؟ وهل هناك أكبر من القتل ؟  
اننى كأتى قتل الناس جميعا ؟ ويل لى أى ويل • ويل لى من الله  
فوحق الاله سبحانه اننى لا أخشى غير سخطه • واننى وحق الاله  
سبحانه لا أخشى الموت وانما أخشى الله فأنا كادح اليه فملاقيه سبحانه  
وانه ملق بى الى حيث العصاة ؟

أكنت حين جريت وهربت عبدا ثائبا ؟

أنا لم أبدأ فى أعمال العقل الا حين تحرك القطار • أى انسان  
أنا ؟ بل اننى أنا الانسان الذى قال عنه خالقه قتل الانسان  
ما أكفره • أنا الانسان بكل شروره وطفواه وجبروته ؟ ان صلاتى  
ونسكى وصيامى وحبى لربى وعلمى وثقافتى كل هذا لم يجعلنى  
اتصرف كما ينبغى أن يتصرف العقلاء • غائب العقل كنت حين ألقيت  
بالفتى وغائب العقل حين جريت وغائب العقل حين ركبت القطار •  
والآن ها أنذا أعود الى عقلى ويعود الى • • • افترانى أستطيع أن أنزل  
عند أول وقفة للقطار وأقتل عائدا الى حيث كنت لأتحمل نصيبى من  
العقاب ولأواجه آثار ما قدمت يداى •

هل أستطيع !

ولم لا ؟

وما لى لا أفعل

اذن فهل

هلم

ووقف وكان القطار سائرا فبعد ينتظر وقوف القطار • وحين  
استقر به المقام الى أين •• وكيف أعود الى قوم نائرين ؟

وما لى لا أفعل •

ليس مع ثورتهم منطق

وفيم تريد المنطق •

أو ليس هو الحكم الطبيعى بينى وبينهم ؟

أى حكم ؟ انك قتلت وعقوبة القتل هى القتل ففيم تريد المنطق ؟  
لا تخفيف فى عقوبة القتل •• لا تخفيف فى عقوبة القتل اذن أعود •  
واذن أقتل ••• واذن ••• وألقى عليه النوم بقوة لا قبل له بها ولا يد  
له فيها • وتجلى له الشيخ النوراني صاحب الحوت •

— لا تعد

— أليس من الطبيعى أن أواجه عقابى

— أى عقاب

— عقاب القاتل

— أقتلت عن عمد

— لا ••• لا طبعا أعود بالله

— اذن فلست القاتل الذى يعاقب بالاعدام

- ولكننى أعلم أننى أملك قوة جسمانية خارقة وهبها الله لى
- وكان ينبغي أن أتحسب حين أضطر الى استعمالها ♦
- هل كنت فى تمام وعيك حين فعلت ما فعلت
- كان انقاذ أخى هو كل ما أفكر فيه
- وقد تصرفت بما أثقذ أخاك
- نعم
- ولم تتصور انك قد تقتل زميلك
- لا
- اذن فلا بد من مناقشة هذا جميعا قبل أن يقيم بك العقاب
- مع من أناقشه
- مع كل الذين يسألونك
- صاحب الثأر لا يسأل
- اذن لا تعد
- ولكننى أنا أسأل نفسى
- هل كنت تريد قتله ؟ !
- أعوذ بالله العلى العظيم
- اذن لا تعد الا حين تعلم انك تستطيع أن تجادل الذين
- سيواجهونك
- لا جدال معهم
- اذن لا تعد
- أظن هاربا



- وما تعلم نفس ماذا تكسب غدا
- ولكنى قتلت
- عن غير عمد
- الموت شئ فظيع
- ليس كما تظن
- ألم يجعل الله منه قصاصا
- ان القصاص ليس في الموت نفسه وانما في العلم به
- انه قصاص
- ان الساعات التى يعلم فيها القاتل انه سيقتل جزاء ما فعل
- هى القصاص الحقيقى أما الموت نفسه فشهيق لا يعقبه زفير أو زفير
- لا يعقبه شهيق • انما الموت لحظة • لمحة • ومضة لا أكثر • لا أقل •
- وحزن الأهل
- أسف وتشوق • ولكنهم يعلمون انهم جميعا لاحقون
- بعزيبهم
- ألا يطهرنى القصاص من الخطيئة • ألا يجعلنى احتمال
- العقوبة مغفورا لى عند ربى
- انه سبحانه كتب على نفسه الرحمة وهو وحده من يعلم
- أين يضعها • قد يغفر لك دون أن يقع بك القصاص وقد لا يغفر لك وان
- وقع بك القصاص وهو وحده الذى يغفر وهو العدالة المطلقة •



بلغ سامى القاهرة ونزل من القطار لا يعرف مقصدا ولا متجها •  
 وانما هو يسير على الرصيف ويخرج به الى الساحة ويقف لحظات  
 على سلم المحطة وتتناوشه الأيدي والأكتاف وخطوات الآخرين الذى  
 يعرف كل منهم طريقه ووجهته • ويزوغ منه البصر ويعلو به وجيب  
 قلبه حتى ليطنى على السمع منه والبصر • وتتدافعه الأيدي فى عنف  
 يزداد فى لحظة عن اللحظة السابقة ويجد نفسه آخر الأمر قد نزل  
 السلم ويحاول الوقوف على الرصيف ولكن حركة الركاب تجرفه  
 ويضطر آخر الأمر أن يفيق وينتزع نفسه اتزاعا من مجرى الزحام  
 وينتجى من ساحة المحطة ناحية هادئة بعض الشيء •

ماذا أنا صانع • والى أين بى المسير فى هذه القاهرة الضخمة  
 وكل علمى بها أن ساكنها ضائع فيها فما خطبى أنا وأنا لم أرها  
 الا اليوم • وهل رأيت منها شيئا الا دفاع أقدام ينتهبون الأرض  
 بخطاهم كأن الانسان منهم يجرى وراء عمره خاشيا أن يضيع منه فى  
 الزحام •

كل ما معى عشرون جنيها ماذا أنا صانع بها • أترانى ضعت

من الحياة • سبحان الله ... أعوذ بالله من الشيطان الرجيم  
بسم الله الرحمن الرحيم « ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان  
تذكروا فاذا هم مبصرون » صدق الله العظيم •

ان معى ايمانى بالله و يقينى به يقينى • ومعى قوة الجسم • ومعى  
شجاعة القلب • ومعى ثقتى أن الله لا يضع عباده المخلصين • وأى  
سلاح أقوى من هذه الأسلحة التى أتحصن بها •

وما لى لا أمشى فى مناكبها • وأرى ماذا هى صانعة بى وماذا  
أنا صانع فيها • هلم المسير •

ومشى وعبر الساحة وخرج من الباب وترك قدميه تختاران  
الطريق يتبعهما ولا يأمرهما وقد أحس أن العقل لا عمل له الآن  
وانما النظرة وحدها هى التى تتحكم فى كيانه ... وفى لحظة أحس  
أنه يتبع شيئاً لا يدرىه وإن خطواته استقامت على طريق من الهدى  
لا يدرى مآثاه • سارع فى شارع ابراهيم وكان قوة عليا تحركه  
والغريب فى أمره أنه لم يحاول أن يتعرف معالم الطريق ولا الاسماء  
التي تحملها اللافتات على جانبي الشارع انما هو يمشى وكأنما ولد  
بهذا الشارع وكأنه يعرف كل خافية من خوافيه • وطال به الطريق  
وهو يحس طوله ذاهل هو عن المكان والزمان وانما يمشى ثم وقف •  
ثم نظر

لافتة كتب عليها شركة تعمير سيناء • صعد السلم ودلف فى شقة  
ذات بهو واسع عريض يجلس فى صدره على مكتب صغير رجل فى  
أواسط العمر قصد اليه •

— السلام عليكم

— وعليكم السلام يا ابنى ورحمة الله وبركاته

— أليست هذه شركة تعمير سيناء

- نعم هي
  - لا شك انكم تريدون عمالا
  - هو ما قلت
  - فهل أصلح
  - ماذا تريد أن تعمل
  - أى عمل
  - نحن لا نحتاج الى أعمال مكاتب
  - وأنا لم أقل أننى أريد عمالا فى مكتب
  - أمعقول هذا يابنى
  - ماذا تقصد
  - ان هيئتك تدل على أنك متعلم وعلى جانب من سعة العيش
  - وحدثك صادق فى النظرين
  - وتقبل أن تعمل فى أعمال البناء الشاقة
  - وأرحب بها
  - يا ابنى لن أناقشك فلكل انسان ظروفه ... هل معك بطاقة
  - ها هي ذى
  - متى تريد أن تسافر؟
  - ان كان هناك عمال سيسافرون اليوم فما أحب الى أن اسافر
- اليوم
- اذن فأنت ستسافر اليوم
  - أكرمك الله

— اقعد هنا •• فأنت ستسافر بعد ساعة

\*\*\*

اذن فأنا في سيناء في رحاب الوادى المقدس • ما أعظم هذا الذى اختاره لى الله •

نام مع العمال وسمع الى أحاديثهم في صمت منه مطبق لا يجيب الا اذا سأله منهم محب للاستطلاع •

وفى الصباح بدأ العمل وتوالت الأيام حتى اكتملت أسبوعا وهو يقوم بعمله في طاعة وفى عزم وفى قوة واضحة تفوق عشرات الرجال •

وكان إذا انتهى يوم العمل ترك اخوانه وراح يوغل في المنير بجانب الجبل ونفسه ترف من الخشوع والسعادة وترقى به الى مدارج من النورانية الوضاعة المتألقة • وكان منذ اليوم الأول قد اختار مكانا أنس اليه يجلس فيه وتسبح روحه طليقة وهو يقرأ القرآن مخافتا حيناً أو مجاهرا •

لم يكن يعرف الأجر المقرر له ولم يسأل ولكنه وجدهم يعطونه في نهاية الأسبوع الأول عشرين جنيها فرح بها كل الفرح • فالطعام يقدم اليهم مجانا والمبيت أيضا فهو لا ينفق شيئا •

ومضت به الحياة وهو في سعادة أنسته منيب ذلك القليل الذى تركه بأعماق الصعيد وأنسته أيضا أباه ذلك الطاغية العاتى وأنسته أمه أو التى يظن أنها حلت مكان أمه والتى كان يحس منها الحنان الدافق يفوح منه عبر الأم السماوى • وأنسته أخاه مأمون وقد كانت علاقته به أقوى من أى أخوة بين أخوين • فقد كان يشعر أنه جزء منه لا يتجزأ •

نسى هذا جميعه في غمرة العمل عند الصباح وقد كان يبدأ مع

شروق الشمس • ونسيه أيضا في ساعات البهجة الروحية الكبرى التي  
كان يحسها في مسيره بجانب الجبل وفي جلسته التي أنس إليها  
وأنست إليه •

ومضى عليه في عمله وفي أثباج سبحاته العلوية شهر وأربعة  
أيام • وكأنه في حلم يحرص أن يحلمه وأن يطول مكوثه في رحابه •

وفي يوم طال به الجلوس في مكانه الأثير وغابت الشمس فلم يحس  
لها غيابا فالنور في داخله أعظم اشراقا من نورها • ومضت الساعات  
حتى أحس كأن هاتفا يوحى إليه أن يقوم •

فنهض وأخذ طريقه الذي تعود أن يسير فيه • وهو يقرب ناظريه  
في كل ما يحيط به • وفجأة رأى نارا على مدرجة من الجبل عالية  
فعجب من ذلك الذي يشعلها هناك • وتملكه حب التعرف فراح يصعد  
الجبل يؤم النار فهي سمته وأحس بالجهد ولكنه واصل الصعود دون  
محاولة منه للتفكير فيما يصنعه • لقد صمم أن يعرف معنى وجود  
النار في هذا المكان تصميمًا ليس له في دخيلة نفسه سبب واضح •  
وصعد • ونال منه الجهد كل متال ولكنه صعد • وأخيرا بلغ النار •  
مشتعلة هي ولكن النور الذي يخرج منها أقوى من جذوتها فراح ينظر  
إليها ويطل النظر مبهورا دهشا • وجلس وكان الليل باردا قارس  
البرودة فنشر يديه فوقها عله أن يصيب بعض الدفء وما هي الا لحظة  
حتى ملكه النعاس • فنام في جلسته ويداه ممدودتان فوق النار تمدان  
كيانه بالدفء والطمأنينة •

وفجأة بدا له في المنام ذلك الشيخ النوراني

— الام بقاؤك هنا يا سامي

— وما الضير في ذلك

— أهكذا تريد أن تقضى حياتك

- وهل مازالت لى حياة بعد الذى صنعت
- انك لست علام الغيوب
- استغفر الله العظيم
- اذن فأمامك الحياة كلها
- فى السجن
- هذا ليس من شأنك
- وهل فى هذا شك ؟
- ان الله وحده الذى يعرف ما الذى يخفيه الغد
- أولا تخبرنى
- استغفر الله العظيم
- اذن كيف أعود الى الحياة وقد قتلت نفسا بغير نفس
- انك عائد لا محالة • ان لم يكن اليوم فغدا • فهذا البناء الذى تشارك فى بنائه لن يستغرق من حياتك الا وقتا ضئيلا
- هذا حق
- عد من غدك وانظر فى أمرك
- والسجن
- واجه حياتك
- بما فيها أبى
- ربما كنت أنت خير من يواجه أباك
- أنا

— أنت تحفظ القرآن وأنت عظيم الايمان وقد وهب الله لك قوة  
لا مثيل لها فمن يواجهه اذا لم تواجهه أنت  
— وتهمة القتل التى تلاحقنى

— أنت لم تقتل عمدا ولئن تسجن فترة ثم تخرج الى الحياة  
خير من أن تحكم أنت على نفسك بالسجن داخل نفسك مدى  
الحياة

— أهل أعود اذن

— واجه مصيرك

— وأبى

— وماذا عن أيبك

— انه أبى

— وان جاهدك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما  
وصاحبهما فى الدنيا معروفا واتبع سبيل من أناب الى ثم الى  
مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون  
— أو مشرك هو

— لقد أشرك مع الله نفسه وتآله فى الأرض وافشى الظلم بين  
الناس وأصاب منهم الأموال والأرواح

— وماذا أنا مستطيع قبله

— بالايمان ستواجهه وبالعلم

— وأخى

— ماذا ترى فيه ؟



- انه قطعة منى
- فقيم خشيتك !
- سيؤازرنى
- فتوكلا على الله
- انه نعم المولى
- وانه نعم النصير

وصحا سامى من غفوته ونظر الى النار فوجد الجذوة فيها أقوى  
من النور • فراح يردد كلمات الله سبحانه وتعالى « فاذا عزمت فتوكل  
على الله ان الله يحب المتوكلين » صدق الله العظيم •

١٣

وصل الى القاهرة والشمس تميل الى الغروب وركب السيارة العامة التي تؤدي الى الجيزة وكان قد عرف كيف يركبها من زميله سلمان المعسراني الذي اشار عليه أن ينزل في شقة بعمارة بشارع رستم بالجيزة تعود صاحب البيت أن يؤجرها لطلبة الجامعات \*

نزل في ميدان الجيزة منفذا تعليمات سلمان وبدأ يسأل المارة عن شارع رستم وراح كل واحد يدلّه عن طريق يتضارب مع الطريق الذي دلّه عليه الآخر \* وتلوى به السبيل وتشابكت الشوارع والسبل وأقبل الليل وحل الظلام الا قليلا من نور يتلصص من نوافذ المنازل وفي عتمة من طريق سمع أصوات قوم تأتي اليه خافقة ولكنها حاسمة \* وكان سامي ذا سمع حاد فاقترّب قليلا ثم رأى ثلاثة نفر ملتفين حول فتاة وسمع أحدهم \*

— ستأتين معنا شئت أم أبيت

ولم يسمع سامي اجابة

وسمع صوتا آخر يقول :

— لو علا صوتك ستجدين هذه المطواة في صدرك •

واختبأ سامى ثم ألقى النظر خفية فرأى أحدهم ممسكا برأس الفتاة وهى تقاوم مقاومة عاجزة • ونفض سامى الطريق بعينه فوجد النور المتهافت قادما من شباك يقع فى الناحية التى يختبئ فيها ووجد ما يقرب من سعة متر على طول المسافة التى تفصل بينه وبين المجرمين معتممة تماما فالتصق بالحائط وراح يخطو خطوات جانبية الى المعتدين لا يرونه حتى انقض فجأة على ذلك الذى يطوق وجه الفتاة ورمى به الى الأرض وفى لمحة خاطفة كان الاثنان الآخران على الأرض مع زميلهما وحاذر سامى أن يضرب بكل قوته حتى لا يصل الأمر الى جريمة أخرى • فقد كان وهو يخطو خطاه المتتدة المخاذرة يفكر فى روية أنقذت المعتدين وأنقذته أن يرتكب جريمة أخرى •

قال للفتاة :

— لا تخافى

— الله يحميك

— لن أترك هؤلاء حتى أذهب بهم الى الشرطة ••• أين الشرطة

— قريبة من هنا

— فهيا بنا

— وكيف ستثبت للشرطة

— تقولين الحقيقة

— وماذا يجعلهم يصدقون

— سيعترفون

— لن يعترفوا

— سأجعلهم يعترفون

— لن تصدق الشرطة شيئا • ولن تصدق أن شخصا واحدا تغلب على ثلاثة مجرمين وسوف تظن أنك أنت الذى هددتهم بالسلاح

— اذن اتركهم ؟؟

— هذا رأى

— وحق المجتمع

— منهم الى الله

— لقد قلتها • ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم لا بد أن أذهب الى الشرطة • هلم أرني الطريق الى الشرطة •

وعجبت الفتاة وهى ترى سامى ممسكا بالثلاثة وهم مستسلمون له فى غير عناد ودون أن يستعمل سلاحهم بل انه أمر الذى كان ممسكا بالسلاح أن يطويه ويضعه فى جيبه ففعل • وازداد عجب الفتاة وهى ترى المجرمين الثلاثة ينقادون لسامى وكأنهم واقعون تحت سيطرة قوة عليا لا يملكون منها فكাকা • وسار الركب الى قسم البوليس وألقى سامى بحمله أمام المسئول وأدلت الفتاة باسمها وعرفه سامى • انه رشيدة مسعود النبوى • طالبة بالسنة الأولى بكلية الآداب وتمت كتابة المحضر • وحجز المتهمون الذين وجدوا أنفسهم يعترفون بجريمتهم دون أى مقاومة فقد كانت نظرات سامى كافية لتجعلهم يفقدون كل سيطرة على عقولهم • وقع سامى فى حيرة حين سأل المحقق عن عنوانه الا أنه سرعان ما قال الحقيقة عن عودته من سيناء ومن أنه فى طريقه الى شارع رستم • وحين سأل المحقق أين نخطبك ان أردنا شهادتك تطوعت رشيدة بالقول :

— خاطبوه عندنا فسوف أعرف عنوانه

وخرج سامى ورشيده

— لا أعرف كيف أشكرك

— انها الصدفة وحدها

— أين أنت ذاهب ؟

— كما سمعت

— وهل تضمن وجود مكان بهذه الشقة

— على أن أجرب

— تعال معى الى أبى

— الآن ؟

— لابد أن يتعرف بك ولابد أيضا أن أروى له ما حدث حتى

يعرف فيم تأخرت •

— اذن هيا •

وبلغا العمارة ... كانت عمارة متوسطة الحال وفي أواسط العمر بناها صاحبها قبل أن يدمر الحاكم الصلات بين المالك والمستأجر بتلك القوانين التي أوقفت البناء في مصر تماما • كانت رشيده تسكن مع أبيها في الطابق الثانى من العمارة • وكان السلم معتما ولم يستطع سامى أن يرى شيئا واضحا من ملامح رشيده فقد كان لقاؤهما في الظلام • وكان النور خافتا كل الخفوت في قسم الشرطة فكان كل ما يعرف عن كيان رشيده أنها فتاة نحيلة ذات وجه ضامر مع أن معرفته بها كانت قد تجاوزت عدة ساعات قضائها في صحبتها •

وحين بلغا الشقة فتحت رشيده الباب بمفتاح معها ودخلت

وأوقدت النور في البهو ورآها • فتاة صبيحة الوجه هادئة القسمات  
زكية العينين تحكم وثاق شعر لا يثور ولا يتمرّد تلبس فستانا جميلا  
في تواضع وغير بهرجة • ورأت هي فيه فتى مطمئن الملامح حاد  
القسمات فارغ الطول في عينيه سماحة حاسمة وفي فمه هدوء الايمان  
وقوته في آن واحد •

في لحظة من لحظة عرف كل منهما وجه الآخر وصوب الأب يعلو  
من احدى الحجرات •

— أهذا أنت يا رشيدة

وتجيب رشيدة في حب واحترام

— نعم يا أبى

— تأخرت تعالى

وتقول رشيدة في صوت هادىء لسامى :

— تعال

وتقصد الى الباب المواجه لباب الدخول وتدخل ثم تردد لسامى

— تفضل

ويسمع سامى الأب وهو يقول :

— مين ؟

وقبل أن تجيب رشيدة تضمهم جميعا غرفة مكتب يجلس في  
صدرها رجل واضح الطيبة زكى الطلعة يلبس نظارة سسيكة تدل  
دلالة واضحة على مقدار ما يعاني من ضعف البصر • وتقول رشيدة :

— أبى هذا سامى زين الرفاعى

ويقول الأب ذاهلا :

— أهلا وسهلا يا ابني • تفضل • اقعد

وقعد وتقول رشيدة :

— أنقذني يا أبى من هلاك محقق • كنت فى طريقى الى المكتب  
بعد أن سلمت أوراقا كتبها على الآلة فى شارع رستم فاذا ثلاثة  
رجال •••

وراحت رشيدة تقض على أبيها فى أمانة وفى اسباب كل ما وقع  
لها فى ليلتها تلك وسامى يرقب وجه الأب الذى بدا له وكأنه صفحة  
ثقية يرتسم عليها كل ما يعتمل فى نفس الأب من خوف ومن غيظ ومن  
اعجاب ومن سعادة • حين انتهت رشيدة من قصتها التفت الأب الى  
سامى

— شكر الله لك يا بنى وكافاك أحسن ما تكون المكافأة

وتقول رشيدة وكأنها تستدرك :

— يا سامى أبى الدكتور مسعود النبوى أستاذ تاريخ بكلية  
الآداب

— أهلا يا أستاذنا ••• أهلا وسهلا

— أهلا بك يا ابنى

ثم التفت الى ابنته

— أمازلت مصر على العمل فى مكتب الآلة الكاتبة هذا

— اذا لم تمنعنى يا أبى فأنا أحب أن أعمل ولكننى أعدك أنتى  
لن أذهب بعد اليوم الى أحد بأوراقه

— وهل تذهبين عادة

— لهذا الزبون فقط فهو مقعد وأنا أشفق عليه • وهو يعيش  
مما يكتبه للاذاعة ومرتبطة بمواعيد ولكن هذا جميعه لن يجعلنى  
أسير فى الشوارع المظلمة وحدى بعد الليلة أبدا •

والتفت الدكتور الى سامى

— يا ابنى لا تعجب فأنا أعمل أستاذًا متفرغا كما يقولون وهى  
من اسماء الاضداد فقد خرجت على المعاش من سنة تقريبا ولا احاضر  
الا ثلاث محاضرات فى الأسبوع وأنا أحاول أن أكتب كتابا عن  
تاريخ الحضرة فى الشرق الأوسط فأنا منصرف اليه • ودخلنا لا يكفى  
أدويتى ومراجعى ونفقاتنا ولهذا رأت رشيدة أن تستعين على الحياة  
وتعيننى •

— أنعم بكما واكرم ••• أب عظيم وابنة عظيمة

— أكرمك الله يا ابنى ••• وأنت من أين

— أنا ••• أنا من الصعيد • ووجئت الى مصر وذهبت الى  
سيناء وقدمت منها الليلة بأمل البقاء هنا وكنت فى طريقى الى شقة  
للطلبة سمعت عنها فى شارع رسنم •

وأدرك الدكتور الذكى أن هذا فقط ما يريد محدثه أن يقوله  
عن نفسه فلم يسأل سؤالا واحدا يجعله يقول ما لا يريد وإنما  
قال له •

— وهل سكنت فى هذه الشقة التى تقول عنها قبل اليوم

— أنا لم أحضر الى القاهرة قبل هذه المرة

ونظر الدكتور الى رشيدة

— رشيدة الحجرة التى كان يسكنها عبد السلام ما شأنها

— خالية يا أبى



— هل أخذ عبد السلام ما له فيها  
— نعم فقد حصل على الليسانس وأحسب أنه لن يعود في العام  
القادم

والتفت الدكتور الى سامى

— أقم بهذه الحجرة وبها حمام أيضا وتصلح لك  
وارتبك سامى قليلا وهم أن يقول شيئا ولكن الدكتور يعاجله  
— اسكن بها أولا • وستحدث عن الأجرة في الغد بعد أن  
تستريح اليوم من عناء السفر والعراك وحماية ابنتى من الذئاب •  
خذي به يا رشيدة الى الغرفة ولا أوصيك به ففضله علينا كما  
تعرفين عظيم •

وصعد سامى الى الغرفة ومعه رشيدة تحمل ملاءات نظيفة فرشتها  
له على السرير وتركته بعض الوقت وعادت له بالعشاء • واستقر به  
المقام بعد يوم طويل عصب •

\*\*\*

في الصباح الباكر كان سامى بمقر التليفون العنومى وطلب منزل  
أبيه في البلدة مقدرا أن الاجازة الصيفية لم تنته بعد وأن مأمون  
ووالدته سيكونان بالقرية •

وأجاب مأمون على التليفون وما أن سمع صوت أخيه حتى  
صاح

— سامى أين أنت • منيب لم يست • كان مغمى عليه فقط

— أحقا ••••• أحقا

— اننا نبحث عنك في كل مكان أين أنت •

— أنا في مصر

— عنوانك ... ما هو عنوانك

— ما أخبار تيجتي

— أحرزت تسعين في المائة من الدرجات وقدمت لك في كلية  
الآداب قسم التاريخ كما كنت تريد ... عنوانك

— تعال الى اليوم أو غدا يا مأمون واكتب عنواني

خمس وخمسين ميدان وجدى بالجيزة

— كلم يا سامى كلم

وتكلمت اليه الأسرة جميعا وهو يكاد يطير من الفرح • وتنتهى  
المكالمة ويخرج الى أقرب جامع ويروح يصلى ركعات لا عدد لها  
شكرا لربه ... لقد كان ينتوى أن يظل هاربا من الحياة كلها من أجل  
جريمة توهمها ولم تقع •

وحين انتهى من صلاته اتحنى من الجامع ركنا وراحت الدموع  
تنسكب من عينيه راوية بالسعادة وكأنما أراد أن يغمر بهذه السعادة  
كل جارحة من جسمه لا يكتفى بها هادرة صاخبة في القلب وحده •  
عاد الى البيت • وصعد الى غرفته فقرأ ... فوجد رشيدة تنظم  
الحجرة •

— وبعد يا ست رشيدة

— أين ذهبت

— تعالى معي

— الى أين

— هل صحا الدكتور

— نعم

— اذن فتعالى معى

وقصدا الى الدكتور وراح يقص عليه قصته جميعا لم يخف عنه حتى ما عرفه عن أبيه من طغيان وظلم • والدكتور يسمع فى هدوء لا يقاطعه وانما يلاحقه وسامى يحس أن الرجل يشعر بكل خلجة فى صوته أو فى صدره حتى اذا انتهى من الحديث جاءه صوت الدكتور وكأنما يتصاعد اليه من أعماق بئر بعيد الغور •

— بارك الله فيك يابنى ووفقك فى كل ما تسعى اليه

وظلت رشيدة فاغرة فاها فى دهشة بالغة وكأنما لم تكن تتصور أن هذا الفتى الحدث يستطيع أن يدرك معانى الخير والجبروت بكل هذا الصدق والايمان والوضوح •

\*\*\*

فى اليوم التالى كانت غرفة سامى تفص بأبيه وأمه ومأمون وفواز جميعا لا يصدقون عيونهم أنهم يرون سامى ثم يقول الأب :

— منذ الغد أبحث لك عن شقة مفروشة تليق بك

ويقول سامى :

— ان هذه الغرفة هى التى تليق بى

ويقول الأب فى غضب :

— ماذا تقول ... أتريد أن تشهر بى بين الناس ويقولوا انه

تارك ابنه فى حجرة فوق السطح

— أى ناس يا أبى • اتنا هنا فى القاهرة ولا أحد هنا يعرف الآخر

وهذه الحجرة تكفينى بل وتكفى معى مأمون أيضا • وفواز

— ماذا

— ليس من المعقول أن يتعلم كل منا في ناحية \*\*\* القاهرة  
تستطيع أن تعلمنى وتعلم مأمون وقد علمت العرب أجمعين

ويلتفت زين الى الأم

— أيعجبك هذا الكلام

وتقول الأم فى فخر :

— انه خير كلام • انه يريد أن يتعلم ولا يريد المظاهر الفارغة  
ولا يحتاج اليها

— فان جئنا لزيارته

— نزوره ونبيت فى الفندق الذى سئبيت فيه الليلة

وأحس الأب بالخذلان ثم التفت الى سامى

— ألا تأتى معنا حتى تنتهى الاجازة

— بل أنا الذى سأبقى مأمون معى وفواز حتى تنتهى الاجازة  
ثم أدخل أنا الى الجامعة

— وفيهم بقاؤكم لبداية الدراسة

— لأقدم لمأمون فى مدرسة السعيدية القريبة من الجامعة ونعد  
أنفسنا للقاهرة وتتعرف عليها \*\*\* فهمى مقامنا الجديد •

وأطرق الأب قليلا • ثم قال :

— خذ

وأخرج حافظته وراح يعد ثم أعطى سامى مبلغا من المال •  
ونظر سامى الى المال وخيل اليه أنه يقطر دما وأوشك أن يرفض

ولكنه فى لحظة رأى نورا يحيط بالمال وأزمع أمرا ومد يده وتناول المبلغ الذى لم يتبين عدده وقال الأب :

— هذا المبلغ مائتا جنيه وسوف أرسل لك كل شهر مثل هذا المبلغ لك ولأخيك وأوشك سامى أن يقول هذا كثير ثم ما لبث أن قمع الجملة فلم تخرج وانما نطق بدلا منها كلمة واحدة •

— شكرا

ونظرت الأم نظرات عميقة فى عيني ابنها وكأنما تبينت ما فيهما فقد كانت تنتظر أن يطلب الى آبيه أن ينقص المبلغ الى الربع أو النصف • ودهشت من هذا الشكر المستسلم الذى أبداه حتى اذا أنعمت النظر فى عيني ولدها حل الرعب مكان الدهشة وتعال أنفاسها ولم تقل شيئا •

وخرج الأبوان ليسافرا وخرج معهما فواز ليعود بحقيبة مأمون وحقيبتيه وما أن خلت الغرفة بمأمون وسامى حتى وجد كلا الأخوين نفسه مندفعا الى أحضان أخيه وراح كل منهما يضم الآخر وكأنما يريد كل منهما أن يصبح جزءا من كيان الآخر • وانهمرت دموع فرح وشوق وحنين •

وحين جلسا قال مأمون :

— سامى انك تضر شيئا

— نعم

— قلله

— بل انتظر

— اتخفى عنى

— لو أخفيت عن نفسي ما أخفيت عنك

— اذن

— هي فكرة بدت لم تتضح معالمها لن اطلعك عليها الا حين  
تصبح صالحة أن أفكر فيها \*

— وأنا قبلت \*

\*\*\*

١٤

قال الدكتور لسامى :

— سامى ماذا أنت صانع فى وقتك

— تقصد أوقات الفراغ

— هذا ما أقصد ... وأنت منذ الآن فى فراغ حتى تفتح الجامعة

ثم أنت بعد أن تفتح الجامعة لن تحتاج الى وقتك كله للمذاكرة •

— أعلم ذلك ...

— اذن

— قل لى أنت يا دكتور ما الذى جعلك تسألنى هذا السؤال

— ربما كان لى فى ذلك مآرب

— انه أمر عجيب

— ومن أين العجب

— أنتى كنت قادما اليك من أجل هذا

- كنت قادما من أجل ماذا ؟
- الأبحث عن عمل لى وعمل لأخى
- ولكن كيف
- كيف ماذا
- ألا يرسل أبوكما لكما ...
- انه فى الحقيقة يعطى كلا منا مبلغا كبيرا أكثر مما نحتاج اليه ولكننى لا أريد أن أمس هذه الأموال
- تريد أن تعتمد على نفسك
- نعم
- وماذا أنت صانع بهذه الأموال ... هل ستردها الى أبيك
- بصورة أو بأخرى
- ونعم الإبناء أئتما
- رعالك الله
- اذن فاسمع ... أنا أريدك أن تعمل معى وتقرأ لى فأنت لاشك قد لاحظت ضعف بصرى
- ما أعظم هذه الوظيفة
- أما أخوك مأمون فسأجعل رشيدة تعلمه الكتابة على الآلة
- الكتابة ويعمل معها فى المكتب الذى تعمل به
- أعجز عن شكرك

\*\*\*

مر عام واثتصف العام الآخر ولم يذهب سامى ولا مأمون الى



البلدة بحجة أنهما في القاهرة يعملان • ولكن الواقع أنهما كانا لا يريدان أن يذهبا الى القرية قبل أن يتما تعليمهما • وكان الأب كثيرا ما يزورهما في القاهرة وكثيرا أيضا ما كانت أمهما تأتي معه •

نما حب ناعم نضير طهور بين سامى ورشيدة • لم يجرؤ أن يظهر الا في نظرة عين تظفر فلا يستطيع أن يكبح جماحها • أو في ابتسامة معها تلاقىها ابتسامة منه لا تطيق أن تحجبها ويمجز عن اجابتها وحزم أمره بعد روية وتدبر :

— دكتور لى كلمة

— قلها

— أعلم أنتى طالب ما أزال

— قل ما تريد ولا تطل فأنا لم أعود منك أن تقول كلمة الا في موضعها

— انتى أحب رشيدة كل الحب

— وهى ١٩

— ما كنت لأسألها

— باركك الله

— اذا قبلت ••• أكون •••

— واذا لم تقبل

— سأترك البيت • فأنا أدخل بيتك كثيرا

— لا تكمل

\*\*\*

— ما رأيك يا رشيدة

— ما رأيك أنت

— لا أستطيع أن أقول إلا اذا عرفت مكانه منك

— أبى... انى أحبه • وانى أقدره

\*\*\*

وجاء الأبوان وتزوج سامى من رشيدة وأصبح سامى يقيم مع عروسه فى شقة أبيها وترك الحجرة لمأمون • وانقضت سنوات الدراسة ونال سامى ورشيحة ليسانس الآداب • وبقيت سنتان دراسيتان أمام مأمون ليتخرج فى كلية الحقوق •

وكان على سامى أن يؤدى الخدمة العسكرية • فذهب الى المكان العسكرى الذى حدد له وتمت الاجراءات وبدأ سامى يبيت فى المعسكر حتى يتم توزيع القادمين على مختلف الأسلحة •

وكان الوقت صيفا وكان سامى وزملاء له كثيرون يتحلقون حلقات فى ضوء القمر • وكان سامى يستمع بينما كل منهم يروى ما تمن له روايته... فمن حكايات ضاحكة الى مآسى الى قصص أخرى لا تضحك ولا تبكى وانما تروى لينقطع بها الوقت وتهون ملالته • وفى لحظة صمت الجميع كأنما لم يجد أحد منهم شيئا يقول • كان السكوت لحظة أو أقل • واذا بواحد منهم يقول أليس بينكم من يحفظ القرآن أو شيئا منه • وقال سامى :

— أنا احفظه أو احفظ الكثير منه والحمد لله

وسأله آخر

— أتستطيع أن تجود

وقال سامى :

— أظن ذاك

وقال آخر :

— أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم اسمعنا  
أكرمك الله وتهياً سامى وبدأ •

— أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم  
« سبح اسم ربك الأعلى • الذى خلق فسوى • والذى قدر فهدى •  
والذى أخرج المرعى فجعله غشاءً أحوى • سنقرئك فلا تنسى •  
الا ما شاء الله انه يعلم الجهر وما يخفى • ونيسرك لليسرى • فذكر  
ان نعت الذكرى • سيذكر من يخشى • ويتجنبها الاشقى • الذى  
يصلى النار الكبرى • ثم لا يموت فيها ولا يحيى • قد أفلح من تزكى  
وذكر اسم ربه فصلى • بل تؤثرن الحياة الدنيا • والآخرة خير  
وأبقى • ان هذا لفي الصحف الأولى • صحف ابراهيم وموسى • »  
صدق الله العظيم •

كان سامى حين يقرأ ينصرف بجميعه الى آيات الله فلم ير الذهول  
من حوله وصموت الكون وخشوع الكائنات جميعا حتى كأن القمر  
والأنجم قد اقتربت تتسمع الى صوت لم يسمعه الخلق من قبل • ومن  
كل حذب وناحية أقبل من فى الشكنات مبهورين يسرون هونا لا يصدر  
صوت من خطواتهم يشوب هذا الجمال الالهى الجرس الربانى  
النغم •

وحين انتهى سامى من قراءته هوم الصمت المأخود على الجميع  
وازداد القمر تألقا وبدت الأنجم وكأنما ترسل كل واحدة منها  
شعاعا فيه عطر السماء تحية للصوت المتخشم الرخيم • فلم تكن روعة  
الصوت وحدها هى التى أخذت بكل هذه المخلوقات وانما خشوع  
الرنين واخباته وكأنه متبتل يصلى فى محراب وفجأة ارتفعت أصوات  
الاعجاب • وقال قائد الشكنة :

— سبحان المعطى الوهاب ما اسمك يا ابنى

وذكر سامى اسمه ورقم تجنيده وقال القائد :

— أنت معى فى مصر ان شاء الله

— أمرك

— وفى أى سلاح تريد أن تتم خدمتك

— تمنيت يا سيادة القائد لو اننى اتقنت التصويب

— ولك ما تريد بعون الله

وهكذا أصبح سامى من خيرة الذين يصوبون

وأتم سامى الخدمة العسكرية بأحسن ما يتاح له فكان يبيت  
معظم الأيام مع زوجته ويذهب الى الشكنة فى باكر الصباح \*

\*\*\*

وعين سامى بمدرسة فى الزمالك وعينت رشيدة بمدرسة فى  
الجيزة \*

١٥

شملول وصبيحة هذان الحبيبان اللذان أبيا الظلم • وأبى معهما  
أهلوه أن يستضعفوا في أرض قريتهم فهاجروا إلى أرض الله الواسعة  
ليجدوا مراغما كثيرا وسعة وقد وجدوا ذلك الملجأ الفسيح عند  
أقاربهم في القاهرة • وانفتحت أمامهم أبواب الرزق يمثلون الإنسان  
حين يستكبر أن يعتو عليه إنسان مثله ويمثل العاشقان منهما اسمى  
ما في الحياة من معاني الحب تلك النسمة من نسائم الجنة التي شاء الله  
في عالي سمائه أن يرسلها مع آدم وجواء حين أمر بهما أن يتركا  
جنته الفيحاء إلى هجير الأرض •

فاذا ذلك الحب يصبح موئل البشرية وملاذها ومراحها ونداها  
يرطب به سبحاته وتعالى عداوات البشر في تلك الحياة الدنيا التي  
تشابكت فيها المطالب وتصاخبت فاذا أبناء آدم بعض لبعض عدو إلى  
يوم الدين •

حين احتجب الحب بين قابيل وهاويل قتل الأخ أخاه وحين عاد  
الحب يتنافس في اخفاء قابيل واري سوءة أخيه • وهكذا بدأ الحب

مع البغضاء في الأرض نسمة من نسائم الجنة لولاء لفنيت البشرية  
منذ عصورها الأولى و انتهت الحياة •

شملول وصبيحة زوجان يشد كل منهما الى الآخر منبت القرية  
والمهجر الى القاهرة ثم الزواج فكانت بينهما مع الحب المودة كل المودة  
والرحمة كل الرحمة وسكن شاملول الى صبيحة وأنجب لهما الزواج  
ماهر ثم مختار • وكان شاملول يعمل بالزمالك في متجر الفاكهة ثم  
ما لبث أن أصبح صاحب المتجر جميعا • فكان يصحب ولديه الى  
المدرسة الاعدادية بالزمالك ويعود بهما في الظهرية وحين يعود هو الى  
دكانه يتركهما بين يدي صبيحة ترقبهما في المذاكرة ثم يصحبان  
التليفزيون ان راق لهما أن يصحبا أو ينزلان الى أصدقائهما بينهم  
زملاء دراسة وجيران وبينهم جيران غير زملاء •

وصبيحة حريصة دائما أن تعرف منهما في ملاينة ودون أثقال  
كل أبناء المدرسة واسماء المدرسين •

وأخبرها ماهر ثم أخبرها مختار بأسماء المدرسين الجدد الذين  
وفدوا الى المدرسة وذكر اسم سامى فيمن ذكر ولم تول الاسم أى  
اهتمام وما كلمة سامى بالنسبة اليها • وكم من « سامى » في الحياة •

والعجيب أن سامى حين دخل الفصل الذى به ماهر وسأل الطلبة  
عن اسمائهم وقال ماهر اسمه ماهر شاملول القط لم يلتفت سامى الى  
الاسم على الرغم من أنه اسم ليس مثل كل الاسماء ولكنه عبره دون  
التفات وكذلك كان شأنه في فصل مختار أيضا ومرت الأيام فلا بيت  
ماهر ومختار علما أن ابن الذى أخرجهم من ديارهم يدرس لابنيهما  
ولا سامى يعرف أن من بين تلاميذه ذرية قوم عتا عليهم أبوه كل عتو •

وفي يوم • بينما كان سامى يدرس للفضل الذى فيه ماهر وحين

كان موليا ظهره للفصل يكتب على السبورة تعالت الى اذنه ضجة  
هامسة فالتفت فجأة فوجد ماهر محور هذه الضجة فاستدعاه \*

— تعال أنت

فقد كان ناسيا لاسمه

وتقدم ماهر وجلا حتى وقف ازاءه

— ما هذه الضجة

— لا شيء يا أستاذ

— بل هناك شيء

— أنا لا ذنب لي

— ربما ولكن اللفظ يدور حول مقعدك

— اسألهم سيادتك

— ماذا هناك يا أولاد

وساد صمت فاشار سامي الى التلميذ الجالس بجواره ونظر اليه  
تنظرة عميقة ووجد الطالب نفسه يقول كل شيء

— ماهر

وقال سامي

— ماهر من

— ماهر هذا

والثفت سامي الى ماهر

— هل اسمك ماهر

- نعم يا أستاذ  
وعاد سامى الى التلميذ الآخر وسأله  
— هه • ماذا فعل ماهر  
— أحضر معه بعض حبات من المشمش وراح يأكلها فى الفصل  
— مشمش ! ؟  
— نعم  
— وبعد  
— راح التلاميذ يطلبون منهم أن يعطيهم شيئاً مما يأكل  
— هذا كل ما فى الأمر  
— نعم  
— لماذا تأكل المشمش فى الفصل يا ماهر  
— أكلت حبة واحدة يا أستاذ  
وقال سامى فى محاولة أن يزيل الخوف عن ماهر الذى رأى  
علامات الرعب بادية فى عينيه •  
— هل اشتريت المشمش وأنت قادم الى المدرسة ؟  
وازدرد ماهر لعبابه من الخوف وتعالت فى الفصل ضجة سمع  
منها سامى كلمة أبوه ولم يتبين ما يليها فرفع يده الى التلاميذ وساد  
الصمت والتفت الى •  
— ما اسمك كله يا ماهر  
— ماهر شملول القط



وأعاد الاسم كل ما يحيط باسم شملول من ذكريات وتذكر  
 قصة ذلك الفنى الذى أوقع أبوه بأهله أفدح الظلم وشك أن يكون  
 شملول أبو ماهر هو نفسه شملول الذى سمع قصته فيما سمع عن  
 مظالم أبيه • وأعاد الاسم على مسامع ماهر •

— ماهر شملول القط

— نعم يا أستاذ

— ما صناعة أبيك

وعلت أصوات التلاميذ حتى ابتلعت صوت ماهر وهو يقول فى  
 صوت خفيض • فقد قالوا جميعا صناعة أبيه فى أصوات مختلطة  
 لم يتبينها سامى

— فاكهى

وأشار سامى الى الفصل أن يصمت فصمت التلاميذ • وسأل  
 ماهر

— ماذا

وقال ماهر :

— فاكهى

ولم تكن صناعة الأب ذات شأن فيما ثار بنفسه من شك حول  
 اسم شملول

— ومالك لا ترفع صوتك لا تخف يا ماهر أنت لم تصنع شيئا  
 يستحق منك هذا الخوف • قل لى يا ماهر هل أبوك من مصر أم من  
 الأرياف

— أنا يا أستاذ ولدت بمصر ولكننى أعرف أن أبى من  
 الصعيد وبدأ خيط من نور يخترق الشك الغامض

— ألا تعرف من أى بلدة فى الصعيد

— أظن يا أستاذ من بلدة اسمها التمرة

وانقطع الشك باليقين • لاشك اذن • وجلس سامى وصمت  
طويلا قم قال لماهر

— لا بأس عليك يا ابنى لن أمسك بأى سوء • اهدأ • اهدأ  
تماما واذهب الى مكانك

وأكمل سامى الدرس حتى اذا دق الجرس وبدأ التلاميذ  
يخرجون الى الفسحة نادى سامى تلميذه ماهر وسأله :

— أين دكان أيبك يا ماهر ؟

وتلجج ماهر وهمس أحد التلاميذ الى الآخر « الظاهر الأستاذ  
يريد أن يتعشى فأكهة الليلة » وضحك الذين سمعوا التعليق ولم  
يلتفت سامى الى ضحكهم وانتظر حتى خلا الفصل به وبماهر  
وقال له :

— لا تخف أنا أريده فى شىء خاص بعيد كل البعد عنك

واطمان ماهر وقال :

— فى شارع حسن صبرى يا أستاذ

— وهل يذهب أبوك بعد الظهر الى الدكان

— نعم

— اذن فأخبره أنتى قادم اليه اليوم فلينتظرنى

- أمرك يا أستاذ
- هل أنت وحيد أليك
- بل لى أخ وهو تلميذ هنا فى السنة الثانية واسمه مختار
- احضره لى غدا فى غرفة المدرسين لأتعرف عليه
- أمرك يا أستاذ
- مع السلامة يا بنى

١٦

صحب سامى رشيدة وذهب الى شملول • واشترت رشيدة  
بعض الفاكهة • وفجأة قال سامى دون أن يوجه الحديث الى أحد بعينه  
من الواقفين بالدكان •

— من شملول

وتقدم اليه فتى سمهري القامة طيب الملامح بادی الوسامة

— أنا شملول

— أنا سامى مدرس ابنك ماهر ومختار

— مرجبا أهلا وسهلا • شرفت هات كراسى يا درویش  
وجلس ثلاثتهم أمام الدكان وبدأ سامى

— أنت من التمرة

— أتعرفها ؟

— كل المعرفة

— لا أحسب انك سامى الذى نعرفه

- من سامى الذى تعرفه
- سامى زين الرفاعى
- أَيْغُضِبُكَ أَنْ أَكُونَ هُوَ ؟
- ويصمت شملول فترة ويقول سامى
- وكل انسان الزمناه طائرته فى عنقه
- ويقول شملول فى استسلام
- صدق الله العظيم
- اسمع يا شملول لقد وقع عليك من أبى ظلم فادح
- اذن فأنت تعرف أنه ظلم
- الظلم الذى وقع على من أبى أشد
- وظهرت الدهشة على ملامح شملول وقال
- عليك أنت
- الظلم الذى وقع عليك من أبى ظلم واحد أما الظلم الذى وقع
- على فهو كل ما أوقعه بالناس من قهر ومن اغتصاب لحقوقهم
- أو تشعر أنت بمعنى تحمل القهر
- أشعر كأنتى أنا الذى ارتكبت كل هذه المظالم أو أشعر
- كأنتى أنا الذى وقعت عليه
- أو تريد أن تعتذر عن أفعال أيبك
- بل أريد شيئاً أكبر من هذا
- ماذا ؟ !

ونظر شملول الى رشيدة مندهشا فأومأت برأسها أن نعم وقال.

سامى

— هذه زوجتى رشيدة وهى مدرسة أيضا

وقالت رشيدة

— صدقه يا شملول

— أمعقول هذا الذى يقوله يا ست

— انه يعيش فى جحيم مما يصنعه أبوه بالناس

— اذن فهو ليس ابنه

وتقول رشيدة

— أنت تعرف أمه

— كانت أشرف الناس

— اذن فاعلم أن أخاه مأمون أيضا يعيش فى جحيم مثله

مما يصنعه أبوهما بالناس

— أصدق أحد هذا

وتقول رشيدة

— وما لك لا تصدقه

— انه لا يدخل العقل

— ففيم تظنه قد جاء اليك وصحبني معه

— لا أفهم ... ربما ... ربما

— نحن فى القاهرة • نبعد عن التمرة مسافات ومسافات ما كان

أحراه أن يخفى أمره عنك وعن ولديك

- آمنت بالله ...
- ويقول سامي
- جل شأن الله
- فهل أطمع أن تعتبرني صديقا لك
- هذا أمر يسير وقد تم فعلا ولكن أيكفى هذا
- وينعقد لسان شملول وينفتح فمه في ذهول ويجمع الحروف
- لتصبح كلمات ويقول
- الى أى طريق تسير بالحديث ياسى سامي
- الى طريق الحق والنور والعدالة ان شاء الله
- ان قلبى يوشك أن يقف من الخوف
- بل قلبك سينتعش بالفرح ان شاء الله • من كان مثلك.
- لا ينبغي أن يعرف الخوف
- ماذا تريد أن تفعل
- اننا كلنا سنفعل ان شاء الله
- أنا أريد أن أعيش حياتي
- وحقك الذى تركته هناك
- لقد مرت سنوات طوال
- مرور السنين لا يسقط الحق
- لقد أعدت الى الحياة ما أماته السنوات
- ان العدالة ينبغي أن تكون أساس الحياة
- أتريد أن ننتقم من أيبك

— استغفر الله .. ليس النار ولا الانتقام مما يرضى الله عنه  
— أنا في حيرة مما تقول ... ماذا تريد أن تفعل أو ماذا تريدنا  
أن نفعل

— أنا قادم اليك في بيتك  
— أهلا بك وسهلا  
وقالت رشيدة  
— وأنا قادمة معه  
— يا مرحبا  
وقال سامي  
— وسيأتي معي أخي مأمون ونريد أن نلتقي بصبيحة ونتعرف  
عليها .. اثم نجلس معك أنت وصميذة ومحمود  
وقال شملول في بعض دهشة  
— كأنك تعرفنا جميعا  
— وأعرف عن أموالكم التي في التمرة ما لا تعرفون جميعا  
— اكاد لا أصدق  
— اكتب هنا عنوانك  
واعطاه ورقة وكتب شملول عنوانه وهو يقول  
— حسبتك تعرف عنواني أيضا  
ويبتسم سامي في جذل ويقول  
— ما كان أسهل على أن أعرفه من ولديك  
ويضحك شملول وهو يقول



- آه صحيح ... نسيت هذا
- متى يناسبك أن تأتي
- الأمر اليك
- خير البر عاجله
- والأستاذ مأمون ماذا يعمل
- أستاذ كما ذكرت
- مدرس أيضا
- بل تخرج في الحقوق هذا العام
- على بركة الله
- أيناسبك أن تأتي في الغد
- تشرف في أي وقت
- غدا في السادسة ان شاء الله • السلام عليكم
- مع ألف سلامة

١٧

اجتمع أهل التمرة جميعا وانضمت اليهم رشيدة زوجة سامى وفوزية زوجة صميده التى تزوجها فى القاهرة وروحية زوجة محمود التى تزوجها فى القاهرة أيضا وكان الجمع كبيرا ولكن غرفات شملول لم تضق بهم • وقد بدأ الاجتماع بترحاب مصرى صادق حتى وان كان القادمون يلف قدومهم الكثير من الغموض المبهم غير الواضح • ومر الشاى على الجلوس • حتى اذا أنهوا منه بدأ سامى فتعرف على أعمال صميده ومحمود • ثم بدأ الحديث •

— بسم الله الرحمن الرحيم

وقالوا جميعا بسم الله الرحمن الرحيم

وقال سامى

— ان الصمت على الظلم ضعف • وأنتم قد ظلمتم • وكنتم رجالا

وأيتهم أن تدعونا للظلم وخرجتم من دياركم وقدمتم الى مصر •

وهوم الصمت على الجميع فيه كثير من الذهول وكثير أيضاً  
من التشوق وانتظار الحديث المقبل •

— ربما تكونون الآن في خير حال • بل انكم لاشك قد  
استطعتم أن تجعلوا الحياة تستقر بكم استقراراً ما كانت لتستقره  
في الثمرة •

— وترددت الحمد لله • وأكد • وأما بنعمة ربك فحدث •  
واستأنف سامي حديثه •

— الحمد لله • ولكن أنا وأخي هذا وقع علينا الظلم  
ولا نستطيع له رفعا الا بمعوتكم •

وترددت ماذا • وكيف • وعجبية • من المستمعين وأكمل سامي •

— انكم خرجتم من الثمرة ولم تخسروا هناك الا البيتين الذين  
خرجتم منهما وبنيتهم حياتكم هنا جديدة مشرقة أما نحن أنا ومأمون  
فنعتبر كل ظلم وقع من أيينا على انسان كأنه وقع علينا • وأنا وأخي  
وزوجتي أيضاً نرى أن سكوتنا على ما يصنعه أبي أمر لا يرضاه الله  
بل انه يقول ان الشرك لظلم عظيم فالظلم العظيم اذن هو عند الله  
شرك •

— وقال محمود

— أتريد أن تحارب أباك

وقال سامي

— معاذ الله • ما كنت لأحارب أبي

وقال شملول

— عجيب أمرك يا أستاذ سامي ماذا تريد أن تصنع

وقال صميذة

— لا وسيلة لك الا محاربة الظلم

وقال سامى فى بساطة

— بل هناك وسيلة أجدى وأقوم

وصمت الجميع فى سكون وقالت روحية فى حب استطاع

— كيف

قال سامى

— منع الظلم أن يقع

وسأل شملول

— وكيف تستطيع

وقال سامى

— بل قل كيف نستطيع • فأتى بغيركم لا أستطيع أن أصنع

شيئا • اما أن تنضموا الى أو أترك الأمر كله •

وتصايحت أصوات الجميع من نساء ورجال وتناثرت الألفاظ  
والجمل واختلطت وتشابكت وركب بعضها فوق بعض • كيف • هل  
هذا معقول • نذهب للنار بأرجلنا • ونحن ما شأنا • أبعد أن أنقذنا  
الله مرة أخرى •

وعلت الابتسامة وجه سامى ومأمون ورشيده وانتظر ثلاثتهم حتى  
لم يجد أصحاب البيت بدا أن يصمتوا وقال محمود :

— ان ما تقوله عجيب يا أستاذ سامى • انك تاتى الينا فى  
مستقرنا بمصر وتطلب الينا أن نعود مرة أخرى للتمرة وقد حاول أبوك  
أن يقتلنى هناك واغتصب ييوتنا • ونحن قانعون بما نحن فيه  
اليوم • فنحن نعيش حياة آمنة لا نحتاج الى مال ولدينا أبناءنا

ونريد أن نربيهم وتطلب الينا أن نعود الى رجل طاغية معه الرجال  
والسلاح • وقلبه - ولا تغضب - بلا رحمة على الاطلاق • أهذا  
معقول •

- ان لم تردوا الظلم عن أهل قريبتكم فمن يرده  
ويقول صميذة

- فليقع الظلم ما شاء له أن يقع ما شأنا نحن  
ويقول سامى

- شأنكم أنكم نجوتكم من هذا الظلم وأنكم رجال وأنكم  
تملكون المال • وأنتم مسلمون والله يقول : « والذين اذا أصابهم  
البنى هم ينتصرون » •  
ويقول محمود

- ولماذا لا تحاول قرية التمرة برجالها أن ترد هذا الظلم •  
وييتسم سامى ويقول

- انهم يعيشون فى جوف الهول ولا يتصورون أن هناك طريقا  
لمقاومة الظلم أن يقع • وهم جهلاء وأنتم أصبتم ونحن أصبنا شيئا من  
العلم • وهم فقراء وأنتم ونحن أصبنا شيئا من الغنى •  
ويقول محمود

- أستاذ سامى لا تؤاخذنى • هذه أول مرة نراك منذ كنت  
طفلا ولا نعرف عنك شيئا • وأنت تطلب منا شيئا لا يتصور أحد أن  
ابنا يقوم به ازاء أبيه فكيف يمكن أن نطمئن أنك لا تجرنا الى مكيدة  
يدبرها لنا - ولا مؤاخذة - أبوك •  
وقبل أن يستطرد يقول شملول

— أستاذ سامى اسكت أنت فأنا الذى سأتكلم • محمود أنت  
أبعد ما تكون عن الصواب • هل تتصور اننا عظماء لدرجة أن  
يرسل لنا زين الرفاعى ابنه وزوجة ابنه الأكبر ليدبروا لنا مكيدة بعد  
هذه السنوات الطوال التى تركنا فيها الثمرة • ما الذى يجعله يهتم  
بنا كل هذا الاهتمام •

ويقول محمود

— ولماذا لا يكون الأستاذ سامى مختلفا مع آبيه ويريد أن  
يستغلنا •

ويقول صميذة

— أمرك عجيب يا محمود يستغلنا فيم • انك سمعته مثلما  
سمعناه وهو يرفض كل الرفض محاربة آبيه • وسمعته مثلما سمعناه  
وهو يقول أنه يريد أن يمنع الظلم •

ويقول شملول

— يا محمود نحن تجار وصناعتنا أن نعرف الناس من سيماهم  
التي فى وجوههم أوجه الأستاذ سامى هذا يوحى اليك بأنه رجل  
يريد أن يخادعنا •

وتقول صبيحة

— استغفر الله العظيم • وقد نسيت شيئا آخر يا محمود •

ويقول محمود وقد بدأ يقتنع بالحجج المنهالة عليه •

— خيرا •

وتستطرد صبيحة

— اننا على اتصال دائم بقرية الثمرة • ونعرف وتعرف معنا أن  
العلاقة بين زين وابنیه على أحسن ما يكون •

ويقول سامى

— اسمعوا أنا سأترككم لتفكروا وتندبروا الأمر حتى اذا  
اطمأنت نفوسكم تماما ارجع اليكم • وشملول يعرف كيف يجدنى •

وقال محمود فى حسم عجيب •

— بل انك لن تقوم من مكانك هذا الا وقد اتفقنا على كل  
التفاصيل •

ويقول شاملول

— الآن يا محمود قلت ما يجب أن يقال •

ويقول صميذة

— ان الذى يراك ولا يطمئن كل الاطمئنان الى صدقك يكون  
غيبا غير جدير بأن يكون انسانا •

وتقول صبيحة

— اننا كلنا معك • واذا لم يعاونك رجالنا تعاوناك نحن نأرايك  
دا روحية • وأنت يا فوزية •

وتقول روحية

— نحن معك يا أستاذ سامى •

وتقول فوزية

— ليس آدميا من لا يقاوم الظلم •

ويضحك الجميع ويقول صميذة

— أرايت يا أستاذ سامى لم يصبح لنا بعد قولهم أن نقول  
شيئا •

ويقول شملول

— لم يبق الا أن نعرف علام عزمت •

ويقول سامي

— لقد كان أبي يرسل لي كل شهر مائة جنيه ويرسل مثلها

الى أخي مأمون •

وتتعالى ألفاظ الدهشة ويستطرد سامي •

— لم ننق منها على أنفسنا شيئا فقد كنت أنا ومأمون

ورشيذة نعمل الى جانب الدراسة • كل ما جمعناه مرصود لما نؤى

أن تفعل •

وتعالت أصوات تتساءل :

— اشتريت بكل النقود سلاحا •

— سلاح وسيارة • أما السيارة فلها عملها أما السلاح فلن

نطلق منه رصاصه واحدة على انسان •

ماذا ••• فإذا تقول ••• كيف ••• وماتع السلاح اذن •••

ما لزومه •

ويقول سامي في هدوء

— سنرد به الظالمين عن ظلمهم •

وتتعالى كيف مرة أخرى •

— أأنتم جميعا تعرفون فواز الشيمي •

— نعم •

— لقد رتب لي عيونا في رجال أبي •

واذن •



ويقول سامى

— حين نذهب جميعا الى المركز نتكلم فى التفاصيل •

ويقول محمود

— جميعا ؟

ويقول سامى

— جميعا ... لقد رتبت كل شىء •

ويهوم الصمت على الجميع ... صمت فيه سعادة غامرة وفيه

تشوق وتطلع الى المستقبل ورضى عنه واطمئنان أيضا •

١٨

كان من أيسر الأمور على سامى أن ينتقل الى مدرسة المركز فمن ذاك المدرس الذى يعمل فى مدرسة بأقصى الصعيد ولا يتمنى أن ينتقل الى القاهرة خاصة اذا كان هو نفسه من أبناء القاهرة وهكذا تم البديل بينه وبين وصفى عبد القوى فى سهولة بالغة • وكذلك كان يسيرا على رشيدة أن تطلب اجراء البديل مع تفيدة السلامة •

أما مأمون فقد اختار مكتب لطفى مصطفى المحامى ليقضى به مدة التمرين وقد رحب به لطفى كل الترحيب وكيف لا وهو ابن زين الرفاعى ووجوده بالمكتب سيجعل أهالى قرية التمرة والمنطقة المحيطة بها يتدفقون على المكتب فى جميع شئونهم القانونية •

أما صبيدة وشسلول ومحمود فقد تركوا زوجاتهم بالقاهرة ورجعوا الى المركز يتجمعون تحت الراية التى رفعها سامى من نص الآية الكريمة « والذين اذا أصابهم البغى هم ينتصرون » •

\*\*\*

وهش زين الرفاعى حين رأى ابنيه ومعهما رشيدة يدخلون البيت على غير توقع وبعد غياب سنوات عن البلدة أما أمهما رتية فقد راحت

تحتضن ابنها ومعهما رشيدة والدموع تهى من عينيها كما لفقتهم  
أختهما عزيزة بشوق صادق متدفق • وحين هدأت بهم الجلسة  
قال زين :

— يا أهلا ••• يا مرحبا ••• لقد أصبح غريبا على أن أراكم  
في البلدة •

وقالت الأم وهي تجتذب نفسها مطمئنا من أعماق أمومتها :

— يا أخي بركة ••• البيت من غيرهما ليس بيتا •

ويضحك الأخوة الثلاثة وتقول عزيزة :

— أمى رتيبة لها حق • الحياة بعيدا عنكما لا تستحق أن  
تعاش • أظن هذه أول مرة تأتين فيها البلد يا رشيدة •

وتبتسم رشيدة وتومئ برأسها أن نعم وتقول رتيبة

— أهذا كلام يا أهلا بك في بيتك يا بنتى ••• يا أهلا يا مرحبا  
ألف أهلا •

ويقول زين

— ولكننى فقط أريد أن أطمئن ••• أهى زيارة •

ويبتسم مأمون ورشيدة ويقول سامى

— بل اقامة •

وتختلط الدهشة بالخوف فى وجه رتيبة ويقول زين

— ماذا ؟ !

وتلحق به رتيبة فى سرعة متوجسة •

— وشغلکم •

ويضحك سامى ورشيده ومأمون ويقول مأمون

— أتخشين أن نخرج من أعمالنا كل هذه الخشية ... من يسمع  
هذا يحسب أنكم تعيشون من مرتباتنا \*

وتقول رتيبة فى جدية

— الانسان بغير عمل كارثة \*

وتقول رشيده ممعنة فى اخافة حمايتها \*

— وماذا يجرى اذا أنا ساعدتك فى البيت وساعد سامى  
ومأمون عمى فى ...

وتقاطعها رتيبة وقد كادت أن تشعر بالمزاح فى الحديث \*

— يا بنتى لا قدر الله لا أنا ولا عمك نحتاج الى مساعدة \*

ويقهره سامى ومأمون ورشيده ويقول سامى

— لا تخافى ... انا فى أعمالنا لا نزال \*

ويقول زين

— أهذا معقول ... أجاد أنت فيما تقول \*

ويقول مأمون

— كل الجد \* سامى ورشيده انتقلا الى مدرسة المركز وانا  
ذهبت قبل أن أجيء الى هنا واتفقت أن أقضى سنوات التمرين فى  
المحامة بمكتب لطفى مصطفى \*

— متى جئتم ؟

ويقول سامى

— بالأمس \*

وتقول الأم

— وأين قضيتم ليلتكم •

وتقول رشيدة

— أنت ست عظيمة ... بيت المركز كأنه لم يترك •

وتضحك رتيبة •

— كنت أرسل عزيزة ومعها خادمتها سعدية ينظفانه كل أسبوع  
وكأني كنت انتظر أن تجيئوا اليه في أى لحظة •

ويقول سامي

— ظلت كل هذه السنوات تنظفين البيت كل أسبوع •

وتقول رشيدة

— بحاسة الأم •

وتقول رتيبة

— الأمر لا يستأهل كل هذه الدهشة • من الطبيعي أن نحتاج  
الى أشياء من المركز كل أسبوع فما البأس أن تذهب عزيزة ومعها  
سعدية بالسيارة ويمران بالمنزل تنظفانه •

وتقول رشيدة

— كنت أظن أنني سأجد مشقة كبيرة لأجعله صالحا للمبيت  
فوجدته أنظف من أى بيت يسكنه أصحابه •

ويقول زين وقد خالجه بعض الدهش •

— ولكن ما الذى جعلكم تقرررون هذا القرار وتنتقلون الى  
هنا بغير مقدمات •

ويستسم سامى وهو يقول

ـ المقدمات كانت فى نفسى منذ عرفت اننى لم ارتكب جريمة  
وأن زميلى منيب والحمد لله لم يصب بسوء \*

ويقول زين

ـ ياه \*\*\* أمازت تذكر \*

ـ وهل أستطيع أن أنسى \*

ـ لقد جعلت من هذه الحكاية التافهة أمرا خطيرا \*

ويطرق سامى قليلا ويقول لأبيه متوخيا الا يتخذ موقف الواعظ \*

ـ يا أبى لو كان زميلى هذا قد مات لما رأيت أنت وأمى  
وجهى مدى الحياة \*

وذهل زين وقالت رتيبة

ـ بعد الشر \*

وقال زين

ـ الى هذه الدرجة \*

وقال سامى فى حسم \*

ـ وأكثر \*

وتقول رتيبة

ـ ألف حمد وشكر لك يارب \*

قضى سامى ومأمون ورشيدة ثلاثة أيام بالقرية ثم أخذوا سستهم  
الى المركز وصحبوا معهم فواز الشيمى الذى تمكن فى هذه الأيام  
الثلاثة أن ينفذ كل ما أمره به سامى \*

عرف فواز الشيمى فيما عرفه أن زين أعطى أمره الى رجاله  
بسرقه بهائم كدوانى البرقوى • وكان رجال زين فى انتظار أن يحدد  
نهم العمدة موعد هجومهم على بهائم الكدوانى •

وقد رتب فواز أن يأتى اليه نجيب رسلان بالموعد الذى تعين  
لهم •

وما أن استقر سامى وزوجته وأخوه بالمركز حتى كان قد أعد  
سكنا ملائما للقادمين من مصر وقد هدا بهم المقام فى مسكنهم الجديد  
وكانوا يجتمعون كل مساء فى بيت سامى • ويتبادلون شتى الأحاديث •  
فقد كان ما يتتوون القيام به متفقا عليه ولم يعد محتاجا لأمى حديث  
جديد • بل انهم شعروا أن الحديث فيما هم مقبلون عليه سيجعل  
اتفاقهم مائعا • فكثرة الحديث تفتت عزيمة العمل •

فى احدى الأمسيات بينما هم مجتمعون عند سامى طرق الباب  
وقام اليه فواز • وفتحه • وهم ينظرون • ما لبث أن خرج فواز من

الباب لحظات ثم دخل وأقفل الباب وقال في هدوء حازم :

— الموعد غدا •

\*\*\*

كان رجال زين الرفاعى مدرين على أعمالهم غاية الدربة • وكان كل منهم يعرف دوره وكان يؤديه فى اتقان وبراعة حتى أصبح كبيرهم خطاب الضبع فى غير حاجة أن يعطى أوامره عند بدء العملية بل يكتفى بجملته واحدة تعودوا أن يسمعوها فى صوته الهادى المنخفض  
الواثق :

— كل واحد منكم يعرف ما سيعمله •

ولم يكن من المحتم أن يجب كل فرد منهم جملته وقد يكتفى  
أحدهم أن يقول :

— توكل على الله •

أو يقول آخر :

— توكل •

ثم يمضى خطاب الى غرفة السلاح فى بيته • فيفتحها ويدخل كل منهم الى سلاحه الذى يعرفه • وهم جميعا يصرون الا يستعملوا  
الا السلاح الذى مردوا عليه • وقد كان بعضهم يقول فى فخر ان بينه وبين سلاحه لغة لا يفهمها الا هو وسلاحه •

وكانوا ستة نفر لهم عند هجومهم طقوس غير مكتوبة وانما هى  
تكونت بطول الدربة وبكثرة العمليات فكان لكل منهم ملبسه الذى  
خصه ليالى العمل • وكان كل منهم يستبشر بملبسه هذا • فكان  
لا يلبسه الا فى الليلة التى يعمل فيها حتى لا تهلكه كثرة الاستعمال •  
وكانوا اذا ساروا الى مهمتهم ذهبوا اليها أزواجا وكان كل واحد منهم



يعرف رفيق عمله • وكان خطاب يخبرهم في كل مرة بمكان تجمعهم  
يقصدون اليه من طرق شتى ومن منافذ متفرقة •

\*\*\*

كان كدوانى البرقوقي قد تاجر في البهائم في عامه هذا وعادت  
عليه التجارة بربح يتجاوز العشرة آلاف جنيه وقد عرف زين بهذا  
النبا فاستقدمه اليه •

— مرحبا يا كدوانى •

ولم يكن كدوانى ليغيب السبب الذى استدعاه زين من أجله  
ولكنه شأن الدهاة من أبناء القرى يعرف كيف يخفى مشاعره فهو  
يقول للزين وكأنه مطمئن :

— رحب الله بك يا حضرة العمدة •

— لنا زمان لم نرك •

— علم الله يا حضرة العمدة كم أنا مشوق اليك •

— فماذا منعك يا أخى أن تزورنا • هل نسيت الطريق الى  
بيتنا •

— يا حضرة العمدة نحن نعتبر بيتك بيتا لنا جميعا والالسان  
لا يمكن أن ينسى الطريق الى بيته •

— فما الذى شغلك عنا يا ترى •

— لم تفلح زرعة القطن فاضطرت أن أرقمها فكنت أقضى يومى  
كله فى الغيط وأعود الى البيت بعد المغرب مهدودا لا أكاد أصيب من  
الطعام شيئا وأوشك أن أسأل أهل بيتى أن يحملونى الى الفراش •

— كان الله فى العون •

- أطل الله عمرك يا حضرة العمدة \*
  - اذن فالذى سمعناه ليس صحيحا \*
  - خيرا يا حضرة العمدة وما الذى سمعت \*
  - لا داعى لقوله ما دام الأمر كذلك \*
- وأدرك كدوانى أن الحديث قد بلغ الغاية المقصودة منه ومن الاستدعاء أيضا فهو يقول :
- وما البأس أن تقول يا حضرة العمدة \* والأمر كله كلام ابن عم حديث وها نحن أولاء نسمر \*
  - كنت سمعت انك — فيما يقولون — تاجرت فى البهائم \*
- ويبتسم كدوانى وكأنه لا يعير الحديث التفاتا \*
- آه ... أتقصد الى هذا ... لا وشرفك لا تجارة ولا يحزنون ... الأمر لا يزيد عن كم رأس اشتريتها وأطعمتها بضعة أشهر وبعتها \* وشاء الله أن يكرمنى فى قرشين اشترت بها كم بهيمة أخرى لأتاجر فيها \*
- أحد عشر ألف جنيه لا يقال عنها قرشان \*
  - أنت تعرف كم يبالغ الناس يا حضرة العمدة \*
- ويستعيد العمدة صوته الأمر المتسلط بعد أن ظل طوال حديثه يعمل صوتا هادئا منسابا يكاد من يسمعه يظن أنه ينبعث عن نفس طيبة شفيفة لا أثر فيها لقهر أو عدوان \*
- يقول العمدة فى نعمته الأصيله التى يعرف أهل القرية معنى صدورها عنه :

- بل أنت تعرف يا كدوانى أنك اذا شربت شربة ماء فى بيتك فأنا أعرف تماما كم قطرة ماء شربت •
- ليس هذا بجديد علينا يا حضرة العمدة •
- فمكسبك اذن أحد عشر ألف جنيه وخمسون جنيها أيضا حتى تفهم اننى ما زلت أعرف كم قطرة شربت فى بيتك •
- واذا فرضنا يا حضرة العمدة أن ما تقوله صحيح •
- يكون عليك أن تدفع نى خمسة آلاف جنيه •
- فى أى شرع هذا •
- شرع زين الرفاعى •
- ولكنه ليس شرع الله يا حضرة العمدة •
- ألسنت أنا الذى أحمى تجارتك • وأنا الذى أمانع عنك اللصوص أن يسرقوا بهائلك جميعا • • وأمانع الخراب أن يحل بك •
- ويقول كدوانى فى نفسه وهل هناك خراب أكثر من الذى تصنعه •
- ويصمت ولكن خاطرا عجيبا يلح عليه • كيف يستطيع اللصوص أن يجعلوا اجرامهم شرعيا له منطقته وكيف يلبسون الباطل أثواب الحق فتطمئن نفوسهم أن ما يصنعونه بالناس عدل لا عدوان فيه ولا افتئات ولا تدمير فيه لانسانية الانسان •
- يصمت كدوانى ولكن قليلا ما يصمت فالعمدة لا يترك للسكون فترة أن يخيم عليهما فهو يقول فى صوته الجبار :
- ألسنت أنا الذى يمنع محصولك أن يحرق أو يسرق وبيتك أن يهدم أو يحرق أيضا •
- ويطرق كدوانى ويقول فى مخادعة وفى غير اقتناع :

— وهل يستطيع أحد أن ينكر يا حضرة العمدة ؟

ويعود العمدة الى مواصلة جبروته •

— ألا أحتاج الى رجال لأحميك وأحمى أهل القرية معك وهؤلاء الرجال ألا يحتاجون أن يعيشوا وقد تركوا أعمالهم وتفرغوا للمحافظة على أرواحكم وأموالكم • من أين انفق عليهم ومن أين ينفقون هم على عيالهم اذا كان كل واحد منكم سيربح ما طاب له الربح ولا يدفع لنا ما نحافظ به على رأس ماله وأرباحه • بل اننا أيضا نحافظ على حياتك وحياة كل الذين يقومون بأعمال تعود عليهم بالربح فلولا الرهبة التي يحسها المجرمون حولنا لقتلوكم واستولوا على ما تحملون من أموال •

ولا يتكلم بلسانه كدواني ••• ولكن ••• يا ابن الكلب ان أحدا لا يسرقني الا أنت وأحدان يقتلني الا أنت وأحدان لن يحرق زرعى أو بيتى أو بهائمى الا أنت • اذا أنت حميتنى من نفسك فأنا فى غير حاجة الى حماية • فليس هناك مجرم الا أنت ولا عاتية ظالم الا أنت • وحرك كدوانى لسانه فى فمه :

— أمرك يا حضرة العمدة

وفى حسم قاطع يقول زين :

— خمسة آلاف جنيه

— أهذا معقول يا حضرة العمدة

هذا هو المعقول الوحيد

— أنا لا أستطيع أن أدفع أكثر من ألفين

وفى صوت آمر يقول زين :

— خمسة

— اذن فاصبر على

- حتى متى
- حتى أبيع البهائم التى عندى
- ولماذا لا تبيعها الآن
- أخسر فى بيعها كل ما ربحته ولا أستطيع أن أدفع حتى الألفين
- متى تستطيع الدفع
- بعد ستة أشهر
- ماذا
- خمسة أشهر
- اسمع • أنا سأهلك هذه الأشهر الخمسة ولكنك اذا تأخرت يوما واحدا تكون الجانى على نفسك •

\*\*\*

وتأخر كدوانى وتحدد الموعد • وخرج رجال العمدة • وقصدوا الى بيت كدوانى والقمر ينير لهم الطريق فهم لا يخشون أن يراهم أحد وكان بيت كدوانى متسعا وقد حرص منذ بدأ يتاجر فى البهائم أن يسد باب الحظيرة الخارجى بالطوب ويجعل البهائم فى دخولها وخروجها تمر عبر باحة البيت • ولكن شيئا من هذا لم يقف عائقا دون رجال زين • ما هى الا دفعة حتى كان باب البيت مفتوحا على مصراعيه وكان كدوانى وزوجته شفيعة وأبناؤهم الثلاثة سعداوى وبغدادى ونبيل جالسين اليهم • وقفوا جميعهم • وراو رجال زين ملثمين ولكنهم عرفوهم جميعا فردا فردا وكان خطاب وأعوانه يعلمون تمام العلم أن كدوانى يعرفهم فما راعهم هذا ولا مر بخاطر أحدهم أن يفكر فى هذا الأمر •

ودخل الرجال الى حظيرة كدوانى وكان البيت خال بهم وكأنهم

ما رأوا صاحب البيت ولا زوجته ولا أبناءه وبدأوا يخرجون البهائم ولم يجد كدوانى شيئا يصنعه الا أن دعا زوجته وأولاده أن يدخلوا أمامه الى حجرة أخرى وأقفل الباب على نفسه وأسرته فقد أصبحت حياته وحياة أسرته فى هذه اللحظة هى كل ما يحرص عليه ولتذهب البهائم وثروته جميعا الى الجحيم •

خرج خطاب فى المقدمة يقود جاموسة وتبعه الرجال الخمسة يقود كل منهم جاموستين وما أن خرج آخرهم حتى فوجئوا بخمسة شخوص يلبسون السواد ما يبين منهم شئ يحيطون بهم ويطلقون الرصاص حولهم وكأنه مطر منهمر ويتولى العتاة الخوف الراعد وتتوالب البهائم فى أيديهم توشك أن تقتلهم ويقف بهم الذعر جامدين وكأنهم تماثيل من جماد •

ويواجههم صوت لا يعرفونه ••• انه صوت شملول • ومن أين لهم أن يذكروا شملول أو صوت شملول •

— ألقوا السلاح •

ودون تفكير يلقى الرجال الستة سلاحهم • ويطلبهم الصوت آمرا مرة أخرى •

— أعيديوا البهائم الى مكانها وليبدأ أقربكم من البيت فى ادخال ما معه ثم يتبعه الذى يليه •

وينفذون الأمر فى دقة الحريص على حياته حتى اذا أدخلوا البهائم يقول شملول :

— قولوا لحضرة العمدة انكم ستجدوننا دائما عند كل عملية تقومون بها ويقول خطاب فى صوت راعش :

— ماذا

— ما سمعت يا خطاب • ابلغ العمدة ذلك • هيا اذهبوا واذا  
التفت أحدكم خلفه قتلناه في لحظة ••• اذهبوا واحذروا أن يلتفت  
أحدكم خلفه •

وفي مثل لمح البصر يولون الفرار

ويجمع سامى ومأمون ومحمود وشملول ومعهم رشيدة وهى فى  
ملابس الرجال الأسلحة الملقاة ويخفيهم الليل عائدین الى المركز بالسيارة  
التى أعدها سامى فيما أعد حين استقر رأيه على أن يكون من أولئك  
الذين اذا أصابهم البغى هم ينتصرون •

\*\*\*

تعود زين كلما أمر بعملية أن يجلس فى غرفة خاصة بالبيت لها  
شباك على الطريق ينتظر أن يأتى خطاب أو غيره من مجرميه الى هذه  
النافذة فيطرقها أربع طرقات ان كانت العملية تمت بنجاح •  
أو يطرقها ثلاث طرقات اذا حال دون اتمام العملية حائل •

وحين سمع زين أصوات الرصاص دهش وانتظر بالرفة وكانت  
رتيبة تجلس معه فيها وقد تعودت الا تسأله عن هذه الطرق منذ  
أول مرة سمعتها فيها وسألت :

— أعوذ بالله من الشيطان الرجيم • من هذا الذى يطرق فى مثل  
هذه الساعة فأجابها زين فى حسم قاطع وبصوته الذى عرفته حين  
ينقلب زوجها من انسان أليس الى شيطان مريد •

— لا شأن لك •

وكانت فى ليلتها تلك تدرك بحسها وبطول المعاشرة أنه ينتظر ذلك  
الطرق المبهم • وحين سمعت أصوات الرصاص تأكدت أن حدسها  
صادق •

ولم يطل بها الانتظار فسرعان ما طرق النافذة ذلك الطارق ...  
ورأت زوجها يتسمع في اهتمام بالغ حين انتهت الطرقات الثلاث  
ظل لحظات طوال يتسمع فلم يصل الى آذنيه الا اصوات اقدام تبرح  
النافذة .

ورأت الدم يعلو وجهه حتى أصبحت عيناه وكأنهما جمرتان  
ملتهبتان . وحين قاما الى النوم أحست به طوال الليل والقراش يقلبه  
لا يقر له قرار حتى نفذت الى الحجرة خيوط الشمس الأولى فاذا  
زوجها منتصب على قدميه ودون أن يتناول افطاره كان قد ترك البيت  
وقصد الى مجلسه في الدوار .

وما أن استقرت به الجلسة حتى وافاه خطاب وروى عليه ما حدث  
وقبل أن يتم الحديث يصعد الدرجات القلائل كدوائى خائفا يتكفى  
ودون تحية يصيح .

— البهائم معى فى الخارج يا حضرة العمدة .

وينظر اليه زين مليا ... ماذا يمكن أن يحدث لو أنه أخذ هذه  
البهائم ان المجرم حين يحيط به التهديد يصبح أشد الناس خوفا  
وهلعا . كيف أضع هذه البهائم فى بيتى . ان قوما صنعوا ما صنع  
هؤلاء بالأمس لا يقف دونهم شىء . هيهات أن يكونوا خمسة أو عشرة  
بل لابد أن وراءهم مددا عتيدا . وما أظنهم بالذين يغضبون من أجل  
كدوائى ويبدلون كل هذا الجهد الذى بذلوه لمجرد المحافظة على  
بهائمهم فما كدوائى بالنسبة اليهم الا فرصة اهتبلوها ليعلموا لى عن  
وجودهم .

ويطرق زين ويطلب الاطراق . ثم يرفع رأسه الى كدوائى .

— ارجع الى بيتك وخذ بهائمك معك يا كدوائى .

— أنا لا شأن لى بما حدث يا حضرة العمدة . والله على

ما أقول شهيد .



- أعلم يا كدوانى •
- البهائم فى ستين داهية • أولادى يا حضرة العمدة •
- كدوانى تأكد اننى أعرف أنك لا شأن لك بما حدث وخذ منى  
كلمة رجل اننى لن أمسك بما يؤذيك •
- أطال الله عمرك يا حضرة العمدة •
- مع السلامة يا كدوانى •
- وقام كدوانى وهم بنزول السلم ثم توقف فجأة والتفت الى  
العمدة مرة أخرى •
- الا أترك البهائم يا حضرة العمدة •
- بل تأخذها معك كما أحضرتها •
- أمرك •
- والتفت الى السلم ثم توقف واستدار ثالثة الى العمدة •
- واذا جاء لى فيها مشتر يا حضرة العمدة •
- وأدرك العمدة أنه يساوم على الاتاوة ولكن زين لم يكن فى حالة  
تسمح له بالمفاوضة الآن ... وأين سيذهب منى كدوانى ... فليبع  
البهائم واذا انتهت من هذه البلوى التى ظهرت لى على آخر الزمن  
فان يدي تستطيع أن تعتصر منه عشرة آلاف لا خمسة ... قال  
زين فى حسم :
- اذا أردت أن تبيع البهائم فبعها يا كدوانى •
- و ...
- وحين أزيد المبلغ سأقول لك ... أبق الثمن كله عندك  
الآن •

— أمرك يا حضرة العمدة • وأين سيذهب المبلغ انه عندى تحت  
أمرك • أحضره عندما تشاء • أمرك يا حضرة العمدة •

وانصرف كدوانى وأمر العمدة خطاب أن ينصرف هو أيضا وخلا  
به المكان • كيف عرفوا بالموعد الذى حددته لكدوانى • أهى صدفة  
أم أن لهم على عيوننا راصدة • وكيف لى أن أعرف • بل لا بد لى  
أن أعرف • وما الذى جعلهم يعيدون البهائم الى صاحبها • من  
هؤلاء •• ما شأنهم •

\*\*\*

اندلع الخبر فى القرية فى كل نواحيها وتناقلته الألسنة والقلوب  
والوجوه والفرحة تشيع فى كيانهم كله •

وبدأ الناس يتساءلون ••• من هؤلاء • أنهم ليسوا لصوصا •  
للصوص لا يعيدون المسروقات الى صاحبها • وهم ليسوا من الشرطة  
فالشرطة لا تترك المجرمين المتلبسين دون أن تقبض عليهم • وهم ليسوا  
غرباء فهم يعرفون اسم خطاب ويعرفون لمن يعمل • وهم ليسوا من  
البلد فلو كانوا من البلد ما خفى أمرهم على رجال زين • أملاكه  
هم أم بشر • انس هم أم هم من الجن •

ومن أهل البلد أعيان حلا لهم أن يروا العمدة فى يومهم هذا •  
وأختلق كل منهم سببا يذهب به الى العمدة وكان زين قد استطاع  
فيما اتيح له من وقت خلا فيه بنفسه أن يجمع ما تمزق منها وما صدعته  
الحادثة وما تشتت من فكره •

وجدوا العمدة راسيا كأن شيئا لم يقع • وراح يروغ بالحديث  
الى شتى مسالك ومختلف سبل • لا يجروا أحد من زواره أن يسأله •  
وفيهم السؤال وكيف يستطيع أحدهم أن يقيم جملة متصلة الألفاظ

تؤدي المعنى الذى يراد لها أن تؤديه وعزم زين على أمر وقطع فيه  
الرأى واستقر به الفكر ♦

\*\*\*

وفى بيت سامى جلسوا جميعا ينتظرون فواز الشيمى الذى  
ما لبث ان جاء وقدم الى سامى مبلغا من المال هو ثمن السلاح  
الذى أخذوه من رجال العمدة وسأله سامى :

— كم

— خمسمائة وخمسون

— فيم تقترحون اتفاقها

قال شملول :

— الأمر لك

قال سامى :

— اذن هى من نصيب محمود ونصيبك فقد بعنا أرضكم  
بأبخس الأسعار حتى تهربوا من الظلم ♦

وقال محمود :

— ألا نبقىها معك فقد نحتاج اليها فيما نحن مقبلون عليه ♦

وقالت رشيدة :

— ابقها أنت معك وان احتجنا قلنا لك

وقال شملول :

— ولكن ...

ويقطع سامى النقاش

- انتهى أمر هذه القلوس ولننظر فيم هو آت ... فواز
- نعم
- تذهب الآن فورا الى ابلدة \* وتعرف ماذا هم صانعون
- فورا
- لن يبيت أبى وهو لا يعلم عن هاجموا العصابة شيئا
- أمرك
- ونحن هنا سننتظر عودتك وقد أخذنا أهبتنا للتحرك لحظة  
عودتك
- أمرك ... سلام عليكم
- عليكم السلام

٢٠

عبد الغنى الريدى فلاح ماهر تمازجت هوايته مع حرفته، وهوايته  
فى الحياة أن يكون زرع أحسن زرع فى المنطقة . وقد استطاع  
بجهد أن يرتفع بملكه من أربعة أفدنة تركها له أبوه الحاج  
محسن الريدى الى أحد عشر فدانا . وكان زين الرفاعى يتقاضى منه  
مائتى جنيه عن كل فدان يشتره كما كان يتقاضى من البائع مثلها .  
وقد كانت هذه الاتاوة مقررة لا مجال فيها لمناقشة . ولم يحاول  
عبد الغنى أن يماكس فيها أو يتمرد عليها .

وفى عامه هذا استطاع عبد الغنى الريدى أن يستنتج من ستة  
الأفدنة التى زرعها قطنا أربعة وخمسين قنطارا . فقد أحسن خدمة  
الأرض حتى جعل الأرض والبذرة يخرجان أسرارهما الكامنة وأنتج  
الفدان تسعة قناطير .

وحين استدعاه كان يدرك تماما السبب الذى يقف وراء استدعائه  
وثار به نفسه وهو فى طريقه الى دوار العمدة وجعلته يواجه ابتسامة  
زين التى استقبله بها مواجهة مقبلة رافضة. تأبى حتى أن تدارى  
ما فى نفسه من سخط ورفض

مرحبا بزين الرجال

— الله يرحب بك يا حضرة العمدة

— أين أنت يا عبد الغنى ... لى زمان لم أرك

— حضرة العمدة أنا لا أظن انك استدعيتنى لشوق آلم بك

نحوى

— يا أخى الترحيب بالضيف واجب

— هذا اذا لم يكن الضيف قادما على رغم أنه

— وهل أرغمتك أحد

— نعم يا حضرة العمدة

— من ذاك .. اذكر اسمه لى وسترى أى عقاب سأنزله به

— اذن عاقب نفسك يا حضرة العمدة

— أنا

— نعم أنت يا حضرة العمدة \* وليس غيرك \* فأنا لم أحضر  
لزيارتك مختارا وانما استدعيتنى أنت وأنا أعلم ماذا يمكن أن يحل  
بى اذا نكصت عن استدعائك هذا \* فأنا فى حضورى هذا اليك  
لست حرا \* وقد كنت أستطيع أن أداجيك وأتغنى بالشوق اليك  
الا أننى فى الحقيقة لم أعد أطيق يا حضرة العمدة \*

— وما لك غاضبا كل هذا الغضب \*

— من تلك الحياة المفروضة علينا فرضا بقوة السلاح يا حضرة  
العمدة \*

— فماذا يقول غيرك \* ان الله يعطيك ويرضيك وأرضك تنتج  
أحسن محصول وأنت من أغنى أهل البلد \*

— أعرف أن هذا ما استدعيتني من أجله • ان الله سبحانه  
جل علاه هو العدل المطلق • وهو لا يعطى للكسول أو الخامل وأنا  
يا حضرة العمدة أرضيت ربي في عملي فأرضاني في محصولي •

— أفلا تشكر الله اذن •

— اننى أشكره وأحمده آناء الليل وأطراف النهار •

— أو ليس من الشكر أيضا أن تشارك غيرك فيما وهب  
الله لك •

— ان الله يا حضرة العمدة غنى عن العالمين • وهو سبحانه قد  
حدد الزكاة وأنا أرفعها الى ذاته العلية كما أمر بها أن ترفع لتعين  
الفقير والمحتاج وابن السبيل • وهو سبحانه جيب الينا أن تصدق  
وأغرانا بأن الحسنه التى يقدمها العبد منا الى أخيه يضاعفها رب  
الجميع عشرة أضعاف • وهذا أمر بينى وبين الله وحده لا يطلع عليه  
الا هو •

— والذى يحميك من عدوك ويحمى مالك من السارق •

— أنا يا حضرة العمدة ليس لى أعداء • وأنا أستطيع •  
والحمد لله أن أحمى مالى من السارق •

— أستطيع ؟ !

— باذن واحد أحد

— اذن فلا حديث بيننا •

— والله المستعان يا حضرة العمدة • انه هو وحده القاهر فوق  
عباده •

— اذن فلا تبك بعد ذلك يا عبد الغنى •

— وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس بأى أرض  
تموت ♦

— لقد فتحت على نفسك نافذة من جهنم ♦  
— انها بفضلك مفتوحة على المنطقة كلها ♦ ولكن النفس فى كثير  
من الأحيان تفضل الموت على الذل يا حضرة العمدة ♦

— وأين كانت هذه الشجاعة من قبل ؟

— قد يحتمل الانسان بعض الحين وقد يرضى بشيء من التنازل  
عن حقه ولكن الطاغية حين يسرف فى طغيانه يجعل الحجر يتحرك وتذب  
فيه الحياة ♦

— اذن سنلتقى يا عبد الغنى ♦

— وأنا مستعد للقاء ♦ والله يحق الحق ويجعل الباطل بأمره  
زهوقا ♦ سلام عليكم يا حضرة العمدة ♦

كان هذا الحديث بعد أن جمع عبد الغنى قطنه ووضع فى  
مخزنه ♦

وقد رأى العمدة أن ينتظر حتى يحشوه فى أكياس البيع ليوقع  
به ما اتوى أن يصنعه ♦

ويوم وقعت الواقعة بالعمدة على أيدي سامى وصحبه كان  
عبد الغنى قد أوشك على الانتهاء من تعبئة القطن جميعه ♦ كان زين  
ينوى أن يرسل رجاله بعد يومين ليستولوا على القطن بأكياسه ولكنه  
وقد نزلت به هذه القاصمة رأى رأيا آخر ♦

— خطاب ♦

— أمرك يا حضرة العمدة ♦



— أنيت ليلتنا ونحن لا ندرى من هؤلاء الذين صنعوا بنا هذا  
الصنيع •

— أمر سعادتك •

— قطن عبد الغنى •

— نحمله الليلة ؟ !

— الليلة •

— أمرك •

— ولكن انتظر ... لابد في هذه المرة أن نغير الطريقة التي كنا  
تتبعها في السنوات الماضية كلها •

— طبعا ... طبعا يا سعادة البك •

— اذن فاسمع •

— نعم •

— ما ستفقد عليه الآن لا يعرفه أحد من الرجال الا وقت تنفيذ  
العملية •

— طبعا يا حضرة العمدة ... طبعا وهل تشك في هذا ؟

\*\*\*

قال فواز لسامى :

— كما توقعت حضرتك يا سامى •

— طبعا

— قطن عبد الغنى اليريدى •

— وتوقعت هذا أيضا ... هل أنتم مستعدون •

وقال شملول :

— بل انتظروا لا بد لنا من حديث قبل أن نقوم الى عملنا •

وقال محمود :

— قل •

— ااعدوا وفكروا معي •

\*\*\*

كان الذين يستعين بهم خطاب الضبع في تنفيذ أوامر العمدة خمسة نفر اختارهم خطاب من البلاد المجاورة وكانوا جميعا لصوصا صفارا • وكان لكل لص منهم نهجه ومنحاه وضمهم خطاب فأصبحوا جميعا أعوانا له توحد بهم الطريق •

أما سعفان أبو زغلول فهو من بلدة العسراية وكان متخصصا في سرقة البهائم • ولم يكن يبيعها الا اذا عجز صاحبها أن يدفع عنها الحلوان • وقد كان هذا الحلوان قريبا كل القرب من ثمن البهائم • ولكن المعتدى عليه لا يملك الا أن يدفع وأمره الى الله وبعض الشر أهون من بعض • وكان سعفان أيضا يعمل وسيطا في السرقات التي يقوم بها غيره وبين السارق والمسروق يظفر سعفان بجزء مما يتفقان عليه • طلبه خطاب فوجد في العمل معه دخلا ثابتا • فرحب بذلك خاصة أن خطاب سمح له أن يمارس سرقاته خارج التمرة في الأيام التي لا يعملون فيها •

أما ادريس السلاموني فكان قاطع طريق • يسقط على قريسته في حالك الفللام ويجرده من كل ما معه ثم يقيدته ويتركه ملقى في مكانه • وكانت وسيلته الى ذلك بندقية صدئة الا أنها بالنسبة للاعزل سلاح فتاك •

وكان فهيم سمهان من قرية التراية وصنعتة قاتل محترف يقصد

اليه كل صاحب ثأر أن يقتل لحسابه من وقع عليه الاختيار • ويقصد اليه أيضا كل من يريد أن يزيح من طريقه عائقا بشريا •

أما عمران القناوى فكان سمسارا فى الأسواق وكان هزيلا فى سرقاته • فقد كان ينتهز فرصة غفلة من صاحب خروف أو معزة أو حتى أوزة • وقد مرن أيضا على نشل الجيوب • وهو ما يزال يسمى سعيه هذا فى الأسواق بجانب عمله الضخم فى عصابة زين الرفاعى •

خامس الجماعة شهيدى عبد المعين وهو من أصدقاء خطاب نشأ كلاهما فى رحاب زين ومرنا فى باحته على كل ما كان يكلفهما به من أعمال •

كان خطاب وشهيدى وادريس هم فقط الذين نزلوا من سيارة النقل أمام دار عبد الغنى وشهروا أسلحتهم على الرجال الذين كانوا يعبتون الأكياس القليلة الباقية من قطن عبد الغنى فى غرفة بيت عبد الغنى وكانوا هم أيضا ثلاثة رجال • وأصدر خطاب أمره •

— اتركوا هذا واخرجوا الى القطن الملقى أمام البيت وضعوه فى السيارة •

وأطاع الرجال العزل وخرجوا الى القطن الذى كان مكدسا أمام البيت وهموا أن يحملوا أول كيس فاذا بسامى يخرج من ورائه ويأمر خطاب وصاحبيه أن يلقوا سلاحهم وأردف أمره بضغطه على الزناد قذفت الى الهواء عدة طلقات وألقى خطاب سلاحه وهو يصيح سعفان :

ولكن سامى يقول له فى ثبات :

— سعفان وفهيم وعمران مقيودون جميعا • هذه هى أسلحتهم •

— وتخاذل خطاب وهو يلقى سلاحه وتبعه شهيدى وادريس •

وقال سامى :

— فك أصحابك • تجدهم خلف البيت واركبوا السيارة الى  
العمدة واخبروه أنه سيجدنا دائما حيث يرسلكم •

— هيا ••• اسرعوا •

ويصدع خطاب بالأمر ويركبون السيارة وينصرفون •  
ولا يعرف عبد الغنى أو أحد من رجاله سامى أو أحدا ممن معه •  
وحين يحاول أن يتعرف عليهم يقول له سامى :

— ستعرف حين ينبغى أن تعرف • ادخل الآن الى دارك وأكمل  
عملك ولا تخش شيئا وتوكل على الله •

\*\*\*

وسار سامى وصحبه عائدين طريقهم • وكان سامى يعلم أن عيون  
العصابة تسير وراءهم حيث يسيرون •

تحرى سامى أن يطيل طريقه ويتلوى بهم حتى بلغ النهر •  
وفوجئ رجال زين بسامى ورفاقه يهتفون فى جرف النهر واستبد  
بخطاب وعصابته الذهول • وأمرهم خطاب أن ينتظروا فترثوا بعض  
الحين ثم تسارعوا الى النهر فوجدوا سامى قد صنع من بعض جبال  
شبيه جسر مما يصنعه رجال الجيش عند عبورهم للموائق المائية •  
تقدم خطاب وأشار الى أصحابه أن يتبعوه وسار خطاب على الجسر  
وخطا عليه بضغ خطوات • وفى أثره تقاطر الرجال الخسنة • وحين  
أصبحوا جميعهم فى منتصف الجسر سمعوا صوتا حاسما يقول :

— الآن •••

فاذا بالجسر تنقطع أطرافه واذا جميعهم فى الماء •••

\*\*\*

حين سمع العمدة الطرقات الثلاث عرف أن السرقة فشلت مرة  
أخرى وركبه هم قاتل ولكن الطارق لم يكتف بالطرق •  
بل صاح :

— حضرة العمدة •

وتصامم زين ولكن النداء الح فنظر العمدة الى زوجته فرأى  
وجهها قد كسسته الجهامة • وتبين من قسماتها أنها تعرف كل شيء  
واستطاعت هي أن ترى في عينيه نوعا من التساؤل وصمتت فازدادت  
حيرته وراح يقلب نظره بينها وبين الصوت الآتي له من الطارق •

لأول مرة رآته رتيبة ضعيفا حائرا لا يدري ماذا يصنع • انسان  
اذن هو بكل ضعف الانسانية وهوانه • وليس هو ربا ولا هو الها  
ها هو ذا متخاذل أمامها وهي سيدة بلا حول لها ولا قوة الا شرف  
الدخائل وطهر السرائر ووضوح النفس لا تخاف شيئا يتخفى في  
كيانها البشرى •

وحين الح الطارق المنادى قالت هي في صوت آمر قوى بالحق  
الذي أحست أنها تتجسده :

— انظر فيهم يريدك •

وكسجين تحطم عنه القيد قال بصوت يشرخه الرعب :

— انتظر • أنا قادم اليك •

وتوقف الطارق عن الطرق وعن النداء وقصد زين الى باب  
البيت وخرج الى سواد الليل •

٢١

عينان حمراوان ، وبنيان تصدع ، ووجه مكروب ، وشارب  
متهدل ، وعمامة منداحة على الرأس ، وخوف ووجل واستخذاء ورعب  
وانزواء • هكذا كان العمدة وهو جالس في صدر قاعته بدواره •  
وحيدا كان ليس حوله من أهل القرية أحد • تقتله الوحشة • من  
حجرته كما تقتله الوحشة من داخله •

من هؤلاء • أمن الجن هم أم من البشر • أم قد أرسل الله اليه  
ملائكة شدادا ينتقمون لكل من أصابهم في حياتهم وفي أمنهم وفي  
أموالهم •

أنكون هكذا نهايته وهو الذي عتا ما عتا في البشر •  
ألم يكن الموت أرحب يتوارى في طوايا من هذا الخزي •  
وكيف يكون مقامه في قريته من بعد اليوم •  
الناس جميعا يروونه مسربلا بالخزي والعار •  
لقد كانت الجموع في طريقها الى المسجد لصلاة الفجر ولا حديث  
لها الا الهوان الذي أحاط به •

ولم يعد في الربوع من لم يعرف ما حل بالطاغية من وبال •  
فما بعجيب اذن أن يستقبل صباحه وحيدا تحيط به الوحشة  
من كل جانب وتقرى صرخات الرعب كيانه جميعا •

ومن بعيد تتواتر اليه أصوات جموع ما تزال تتعالى وتقترب  
حتى تصبح ضجيجا عاليا مشتدا ثم يفتح باب القاعة على مصراعيه  
واذا بالحجرة المترامية الأطراف تصبح مليئة بالناس • وعلى رأسهم  
اثنان يحملان السلاح حمل من لا ينتوى أن يستعمله • وقبل أن يفيق  
العمدة زين الرفاعي يجد السلاح جميعا ملقى أمامه على الأرض •  
ويرفع رأسه الى من رمى بالسلاح ويرى ••• ويل له من الأيام •••  
أى انسان الا هذين ••• أى مخلوق من المخلوقات ••• من البشر  
أو الجن أرحم من أن يرى هذين اللذين يراهما • ويغض عينيه ويظيل  
الاعماض ثم يفتحهما ••• كونا أى اثنين آخرين ولا تكونا من أرى •  
ولكن الحقيقة لا تحتمل الشك • انهما هما وليس غيرهما ••• سامى  
ومأمون ••• واقفان هما كجبلين أقامهما القدر فى وجهه ••• ان قلت  
ان سامى ليس ابنى ماذا أنا قائل عن مأمون ابن دمي ••• أيكون  
الحق أرفع شأننا من صلة الدم ••• وسامى نفسه انه لا يعرف لنفسه  
أبا غيرى • بل انى نسيت من حقيقة مواده الا أنه ابنى تلقفته وهو  
رضيع وأرضعته من أصبحت فيما بعد زوجى وأم أخيه وأم ابنى •  
ما هذا الذى يصنعان بى •

وطال الصمت • والابنان ينتظران الأب أن يقول أو يسأل وهو فى  
غمرة الدهول الصاحى لا ينطق والناس جميعا الذين ملأوا الحجرة  
وما خارجها من بناء وطرق كأن على رؤوسهم الطير •

كان الصمت الذى طال أعظم من كل كلام يمكن أن يقال •  
ما كان جسما ذلك بل كان حوارا عجيبا دار بينه وبين ولديه ثم بينه وبين  
كل فرد من هذه الجموع •

فكلهم أصابه منه ويل وويل • من لم يصبه بالفعل والعمل أصابه  
بالرعب الرادع وبالخوف يسرى من جوبهم مسرى الدماء فما يجرؤ  
واحد منهم أن يرفع رأسا أو ينطق باحتجاج أو يعالن بتمرد •

وحين طال الحوار الصامت وجد زين نفسه يقول في حروف  
متعنتة راعشة :

— أتتما •

ويقول سامي :

— نعم \*\*\* نحن •

وباللسان المتصلب يقول زين :

— أتتما من دون الناس جميعا •

ويقول سامي :

— كان لابد أن نكون نحن من دون الناس جميعا •

— ألم أكن أصنع ما صنعت من أجلكما •

ويقول سامي :

— لقد كان ما صنعت وبالا على الناس أجمعين ولكنه كان علينا  
أنا وأخي كارثة لا مثيل لها •

— ان يقدم الناس لكما الاحترام كارثة •

ويقول سامي :

— ليس الاحترام فيما يقدمه الناس من كلمات وحركات  
وانما الاحترام هو الحب في داخل القلوب وقد جعلت الناس جميعا  
لا تحمل لنا الا البغض والكراهية والاحتقار • وكان دعاؤهم في كل  
صلاة أن يخلصهم الله منك ومنا جميعا • فانك مهما تحاول أن تسحق



حرية الانسان فانه على تمام حريته اذا ناجى ربه • وان دعاء مظلوم  
يرتفع الى السماء لا يعادله شيء من أطايب الأرض جميعا •

— ألم أكن أجمع المال لكما ؟ !

ويقول سامى :

— لا يا أبت ... لقد كان أيسر المال يكفيننا وكان الحلال  
من مالك حسبنا ليكون سترا وعيشة راضية ولكنك كنت تفعل  
ما تفعل لأنك يلذ لك أن تقهر الناس وتكسر كرامة الانسان فيهم وهم  
البشر الذين جعلهم الله سادة مخلوقاته فجعلتهم أنت عبيد سلاحك  
وطغيانك وجبروتك •

وفى هوان اليأس ينظر زين الى ابن دمه يستجدى منه الرحمة •

— هذا قولك يا مأمون •

— هو قولى يا أبت ولا قول لى غيره •

— هل أنت واثق يا بنى •

— كره الله ما تفعل يا أبى •

— أهكذا علمك أخوك •

— بل هكذا علمنى ربى ورب أخى •

وأطرق زين ثم قال وهو فى اطراقه والحنائه :

— وماذا أتما فاعلان !

ويقول سامى :

— ترد الى كل صاحب حق حقه •

ويقول زين :

— لقد اختلط الحق بالباطل ولم أعد أدرى أى الأنصبة لى وأيها

لغيرى •

ويقول سامى فى بساطة :

— فمالك جميعا خالطه الحرام فهو جميعه للناس •

وفى مرارة قاتلة يقول زين :

— وأنا وأمك كيف نعيش •

فيقول مأمون :

— هذا واجبنا نحن •

وينظر زين الى سامى الذى يقول :

— اننا نحن المسئولان عنك وعن امنا وليس ما اغتصبت من  
حقوق الناس •

وهوم الصمت مرة أخرى • فيه من الناس تنظر وارترقاب وهو فى  
رأس زين ضجيج وفكر يتزاحم •

رفجأة قال زين فى حسم :

— سامى •

— نعم يا أبى

— وأنت يا مأمون •

— نعم يا أبى •

— أما ألسا فلن أبقي بعد اليوم فى هذه القرية •

وساد الصمت لحظات ثم قال :

— لتكن أنت العمدة يا سامى •

فقال سامى :

— ليس من حقك أن تعين خليفتك فانك لا تملك الا أمر نفسك •

— أترفض •

— نعم أرفض •

— فمن يكون العمدة •

— هذا من حق الناس أن يقولوه •

— وان اختاروك •

— استغفهم •

وتعالت أصوات •

— نعم ... نعم ... نريدك أنت •

فاذا سامى يصيح فيهم :

— اصمتوا ... ما هذا الذى تقولون ... لماذا تختارون ابن الظلم والقتل والرعب والجبروت أن يكون رئيسا عليكم وأبوه هو من عاثبتم منه السنين الطوال • هيهات والله لن أقبل مبايعتكم هذه • فأتتم الآن فى لحظة أنا فيها أبهركم بدفعى الظلم عنكم • وما أردت بها الا وجه الله • دعونى وقد أدبت أنا وأخى رسالتنا نمضى سبيلنا واختاروا أتم من بينكم من ترضون عنه • فاذا ظلم واحد منكم ... واحدا فقط أهون ظلم فاجمعوا رأيكم وغيروه فانكم ان سكتكم عن ظلم هين ما يلبث الظلم الغليظ أن يحيط بكم • ويصمت القوم ويبدو الاقتناع والرضا على وجوههم ثم يلتفت سامى الى أبيه •

— أبى ... قلت انك تريد أن تترك البلد •

— نعم انى تاركها •

- فلا شأن لك من بعد بمنصب العمدة فيها ... فهل لك مال تعيش به حيث تذهب •
- نعم •
- ويلتفت سامى الى الجموع •
- اتتركون له هذا المال •
- ويصيح الجميع •
- نعم •
- ويقول سامى لأبيه :
- اذن فهو لك •
- ويقول الأب :
- زوجتى •
- وتخرج رتية من حجرة مجاورة •
- أنا مع ولدى •
- وينظر اليها زين طويلا ثم يقول :
- لم أكن انتظر الا هذا • فما أحسب أنك تزوجتنى الا لترعى سامى الذى رضع قطرته الأولى من صدرك
- وترتسم لمحة سريعة من الدهشة على وجه رتية ... أياكون قد علم ... ولكن ما البأس • الآن لا يهمنى أن يعلم أو لا يعلم •
- ويقوم زين عن كرسيه وهو يقول :
- سأركب السيارة الى المركز ثم تعود اليكم •
- ويقول مأمون :
- ألا تريد شيئا يا أبى •

وينظر اليه زين طويلا ثم يقول :

— لقد وجدت في سامي أبا ... فأحبه كما لم تحبيني .

ويقول سامي :

— بل اننا فعلنا ما فعلنا لأنني ومأمون نحبك أكثر من حبنا لأي  
إنسان في العالم .

ريثسم زين وهو يقول :

— أحب هذا الذي تصنعان ؟ !

— ما صنعنا الا أن جعلناك قريبا الى الله وكنت عنه بعيدا كل  
البعد .

ويطرق زين طويلا ثم يقول :

— نعم ... أحسبك صادقا ... لقد كنت دائما صادقا ...  
وداعا اذن .

ويقول سامي :

— بل سنلتقي .

— لن تعرف مكاني .

ويقول مأمون :

— سنلتقي يا أبي .

ويقول زين :

— لنترك الزمن يفعل ما يشاء ... كونا سلاما كما كنتما دائما .  
ويقول سامي :

— لا نستطيع الا أن نكون سلاما •

ويقوم زين عن كرسيه ويمشى فتتشق الجموع عن طريق له يسير  
قيه وييدا حتى اذا بلغ الباب الخارجى وجد السيارة تنتظره فيركبها  
وحين تسير السيارة تكون الأصوات كلها هائلة فى صمت من ملكوت  
الحرية المعطرة والقلوب كلها خاشعة للحى القيوم •

\*\*\*

(( تمت بحمد الله ))



رقم الايداع ٨٧/٢٩٨٤

---

الترقيم الدولي ٨ - ١٣١٥ - ٠١ - ٩٧٧

---

الهيئة المصرية العامة للكتاب





